

معن عبدالقادر آل زكريا

ketab_n

هنا برلين حي العرب

يونس بحري

أسطورة لن تتكرر

٢

دار بين الكتب

معن عبد القادر آل زكريا

يونس بحري

أسطورة لن تتكرر

الجــزء الثاني

دار بين الكتب

اسم الكتاب: يونس بحري اسطورة لن تكرر

اسم الكاتب: معن عبد القادر ال زكريا - ج ٢

الطبعة الأولى - سنة 2019

ISBN: 978-9953-597-69-0



منشورات درابين الكتب

العراق | بغداد | شارع المتنبي | مدخل جديد حسن باشا

darabinalkutub12@gmail.com

00964 770 2803 658 | 00964 790 4887 670



يونس بحري أمام المكتبة المركزية في جامعة الموصل يقابل رئيسها الدكتور محمد صادق المشاط ويعرض عليه كتابه الموسوم (حركات مايس سنة ١٩٤١) ويشاهد في الصورة البحري يقف في الوسط وإلى يمينه الصحافي منصور الكيلاني وإلى يساره السيد عبد الستار حمدون. الصورة سنة ١٩٧٥

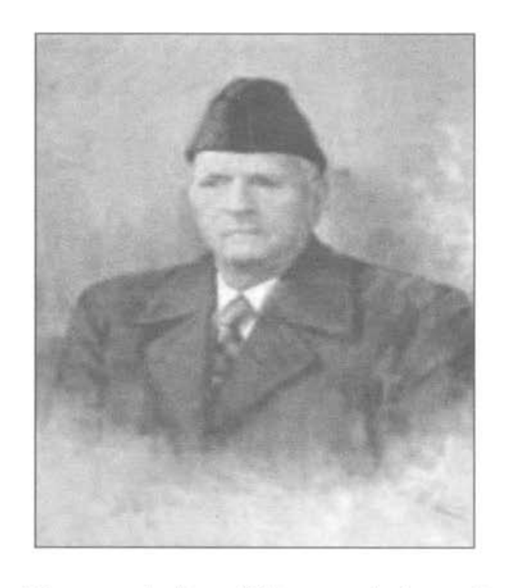
يُونس بحري أسطُورة لنْ تتكرّر

الأسطورة:

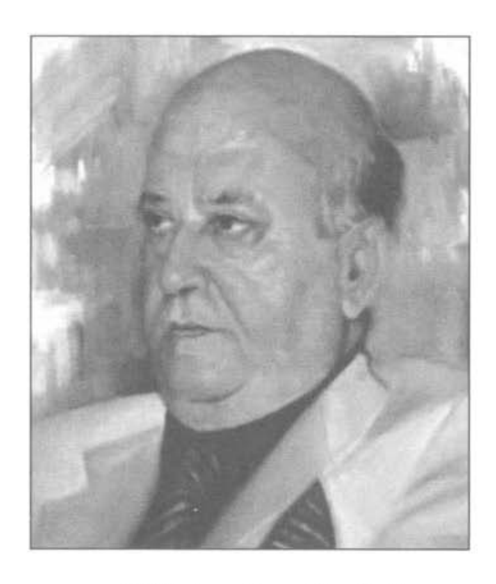
كتبها وعلّق على حواشيها وقدّمها معن عبد القادر آل زكريا ... سِفْـرٌ عظيم لقصة شخصية عراقية من أهل الموصل ، كانت وما تزالُ تعّدُ أسطورة من أساطير القرن العشرين ...!!

قام الباحث بجمع تفاصيل حياة هذه الشخصية وتنقل مع رحلات صاحبها ، وهام شوقاً في كشف خفاياها السيكولوجية والأدبية والجسمانية.. وتعقب تأريخ حياة بطلها ... في كل ما له وما عليه ...

ابتدأنا بتدبيج مُسوّدة الكتاب منذ سنة ١٩٩٤... وانتهينا منه كتاباً مطبوعاً ومنشوراً سنة ٢٠١٧ .... وكانت المعلومات ومادة الكتاب فضلاً عن الوثائق والصور قد جُدّدتْ في ٣٠ تشرين الأول سنة ٢٠١٦ وحتى شهر مارس من سنة ٢٠١٧ في مدينة دهوك – اقليم كردستان ...



والدي الحاج عبدالقادر الحاج مصطفى



الباحث معن عبدالقادر

إلى والدي ...

المغفور له بإذنه تعالى ...
الحاج عبد القادر أبن الحاج مصطفى أبن يحيى
أبن الملاّ زكر أبن الحاج يونس
أبن الحاج زكريا التاجر أبن الحاج أحمد
الأب والمُربّي والمُرشد
كان انموذجاً في بساطة العيش
علمّني على المُصابرة والمُجالدة والتحدّي
دلّني على طريق السياسة وحبّ الديموقراطية والوطن
شجعني على سُلوك طريق العمل الدؤوب والإعتماد على النفس
في التنقيب والتدرع والتعمق في كل بحث يراد له شأن ...
فكان عُنواناً للرُجولة والمحبة والأنفة ... !
أهدي إليه هذا الجُهد الكبير ...

إبنك معن

الفصل الأول

- سفرتي الثانية خارج العراق عن كتاب (صفحات من حياة الدكتور محمد حسن سلمان) الناشر الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٥ (الصور الداخلة إلى الموضوع من إنتاج و تنسيق الباحث معن عبد القادر آل زكريا).

سفرتي الثانية خارج العراق

عن كتاب: صفحات من حياة د. محمد حسن سلمان

الناشر: الدار العربية للموسوعات – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨٥

أكملتُ دراستي الثانوية (الاعدادية) الفرع العلمي عام (٢٧ – ١٩٢٨) بتفوق ملحوظ فقد كنتُ بين خريجي الدراسة الاعدادية في العراق لذلك العام، وارسلتُ بناء على ذلك ضمن البعثة الدراسية إلى انكلترا لدراسة الهندسة الكهربائية في جامعة (برمنكهام) وأذكر من رفاقي في السفر كل من السادة يوسف الكيلاني وجلال عباس فضلي، ومحمد جاسم الداوود وعبد الوهاب الركابي.

غادرنا بغداد إلى بيروت ومنها ركبنا البحر إلى (مارسيليا) – فرنسا – في احدى بواخر شركة (المساجيري مارتيم) الفخمة بعد ان ابتعنا من اسواق بيروت بعض حاجياتنا، ومنها كتيب صغير (أتكيت) يعلم قواعد الآداب العامة وأصولها في المأكل والمشرب ومعاملات الناس وغيرها من التصرفات العامة حيث كنت ومعظم رفاقي على جهل في استعمال الشوكة والسكين في الأكل وكيف لي أن اعرفها ومحيطي الكرخي لا يحسن الاكل إلاّ باليد وكم حاولت اغراء الأخ عبد الوهاب الركابي (العمارة) قراءة هذا الكتيب فلم يقتنع وبقي يلبس (الكاسكيت) – التي ابتاعها من بيروت – بالمقلوب ويمسك الشوكة باليمنى والسكين باليمنى (ولم يك اعسرا)، ويشك شفته أو لسانه بالشوكة كلما حمل اليها قطعة لحم، حتى عاف استعمالها وعاد إلى استعمال يديه وهو غير ملام. ولقد تسبب لنا في مشكلة ذات مساء ونحن على العشاء ومائدتنا تطل على الممر الجانبي للباخرة، حيث رمى بلحمته (الستك) التي لم يستطع قطعها بالشوكة والسكين إلى البحر من خلال النافذة، فلطمت لسوء حضنا – وجه احد القسس الذي كان مارا في تلك اللحظة فدهنت لحيته وثيابه فدخل علينا مزمجرا غاضبا يرطن بالفرنسية كلاما لم نفهمه ولم يكن الا شتما بطبيعة الحال،

فــما كان من أخينــا عبد الوهاب إلا ان اسرع باســتبدال صحنــه الفارغ بصحني فورطني امام القس وخادم المائدة وأضحك علينا المســافرين وأثار اشمئزازهم، وكان حسابي للأخ عبد الوهاب حسابا عسيرا، ولا نزال نتذكر هذه الحادثة كلما التقيت الأخ المذكور حتى اليوم.

وصلنا إلى (مارسـيليا) وركبنا القطار منها إلى (باريس) ومن شـدة الزحام في هـذه المحطـة أضعنا قطارنا إلى (كاليـه) فوقفنا حائرين نتلاوم فيـما بيننا بالعربية وبصـوت عال، فما هــي الا برهة حتى فوجئنا بصوت مـدو خلفنا ينادي مرحبا يا شـباب مرحبا بالعراق..!! أنا أخوكم الســندباد (يونس بحري)، فسررنا لهذه الصدفة وأعتبرناها نعمة هبطت علينا من الســماء، وكان الأخ يونس يرتدي بزة العــمال، فأخـذ حقائبنا واركبنـا عربة إلى احـد المطاعم ونحن نسـير طوع أمره، ادخلنــا المطعـم وذهب إلى مطبخـه لياتينا بانـواع المآكل الشرقية، ثـم تناول من محافظنـا بضعة أوراق مالية ودفع الحســاب، ثم سـحبنا إلى جامع بجوار المطعم وأمنــا للصلاة بعد ان لبـس عمامة مهيبة وأذن وأقام ثم عـاد بنا إلى احد الفنادق الصغـيرة لنقضي ليلتنا فيه، وعاد الينا في المســاء ليصحبنا إلى مسرح مجاور حيث أجلســنا في المقاعـد الاماميـة وغاب وماهــي الا دقائق حتى رفع الســتار وظهر في الروايـة كأحد مشـايخ العرب وهكذا قضينا يوم وليلـة بصحبة الأخ يونس، العتال والطباخ والشيخ والامام والمؤذن والممثل في وقت واحد، وما كانت هذه على كفاءة هذا الرجل بكثير.

مفتي فلسطين الأكبر الحاج أمين الحسيني

سنحت لي الفرصة في ذلك الوقت وبواسطة الأخ يونس السبعاوي زيارة سماحة المفتي للمرة الاولى وبعد السلام بدأ الحديث حول الوضع السياسي القائم والتطورات المرتقبة، ودور الشباب القومي في تلك الظروف وغير ذلك من مواضيع الساعة.

والمفتي كما وجدته رجل ذوق ومجاملة وأدب، متواضع لا يشعرك بكبر مقامه وأهمية مركزه، وهو إلى جانب ذلك متحدث لبق، ومتكلم ساحر، يستل منك الاعجاب والموافقة على آرائه بلباقة ونعومة، كما يستل من القلوب الحب والتقدير والاحترام فهو بحق رجل وهبه الله كل ميزات الزعامة والرئاسة.

ولقد جمعتنا سنوات الهجرة في برلين، فزدت به اعجابا ولخلقه وهمته وذكائه تقديرا. فكان بنظري زعيما كفؤاً ورجل دولة وسياسة مكين، وهو -رحمه الله- يكتم أكثر مما يعلن ويظهر أقل مما يبطن وهذا شأن رجال ذلك الجيل وساستها ولا تثريب عليهم فقد عركتهم التجارب وصهرتهم الحياة..

ولقد استطاع ان يجمع من حوله أكثرية من رجال العرب في الغربة، ومن الشباب العربي القومي من مختلف الاقطار العربية. مدنيين وعسكريين، كما نال اعجاب وتقدير من عمل معهم من رجالات المحور، المان وطليان، سياسيين وعسكريين، فكان هدف مفاوضتهم، ومحور اتصالاتهم، وشغلهم الشاغل.

لعب المفتي دورا كبيرا في الاحداث العراقية منذ دخوله العراق فقد استقطب معظم الشباب القومي، وأبرز الضباط المتنفذين وقد استطاع ان يجعل من القضية الفلسطينية محورا للسياسة العراقية بل هدفا لها، كما أثر تأثيرا بالغا على مسار الاحداث في البلاد حتى بلغ نقطة الصدام مع القوات المسلحة البريطانية فيها.

كما نجح في ان يجعل الساسة العراقيين؛ والقوميين منهم خاصة، في ان يتبنوا

الاهداف القومية الرئيسـية ؛ قضية فلسطين وتحرير سوريا ولبنان من الاستعمار الفرنسي، تلك الاهداف التي لأجلها قامت حركة ٤١ مايس الوطنية.

*****



صورة المفتي الحسيني في حضرة الملك فيصل الأول

الوضع العالمي العام والعراقي عام ١٩٤٠

كان العالم مبهور الانفاس بالانتصارات الالمانية الساحقة وسرعة احتلالها الدول الاوربية وتساقطها الواحدة تلو الاخرى، وكانت الدول التي لم تصلها شرارة الحرب بعد، تنتظر في وجل، وتراقب الموقف لتتخذ ما ينجيها من نار الحرب من قرار، أو مايكسبها من مغانم بانتمائها إلى أحد الطرفين، الذي تعتقد انه غالب.

وكان العراق - المرتبط مع بريطانيا بمعاهدة تفرض عليه مساعدة بريطانيا اثناء الحرب بتسهيل المواصلات لقواتها العسكرية في المرور والانتقال اكثر هذه الدول ترقبا وحيرة في اتخاذ الموقف المناسب المنسجم مع التيارات التي كانت تغلي بها عواطف الشعب، كما كانت أعين الساسة العراقيين ترنو إلى جارتيها تركيا وايران وما اتخذ لهما من موقف حيادي في ذلك الظرف.

كان هناك تياران بارزان يتصاعدان فوق الساحة السياسية في العراق احدهما يدعو إلى الحياد وعدم الانحياز ما امكن إلى أي جانب من جانبي القتال، اسوة بتركيا وايران، وكان ابرز دعاة هذا التيار أنّه يمتحن نوايا بريطانيا تجاه العراق والاقطار العربية الأخرى وخاصة فلسطين وسوريا ولبنان فطالب بالحصول على وعد منها ومن حلفائها بالاعتراف باستقلال سوريا ولبنان بإنقاذ فلسطين من ربقة الاستعمار والصهيونية، ففشل.

أما التيار الثاني فهو التيار المنحاز إلى جانب الانكليز انحيازا مطلقا لاعتقاده بأن الغلبة ستكون لهم ولحلفائهم فلا يجوز ربط العراق إلى عجلة الطرف الخاسر، واصحاب هذا التيار، هم نوري السعيد وتوفيق السويدي ومن لف لفهما من رجال العراق.

ومن خلال موقف العراق المتردد برز دور مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني فلعب ورقته التي مهد لها منذ دخوله العراق، فسعى للسيد رشيد عالي الكيلاني

- التي كانت الصلات بينهما قد قويت والتفاهم على السياسة العامة القومية قد تم - ليرأس وزارة قومية مدعومة من القواد الاربعة و مؤيدة من القوميين والعناصر المعتدلة، كما تم التفاهم على المبادئ العامة لسياسة هذه الوزارة وتتلخص في تطبيق نصوص المعاهدة العراقية - البريطانية نصا وروحا، على ان يقوم الانكليز من جانبهم في المساعدة بتحرير سوريا ولبنان وفلسطين خاصة، وعدم الوقوف بوجه اماني الامة العربية في تحقيق وحدتها المنشودة.



المفتي الحاج أمين الحسيني وهو يستعرض بعض قطعات الجيش الألماني ومن ضمنها قوات التحرير العربية..

حزب الشعب:

نشطت تجمعات الشباب القومي في الفترة التي أعقبت استقالة الكيلاني وتشكيل وزارة طه الهاشمي التي مرّ ذكرها، فكانت دار المفتي الحسيني تعج بالزوار علنا، والاجتماعات بين اركان الجانب الوطني المناوئ لنوري السعيد والوصي مستمرة ونشطة. وكان لي شرف المساهمة ببعض هذه الاجتماعات

برفقة الأخ يونس السبعاوي، والمشاركة الفعلية بنشاطات ومخططات هذه الجبهة الوطنية – جبهة المفتي والعقداء-

وكان ابرز هذه النشاطات واهمها ما قرّ الرأي عليه من تشكيل لجنة سرية وحزب سياسي علني. وها أنا انقل بأمانة ما ورد حول هذه اللجنة والحزب في (سيرة وذكريات السيد ناجي شوكت صفحة ٤٣٣) ما نصهُ:

تأليف حزب سرّي:

« بعد أن تخليتُ عن منصب وزارة العدلية، وبعد أن استقالت وزارة رشيد عالي من الحكم، بدأنا نتزاور في بيوتنا، ونتبادل مع المفتي الحسيني الزيارات، كما كنا نجتمع أحيانا بالعقداء وبيونس السبعاوي في دار المفتي. وقد أخذت شكوكنا في وزارة طه الهاشمي تتزايد من جراء انسياقها مع الجبهة المناوئة لنا، وشروعها في تنفيذ رغبات عبد الاله، ومن ورائه الانكليز، فقررنا ان يكون لقاؤنا مستمرا، وان يبتنى على اسس واهداف واضحة ومتفق عليها، وقد عقد اول اجتماع لتحقيق هذا الغرض في دار المفتي، وهو الاجتماع الذي حضره كل من المفتي الحسيني، ورشيد عالي ويونس السبعاوي، وصلاح الدين الصباغ، وفهمي سعيد، ومحمود سلمان وأنا «ناجي شوكت » وقد تقرر تأليف لجنة سرية من هؤلاء الذوات السبعة تستتر وراء اسماء مستعارة، واتفق على ان يرأس المفتي هذه اللجنة ويحاول الاتصال برجال السياسة في الاقطار العربية: كسورية وفلسطين وتقرر تأليف حزب سياسي علني تحت اشراف اللجنة المذكورة. وعلى هذا تقدم كل من رشيد عالي، وناجي شوكت، وعلي محمود الشيخ علي، ويونس السبعاوي إلى وزارة الداخلية للموافقة على تأليف الحزب المنشود، وقد اطلقنا عليه اسم (حزب الشعب).

أما الاسماء المستعارة للهيئة السباعية المذكورة فكانت «مصطفى» للمفتي الحسيني، و«عبد العزيز» لرشيد عالي، و«أحمد» لناجي شوكت و«رضوان» لصلاح الدين و «فرهود» ليونس السبعاوي، و «نجم» لفهمي سعيد، و

«فارس» لمحمود سلمان وقد اقسم اعضاء اللجنة السرية السبعة على ان يعملوا ما في وسعهم من قوة وايمان خالص لإنقاذ العراق وسائر البلدان العربية من الاستعمار واذناب الاستعمار، وتحقيق الاستقلال لها على ان تراعي ما يلي:

١- المحافظة على الوضع الراهن، وعدم التعرض للمعاهدة العراقية البريطانية في الوقت الحاضر، حتى ينجلي الموقف نتيجة لتطورات الاحداث العالمية، والسير في الامور بروية وتبصر.

٢- اذا كان لا بد من قطع علاقات العراق السياسية بايطاليا، فيجب ان يستند القرار في ذلك إلى موافقة مجلس النواب بحرية كاملة.

٣- يجب السعي لإبعاد اذناب الاستعمار وعملاء الانكليز، امثال نوري السعيد، جميل المدفعي، وعلي جودت وامثالهم إلى خارج العراق بتعيينهم كسفراء في لندن وواشنطن، والقاهرة، وغيرها وذلك للتخلص من شرورهم في هذه الحرب الطاحنة.

٤- تعديل الدستور العراقي في اول فرصة ممكنة لتحديد صلاحيات الوصي واستصواب احلال مجلس وصاية بدلا منه.

هذا ما ورد في سيرة وذكريات الاخ ناجي شوكت عن اللجنة السرية وحزب الشعب والاوضاع السياسية بصورة عامة.

ولا بد لي ان اذكر بمناسبة الحديث عن اللجنة السرية، ان تشكيلاتنا نحن الشباب القومي كانت مرتبطة بواسطة الاخ يونس السبعاوي بهذه اللجنة، نسير في اعمالنا على هدى مقرراتها، ونأتمر بأوامرها وكانت هيئة هذه اللجنة السرية ليست معروفة بكامل اعضائها بكل فرد من مجموعتنا عدا شخصية يونس السبعاوي - عنصر الارتباط الوحيد - وذلك حفظا للسرية، كما هو الجاري في كل التشكيلات المماثلة.

ومن المؤسف ان السيد رشيد عالي الكيلاني بعد اشتداد خصومته مع المفتي الحسيني في برلين، انكر وجود مثل هذه اللجنة المهمة، وذلك نكاية بالمفتي

وتقليلا لأهميته، ودوره في الحركة، مما اضطر المفتي للاستشهاد بأحد أركان هذه اللجنة (السيد ناجي شوكت) فشهد الاخير بالحق وأيدّ وجودها.

وأثناء حديث مع السيد رشيد عالي الكيلاني في برلين عن الوساطة التركية هذه واسباب فشلها وما رافق ذلك من ملابسات وتقولات، فاكد لي ان الاسباب الجوهرية هو المفتي الحسيني الذي اقنع كل من يونس وصلاح ان هذه الوساطة ما هي الا مؤامرة انكليزية يقصد بها القضاء على القادة وعليه، ومن انهم - أي الانكليز - هم الذين اوعزوا للأتراك بالتقدم بها.

قد يكون في هذا القول الكثير من الصحة فالمفتي الحسيني لم يكن راغبا إلاّ في الغلبة على الانكليز وقهرهم والانتقام منهم، وله في ذلك عذره، فالمفتي كما نعلم لعب دورا كبيرا في مقاومة الانكليز الذين استعمروا بلاده وسلطوا الصهيونية عليه، فشردوا شعبه وشتتوا امته، فهو لا يألوا جهدا في التشبث بكل امل واغتنام كل سانحة لمصلحة قضيته، وتوجيه كل حركة أو مبادرة في كل قطر عربي لخدمة اغراضه ومصلحة بلاده، ولا تثريب عليه لو نظر إلى الثورة في العراق، الامل المرتقب، والهدف المرتجى للنيل من الانكليز اعدائه، واعداء قومه وامته، فشحذ افكاره وضاعف همته وعزيمته لتوجيه السياسة العراقية، سيما عندما وجد الارض صالحة ولمس عند عدد من القادة العراقيين الاستعداد لقبول توجيهاته، فقاد الدفة إلى نهاية المطاف، وقد يكون ادرك ومن اللحظة الاولى بان هذه الوساطة قد تخدم مصلحة العراق الانية ولا تخدم المصلحة القومية العربية على المدى البعيد، ومصلحة فلسطين بصورة خاصة، كما رأى ان مصالح الامة العربية ككل اوجب من مصلحة العراق كجزء، وقد يضحي بمصلحة الجزء في سبيل مصلحة الكل. ولست ادري ان كنت قد ظلمت الرجل بها القول، فقد يكون له هدف غير هذا الهدف، أو سبب غير هذا السبب، وقد يكون قد علم بسوء نية الانكليز بعد الصلح أو غير ذلك والله اعلم..

ولم يزدني -رحمه الله - ايضاحا عندما سألته ونحن في برلين عن هذه الوساطة واسباب رفضها فكان جوابه على انه لم يكن صاحب القرار وانها كانت خدعة

انكليزية ارادوا بها كسب الوقت حتى يستكملوا استعداداتهم العسكرية، وعاقبتها كانت ستكون وخيمة.. فلم اتمالك نفسي أن اجبته.. وما العاقبة الأوخم (يا سماحة الافندي) -كما كان يخاطب -...؟! تتعجّب من هذه التي انتهينا اليها عافاك الله..؟

فقال الله اعلم، وسكت فسكتنا.. ولربّ سائل يسأل، وما مدى تأثير بقية الوزراء في حكومة الكيلاني على سير الاحداث وخاصة المصيرية منها كالوساطة مثلا، فاجيبه بكل صراحة، انه لم يكن لوزير مهما علا مقامه، أي اثر كبير في حكومة يسيطر عليها العسكريون في ظروف ثورة أو حرب كظروف العراق آنذاك، هذه الظاهرة لم تقتصر على العراق فقط بل هي كذلك في كل انحاء الدنيا كما نشاهد ونرى كل يوم.

كنت دائم التردد على دار رشيد عالي الكيلاني وقضاء بعض الوقت في الاستماع إلى ما يجري وكم لاحظت من مجرى الاحاديث ومن الايماءات والتلويح بأنّ الأمور بينه وبين المفتي ليست على ما يرام، وكان في كل زيارة يزداد تهجما على المفتي ويسوق اليه من الاتهامات ما لا يصدق. كما كنت ازور المفتي كذلك، ولكني لم اسمع أي انتقاد أو تهجم بل كان حديث لا يخرج عن العموميات من الامور والاحوال السياسية والحربية القائمة مع التعليق الموزون والملاحظات الدقيقة. وفي احدى زياراتي للأخ ناجي شوكت في جناحه في فندق (امباسادور) حدثته عما استشعرته من فتور في العلاقات بين الزعيمين الكيلاني والمفتي فابتسم ولم يعلق وكان كعادته متحفظا دقيقا في تعابيره قليل الكلام وقد استنتجت من مجرى تعليقاته المقتضبة، بانه يكن للمفتي تقديرا خاصا وتأييدا مستورا ليس للكيلاني منه نصيب، وهذا نفس ما احسه في اعماقي، وقد يحسه كل منصف غير متحيز اذا ما استمع إلى الطرفين، وحكم بالعدل بين الاثنين، وكم كنت متخوفا من ان اختلاف الزعيمين هذا قد يتفاقم فيؤدي بقضيتنا، ويفقدنا قوتنا، واحترام اصدقائنا، وبالتالي خسارتنا آمالنا، وآمال امتنا.

ولا يخفى ان هذه الاختلافات هي داء الزعامات في امتنا العربية وبلائها،

وهـو الذي يحـول دون تحقيق اما لهـا وامانيها، وقـد نقلنا جرثومتـه معنا إلى دار غربتنا، فكان ما جنيناه من خيبة وضرر بالغين، علينا وعلى قضيتنا عامة.

النبأ الصاعقة :

في الخامس من شهر اذار ١٩٤٢ اعلن الراديو تنفيذ حكم الاعدام بالإخوان الشـهداء يونس السـبعاوي، وفهمي سعيد، ومحمود سـلمان فوقع عليّ هذا النبأ وقـع الصاعقـة، اذ مـا كنـتُ اعتقد ان القسـوة سـتصل بحـكام بغـداد إلى هذه الدرجة، بل كنت آمل وكثير من اخواني ان الاحكام بالإعدام ستستبدل بعقوبة أخرى، سـيما وان احدا من العائلة المالكة واعوانها لم يمس بسوء ولم يطاله أذىً، فالملك الطفل (فيصل الثاني)، نقل سـالما معززا مكرما إلى مأمن في شمال العراق (مدينـة اربيل)، وكذلك نسـاء العائلـة المالكة وخدمها، وكذلـك رجال الدولة مـن الموالين للوصي عبد الاله - كنوري سـعيد، وجميـل المدفعي، وعلي جودت وغيرهـم - فقد فروا خارج العراق، ومـا كان في النية الحيلولة بينهم وبين ذلك القـرار كما لم يضـار أي من المؤيدين للوصي وسياسـته من اعضـاء حكوماته أو مـن الاعيان أو النواب، حتى الذين رفضوا حضور اجتماعات مجلس الامة، ولم يؤيدوا الثورة ويساندوها.

هرعتُ إلى كل من رشيد عالي والمفتي مستطلعا النبأ فأيدا ذلك، وقد لاحظت علامـات الحزن والتأثر على ملامح المفتي، فتبادلنا التعزية، وسـألته، اما كان في الامـكان عمل شيء من قبل اصدقائنا دول المحـور، كتهديد من قبلهم للحلفاء مثلا أو اقتراح عملية استبدال بين شهدائنا وبعض كبار الاسرى من العسكريين الانكليز أو غير ذلك ؟...

فأجاب، لقد فاجأنا الخبر ولم يترك لنا أي مجال لعمل شيء مع الاسف...

هذا ولم الاحظ - مع الاسـف الشـديد - أي تأثر أو كدر حقيقي على ملامح السيد رشـيد عالي، زاد في حزني وأساي، فخرجت منه وانا اردد باكيا.. واسفاه عليـك يـا يونس، وا اسـفاه عليكما يا فهمـي ويا محمود.. انتم السـابقون ونحن

اللاحقون.. «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا».

مركز المفتي والكيلاني لدى الحكومة الايطالية :

كانت علاقة المفتي مع الحكومة الايطالية اقوى وامتن من علاقة السيد الكيلاني، وتقديرهم له كذلك، فأهمية المفتي كزعيم منتظر لا لفلسطين وحدها بل لسورية الكبرى بما تضمه من (فلسطين وسورية ولبنان)، ومطامع السياسة الايطالية بهذه الاصقاع من المنطقة العربية لا تخفى، فهدف إيطاليا ومجالها الحيوي لم يتبدل وامنيتها في الحلول محل فرنسا في هذه المنطقة لم يتغير.

اما العراق فيأتي في الدرجة الثانية في دول اهتمامات السياسة الايطالية، وكذلك يكون مركز زعيمه المنتظر الكيلاني بطبيعة الحال.

إلى جانب ذلك فان المفتي كان يحيط نفسه بجهاز فعال من الدعاية المنظمة، وبمجموعة ممتازة من الشباب المثقف المخلص النشيط من فلسطينيين وسوريين ومصريين، عرف كيف يحيطهم بعطف سابغ ورعاية كبيرة واهتمام شامل بشؤونهم الكبيرة والصغيرة، فبادلوه حبا بحب واخلاصا بإخلاص، وسخروا لأغراضه جهودهم، وجندوا لأوامره نفوسهم، ولا ينكر ان صفات الزعامة كانت متوفرة لدى المفتي، لا يجاريه بها غيره.

اما الكيلاني فكان على النقيض من ذلك، فلم يحسن معاملة اعوانه ومؤيديه، ولم يذكر بالخير أو يجزي به احد ممن اخلص له، وقد كان -رحمه الله - يقصر حدبه واهتمامه على اهله وافراد عائلته، فالأفضل لهم، والمشورة منهم، والرأي رأيهم وكان هذا باعتقادي قد افقده الكثير من ولاء اصحابه واعوانه، حتى انفضوا عنه واحدا بعد الاخر، فازداد مركزه ضعفا لدى حكومتي المانيا وايطاليا، وفقد تأثيره عليهما كلما تقدم الزمن وطال امد الحرب وكان كلا من الزعيمين المفتي والكيلاني عند سفرهما إلى برلين قد حمل معه بذور زعامته وعوامل نجاحه وفشله، تلك العوامل التي تفاعلت في المقر الجديد، وادت إلى النتائج والحصيلات في تلك الفترة من تاريخ نضال الامة العربية وجهادها.



المفتي الحسيني في زيارة لمسؤولين ألمان



رشيد عالي الكيلاني

الزحف العربي إلى برلين:

زحفت القافلة العربية بزعيمها إلى برلين في منتصف يوم الاثنين الحادي عشر من شهر مايس (ايار) من عام ١٩٤٢، وقد توجهت انا إلى بودابست حيث عائلتي لأصحبهم إلى برلين، فتركنا المدينة إلى برلين وانزلنا في فندق (ادلون) في شارع (انتردن لندن) الشهير قرب ساحة النصر، وكان الاخ ناجي شوكت احد نزلائه ايضا، مكثنا في هذا الفندق ردحا من الزمن حتى أخلى السيد رشيد عالي

الكيلاني داره التي كان يسكنها في شارع (كرونافالد) في احدى ضواحي برلين وقد خصص الطابق الاعلى إلى سكني وعائلتي، وخصص الطابق الارضي مكتبا للإعلام وشؤون الطلاب والمراجعة، وقد عهد الي الرئيس الكيلاني ادارة شؤون هذا المكتب بصفتي، وزيرا للمعارف، والحق في المكتب الاخ الدكتور عبد الحميد الهلالي كمسؤول عن النشر والاذاعة، والدكتور علي الصافي - وكان سكرتير الرئيس الكيلاني - مستشارا، كما انضم اليه الاخ الدكتور جابر عمر بصفته كل شيء، سكرتير ومعلق على الاخبار ومترجم ومحرك..! فاكتمل شمل الفرسان الثلاثة (علي وجابر وحميد) إلى (كبيرهم) وهو (انا)، ولكن ليس الذي علّمهم السحر، فقد علموني اياه هم، وفاقوا.. - كما كان يدعوني الرئيس الكيلاني سامحه الله.

هنا برلين ... حي العرب :

كانت شؤون الدعاية والاعلام في برلين قبل حضورنا موكولة إلى كل من السيد فرج الله ويردي (الاخصائي في الكيمياء) والسيد يونس البحري الاخصائي (في كل شيء)، وهما بأمرة موظف الماني في وزارة الاعلام الالمانية، وكانت الفوضى ضاربة اطنابها، والاستاذ يونس البحري يصول ويجول، يقول ما يشاء ويفعل ما يشاء بلا ضابط ولا منهج، ولكن الحق اقول كان العرب بكافة اقطارهم يستمعون بشغف لإذاعته (هنا برلين)... و (حي العرب).. ويتأثرون بها، وبطريقة عرضها للأخبار وما يرافقها من تعليقات و (قفشات) وتحوير كلمات، واختراع تعابير لغوية ما انزل الله بها من سلطان، مما يجعل هذه النشرة مصدر ترفيه وتسلية في تلك الايام العصيبة، وكان معظم العراقيين يثقون في اخبارها ويتحمسون لها، ويبنون الامال الجسام على ما يرد فيها من بشائر وتكهنات، فاذا اذاع يونس، ان هيئوا (السطوح) أو يبسوا (الباميا) كان ذلك اللغز في عرفهم معناه استعدوا للانزال فنحن قادمون، واعدوا السلاح والرصاص، وهي الباميا - فنحن في الطريق.. وهكذا كان الجميع في ترقب وتشوق لسماع هذه الاذاعة، إلى جانب ما كان يستعمله من تحريف الاسماء

فعبد الله (الامير عبد الله) عدو الله ونوري السعيد.. نوري الشقي.. وجميل المدفعي.. قبيح المدفعي، كذلك اطلق على ارشد العمري.. اظلم العمري والحاخام عبد الله على الملك عبد الله، إلى غير ذلك من غرائب التعابير وبذئ المصطلحات، الا ان المستمع العربي بما يحمله من مشاعر البغض والكراهية، لاعداء العرب، كان يستلطف ذلك بطبيعة الحال.. ولما تهيأ لي ان التقي السيد يونس البحري في برلين واسأله عن هذه الامور والغرائب، اجابني بما عرف عنه من جرأة، بأنه كان يحضر للاذاعة وهو سكران في غالب الاحيان، فيخطر على باله اول ما يخطر، الاكلات العراقية الشهية كالباميا والباذنجان، وحياة السطوح في الصيف، فيلقيها في المذياع جزافا ولا رقيب.. اما قلب الاسماء فهي من عادته، وبنات افكاره ومخترعاته.. وقد سمعت بنفسي من احد موظفي الاذاعة الكبار مدحا وثناء على نشاط البحري واعترافا بأنّ اذاعة (حي العرب) ليونس البحري كانت ركنا مهما في نجاح الاذاعة الالمانية في المحيط العربي اثناء الحرب وعندما تولى (مكتبنا) شؤون الاعلام ومنها الاذاعة ابلغنا المسؤولون في القسم العربي لاذاعة برلين، ان لا يسمحوا باذاعة أي بيان أو مقال أو حديث الا ما يرد عن طريق مكتبنا الرسمي، وبذلك امكن السيطرة على الفوضى واصبح الحال اكثر انتظاما وجدية وفائدة.



صورة غلاف هنا برلين - يونس بحري مع هتلر

المكتب العراقي في برلين «وحط بالكيس»:

سارت اعمال المكتب بشيء من التنظيم والنجاح لتآزر جهود العاملين فيه فكان يشرف على شؤون الطلاب من ناحية الدراسة والمعيشة مكاتب الشؤون الخاصة بهم، كما كان يزود الاذاعة العربية براديو برلين بالاحاديث والبيانات المناسبة والمعقولة، دون الاسفاف إلى ذم الاشخاص أو سبهم أو استعمال نابي الكلم وبذيء القول وقد ارتاحت إلى هذا التغيير كافة الجهات العربية والاجنبية مما شجع القائمين على شؤون الاذاعة بالسير قدما في هذا الاتجاه المعتدل المهذب، ورفع من مستوى الاذاعة العربية من برلين ادبيا وخلقيا. الا ان الامر لم يطل كثيرا على هذا النمط الرفيع حتى بدأ البعض من ذوي الاغراض وصغار

النفوس في تحريض الرئيس الكيلاني واستعدائه على المكتب وخطّته المعقولة هذه -وهكذا وقعت- (واقعة الكيس) والاخ الدكتور عبد الحميد الهلالي بطلها الاول، يذكرها جيدا، فقد اصابه معظم رشاشها واذاها ولنذكرها باختصار:

كانت العادة ان تقدم إلى المكتب المقالات والاحاديث المطلوب اذاعتها فيدرسها المكتب ثم يجيزها ان كانت صالحة أو يجري عليها بعض التحوير لتنسجم مع سياسته المحررة ويشذبها من البذيء من الكلام والسباب والاراء المرفوضة، لتصبح صالحة للاذاعة، أو يرفضها كليا اذا لم تصلح.. وقد وردت بعض المقالات لا تعدو ان تكون قصائد مدح وثناء وتمجيد وتقديس لشخصية الرئيس الكيلاني وعائلته، وذم وقدح بسواه من رجالات العراق والعرب بشكل يمجه الذوق وتنفر منه الاسماع، ويضر بالرئيس الكيلاني ولا يزيد في قدره... فلم يسعنا الا ان نحتفظ بها فلا نرسلها للاذاعة ولما توالت هذه المقالات ومن نفس الاشخاص، طلبت إلى الأخ الهلالي ان يعد كيسا - ظرف كبير من الورق - لحفظ هذه المقالات وصرت أقول له كلما وردت مقالة مماثلة « بالكيس»، «بالكيس» فاصبح هذا شعارا ورمزا فيما بيننا لحفظ كل سخيف لا يتفق وسياسة المكتب ومستواه الادبي.

وقد اجتمع في الكيس عدد من المقالات المحجوزة عن الاذاعة مما دعى صاحبها « إلى مراجعة الرئيس الكيلاني وأخباره بحكاية الكيس، فما كان من الرئيس إلاّ أن ثارت أعصابهُ، وحضر إلى المكتب وهو يرتجف غضبا، وصرخ في وجهنا قائلا..» بالكيس»، « بالكيس».. أنتم يا أعدائي.. انتم تعملون مع عدوي - يقصد المفتي - انتم لا تريدون لي الخير والنجاح.. إلى غير ذلك من التعابير والاتهامات.. فما كان مني إلاّ ان هدأتُ من روعه، واجلسته لأوضح له الأمر، فما كان ليسمع أو يقنع، فترك المكتب دون سلام أو تحية.. حملت اليه في اليوم التالي الكيس بمحتوياته في يد، واستقالتي في اليد الاخرى، وقلت له، ما كنت أمل منك هذا التجني على كل من يعمل في خدمة وطنه وقضيته ومصلحة زعيمه... وارجو ان تقرأ هذه الصحائف والمقالات، وتحكم ضميرك، ولسوف

تحرقها بنفسك، بل ولسوف تشكرنا على دفنها في هذا الكيس.. وتركت استقالتي بين يديه وخرجت... فلحقني مسترضيا معتذرا عن تصرفه يوم أمس في المكتب ملحا عليّ في البقاء عنده ومشاركته الغداء.. فلم استطع مخالفته، وقد كنت لا أزال أحمل له من الود والاحترام الشيء الكثير، كما لم أشأ ان اجعل من هذا الحادث سببا للفرقة والاختلاف، فقد كفانا ما كنا فيه في بغداد، وما نحن عليه في برلين...

قاطع الرئيس زيارة المكتب اياما ثم عاد، فرجوته أن يتم ارسال أمثال هذه المقالات بواسطته، وعلى مسؤوليته، وفعلا جرب ارسال احدها - وكانت على ما اذكر بمناسبة افتتاح الامير عبد الاله في بغداد للجامع الذي سمي بجامع الامير عبد الاله - قرب الجندي المجهول حاليا - وكان هذا المقال مجموعة من سباب وتكفير لعبد الاله واجداده، وتقديس لآل الرئيس وعائلته، وهو موضوع يثير بعض الحساسيات ولا شك ولا يحظى برضاء الكثير من العراقيين - فما كان من المسؤول الألماني عن القسم العربي باذاعة برلين الا أن حمل هذا المقال للرئيس بنفسه، ملاحظا عليه، ما لاحظناه قبلا من محاذير فعدل وأذيع، وكان هذا آخر ما أذيع، من هذا النوع والحمد لله.

كان المكتب المرجع لكثير من الطلاب العراقيين، وكان معظمهم يشكو قلة ذات اليد وانعدام المورد للانفاق الضروري - وكان البعض قبل قدوم الحكومة العراقية إلى برلين يلتقي معونات مالية بسيطة من السفير الافغاني في برلين - جزاه الله خيرا.

فاتحت الرئيس الكيلاني بموضوع تنظيم الاعانات المالية للطلاب ولغيرهم من العراقيين، وسد حاجاتهم المعاشية والدراسية دون ان يضطروا إلى مد اليد إلى الغير، حيث كان البعض لا يزال يتناول المساعدة من مصادر اخرى، كالمفتي والسفير الافغاني والألمان وغيرهم...

وقد كان الانفاق على الطلاب وعلينا جميعا يجري بصورة منتظمة ولا عادلة،

فالأهـل والأقـارب المتزلفـون وامثالهـم أولى بالمعـروف..، كـما كان الدفع غير منتظم ولا يتقيد بتأريخ أو شـهـر.. فانت ونصيبك، كرواتب الموظفين في العهد العثماني، أو العهد السـعودي القديم، تعطى مبلغ ما ومتى نفذ، فعليك المراجعة ثانية، بالتلميح اولا ثم التصريح ثم المطالبة إلى حد الاستجداء، وهكذا دواليك في كل شهر.

لم يكـن ذلك بخلا أو تقصيرا من كلا الحكومتـين الألمانية أو الايطالية، فلقد وضعا بتصرف الزعيمين الكيلاني والمفتي، مبالغ من المال - لا يعلم مقدارها الا هما - وقد أسرّ اليّ الكيلاني في احدى لحظات التجلي والانفراج العاطفي نحوي من أن الاموال المخصصة للمفتي وضعت باسمه شخصيا.

فقلـت لـه - بلهجة خالطها الجد بالهزل كي لا أثيره - وهل لي أن أطلع...؟! - بصفتـي وزيـرا للمالية بالوكالة - في حكومتهـم، وكان قد أبلغني سـابقا بأنّ الحكومـة الألمانيـة اعترفت بالحكومة العراقية بالمنفى، وتقاسـم الـوزراء الثلاثة الموجودين في برلين رشيد عالي، ناجي شوكت، محمد حسن سلمان (انا) المناصب الوزاريـة، فكان من نصيبي وزارة المالية (على حـد قوله) على هذه المخصصات وصفتها واوجه صرفها..؟ فبهت، وكانت هذه مفاجئة له، فلم يغضب والحمد لله، وقال كل شيء سيأتي في حينه ان شاء الله، ولكن هذا الحين لم يأت وحق الله..

بـدأت التعـرف على بعـض رجـال وزارة الخارجيـة الألمانية ممن لهـم علاقة بالقضايـا العربية، وذلـك بالحدود التي كان يرسـمها السـيد الرئيس الكيلاني، فتعرفتُ اول ما تعرفت على السـيد (كرانو) وهو مسـؤول كبير للشؤون العربية وخاصة العراقية في وزارة الخارجية، وكان شـابا لطيفا رقيقا مؤدبا يحسـن اللغة الانكليزية وبعض الكلمات العربية، ويلم في بعض الشؤون العربية الماما محدودا وهو حسـن النية، سـليم الطوية، يحاول توثيـق العلاقات العربيـة الالمانية بكل اخـلاص. كـما كنت على معرفة بالسـيد (غروبـا) وزير المانيا المفـوّض في بغداد أثناء الحرب، وكان هذان الشخصان هما واسطة الاتصال الوحيدة لنا تقريبا مع المسؤولين الالمان في برلين.

وكانـت جميع الاتصالات الرسـمية مـع الجهات الالمانية تتم بواسـطة رئيس الوزراء الكيلاني، فيبلغنا منها ما يشاء، ويكتم عنا ما يشاء، وبالقدر والاسلوب الذي يشاء. وكان - رحمه الله - يزن لكل منا الأخ ناجي شوكت و (أنا) بصاع، فما يحاط به الأخ ناجي شوكت -وكان يحسب له ألف حساب - من معلومات، لا يصلني منها الا النذر اليسـير، وكنت استكملها في اكثر الاحيان / مما يتلطف بـه علـيّ الأخ ناجي أو المفتي أو كرانو من نتـف المعلومات، ومجريات الأحداث والتطورات.

إستحكام الخلاف بين الزعيمين :

بعد عهدٍ من الاحترام المتبادل والوفاق والعمل المشترك بين الزعيمين السيد رشيد عالي الكيلاني، والمفتي الحاج امين الحسيني، الذي بدأ في بغداد قبل الثورة وأوائل ايامها، ينتهي في برلين وروما، فراقا وخلافا وعداءً، لم يقتصر ضرره على الاثنـين، بل طعن قضية العرب وسـمعتهم في الصميم، وأهدر كل الجهود التي بذلت في سـبيلها والتضحيات التي قدمت لخدمتها، وهكذا حظ قضايا العرب المصيرية تقضي عليها خلافات زعمائها، وتشوهها مطامع رؤسائها، ومنافساتهم على الشهرة الزائلة، والمجد الكاذب.

بـدأ الخلاف يذّر قرنه في بغـداد، يوم عرضت الوسـاطة التركية اثناء الحرب العراقيـة البريطانية، وحضر الطرفان إلى برلـين وروما وهما يحملان في سريرتهما وملفاتهـما بـذور النفرة والفرقـة والعداء، فـكان كل طرف يحـاول الابتعاد عن الطرف الآخر، ويستقل في شؤونه واعماله، وينفرد في اتصالاته وعلاقاته، ويزايد على بناء مجده وشهرته، وقد أحاط كل زعيم نفسه بحاشية ومريدين، ينفخ فيهم من روحه ويعكس عليهم خلقه وصفاته، فكانت تصرفاتهم إنعكاسات لما يفكر به زعيمهم ويرغب فيه، تقرباً له وإرضاءً، واسـتدراراً لخيره ونعمائه... فأنقسـم الأتباع هؤلاء إلى معسـكرين، يهاجـم بعضهم البعض، ليس بالجدل المعقول بل بالبذيء من القول.. والقاسي من التهم والحقير من الاوصاف، - كما نرى اليوم

بين الاتباع في دنيا العرب، وما أشبه اليوم بالبارحة-.

ولم ينجُ احد في هذا الخضم من الوحل إلاّ النادر من الرجال الذين آثروا موقف الحياد ما أمكن، وحتى هؤلاء لم يسلموا من رذاذ الأوحال، وشرور المعارك، ولم يستطع هذا الفريق عمل شيء في هذا الجو، وندت جباههم خجلا من تلك المواقف، فآثروا الإنزواء مضطرين.

كان التنافس بين الزعيمين - مع الأسف الشديد - تنافسا على الزعامة في المقام الاول، وليس على الخدمة والتضحية والفداء.. ومنذ ان اشتد اوار هذا التنافس والرجلان لم يقدما اية خدمة تذكر للقضية والوطن...!!

أخذ الخلاف بين الكيلاني والمفتي يستحكم يوما بعد يوم، والاهتمام بالقضايا الوطنية يضعف ويتضائل، واحترام اصدقائنا من رجال المحور يقل ويتناقض، وتصرفات بعض المقربين من الرئيس الكيلاني تزداد سوءا وغرابة، واصبح كل ما يجري على الساحة من عمل الوطن هو التسابق لنيل الحظوة والظهور، وكسب اكبر عدد من الاتباع والمؤيدين، كما اصبح التنابذ بالقول والتراشق بالاتهامات هو ما تسمعه كل يوم وفي كل لقاء، كما كان لرسل الفتنة والشائعات سوق رائجة بين الرئاستين، ولم يقتصر الأمر على اسماع العرب وحدهم بل تجاوزه إلى اسماع الاجانب من ألمان وطليان وغيرهم، وكانت شائعات الجانب الكيلاني جارحة ولا يمكن ان تحظى بالتصديق من الألمان أو الطليان، فهؤلاء على دراية تامة بكل ما يتعلق بالزعيمين المتخاصمين من شؤون وشجون... فالمفتي أصبح بنظر الكيلاني - حسب ما أبلغه لكل من يتصل به - مجرد رجل دين عادي لا يعلو مقامه في بلده عن أي رجل دين عادي أو (ملاّ) في أية قرية عراقية، ولولا الكيلاني الذي سمح له باللجوء إلى العراق واغدق عليه لما وصل إلى المركز الذي هو فيه.. إلى غير ذلك مما يمس بكرامة الرجل، وقد بلغت مسامع المفتي كل هذه الادعاءات، فلم يعلق ولم يرد، أو على الاقل أمام زواره وجلسائه من الاجانب، مما رفع مقامه لدى العرب والاجانب معا.

وبقدر ما كان المفتي عفيف اللسان، كان اتباعه المقربون على قدر من ذلك أيضا، فلم أسمع ولم يبلغني من احدهم أن وجه إلى الكيلاني اية كلمة نابية، غير العتاب والتأسف على ما جرى ويجري من هذه المهاترات.

وقد حاولت جهدي وبما لي من حظوة لدى الزعيمين أن اصلح ذات البين، لأجل المصلحة القومية العليا، خوفا ان نفقد كل شيء في هذا الخضم من التفرقة والضغينة والعداء، كما ضاعت ولا تزال تضيع كل قضايا هذه الامة بالفرقة والبغضاء، والمزايدات، والمهاترات.

قابلت السيد كامل الكيلاني شقيق الرئيس، وفاتحته بموضوع السعي للمصالحة، فوجدته مشحونا بالسخط والبغضاء على المفتي وأعوانه، ولا أمل في تعاون معه أو خير على يديه.

يمّمْتُ وجهي نحو المفتي وفي خلوة مناسبة فاتحته بكل صراحة ما أحسّه من ألم وأسف لما يجري من تباعد وفرقة وتناحر، فأجابني بما معناه، بأنه يحس ذلك مثلي، ويأسف اكثر مني، ويتمنى أن يوضع حد لهذه الامور، وان تعود إلى نصابها، ويتفرغ الجميع للعمل المثمر في سبيل الغاية التي أتينا من أجلها.

فأجبته: أني ياسماحة الأخ بما أعهده فيكم من خلق كريم، وتعالي عن الصغائر، وقلب كبير واخلاص، ان تضعوا لهذه المهزلة نهاية وتبدأوا بأنفسكم اولا في طريق الخير والوفاء.

فقال: « أنت تعلم يا دكتور، ليس بيني وبين الأخ (رشيد بك) أية قطيعة ولا خلاف على أمر جسيم، سوى تصرف اعوانه، وما يذاع عن لسانه من اشاعات يمسني وتفقدنا جميعا احترام اصدقائنا وثقتهم وبالتالي قضيتنا وآمالنا وهي خسارة لا تعوض، وأملي أن يتقي الله الأخ الكيلاني فيما يقول ويفعل، والله يهديه سواء السبيل»..

وأمام هذه الكلمات المشجعة، لم يسعني إلاّ أن أودعه شاكرا وأتابع زيارتي للرئيس الكيلاني في داره.. ولما خلوت به - بعيدا عن مستشاريه - فاتحته

بالموضـوع واخبرتـه بزيـارتي للمفتـي، ومـا كاد يسـمع أني جئته مـن دار المفتي - وقبـل ان اكمـل لـه حديثي - ثار بوجهـي غاضبا، وهو يقـول، هل هو الذي أرسلك..؟ فقلت، لا، واني آسف على ظنك هذا، فلست وسيط أحد ولا موزع بريـد، ومـا زيارتي لكما الا لمصلحة قضايانا التي سـيدمرها هـذا الخلاف بينكما، فاتقوا الله في هذه الامة...

فقـال: إنّ صاحبـك هذا - ويقصـد المفتي - ناكر للجميل وطامع في رئاسـة العـرب، كل العـرب ولا يضمـر للعراق واهلـه الخير.. واني صاحـب القضية، ورئيـس الحكومـة الشرعيـة المعترف بهـا، وعلى جميع العـرب هنا اتباعـي، واذا كان لا يريد فليأخذ (فلسـطينهُ) ويذهب إلى...، ثم حدّق في وجهي قائلا يظهر انـه أثر عليـك يا دكتـور، فأصبحـت إلى جانبه (كناجـي شـوكت)...؟ فقمتُ غاضبـا، وقلت أني آسـف يا فخامـة الرئيس، فما كنت اظن انـك سيء الظن إلى هـذه الدرجة، وهممت بالخروج، فلحق بي واحتضنني واعادني إلى مكاني واخذ يلطف الجو دون ان يخفف من حدة هجماته على المفتي، فرجوته ان يقلب صفحة هـذا الموضـوع فلا فائدة من الحديـث، وألح على بقائي معـه فاعتذرت وودعته يائسا من كل امل في اصلاح ذات البين، فقد كان لبطانة السوء أثر كبير في تغذية الخلافات، وتوسيع هوة العداء.

وهكـذا تتكـرر هذه الظاهـرة في حياة معظـم الزعامات العربيـة وفي مختلف العصـور والازمان والاقطار، فتقضي على امـاني الامة وآمالها في الوحدة والعزة والكرامة.

بـدأ مقـام المفتي يعلو ومقام الكيلاني في هبوط، فأصبـح الأمر والنهي تقريبا بيـد المفتـي - فأمر بنفي كل من السـيد يونس البحري والدكتـور عباس حلمي الحلي - وكانا محسوبان على الكيلاني ضد المفتي - إلى ميونيخ، فتفرغ الأخ الحلّي للدراسة وحصل على شهادة، وقد تكرهوا شيئاً وهو خير لكم...

كان المفتي والحق أقول يتمتع بصفات ومميزات، لم يحظ بهما الكيلاني، فكانت

اتصالات الاول تجري بواسطة قيادة الجيش الالماني وكبار المسؤولين في وزارة الخارجية الألمانية، وللجيش إذ ذاك الكلمة الأولى والمقام الاعلى، بينما اتصالات الكيلاني كانت مع (غروبه) ومن في مستواه ولم يكن لهذا كبير مقام أو أثر في سير الامور كبير.

كما اضافت قيافة المفتي بالجبة السوداء، والعمامة البيضاء واللحية الشقراء، والقامة والوجه الوسيم والمشية الوئيدة والحديث المنمق الموزون والتصرفات الدبلوماسية اللبقة، إلى رصيده رصيدا آخر، إذ أن هذه المظاهر ذات اثر لا ينكر في الغرب.

والمفتي يتمتع ببراعة سياسية، وشخصية طاغية، لها كل مؤهلات القيادة والزعامة، وهو شعلة ذكاء وفطنة، بارع التصرف في الظروف والمناسبات، عالي الثقافة كثير الاهتمام بشؤون اعوانه وأصدقائه كبير الطموح جم النشاط، واسع الاتصالات كثير العلاقات الاجتماعية، كل هذه الصفات وغيرها تؤهله للقيادة والزعامة، وقد عرف كيف يفيد منها في وجوده في بلاد المحور، فكان المبرز، وقد فرض إحترامه على الجميع..

كما كانت مائدة المفتي لا تخلو يوميا من عدد كبير من الضيوف العرب والاجانب، وكان لمائدة الطعام - في ذلك الوقت الذي عز فيه طيب الطعام - وقع كبير على من يدعى اليها، فيحتفظ ببطاقته التموينية، وينعم بوجبة شهية، لا يحلم بها في مطعم أو فندق..

أما الكيلاني، فمائدته أغلب الأحيان مقتصرة على العائلة وبعض الأتباع ونادرا ما ترى مسؤولا أو كبيرا عليها. وكنت أعجب للفرق بين الاثنين، فالطعام يؤتى به بوفرة وبسخاء إلى دار الاثنين، من لدن الادارة الألمانية المسؤولة مجانا وبانتظام، ولا هناك ما يحاسب، فلماذا لا ينعم به الجميع، ولماذا مظاهر النعمة والسخاء في دار، والحرص والتقصير و التعتير في الأخرى..؟! والداران ينعمان بنفس المورد من الرزق سواءٌ بسواءْ.. إنها السجايا والأطباع..!

أتيتُ بهذه المقارنة في أمور قد يراها البعض تافهة وغير مهمة ولكنها كانت مهمة وذات أثر في محيطنا حينذاك، حيث كان للمثل السائر..» أطعم الفم تستحي العين «... مفعوله وتأثيره... لا يخفى على الملاحظ من اول عهد وصول العرب إلى برلين بان الألمان كانوا اكثر اهتماما واحتفاء بالمفتي منهم برشيد عالي الكيلاني، فقد وصل المفتي برلين قبل وصول الكيلاني بمدة، وقد استطاع بما عرف عنه من ذكاء ولباقة وبعد نظر، من تقوية علاقته، وتمتين أواصرها مع المراجع الألمانية، وخاصة قيادة الجيش وهي الاهم، وقد تمت مقابلته لـ (هتلر) بعد وصوله بمدة قصيرة ورافقها مراسم واعلان وعرض اذاعي واعلامي بما جعل من المفتي شخصية بارزة معروفة من الشعب الالماني خاصة، ومن الشعوب الاوربية عامة.

بينما لم تتم مقابلة الكيلاني للزعيم الألماني الا بعد مدة طويلة من وصوله إلى برلين، وبعد تأجيلات وتعقيدات وأخذ ورد وتوسط ورجاء، كما أنزل الكيلاني عند وصوله برلين في دار المفتي كضيف عليه، كما منع من الظهور والاختلاط بزوار المفتي مدة اكثر من اسبوعين وذلك بحجة المحافظة عل حياته، واخفاء مكانه عن الحكومة التركية التي اغضبها - في الظاهر - فراره.

وباعتقادي أنّ كل ذلك كان مناورة لإظهار علو مقام المفتي، وتابعية الكيلاني له، وقد فات ذلك على السيد الكيلاني في حينه، ولم يعترف بها إلا مؤخرا عندما بدأ يتهم الألمان بالتحيز للمفتي.

الخلاف بين الزعيمين :

وعندما اشتد الخلاف بين الزعيمين وأعوانهما واصبح الأمر لا يطاق، نشط وسطاء الخير عرب واجانب لإيجاد حل للمشكل، يحفظ للعرب ماء وجههم في غربتهم ويحول دون ضياع قضيتهم، فاقترح طرح موضوع توحيد القيادة ان امكن، أو تشكيل لجنة مشتركة، أو هيئة عليا، لتتولى ادارة دفة الامور في منأى عن هذا التطاحن والتنافس الذي أشغل القوم عن شؤونهم الهامة، الحربية والسياسية.

ونتيجة للمساعي الجادة، تقدم كل من المفتي والكيلاني والسيد ناجي شوكت، وأنا ببعض المقترحات لعلها تحظى بالقبول من لدن الاطراف المعينة - سيأتي ذكرها مفصلا.

حكومة العراق في المنفى :

كان السيد الكيلاني قد وصل إلى برلين في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤١، واسكن في دار المفتي في ضاحية (تسيلدورف) ببرلين - وبعد وصوله بأيام قابل وكيل وزارة الخارجية الألمانية البارون (فون فايتسيكر) طالبا اليه اعتراف الحكومة الألمانية به كرئيس لوزراء العراق، والنظر في وضع أسس لاتفاقية بين العراق وألمانيا، وتأسيس مكتب الحكومة العراقية في برلين.

وفي منتصف كانون الأول ١٩٤١ تم استقبال وزير الخارجية الالمانية الهر (فون ريبنتروب) للسيد الكيلاني، وقد عرض هذا الاخير طلبه بالاعتراف به كرئيس لوزراء العراق. فتم له ذلك يوم ٢٢ كانون الاول ١٩٤١، حيث سلم رسالة رسمية تتضمن الاعتراف به رئيسا لوزراء العراق، كما طلب اليه ان يبقيها في طيّ الكتمان لأسباب خاصة بسياستهم.!!!.

هذا وبالرغم من عدم إعلان هذا الإعتراف بصورة علنية ورسمية فإنّ الحكومة العراقية كانت تتمتع بالإعتراف الواقعي التام والمعاملة الكريمة دون خلاف أو عرقلة.

وقد أخبرني الكيلاني بهذا الإعتراف وأنا في داره، مضيفاً بأنّ عدم إعلان هذا الإعتراف كما تقضي به الأعراف الدولية، يعود إلى عدم رغبة الزعيم (هتلر) في تقليد الانكليز - وقد إنتقدهم سابقا - في اعترافهم بحكومات المنفى في بلادهم اثناء الحرب، وعليه فقد اصبحت الحكومة العراقية الموجودة الآن في برلين برئاسة الكيلاني وعضوية ناجي شوكت والدكتور محمد حسن سلمان هي الحكومة الشرعية للعراق، وسوف نتقاسم إختصاصات بقية الوزارت وهو يرى أن أحتفظ انا بوزارة المعارف، وبوزارة المالية و وزارة الشؤون الإجتماعية وكالة،

كما سيحتفظ هو بوزارة الدفاع وبوزارتين أخريين وكالة أيضا وما بقي سنرى رأينا فيها فشكرته وهنأته، وسألته: أهذا يا فخامة الرئيس تعديل وزاري..؟! واغتنمت الفرصة لألفت نظره إلى تقصيره في حق وزرائه، فقلت له: آمل يا فخامة الرئيس أن لا تبخل عليّ في الإطلاع على مجريات الأمور الحكومية.. ؟ فأجاب باقتضاب.. طبعاً.. طبعاً..!

وكان هذا آخر حديث حول الموضوع، فقد كان حفظه الله حريصا على التفرد بالحكم، والسيطرة على المقدرات، لا يشرك بربه ولا بسلطته احد.!!

ولقد رأيتُ من واجبي القومي ملاحقة الهدف الأساس والعمل على إثارة نخوة الزعيمين (الكيلاني والمفتي) فلعلهما يستطيعان للأمة على أفضل مما حصلتُ عليه، بأن يدرج موضوع الإعتراف بالوحدة القومية للأمة العربية دونما تحفظ أو شروط. هذا ولم يكن مركزي ولا ثقلي السياسي تخولاني الاتصال المباشر بالمقامات العليا والألمانية أو الايطالية ذات الشأن في مثل إصدار هذه البيانات.

فهرعتُ إلى السيد الكيلاني أولاً أعرض عليه هذه الرغبة، وأستنهض همته للعمل، فكانت خيبة الأمل، اذ جابهني بان ما لدينا من تصريحات وبيانات سابقة كافية وافية، ونحنُ على ثقة من حسن نوايا اصدقائنا.

فقلت له: وقضية الوحدة يافخامة الرئيس ؟

فقال: هذه سينظر فيها اذا ما وصلنا إلى بلدنا، واخذنا الحكم بأيدينا.. ثمّ أضاف:

ولا أخفيك أنني اعتقد انها صعبة التحقيق، وأغلب الشعوب العربية لا تريدها.. واضاف: إنني انصحك يا دكتور ان تكرس خدمتك وعملك لبلدك العراق.. فالأقربون أولى بالمعروف..

فألجمتُ، ولم أنبس ببنت شفة، وخرجتُ آسفا على ما تكشف لي من نظرة الزعيم إلى هذا الهدف الاصلي الذي لأجله عملنا، وفي سبيله تقربنا، ولتحقيقه

ضحينا. والتقيت المفتي في مناسبة أخرى، وفاتحته بنفس الموضوع، فقال: سبق لي ان لاحظت على البيان الذي صدر، خلوه من الاشارة إلى موضوع الوحدة القومية، وقد علمت من الالمان والطليان بأنهم لا يرون كبير أهمية لإدراج هذه الإشارة في صُلب البيان...!، ويعتبرونها من شؤون أهل البلاد الداخلية، ورأى أنّ هذا الموضوع يجب أن يثار بالتعاون مع السيد رشيد عالي الكيلاني، ولا أدري إن كان هو مستعد لذلك..!؟

فأجبته: سبق أن فاتحته بنفس الموضوع، فلم ألمس عنده الإستعداد لذلك، وليس لي أن أرجو سماحتكم تحمل مسؤولية تحقيق هذه الرغبة القومية، ومن لها سواكم..؟

فقال: سأحاول إن شاء الله، في فرصة مناسبة، بالرغم من إعتقادي بظروف أصدقائنا لا تتسع للبحث في اصدار مثل هذا البيان. وهكذا تنصل المفتي بلباقة من هذه المهمة المقدسة!!! خرجتُ من هذه الجولة، وأنا واثق أنّ أصدقائنا الالمان والطليان على الأخص، لا يرغبون في ان يتحقق للعرب وحدة شاملة إن لم يكونا يعارضانها..!!

أمّا ما حصل عليه المفتي مؤخرا - وهو بيان تشرين الثاني (١٩٤٤) الذي اعترف لكافة الاقطار العربية بالاستقلال والسيادة وتجمعهم في الوحدة المنشودة، فقد جاء متأخرا حيث كانت ايطاليا على وشك الانهيار كما كان نجم المحور في أفول، فكان هذا البيان مع الاسف الشديد كاعتراف محتضر، أو كصك مفلس، لم يفد قضيتنا شيئا، وان بيّض وجوهنا بعض الشيء....!

اجتماع «هام» :

دعيتُ من قبل الرئيس الكيلاني إلى إجتماع قال انه سيحضره بعض المسؤولين الألمان للبحث في موضوع « هام «، حضرتُ إلى داره مبكرا وقد جلستُ إلى الرئيس نتبادل الحديث، فحضر كل من السفير (غروبا) والوكيل (كرانو) وشخص ثالث لا اذكر اسمه من موظفي وزارة الخارجية - ولم يحضر السيد

ناجي شوكت حيث كان قد ترك إلى روما - وقد دار الحديث حول ما يجب اتخاذه من اجراء، في حالة دخول الجيش الألماني العراق عن طريق سورية بعد احتلال القفقاس والمرور بتركيا، وكان الحاضرون يخشون من مقاومة ومجابهة هذا الاحتلال، فتحدث الفوضى ويتضرر الاهلون ؛ وكان رأيهم انه يجب تأمين تواجد حكومة عراقية قوية تسيطر على الوضع والامن من سيطرة تامة حتى دخول الجيوش الالمانية، وتواجد مثل هذه الحكومة مقرون بتواجد رجل قوي يرأسها..

فأجاب الرئيس الكيلاني بأن لا لزوم لذلك، فالشعب العراقي والجيش جميعهم راغبون في دخول الالمان، وسوف لن تحدث اية قلاقل مجرد ان اكون على رأس الداخلين إلى البلاد.. فلم يقنع المجتمعين هذا الرأي، وأصروا على رأيهم في ضرورة تواجد حكومة قوية، يرأسها شخص قوي تسيطر على الوضع وتحفظ الامن، حتى استلام حكومتنا - أي حكومة رشيد عالي الكيلاني - زمام الحكم وسألوا من في ظننا يستطيع القيام بهذه المهمة من الرؤساء العراقيين..!!

إستغرقني التفكير في سذاجة هذه العقلية، ودواعي هذا الاجتماع، فالجيش الألماني ما يزال يحاصر (ستالينغراد) وهو بوضع لا يحسد عليه، وليس من كبير أمل في اختراقهم القفقاس و وصولهم سوريا ثم العراق، ثم كيف يستطاع أن يؤتى برئيس وزراء ليرأس الحكومة القوية المطلوبة، على غرار المواصفات المذكورة، ونحن لاجئون في برلين، لا حول لنا ولا قوة، ولا تأثير على مجريات الاحداث في العراق ولا اتصال.. وهل هذا التفكير في وقته ونحن فيما نحن فيه من شؤون وشجون...؟؟

لم افكر في هذه اللحظة إلاّ أنّ هذا الإجتماع هو ملهاة، ولعبة من (غروبه) نفسه، لإثبات نشاطه ومساعيه المستمرة في سبيل قضيتنا، وقد وجد الإستعداد والقبول من الرئيس الكيلاني ولا شك.

سكتُ ولم أبد رأيا، حتى طلب إليّ غروبه أن أدلي برأيي، فانفجرتُ وقلتُ،

ليس لهذه المهمة سوى «نوري السعيد» ومتى دخلنا بغداد، نقبض عليه.. ونعدمه.. وقع هذا الاقتراح على الكيلاني وقع الصاعقة، وقبل ان ينفجر غضبه، بادره (غروبه) معلنا ان هذا هو رأيه ايضا.. غضب الرئيس الكيلاني وعتب عليّ، فقلت له سأوضح لك الامر بعد ذلك، وتركت الاجتماع معتذرا بصداع طارئ.

وفي اليوم التالي ذهبت لمقابلة الكيلاني، وعتبت عليه ثورته وغضبه، قبل ان يدرك المغزى من اقتراحي - وهو الذكي وكيف فاته طابع السخرية في مقترحي يوم أمس!!!. وقلتُ له: يافخامة الرئيس أهُمُ القوم يهوننا ويسخرون منا بأمثال هذه الاجتماعات، فكل هذه أحلام وأوهام، وخير ما يمكن ان يخدمكم به (غروبه) وغيره، هو الحصول على بيان من حكومته، بالاعتراف بالوحدة القومية العربية، تسعد به قلوب العرب، وتدخل به التأريخ من اوسع ابوابه..!!



الرئيس الكيلاني ومستقبل الحكم في العراق

أعقب الاجتماع الآنف الذكر بعد مدة اجتماعا ثانيا ضم نفس الاشخاص بالإضافة إلى شخص جديد لم ألتقيه سابقا وهو من وزارة الخارجية ومن زمرة الدكتور (غروبه)، بالإضافة إلى السيد كامل الكيلاني - وقد حضر بدل السيد ناجي شوكت المُقيم في روما. ودار البحث في هذا الاجتماع حول ما سيكون

عليه شكل الحكم في العراق عند انتهاء الحرب ودخول البلاد.

فبدأ السيد الرئيس يشرح للحضور - بلغة انكليزية ركيكة - يساعده اخوه السيد كامل- بأن العراق لا يريد أن يحكم بعد اليوم حكماً ملكياً، وأصلح نوع من الحكم هو نظام الحكم الرئاسي - على غرار الحكم في المانيا أو ايطاليا، زعيم واحد للبلاد وعدد من الوزراء يختارهم لمعاونته، ومجلس الشعب نصف منتخب ونصفه معين.. وقد أثنى السيد كامل الكيلاني على رأي شقيقه، مؤيداً ومضيفاً بأنه لا يصلح لهذه الرئاسة بطبيعة الحال سوى أخيه الزعيم رشيد عالي الكيلاني، فهو زعيم الثورة، وزعيم العائلة الكيلانية اكبر العوائل الدينية واعرقها اصلا، ولا يرضى العراقيون بديلا عنه..

ولم أشأ ان ادلي بدلوي في هذا الموضوع، الذي لايقره ضميري ولا استطيع تأييده نفاقا، ولا معارضته تجنبا لغضب الرئيس، وما الفائدة من الرأي والامر بنظري لن يصل إلى تحقيق هذا الامل.. الا ان الحضور طلبوا اليّ الكلام.. أملا في التأييد على ما يظهر، فلم استطيع الاعتذار، ولم احتمل النفاق، فقلت: لاشك ان السيد الرئيس الكيلاني زعيم ثورة العراق يستحق اكثر من منصب رئيس دولة، ولكن من يعرف العراق وشعبه وطوائفه ومستوى وعيه، يدرك انه لا يميل إلى أي نظام جديد غريب عليه، وهو لم يتعرف بعد على الانظمة الرئاسية أو الجمهورية، وقد اعتاد على النظام الملكي وارتضته كل طوائفه، والثورة العراقية وعلى رأسها الكيلاني لم تحاول القضاء على الملكية، وابقوا على الملك الطفل وحافظوا عليه وعينوا له وصي من اقربائه، ومع هذا فالبحث كما اعتقد سابق لاوانه، فلندخل العراق اولا، ثم نفكر فيما يرتضيه الشعب من أنواع الحكم .. والأمر رهن ارادته.

ولم يتركني السيدين الكيلانيين (الرئيس وشقيقه) أكمل حديثي فأعترضا وجهة نظري، وقد اعلن السيد الرئيس انه مصمم على فرض النظام الرئاسي على غرار النظام الهتلري... والذي سيعارض سيندم..!! فضحكت وقلت ليس في نيتي يافخامة الرئيس ان اعارضك في اقرار نظامك، وكل ما اردته ايضاح

رأيـي بصراحة، وبـارك الله لك فيما تريد.. بعد هذا الحديـث انقطع الرئيس عن زيـارتي أو دعـوتي إلى أي اجتماع مدة من الزمن، ثم عاد من تلقاء نفسـه والحمد لله..

زيارة من (غروبه):

زارني السفير الدكتور (غروبه) في احد الامسيات، ودار الحديث في مواضيع مختلفة، ثم فاجأني بسؤال غريب، فقال:

ماذا بينك وبين الرئيس الكيلاني...؟!

فاستغربتُ سؤاله، وقلت لم يحـدث شيء بيننا، ولكن لماذا هذا السـؤال..؟ فقـال: لأني لاحظتُ أنـه متغير تجاهك فقد كان في السـابق يمتدحك ويعلي من شـأنك، أما الآن فأراه يشـكو بأنك قد تغيرت عليه، وانك كثير الزيارة للمفتي وتقف بجانبه على الدوام مع انك وزير في وزارة الكيلاني والمأمول أن تكون إلى جانبه على الدوام.

فأجبتـه وأنـا منقبـض النفس - لا شـك انك قد حضرت مقابلتـين معه وقد شـاهدت غضبه من آرائي الصحيحة الصريحة فقد يكون هذا بعض السبب..؟ علـما بأننـي لا اريـد ان يقع أي خـلاف بين المفتـي والكيلاني لأن هـذا الخلاف لايخـدم أي حلفائنا - أنتم -. فقال هذا صحيح، واضاف، وقد أخبرني الرئيس بانكـم تسـتقطبون حولكم بعض الشـباب لتكوين كتلة ثالثـة، كما انكم تلحون عليه في موضوع استصدار تصريح جديد من المحور بخصوص الوحدة كأن لا ثقة لكم بنواايانا...!!

فقلتُ: أولاً اشـكركم يا سـعادة السـفير على ثقتكـم بي وإطلاعي على أمور أجهلها أنا وأستبعد حدوثها، مع أسفي لتصورات الرئيس.. ثانياً، أنّ ما أشرتم اليـه من اسـتقطاب البعـض حولي لخلـق تكتل جديـد، فغير صحيـح، ويكفي ما نشـكوه مـن تكتـلات.. وكل ما في الامـر، ان بعض الاخوان مـن العراقيين وغيرهـم، يرون الامور، نفس ما أرى، ويطمحون إلى تحقيق نفس ما اطمح من

آمال وأماني في وحدة أمتنا، وقد ظنوا فيّ القدرة على اسماع اصواتهم في هذا الشأن، فالتفوا حولي لأقوم بإبلاغ الرسالة هذه إلى الزعيمين، وقد فعلت، وعرفت رأي كل منهما، وليس غير ذلك من أمر، فلا حزب ثالث، ولا تكتل وسط، فليطمئن من يظن مثل تلك الظنون.. أما بخصوص إلحاحي في استصدار تصريح جديد وواضح، عن تأييد المحور للوحدة القومية للامة العربية، فذلك ما أرجوه والح عليه، واني لست وحدي في هذا الطلب بل هو مطلب كل العرب من ضيوفكم في بلادكم، وخارج بلادكم، وانتم تعلمون اهداف الثورة العراقية ورجالها ومؤيدها من كافة القطار العربية ؛ علما بأن هذا المطلب العزيز ليس معناه عدم الثقة بنواياكم، وأؤكد لكم أنّ تحقيقه سيسعد العرب جميعا، ويجعلهم اكثر ارتباطا بكم واخلص صداقة لكم، وهكذا ودعتُ السفير وأنا واثق أنه لا يستطيع تغيير الواقع..



الدكتور جوزيف غوبلز وزير دعاية الرايخ الثالث

و مُؤسس دعاية التهويل والكذب

المعلف قبل الحصان :

كنتُ قد اتخذت من الطابق العلوي من المكتب الذي شغلناه، دارا لسكناي وعائلتي، وكان مضيفونا قد جهزوه جيدا، كما كانوا كرماء معنا إلى اقصى حدود الكرم، فالمواد الغذائية الضرورية والفواكه والحلويات، وحتى الكماليات من الاشياء إلى حد الابر والخيوط، ولا غرابة فهذه الضروريات الكماليات، لا يمكن الحصول عليها من سوق أو متجر في ذلك الحين، كما خصصت للدار ثلاثة من الخدم وضابط ارتباط، ولم يكن يعوزنا من حياة الدعة والراحة، إلاّ راحة البال ومعرفة المصير والمآل..

وكنا ننعمُ بخيرة الصحب والاخوان كالاخوان ابراهيم الراوي، وجابر عمر وعلي الصافي، وعبد الحميد الهلالي، وبهاء الدين الطباع، وبعض الاخوان الفلسطينيين، والدكتور مصطفى الوكيل وغيرهم من الاخوان العرب، كما كان السيد (كرانو) والدكتور (غروبا) وحرمهما وبعض المسؤولين من وزارة الخارجية والاعلام لا ينسون زيارتنا من وقت لآخر.

وفي احدى دعوات العشاء والحاضرون بعض رجال الخارجية وزوجاتهم وبعضا من اخواننا المقربين، قدّم إلينا الطعام وكان من بين ألوانه، لون لم أره قبلا، قطع كبيرة خضراء داكنة يفوح منها البخار، فنظرت إلى زوجتي مستفهما فأشارت بانها لا تعلم ايضا، ولما وصلني الدور وتناولت قطعة منه فذقتها فـإذا بها (قشرة رقي خضراء) - بطيخ أحمر - سلقت بالماء والملح كاي نوع من الخضار المسلوق والغريب اني سمعت من الضيوف الثناء العاطر على هذا اللون من الخضار ودون ان يعرفوا ما هيته، ولما انصرف الضيوف، هرعت إلى المطبخ لأشكر الطباخة كما هي في العادة ولأسألها عن هذا اللون الغريب، فاشارت الي بيدها إلى اناء جمع الفضلات، واذا بي أجد لباب البطيخة الحمراء - الرقية - الشهية التي حملتها من روما معتزا بها، طريحة ذليلة بين النفايات تندب حظها الذي اسلمها إلى من لا يعرف قدرها، ولما افهمت الطباخة بان هذه فاكهة وليست خضارا، هزت رأسها غير مصدقة - على الطريقة الالمانية والعناد

الجرماني – وقالت انها لم تر لها مثيلا من قبل..

وقد تشعب الحديث في هذه السهرة، وسمعنا من الضيوف اخبار الانتصارات العظيمة في الشمال الافريقي وعلى الجبهة الشرقية، كما ذكر عن الاستعداد لارسال الجيش العربي الخاص إلى الجبهة للمشاركة الرمزية وعن استعداد المفتي لدخول مصر من الحدود الغربية – طبرق – ومنها إلى سوريا وفلسطين. ودخول الكيلاني طريق القفقاس نزولا إلى تركيا ثم العراق.. وهكذا إستعد القوم، لتهيئة «المعلف» قبل شراء «الحصان».. وكانت معركة (ستالينغراد) لا تزال مجهولة المصير والمقاومة شديدة وعنيدة من الجيش الروسي ومن السكان، والقفقاس بكامله وشاسعات بقاعه تحت السيطرة الروسية المكينة، وسوريا والعراق وايران ومصر تحت نير الحكم البريطاني..

العرب ملف ينقل إلى روما :

شغلنا جميعا بأخبار الحرب، الحرب الخارجية بين المحور والحلفاء، والحرب الداخلية بين معسكر الكيلاني ومعسكر المفتي، فالجيوش الالمانية بقيادة (روميل) تتقدم في جبهة الشمال الأفريقي تقدما سريعا، وكذلك جيوش الجبهة الشرقية التي حاصرت (ستانلينغراد)، واندفعتْ تكتسح أمامها الجيوش الروسية نحو (موسكو)، وكانت طوابير الأسرى الروس تتدفق على برلين وتستعرض في شوارعها، بحالة يرثى لها، لرفع معنويات الشعب وتقوية آماله في النصر والغلبة..

أما الحرب بين الكيلاني والمفتي، فقد بلغت الذروة، فالتراشق بالبذيء من الكلام وتبادل الإتهامات والطعون بين أتباع الطرفين على أشدّه. أما النخبة الصالحة من أتباع الطرفين فقد حاولتْ المستحيل في إيقاف نحو (٧٠٠ طائرة) نحو مدينة درسدن فدمرتها تدميراً مريعاً، وذهب نتيجة ذلك عدد غفير من السكان واستشهد لنا فيها المرحوم الدكتور مصطفى الوكيل، والسيد عبد المطلب السيد عيسى، والسيد سالم الآلوسي، وكان الاخير قد هرب من برلين

برفقتي كسكرتير روما - كما ذكرت - ثم عاد اليها خوفا من الغارات على روما، ومن برلين لجأ إلى (درسـدن) طلبا للنجاة ولكن «أينما تولوا وجوهكم يدرككم الموت...».

وكان رحمـه الله نعم الرفيق، ونعـم الصديق، مجاهدا مخلصـا لدينه ولقوميته، متواضعا، صادق الايمان، وكان محبوبا من كل من عرفه وسبر غوره.

استمر زحف الحلفاء من الغرب نحو برلين، والجيش الامريكي من الجنوب، وهو يكتسـح امامه المدن الايطالية ويحتلها الواحدة بعد الاخرى ودون مقاومة تذكر، عدا ما ابدته فلول الجيوش الالمانية في شمال البلاد.

وقـد سـبق ان اشرت إلى وقـوع الانقلاب الايطـالي، والقبض على السـينور (موسـيليني) وتشـكيل حكومـة مؤيـدة للحلفاء واستسـلام الجيـش الايطالي، وقد بقي (موسـيليني) سجينا في قلعة في احدى جبال شمال ايطاليا، حتى كانت معجـزة الغارة الالمانيـة المنقذة، حيث هبط احد ضباط الطـيران الالماني في مقره بصـورة دراماتيكية هزت مشـاعر العـالم في حينه، واضافـت إلى مفاخر الطيران الألمـاني مفخـرة كـبرى، فحمله ومـن معه مـن الجنـود الالمـان المحتجزين، إلى احدى مدن الشـمال الايطـالي (كاردونا) حيث مقر القيـادة الالمانية، وقد هرب بعد استسلام الجيش الالماني مع عشيقته (كلارا) متخفيا بزي جندي إيطالي، إلاّ أنه لم ينج حيث قبض عليه من قبل ثلة من المليشـيات الايطالية الشـيوعية قرب الحدود السـويسرية وقتل مع عشـيقته، ثم مثل بجثته وصُلب إلى جذع شـجرة. هذا ما فعله الطليان بزعيمهم الذي رفع اسـم ايطاليا عاليا بين الاسـماء ولردح ليس بالقصير من الزمن - بغض النظر بسياسته ونظام حكمه..

وأما الألمان وبالرغم من كل ما سـببه لهم زعيمهم -هتلر- ومات ميتة ابطال الاسـاطير، وبقيت ذكراها لدى الكثير من فئات الشعب الالماني محاطة بهالة من الإحترام، لم تدنس بالرغم من الانتقام اليهودي البشـع، والدعاية السامة المقيتة التي لاحقته حتى اليوم.

إستمر الزحف الروسي من الشرق ليلتقي جيش الحلفاء في برلين، وازداد التنافس بينهما والتسابق ايهما المحتل الاول، حتى استسلم آخر محارب من الجيش الالماني، وبعد إعلان إنتحار (هتلر) و وزير دعايته (غوبلر) وعائلته وأطفاله بصورة مؤثرة.

وبدأت جيوش الحلفاء، والجيش الروسي المنتصرين ممارسات الفضائع في كافة المناطق المحتلة، كعادة الغزاة، ولم ينج من ويلات هذه الحروب المدمرة أحد.

وكان التجمع العربي في أراضي المحور قد نال حصته من هذا البلاء وسوء المصير، فتشرد من تشرد والتجأ إلى بعض البلاد المجاورة من إلتجأ، واستشهد من إستشهد، ونجا من نجا بشّق الأنفس، كل حسب ما كتب عليه في لوح القدر.

مصير الزعيمين:

كان السيد رشيد عالي الكيلاني بمساعدة الالمان قد هرب عن طريق فرنسا إلى تونس ومنها إلى المملكة العربية السعودية، حيث فاجأ الملك عبد العزيز آل السعود بدخوله إلى ديوانه معلنا التجائه اليه، فلم ير الملك بدا بطبيعة الحال ووفقا للتقاليد المرعية الا ان يقبل هذا اللجوء فانزله منزلة كريمة ورعاه واهل بيته رعاية جميلة، واسكنه دارا كبيرة، فبقي في الرياض سنوات ثم انتقل إلى القاهرة سنة ١٩٥٨ ومنها إلى بغداد، وقد جرى له ما جرى، حتى وافاه الأجل تغمده الله برحمته وغفر له.

أما المفتي الحسيني فقد هرب عن طريق فرنسا ايضا إلى شمال افريقيا ومنها ال مصر حيث استقر في القاهرة، ثم عاد إلى لبنان لمواصلة الكفاح على رأس الهيئة العربية العليا، حتى وافاه الأجل المحتوم، بعد عمر طويل حافل، لم ينسى فيه اصحابه وأعوانه ورفاقه، رحمه الله واسكنه فسيح جناته.

أما ثالث الإخوان الأجلاء الذين كان لي شرف العمل إلى جانبهم فهو الأخ

ناجي شوكت، وكان كما أسلفنا قد إعتزل العمل بعد وصوله برلين بمدة قصيرة واستقر في ايطاليا، وبقي يتنقل فيها من مكان إلى مكان، وفق ما تقتضيه ظروف الامان، حتى القى الحلفاء القبض عليه في شمال ايطاليا ونقلوه إلى القاهرة ومنها إلى سجن أبي غريب في بغداد، حيث اجتمعنا بعد طول فراق، أطال الله في عمره، وابقاه لأخوانه ومحبيه.

تسليم اللاجئ القائد صلاح الدين الصباغ :

قبيل نهاية الحرب، وبعد أن إستبانت معالمها، قررت تركيا إعلان الحرب على المحور، وكان هذا تأييداً رمزياً للحلفاء، دون أن يكون له أي أثر، فلا أضرّ بالمحور ولا افاد بالحلفاء.

وكان القائد الشهيد صلاح الدين الصباغ قد لجأ إلى تركيا، عام ١٩٤١ بعد هروبه من ايران، واعتبر لاجئا عسكريا، ووضع في الاقامة الجبرية في احدى قرى الاناضول، وعندما اوشكت الحرب العالمية على الانتهاء، طلبت الحكومة العراقية، بإلحاح من الوصي عبد الاله، من الحكومة التركية، تسليمه باعتباره مطلوبا من العدالة ومحكوما بالإعدام، بجريمة اعتبرت غير سياسية - خلافا لكل عرف وقانون -.

ومثل طلب التسليم هذا لا تقبل به أية دولة في العالم، خاصة وقد سبق أن عرضت قضيته هذه على محكمة تركية، فقررت عدم جواز تسليمه لأنه لاجئ عسكري، وجريمته سياسية بحتة - ولكن الحاح الوصي الامير عبد الاله، وحضوره بنفسه إلى تركيا في احدى المرات ومطالبته الحكومة التركية بتسليمه، اضطر هذه على ما يظهر إلى تخطي كل التقاليد، ومجاوزة كل الاعراف الانسانية والقوانين الدولية، إلى تسليمه، مع الاسف، فأخذ إلى الحدود السورية مخفورا وسلم إلى الانكليز لينقلوه إلى بغداد، ولكنه استطاع الهرب من محطة القطار

في حلب واختبأ في بساتين المنطقة، الا ان خيانة بعض من لا ضمير لهم ولا دين، وشوا به وسلّموه إلى الانكليز مرة ثانية، فأخذ إلى بغداد وسلم للحكومة العراقية، فأودعته (سجن أبي غريب) لليلة واحدة، ثم أخذ إلى وزارة الدفاع في بغداد ليشنق على بابها صباح ١٦ تشرين الأول عام ١٩٤٥، وقد أبقيت جثته معلقة مكانها مدة لاتجيزها النواميس الإنسانية في كل انحاء العالم، بقصد التشهير وبدافع الشماته والانتقام، وكان لهذه الفعلة المقيتة عواقب وخيمة كما هو معلوم....



الليلة الأخيرة للشهيد البطل صلاح الدين الصباغ

يوميات الاستاذ علي محمود الشيخ علي خاصة بالزمان

الشهيد البطل صلاح الدين الصباغ

العودة إلى الشام :

وقع خبر تسليم الأخ صلاح الدين الصباغ علينا في إسطنبول وقع الصاعقة، وما كنا مصدقين أن يقع، خاصة بعد الوعود التي أعطيت اليه، بعدم إمكان تسليمه، وقد اطمأن رحمه الله إلى تلك الوعود، وقد فكرت بالأمر هذا، وخشيت أنّ ما حدث لصلاح سيحدث معي بطبيعة الحال، خاصة وأني لستُ لاجئا عسكريا ولا محكوماً بالإعدام، كما اني تألمت كثيرا لما حدث وأردتُ

الاحتجاج على ما أصاب صلاح من ظلم وجور، فقابلتُ (والي) اسطنبول (السيد لطفي قيراد) - وهو عراقي الأصل - وأظهرتُ أسفي لتسليم الحكومة التركية عسكرياً محكوماً عليه بالإعدام، معروف المصير، بالرغم من العهود التي قطعت له. ورجوتُ إنهاء لجوئي والسماح لي بمغادرة الأراضي....

الفصل الثاني

يونس بحري (أسرار ٢ مايس ١٤٩١ أو الحرب العراقية الإنكليزية) - تقديم علي الخاقاني

القسم الأول

- كلمة لابُدّ منها — الإنكليز يُحاربون ونحنُ ندفع الثمن
- مُؤامرة الآثوريين - نتيجة الحرب

القسم الثاني

- ثورة القبائل العربية

القسم الثالث

- الحاج أمين الحسيني في بغداد

القسم الرابع

- كيف ابتدأ التدخل الأميركي في العراق وشُؤون الشرق العربي

القسم الخامس

- العراقيون في ألمانيا
- كيف بدأت إتصالاتنا بهتلر
- القادة الأحرار وألمانيا، علاقات قديمة و وثيقة

القسم السادس

- حق الجيش التدخُل في السياسة

القسم السابع

- ألمانيا والعراق
- ألمانيا فوجئت بحرب العراق
- تعليمات هتلر للشرق الأوسط جاءت مُتأخرة
- كيف ألّفنا الجيش العربي الحُرّ

أسرار ٢ مايس ١٩٤١ أو الحرب العراقية - الإنكليزية

قدّم له علي الخاقاني - صاحب مجلة البيان النجفية

منشورات دار البيان رقم (٤٨) مطبعة الحرية ١٩٦٨ بغداد

شاءت الصدف ان ألتقي قبل شهرين بالأستاذ يونس بحري بواسطة الاستاذ احمد عويدات احد اصحاب دور النشر بلبنان، وكنت كغيري أسمع بهذا السائح العراقي الذي اصبح اسطورة العصر وهو حي يرزق، ولا أدري كيف ستتضاعف هذه الاسطورة بعد موته، حيث عرفه العالم صحفياً ودبلوماسياً وسائحا، إمام جامع في باريس، ومفتيا في اندونيسيا، ومستشارا الملك ليبيا، ومذيعا في راديو برلين في الحرب العالمية الثانية، وصاحب جريدة (العرب) في باريس، وكتب (حي العرب). وهو الذي أتقن ست عشرة لغة، وعبر مضيق جبل طارق سباحة في ٣٦ ساعة فائزا بالدرجة الاولى بسباق دولي، زامل غوبلز وزير دعاية الريخ الثالث، وتحدث الى موسيليني وهتلر، وقام بجولة حول العالم على الاقدام باسم (السائح العراقي).. وأول من قال (حي العرب) وقال من برلين (بلاد العرب للعرب).

هذه الصفات لو لم نعرفها فيه ولو لم نسمع أحداثها في وقت وقوعها لكانت اسطورة الاساطير. رأيت هذا الانسان العجيب في روحه وعقله وذكائه، لا يفهم من الحياة ولايهوى الا المفاجآت والمغامرات، لطيف المعشر، ذكي الفؤاد، يحسن سرد القصص الواقعية، ويغمرك بروح بطولية ثائرة.

وقد اوقفني على كتابه (اسرار ٢ مايس) فرأيته كتابا صدر عن انسان توسط الميدان وصال وجال، ولم يعبأ بالرجال. ووجدت فيه صراحة كنت استكثرها عليه لما علمي بأنه يتقن فن (البهلوانية العلمية) وأنه يسبك المجاز بالمجاز

فيخـرج رأيـه حقيقة ثابتة، ولكنـه في هذا الكتاب وقف موقـف المؤرخ الجريء المتثبت ليطلع الناس على اسرار مرت في تاريخ العراق تحاشـى المؤلفون ذكرها. والكتاب هو الذي بين يديك أخي القارئ.

علي الخاقاني

مقدمة وايضاح
حرب مايس

عندما اقدمنا على وضع هذا السفر القيم عن حقبة حاسمة من تأريخ العراق السياسي والعسكري والاقتصادي، لم نفكر الا في وضع الحقائق الدامغة عن اسباب ونتائج ذلك الحدث العميق الاثر في التطورات الخطيرة التي اعقبت حرب (٢) مايس ١٩٤١.

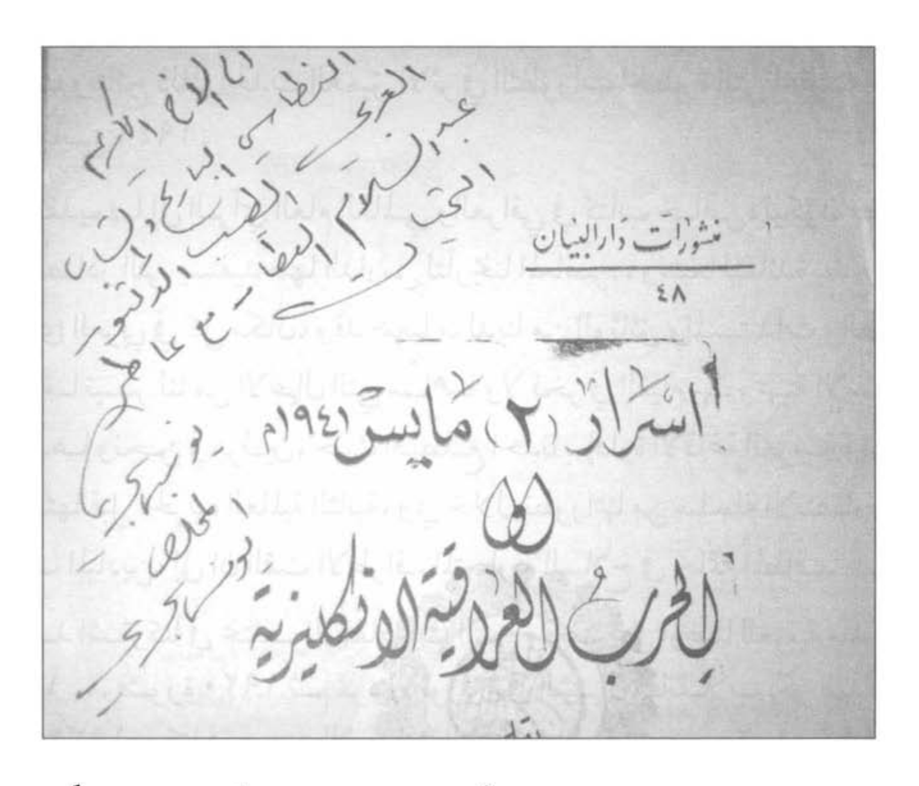
وتقديمها إلى الرأي العام العالمي والعراقي في كتاب خاص، ليكون مصدرا من المصادر التي يستفيد منها الدارس لتأريخنا المعاصر.. ومنبعا للفائدة يطلع عليه القارئ العربي في كل مكان، وقد جمعنا ما لدينا من الوثائق والمستندات والصور، وكل ما تيسر لنا من الاعمال التي ساهمنا ولا فخر في القيام بها، وتهيئة الاسباب لتنفيذها ونحن في برلين، حيث اضطلع احدنا بإدارة الاذاعة العربية وتوجيه سياستها قبل الحرب العالمية الثانية، وفي خلال تطوراتها من سلسلة الانتصارات في مختلف الميادين، إلى ان القت الاطراف المتحاربة السلاح في خاتمة المطاف.

لقد اشتركنا في مختلف الانتفاضات التي وقعت على ارضنا العربية منذ سنة ١٩١٦ ... فثورة ١٩٢٠ ثم تمرد الآثوريين في الشمال، فانقلاب بكر صدقي في سنة ١٩٣٦، وكنا في صميم الاحداث التي أدت إلى قيام حرب ٢ مايس ١٩٤١، ومن اجل ذلك فإنّ هذا الكتاب الذي نقدمه الآن لم يكن ثمرة ما قالته الجرائد، أو روايات اشخاص ليسوا في العير ولا في النفير، بل نتيجة جهد كان لنا فيها (كلمة) واعمال، وكان لنا شرف وضع النقاط على حروفها.

والله نسأل ان يوفقنا في هذا العمل الجبار، وفوق كل ذي علم عليم..

بغداد في ١ / ٣/ ١٩٦٨

يـــــونس بحـــري



نسخة من كتاب يونس بحري وهي مُهداة بقلمه إلى: الأخ الكريم النطّاسي البارع الشاب العربي الطيب الدكتور عبد السلام العطّار مع عاطر التحيات – المُخلص يونس بحري – إمضاء

كلمة لا بد منها:

عندما يعتزم المؤلف أو المؤرخ وضع السفر عن احداث تأريخ حرب وقعت في بلاده، يجب عليه ان يضع صورة حية عن تطور الوقائع والاسباب التي ادت إلى فرض تنفيذ تلك الحرب في اوقاتها التي حددت للقيام بها.

ومن اجل ذلك نرى لزاما على انفسنا ان ندرس المسببات الأساسية التي اكرهت القادة الاربعة المرحومين العقداء (صلاح الدين الصباغ، ومحمود سلمان، وفهمي سعيد، وكامل شبيب) ومن شجعهم ومن والاهم، وسار معهم وصاحبهم في هاتيك المعركة الحاسمة من عسكريين وساسة، وعلى رأسهم السادة رشيد عالي الكيلاني، ويونس السبعاوي واخوانهم في السلاح والجهاد، من وزراء وضباط وجنود، سجلوا بمداد دمائهم على صفحات تأريخنا المجيد اسطر الفخار والشرف، دفاعا عن استقلال العراق موطن العرب الاصيل وموئل احرارهم عند اشتداد الازمات وتفاقم الملمات.

ان اولئك المجاهدين الابرار والشهداء الاخيار الذين ضحوا بأنفسهم رخيصة في مكافحة مآسي الاستعمار والاستعباد، ومن بقي منهم على قيد الحياة حتى يومنا هذا، لم يقدموا على ما أقدموا عليه الا لفرط ايمانهم بشان خيرات هذا البلد، واستقلاله وسيادته يجب ان تبقى سالمة من المآرب الابتزازية، وخاصة بعد ان نكث الانكليز وعودهم وعهودهم.. فصّح منهم العزم على اجتياح البلاد الجيش البريطاني الثامن الذي سحقه المريشال رومل في ليبيا والصحراء الغربية بمصر، ووقف منتصرا على ابواب القاهرة..

الانكليز يحاربون ونحن ندفع الثمن :

ان الانكليز خاضوا غمار الحرب العالمية الثانية كجواب على احتلال هتلر بقواته لبولندا بحرب صاعقة، ولما غلبوا على امرهم في ليبيا والصحراء الغربية، اراد تشرشل ان ينقذ الشرف البريطاني من الوحول التي لطخه بها جيش رومل – افريكا كور – فأمر قواته من الهند لتنزل في البصرة في شهر نيسان ١٩٤١،

بدون ان يأخذ مسبقا السماح لهذه القوات الأجنبية بهذا النزول من لدن الحكومة العراقية.

والعراق كدولة مستقلة لم يكن قد اعلن الحرب بعد على المانيا، بالرغم من قطع علاقاته الدبلوماسية معها نزولا على رغبة اصدقاء الانكليز من العراقيين، وذلك لأن العراق غير ملزم بدخول حروب تدور رحاها بين هؤلاء الانكليز واعدائهم الألمان، فالمانية الهتلرية في ذلك الوقت لم تمس المصالح العراقية أو العربية بسوء، بل على العكس كانت تتودد إلى العراق وتدعو بلسان اذاعتها وصحفها لإبقاء العلاقات على احسن ما يكون من الصفاء والتقارب بينها وبين العراق والعرب اجمعين..

ومن الطبيعي والحالة هذه ان يهب قادة الرأي والجيش لإبعاد العراق والعرب عن شرور تلك الحرب وويلاتها، وعدم السماح لأي جهة (محاربة) استخدام الموانئ والمطارات القواعد العراقية، لتكون وسيلة لتقوية جهة ضد جهة اخرى، واستنادا إلى هذه الحقيقة المستمدة لتكون وسيلة لتقوية جهة ضد النافذ المفعول بحسب الاتفاقات والمعاهدات الدولية والمعاهدات - الثنائية - المنعقدة بين العراق وبريطانيا، فإن العراق قد أراد ان يستعمل حقه المشروع في هذا الصدد لكيلا يعتبر دوليا طرفا منحازا إلى بريطانيا ضد ألمانيا، فهل يجوز اذن ان تحارب بريطانيا، وان نتحمل نحن العراقيين ثمن تلك الحرب من اموالنا ومن دماء رجالنا..؟!

المنطق الاخرس :

قال حكماء العرب قديما - ان الساكت عن الحق شيطان اخرس..- فما بال الانكليز يريدون فرض ارادتهم علينا باجتياح ارضنا واحتلالها قوة واقتدارا، ويطلبون منا بكل غرور وعجرفة وتعال، ان نسكت ونخضع و نركع ونسلم لهم تلقائيا بما لا يتفق مع حقنا المشروع في الدفاع عن شرف سيادتنا واستقلالنا.

ان الانكليز لم يتعظوا من الحركات الثورية التي قام بها اهل العراق ضدهم

منذ اول عهدهم بثورة ١٩٢٠، وما تلاها من انتفاضات كانت تنتهي في كل مرة بتصفية حساب شائنة يقوم بها اذناب بريطانيا في هذا البلد، فيدفع الثمن ابناء العراق الاشاوس رغم انوفهم، ليستمر الساسة المحترفين في سياسة الطغيان والفتك والسجن والابعاد وكم الافواه، فيستمدون الوحي في كل مرة من سادة لندن ضاربين بحق العراقيين المشروع عرض الحائط.

لسنا ونحن نريد تسجيل مجرى الاحداث التي ادت إلى حصول حرب ٢ مايس ١٩٤١ مناقشة رجال الانكليز الحساب في هذا الكتاب، ولكن سير الاحداث وتعاقب التطورات تجبرنا على القاء اللوم كل اللوم على اولئك الذين شجعوا سادة لندن على ركوب متن الشطط، والإقدام على ما شانه ان ينال من السيادة العراقية التي كانت اول سيادة قامت على ارض العرب في وقت لم يحصل فيه أي بلد عربي على الاستقلال - اللهم الا العربية السعودية واليمن.

أول كتلة دفاع :

ان حرب ٢ مايس ١٩٤١ كانت وليدة اول تكتل- عسكري - مدني حدث في بغداد في شهر نيسان ١٩٢٩ - سرا - بين بعض الضباط الشباب وعلى رأسهم قادة حرب مايس - الاربعة - وبين بعض المدنيين الشباب وكان واسطة العقد بين هؤلاء المغفور له المجاهد يونس السبعاوي ويونس بحري ومدلول عباس آل لهوف..

والذي لا يقبل الجدل ان تلك الاتصالات القديمة قد اوجدت مقدمات خطيرة للعمل السياسي المشترك لضمان افضل مستقبل للعراق بعيدا عن مماحكات محترفي السياسة من الرجال الذين تقدموا الصفوف الحكومية بسبب قيام السفارة البريطانية بتفضيلهم على غيرهم من أولئك الذين رفضوا التعاون مع تلك السفارة منذ اول عهدهم بالعمل السياسي في العراق.

فكان من الطبيعي والحالة هذه ان توجد كتلة محايدة يكون واجبها مراقبة تطور الاحوال والتدخل الفعال عند اللزوم للسيطرة على الموقف وانقاذ البلاد

من الرجوع إلى عهد العبودية والاستعمار.

الجيش والسياسة:

ان اولئك القادة الذين كان لهم شرف الأسبقية في تأسيس الجيش العراقي في السادس من كانون الثاني ١٩٢١ ما كانوا ليفكرون وهم قادمين على تأسيس اول قوة ضاربة في ربوع وادي الرافدين للذود عن حياضة وعن ديار العرب طرا، بأن يجعلوا هذه القوة، التي بيد المستعمر واذنابه لشل الحركات الوطنية التحررية والقضاء على الأماني القومية، والحيلولة دون مد يد المساعدات العاجلة الفورية لمناصرة الحركات العربية الأخرى خارج حدود العراق بحجة - ان العراقيين - كما يزعم دعاة الخوارج على العروبة والاسلام...!

والواقع فإنّ جيوش الفتح الاسلامي التي عقد الويتها وسيرها في مشارق الارض ومغاربها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لم تكن مهمتها مقتصرة على الامور العسكرية فحسب، بل كانت تشمل تدبير وادارة الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان من واجبهم أيضاً تعيين الامراء والولاة والحكام وجباية الزكاة والجزيات، وحشد ذوي الكفاءات لتسنم مختلف المناصب الادارية والسياسية.

فلا غرو اذا اقدم رجال الجيش الخلص على اخذ زمام المبادرة العسكرية والسياسية من ايدي السياسيين الفاشلين وتسليم شؤون البلاد إلى يد من عهدوا من رجال صدقوا الله ما عاهدو.. ولذا فإنّ، مهمة الجيش مستمدة من صميم الواجبات الوطنية دينية كانت أو مدنية.. وقد تمثلت هذه المهمة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عهود الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم.

معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠

ان رجـال الكتلـة الوطنية في الجيش واخوانهم الشـباب المدني تقدموا للعمل (سرا) كما اسـلفنا في ظروف عصيبة للغاية.. اذ ان النفوذ البريطاني كان مسيطرا على نظام الحكم وعلى الساسـة الذين كانوا ينفذون توجيهات وارشـادات ذلك النفوذ.. ولما احست بريطانيا بتفاقم المعارضة التي كان يقودها السياسي العراقي الكبير ياسـين الهاشمي ورفيقه في الجهاد رشـيد عالي الكيلاني، تقدمت حكومة لنـدن بمـشروع عقـد معاهدة مـع حكومة بغـداد لتخفـف من حـدة المعارضة وارضاء الشـعب السـائر وراء تلـك المعارضة. وبعد اخـذ ورد وجدل عقيم تم التوقيع على تلك المعاهدة في ٣٠ حزيران ١٩٣٠.

وبذلك انتهى (رسـميا عهد الانتداب) وبدأ عهد الحكم اللا مباشر.. ولكن العهـد الجديـد لم يكن اصلـح من سـابقه.. اذ ان الأيدي الصفراء لم تفتأ تمسـك بأصابعها خيوط اجهزة الحكم تحركها كيفما تشاء. ومن اجل ذلك لم تر المعارضة بدا من العمل المباشر لمجابهة الوضع الجديد بصورة اشد مما مضى.

على ان رجال المعارضة قد انقسموا على بعضهم بعضا خاصة بعد اندس بين صفوفهم شـباب من الفئات اليسـارية التي لم يسـبق للعـراق حتى ذلك الوقت ان شـاهد لهـم مثيـلا.. الأمـر الذي حمل رجـال الكتلـة الوطنيـة في الجيش على الاجتماع في دار السيد رشيد عالي الكيلاني يوم السابع من تموز ١٩٣٠ مع بعض انصارهـم مـن المدنيين وطلبوا إليه تطهير المعارضة من الفئات اليسـارية بإلحاح وبكل تأكيد.

حزب الإخاء الوطني:

ونزولا عند مطالب الكتلة الوطنية العسـكرية والمتعاونين معهم من المدنيين وبعـد مـداولات طويلة قرر زعيم المعارضة ياسـين الهاشـمي والكيلاني تأليف حزب جديد سمى (حزب الاخاء الوطني) فتمكن بهذه الوسيلة ابعاد العناصر

الفوضوية واليسارية من بين صفوف المعارضة.

وفي مدة وجيزة من الزمن عمت فروع الحزب الوطني فشملت حواضر الالوية وانتظم في عقدها شيوخ القبائل ووجوه البلاد وقادة الرأي والشباب المفكر.. وتمكن السيد رشيد عالي الكيلاني من الارتباط بأوثق الصلاة بشيوخ القبائل الذين كان لهم شرف اشعال نيران ثورة ٣٠ حزيران ١٩٢٠.

وكان واسطة العقد بين هؤلاء الشيوخ ومنهم شيوخ واعيان قبائل آل فتلة وعلى رأسهم الشيخ عبد الواحد الحاج سكر والحاج عباس آل لهوف.. والد المقدم المتقاعد مدلول عباس آل لهوف، وبقيت هذه العلاقات تنمو وتزداد قوة، فظهرت اثارها في مختلف الانتفاضات التي تمت في خلال الفترة الكائنة بين سنتي ١٩٣٠ و ١٩٤١ م كما هو معروف لدى الخاص والعام.

اما كيف تطورت علاقات قادة الجيش بالساسة المدنيين وبالشعب فذلك ما سنرويه فيما يلي خدمة للحقيقة والتاريخ.

عزل اليساريين وتكتلهم:

عندما تألف حزب الاخاء الوطني بقيادة السادة ياسين الهاشمي، ورشيد عالي الكيلاني، وياسين الخضيري وغيرهم، استقال السيد علي جودت الايوبي من الوزارة السعيدية الاولى في الحادي عشر من شهر ايلول ١٩٣٠، وانضم إلى الحزب الجديد الذي افتتح نشاطه السياسي رسميا في الخامس من شهر تشرين الأول ١٩٣٠.

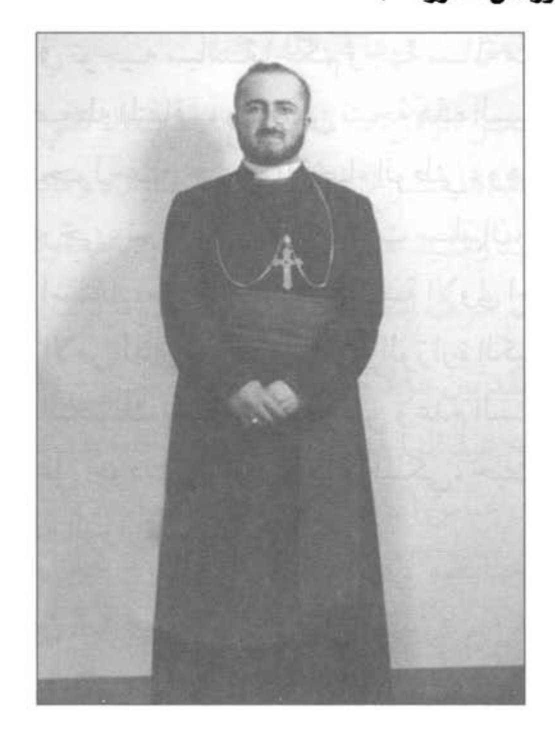
وكانت باكورة اعمال الحزب تأليف وزارة جديدة خلفا للوزارة السعيدية الاولى، وبناء على طلب كتلة من الضباط الوطنية والمتضامنين معهم من شيوخ القبائل والمثقفين من محامين واطباء وصحفيين، عمدت وزارة الكيلاني المؤلفة من قادة حزب الإخاء الوطني وحدهم إلى حل المجلس النيابي القديم واجراء انتخابات جديدة لتتمكن بهذه الواسطة من ايجاد مجلس نيابي نظيف من العناصر التي لا تمثل اماني الشعب الوطنية وآماله الجسام.

ويتعاون معها في توجيه سياسة الحكم وجهة سالمة من شوائب التدخل الاجنبي بعيدا عن ضغطه المتفاقم، وكان من نتيجة هذه السياسة ابتعاد الساسة المعارضين لهذا التحول عن حزب الاخاء الوطني، وهم محمد جعفر ابو التمن، وكامل الجادرجي، ثم انضم إليهم حكمت سليمان، وما فتئ السيد علي جودت الايوبي ان استقال من الوزارة الكيلانية الاولى احتجاجا على عزمها حل المجلس النيابي الامر الذي ادى إلى استقالة الوزارة الكيلانية بسبب اصرار البلاط الملكي على التمسك ببقاء ذلك المجلس وعدم السماح بحله، وخاصة بعد ان عين السيد علي جودت رئيسا للديوان الملكي، حيث حصر كل جهوده في العمل ضد سياسة الوزارة الكيلانية.

مؤامرة الاثوريين:

وبالإضافة إلى ما تقدم افتعال مؤامرة الاثوريين في شمال لواء الموصل وفي قضاء دهوك بالذات. وكان مار شمعون يترأس الآثوريين وهو يقيم في حينه بحي الدواسة بمدينة الموصل حيث كان مفتش شرطة لواء الكابتن سرغون البريطاني المعروف يمد الاثوريين بالأسلحة والمؤن والمال.

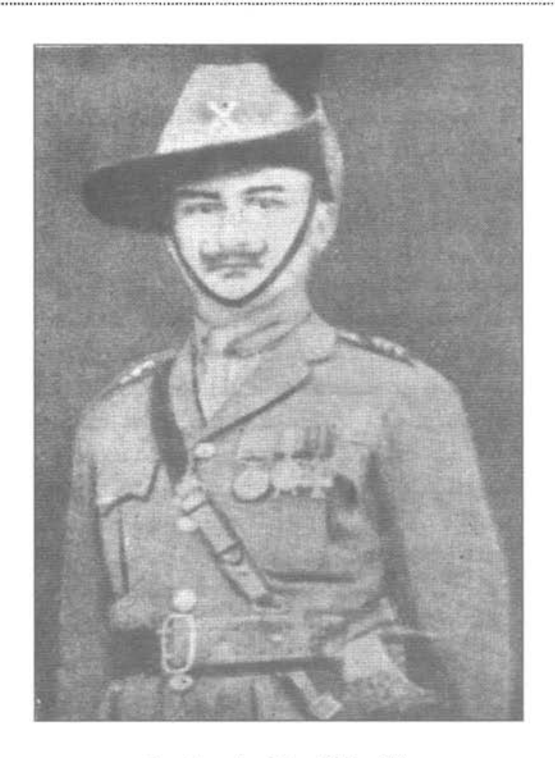
فجهزت الوزارة الكيلانية حملة عسكرية قوية على المتآمرين بقيادة الفريق بكر صدقي في شهر آب (اغسطس) ١٩٣٣ فنكل بهم شر تنكيل وعلى الاخص في (معركةسمويل) الحاسمة التي قضت على المؤامرة قضاءً مبرماً، الأمر الذي استغلته الدعايات والاشاعات الداخلية والخارجية حتى وصلت مختلف الشكايات إلى عصبة الأمم وكان العراق قد ادخل عضوا في تلك العصبة الدولية قبل عام من ذلك التاريخ وكان من نتيجة هذه الشكاوي ظهور ضجة في الاوساط الدولية ضد العراق عامة وضد الفريق بكر صدقي بصورة خاصة، حتى ان ضباط الكتلة الوطنية انفسهم وعلى رأسهم المرحومان صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد احتجوا لدى السيدين رشيد عالي الكيلاني وياسين الهاشمي بواسطة ممثلهم الشهيد يونس السبعاوي على تلك القسوة.كل هذه الأسباب أدت إلى استقالة الوزارة الكيلانية الأولى...



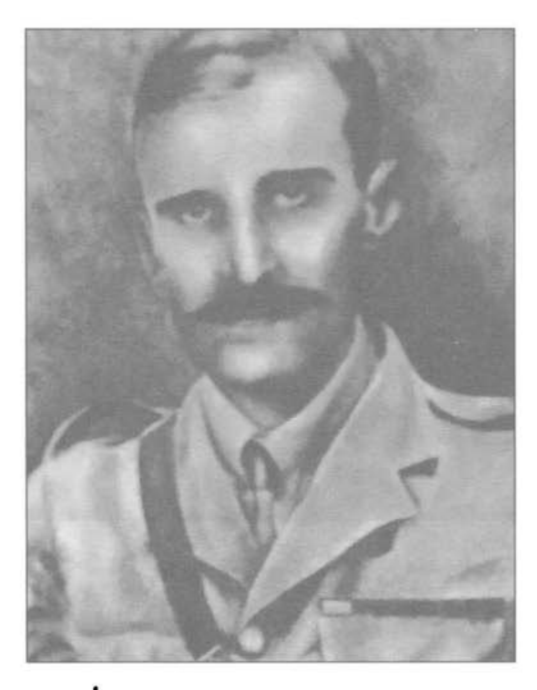
المطران مار شمعون



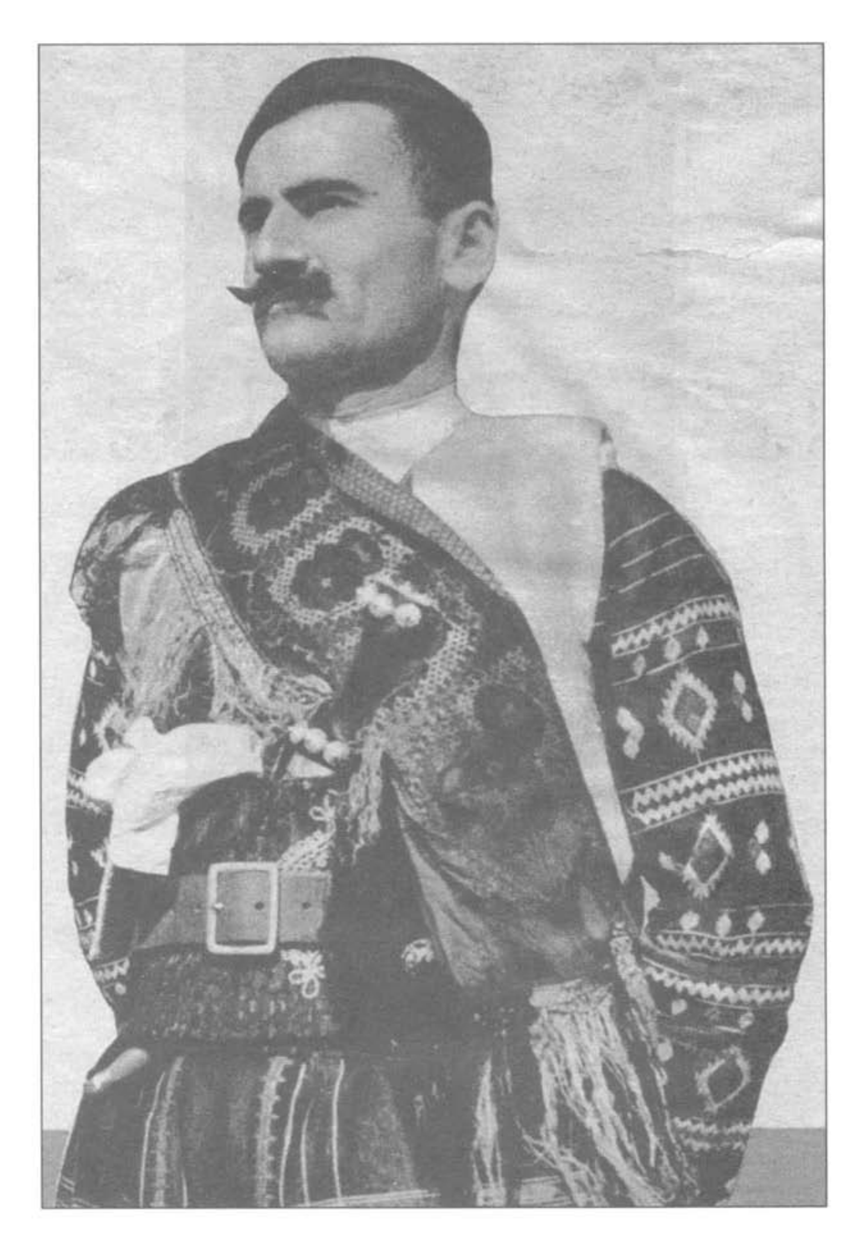
السيدة نيرما خانم عمة المار شمعون و صاحبة الكلمة العليا



ملك ياقو ملك اسماعيل



ملك خوشابا يوسف رئيس تياري سُفلى



زي احد رجال الاشوريين

ثورة القبائل الثانية

اول حركة لكتلة الضباط:

ان اسقاط الوزارة الكيلانية الاولى، والإتيان بالسيد علي جودت الأيوبي ليخلفها على دست الحكم في يوم ٢٧ آب ١٩٣٤ لم يفت في عضد قادة حزب الإخاء الوطني وانصاره من قادة كتلة الضباط الوطنية والمحامين والصحفيين في طليعتهم شيوخ القبائل في الفرات الأوسط كما ان اكثرية مجلس الأعيان (الشيوخ) تقف إلى جانب حزب الإخاء الوطني وتؤيده في سياسته السائرة على نهج وطني صحيح فقويت شوكة المعارضة ضد وزارة علي جودت الأيوبي.

على ان المعارضة لتلك الوزارة لم تتفاقم لتأخذ دورا تنفيذيا فعالاً الا عندما قررت وزارة السيد علي جودت بدورها على الإقدام بحل المجلس النيابي الذي كان السبب المباشر في استقالته من الوزارة الكيلانية الأولى وانسحابه من عضوية حزب الإخاء الوطني احتجاجا على قرار تلك الوزارة حل ذلك الحزب، وكان من الطبيعي والحالة هذه تثور ثائرة كتلة الضباط الوطنية على هذا الدجل السياسي وتقف صفا واحدا متراصا ضد تدخل الجيش لضرب ابناء قبائل الفرات الأوسط المسلحة الثائرة ضد حكم علي جودت الايوبي.. وخاصة بعد ان اصدرت هذه الوزارة امرا صريحا إلى قيادة الجيش لسوق قوات كافية لسحق القبائل الثائرة بسرعة وبقسوة تفوق القسوة التي استخدمها بكر صدقي في سحق مؤامرة الاثوريين.. وبهذه الحركة المباركة التي قامت بها كتلة الضباط الوطنيين للحيلولة دون سفك دماء ابناء الوطن الواحد وهدرها.. اجل بهذه الحركة ظهرت في

الافق السياسي في بلدنا الحبيب قوة عسكرية ضاربة تستطيع اذا ما احسن توجيهها ان تسير دفة الحكم الوجهة الصحيحة لسياسة البلد لخير العراق الموحد والعرب اجمعين.. بعيدا عن التناحر والاختلافات.

وزارة المدفعي الثالثة:

ولم تكتف كتلة الضباط الوطنية بمنع اصطدام الجيش برجال القبائل التي شقت عصا الطاعة على حكم غير عادل بل افلحت في سعيها السلمي لحمل وزارة علي جودت على الإستقالة بدون سابق انذار.

وقد شاء الملك غازي ازاء تلك الحالة ان ينيط الحكم بالسيد جميل المدفعي فألف وزارته الثالثة املا منه في اتباع سياسة سلمية مع المواطنين وعدم اللجوء إلى استعمال العنف وابعاد الجيش عن استخدام السلاح ضد ابناء الشعب ورأى ان يسلك سياسة تتفق ومصالح الشعب.. ولكن المدفعي جوبه وهو في اول عهده بالحكم بموجة عنيفة من الاضطرابات والقلاقل عندما اصر على استعمال العنف ضد القبائل، غير ان ضباط الكتلة الوطنية ازدادوا الحاحا على المدفعي بلزوم تقديم استقالته، ولم يجد الملك غازي بدا من اعطاء رئيس حزب الإخاء الوطني السيد الهاشمي فرصة جديدة لتأليف وزارته الثانية، لعله يجد مخرجا تنفذ منه المعارضة إلى خلق جو يسود فيه التفاهم والتكاتف والتعاون في العمل لتحقيق مطالب كل الفقراء والأطراف على الصعيد الشعبي العام، ولأول مرة يقف الجيش مع الشعب صفا واحدا حيث عندما اخذ رأي طه الهاشمي بضرب حركة عبد الواحد سكر الذي اتفق عليها مع ياسين ورشيد لأنها تمثل الشعب ومصلحته، وعندما نجحت هذه العملية ومجيء ياسين إلى الحكم لوجود اختلاف بين ياسين وحكمة سليمان حذا حذو ياسين حكمة وابو التمن وحرضوا خوام آل عبد العباس لكي يستلموا الحكم وكما عمل ياسين، ولكن محاولاتهم لم تنجح لعدم وجود مساندة من الشعب ومن الجيش ومن الكتل الأخرى.



جميل بيك المدفعي رئيس وزراء العراق

استمرار التمرد :

ان تأليف الوزارة الهاشمية في ١٧ آذار ١٩٣٥، قد جاء نصرا كبيرا ليس لحزب الإخاء الوطني وضباط الكتلة الوطنية، وانصارهم من محامين وصحفيين وشيوخ القبائل، بل كذلك من للملك غازي الذي كان قد سبق له ان تعاون مع حزب الإخاء الوطني في خلال عمليات تمرد الاثوريين، على ان المعارضة الجديدة التي تألفت من رجالات الوزارتين السابقتين- الايوبية والمدفعية - قد حركت من يواليها من شيوخ العشائر الاخرى على احداث القلاقل اذ تعلمت دروسا من الاثارات والاضطرابات وفنون التحريض على التمرد والشغب، وما ساعدها بدورها على معاملة الوزارة الجديدة بالمثل مستفيدة من الخلافات التي دارت بين السيدين حكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني بسبب تمسك كل واحد منهما بلزوم اشغال منصب وزارة الداخلية، ولكن السيد ياسين الهاشمي فضل اعطاء المنصب إلى زميله في الحزب السيد حكمت سليمان بسبب انحيازه إلى الكتلة اليسارية التي تزعمها السادة كامل الجادرجي، ومحمد حديد، وعبد القادر اسماعيل، ومحمد جعفر ابو التمن، وكان نوري السعيد يشجع (سرا) الحركة اليسارية هذه بغية تكثيف المعارضة وتقويتها للتعجيل بزوال الوزارة الهاشمية.

الحركة الموالية للجيش..

يقول المغفور له الشهيد العقيد الركن صلاح الدين الصباغ في مذكراته - فرسان العروبة في العراق (ص٦٦) ما نصه:

ما فتئ نوري (السعيد) وامثاله يختصمون على الباطل ويروجون الخلافات الحزبية الكاذبة بوحي اسيادهم من الانكليز ويزرعون البغضاء في نفوس افراد الشعب حتى اودوا بحياة كثير من الأبرياء من الشعب والجيش، فكان ان ثارت ثائرة عبد الواحد آل سكر ذلك العربي النبيل شيخ عشائر الفتلة، وطلب ان يوضع الحد للمهازل التي يمثلها المتزعمون بقوة الانكليز، واستقالت وزارة

جميل (المدفعي) بعد وزارة (علي جودت)وتسلم ياسين الهاشمي زمام الحكم بتأييد الشعب ومؤازرة الجيش الذي كان اخوه العميد الركن طه الهاشمي على رأسه.

ويضيف الشهيد صلاح الدين الصباغ إلى ما تقدم بقوله :

ويعود الفضل الاكبر في نجاه حركة عبد الواحد (آل سكر) كما جاء في النص، إلى تقرير الفريق عبد اللطيف نوري قائد الفرقة الاولى، كما كان لي يد طولى في ذلك لأني كنت رئيس ركن الرتل المكلف بالقضاء على حركة عبد الواحد سكر وكان قائد الرتل امير اللواء عبد الحميد الشالجي، ومرت العاصفة بسلام وبدون اراقة دماء فكانت الوحيدة من نوعها في عهدي فيصل وغازي. وقد سر بهذه الخاتمة السليمة ضباط الجيش والقائلون بالقومية العربية وكانوا قلة، لأن فيها حقنا لدماء العرب من ابناء الفرات الأبرياء وهم عز العراق وفخره.

القبس الأول لتدخل الجيش:

هذا ما قاله الشهيد صلاح الدين الصباغ عن حركة القبائل لتأييد مطالب الشعب والجيش الباسلين، اما عن اسرار تدخل الجيش بالسياسة لأول مرة تدخلا مباشرا وعلانية وعلى رؤوس الاشهاد، فإننا نذكر ما قاله في هذا الصدد القائد الشهيد صلاح الدين الصباغ في مذكراته آنفة الذكر، وعلى الصفحة ٦٧، قال :

«وكانت حادثة عبد الواحد (آل سكر) هي القبس الأول لفكرة تدخل الجيش في انتقاء الوزارات، لتطهيرها ما أمكن من عملاء السياسة الاستعمارية البريطانية»..

الاتصال بالزعماء المبعدين:

ويشاء ربك ان يكشف الفريق بكر صدقي عن اوراقه بحكمه البلاد بالنار والحديد، الأمر الذي شجع كتلة الضباط الوطنيين على وضع المضي في فساد

ذلـك الحكم الأعـوج.. فعـززوا مراكزهـم في الجيـش، وكلفوا زميلهم السـيد مدلـول عباس بجمع الإعانات المالية لمسـاعدة الزعـماء المبعدين، كما اناطوا امر توزيع هذه الإعانات بالشهيد يونس السبعاوي إلى دمشق وبيروت والقاهرة.

واخـذت صحف الجبهة الشـعبية اليسـارية تصـب في صباح كل يوم سـيلاً عارمـا مـن الشـتائم عـلى رؤوس الزعـماء (المبعديـن) ونسـائهم واولادهـم، فتصديـت لمهاجمة اولئك المهاجمين بشـدة وضراوة بالغتـين، اعتبرها الفريق بكر صدقي موجهة ضده بالذات، وفي صباح العاشر من شهر كانون الثاني ١٩٣٧، كنـت متوجهـا إلى وزارة الداخلية كعادتي في خلال عملي الصحفي فلقيت ثلاثا من اصدقائي الضباط وكانوا من اشد انصار بكر، وهم العقيد محمد علي جواد، واسـماعيل توحلة (عباوي) وصديقي صالح فوزي.. فناداني الضابط محمد علي جـواد قبـل ان نتبادل التحية فقال ما نصه بالحرف الواحد (لقد كلفنا) (الباشـا) باغتيالـك فورا..! ولما كنت صديقا وفيا لنا فقد سـمحنا لك بالسـفر إلى خارج العراق فأنج بنفسـك حالا، وفي هذه اللحظـة لكيلا يكون مصيرك مصير ضياء يونـس من قبل.. وقلت له متبسـما ومتفهما نصيحته: ليس لـدي نقودا ياعقيد: فأخـرج مـن جيبه (دينارا ونصـف دينار واحـد) وهو يردد: هـذا كل ما املك فاذهب في امان الله، وكان صالح فوزي من الضباط الاحرار ومن جماعة صلاح الدين الصباغ، وفهمي سعيد وجمعته الصدف معهما وانه من ابناء صفهم.



المقدم محمد علي جواد أمر القوة الجوية العراقية المشارك بالأنقلاب



العميد (المُشير) طه الهاشمي

رأي السيد طه الهاشمي :

يتضح مما تقدم ان الاوضاع السياسية منذ قيام وزارة حكمت سليمان بعد انقلاب الفريق بكر صدقي قد امعنت بالتردي والتدهور بسبب الحزازات الشخصية، والرغبات الانتقامية وانعدام الرغبة في نفوس محترفي السياسة الذين جيء بهم إلى كراسي السلطة للتجرد من الحقد وضمان العدالة لكل فرد ومواطن لتبقى هيبة الحكم سائدة، وتكون الثقة متبادلة على اوسع نطاق بين الشعب والحكومة.

والآن وبعد ان قرأنا ما قاله السيد الحسني آنفا حول الاسباب التي ادت إلى الاستزادة من تدخل الجيش بالسياسة لخير الوطن وحماية حقوق الشعب لتمكينه من الحصول على مستقبل افضل، نعود لنلقي النظرة على نفس هذه الاسباب كما سجلها في مذكراته السيد طه الهاشمي على الصفحة ٢٥٩ قال:

٢٨ نيسان ١٩٣٨ (بغداد)

- جاءني صلاح الدين (الصباغ) وفهمي سعيد وكامل شبيب واكرم مشتاق (بواسطة طالب) ذاكرين أنّ الملك يميل إلى مجيء نوري السعيد إلى الحكم، وهما يسعيان لذلك ولما اجتمع فهمي سعيد بسامي شوكت اكد له الخبر وطلبوا الي ان ابدي رأيي، وقلت لهم فكروا في القضية لعل فيها بعض الدس.. اذ اني لا اثق بالأمير حسين (ابن الشريف ناصر خال الملك غازي) اما اكرم فلست من مُصدقٍ له.. ومع ذلك قد يكون بعض العقلاء اشاروا على الملك ليحسن سلوكه، وانذروه بسوء العاقبة ان هو استمر على هذه السياسة الخرقاء فأراد الملك ان يهيئ له مخرجا، فاذا كان الخبر صحيح فهذه فرصة حسنة، اذ ان الاصلاح يتم بدون حركة غير اعتيادية، اما يونس السبعاوي فيقول ان امين العمري يود تأليف وزارة وفيها مصطفى العمري ومولود مخلص للدفاع، وعلي محمود للعدلية وانا معهم، فيدخل يونس (السبعاوي) أيضاً.

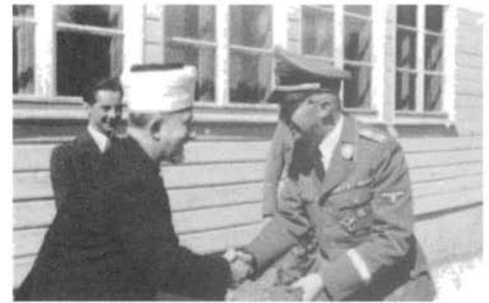
الحاج امين الحسيني في بغداد..

ماهي علاقته بقادة الجيش العراقي.. وبحركة ٢ مايس ١٩٤١..؟!

وصول المفتي إلى بغداد..

في صباح يوم ١٦ تشرين الأول ١٩٣٩، وصل بغداد الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين قادما من لبنان.. ولم يكن هذا وصوله مفاجأة لقادة الجيش العراقي، ذلك لأنّ رسل المفتي كانوا قد سبقوا وصوله إلى العاصمة العراقية حيث اتصلوا بأصدقائه القدامى وعلى رأسهم الشهداء صلاح الدين الصباغ، ومحمود سلمان، وفهمي سعيد، .. وجاء المفتي تحف به نخبة من زعماء سوريا وفلسطين كالسادة امين التميمي، واكرم زعيتر، وسليم عبد الرحمن، وعز الدين الشوا، وعادل العظمة، وبناء على نصيحة القادة الشهداء ذهب المفتي إلى البلاط الملكي حيث استقبله السيد رشيد عالي الكيلاني رئيس الديوان ن فسجل اسمه في دفتر التشريفات، الأمر الذي اكره الحكومة على قبوله ضيفا، ونقل من فندق (زيا) الى دار خاصة في شارع الزهاوي.





الفوهرر أدولف هتلر

يستقبل في مكتبه الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين



الحاج أمين الحسيني في لقاء مع الأمير فيصل أبن عبد العزيز آل سعود

القادة يؤيدون الكيلاني:

لم يـر نوري السـعيد بدا من سـحب القـادة ثقتهم منه، ان يقدم اسـتقالته من الوزارة، ولكن (الوصي) رفض قبول الاستقالة وانقطع عن الدوام في البلاط.

وراحت الاشـاعات تفعـل مفعولها في البلاد، وطفق دعـاة الانكليز يزيدون في اشـعال نيران الدسائس واختلاق الاكاذيب والأقاويل ضد الرئيس الكيلاني ووزارته.

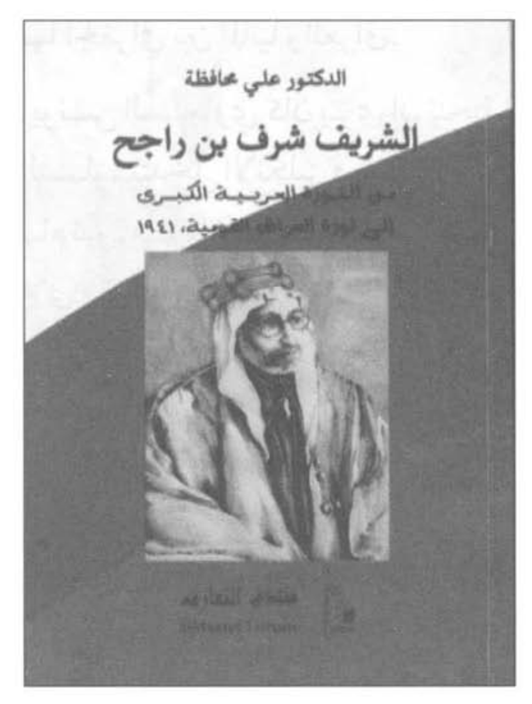
وكان من رأي الشهيد صلاح الدين الصباغ معالجة الموقف بالحكمة والتروي اذ ان أي مجابهة بين الجيش العراقي والانكليز قد تؤدي إلى ركوب متن الشطط.. وعـدم التسرع في التصادم مع الانكليز قبل ان ينجلي موقـف تركيا من بريطانيا في تلـك الحـروب الطاحنة، وفي مقـدرة تركيا عرقلة النجـدات والمعونة الحربية

الالمانية بحكم موقعها الجغرافي بين المانيا والعراق.

غير ان الشهيد يونس السبعاوي كان يرى ان تنحية الكيلاني من رئاسة الوزارة كان معناه التسليم بتدخل الانكليز في اسقاط الوزارات وتأليفها كما كانوا يفعلون في ايام نفوذهم في العراق، وان من اهم واجبات قادة الجيش التأييد الكامل للكيلاني وضمان بقائه على دست الحكم.



رشيد عالي الكيلاني





الشريف شرف أبن راجح

كيف بدأ التدخل الأمريكي في العراق
وشؤون الشرق العربي
صمود قادة الجيش بوجه الانكليز

تاريخ ما أهمله التأريخ:

إنّ اهم ما يلفت النظر عندما يسجل المؤرخ في العراق والبلاد العربية الأخرى، هذا المؤرخ لا يتقيد بسرد سلسلة الأحداث سردا متتاليا بالتعاقب والترادف، اذ نراهم يقفزون من فترة متقدمة إلى فترات سابقة، متناسين تشابك الأحداث والتطورات، وشدة ارتباط هذا التسلسل بعضه ببعض، ومن اجل ذلك فإننا نفقد حلقة الاتصال بين هاتيك الأحداث، فنكره على ان نجعل من انفسنا (علماء الغيب..) ونجتهد في تفسير الحوادث كيفما اتفق وتبعا لأهوائنا ورغباتنا بالنسبة لعلاقتنا الشخصية بأولئك الرجال الذين كان لهم شرف صنع التأريخ، والمساهمة في - محاولة - حفظ استقلالنا وسيادتنا الوطنية والقومية.

ومن اجل ذلك فأن الاخوان الذين عاصروا تطورات تأريخنا منذ فجر ثورة ١٩٢٠ المباركة ضد الانكليز، لم يشاءوا ذكر أي تدخل اجنبي آخر. بل حصروا جل همهم مقارعة الانكليز والتفنن في مناقشتهم الحساب وحدهم...وبما ان للتاريخ العراقي المعاصر الذي كان ولا يزال الموجه والمحور الأول للسياسة العربية، سواء في داخل العراق ام في خارجه، باعتباره البلد العربي الأول الذي احرز قصب السبق في انتزاع الاستقلال من الاستعمار واخذه بحد السيف من الانكليز وحلفائهم من الساسة المحترفين.. اجل ان للتاريخ العراقي المعاصر علينا دينا وأي دين، وهو يحتم علينا ان نفي التاريخ هذا - دينه - وان نأتي على ذكر ما اهمله التأريخ.

الإنكليز يستهينون بالمعاهدة ويهاجمون الجيش العراقي... الشعب والجيش يستميتان بالدفاع عن شرف الوطن الموقف في العراق والالمان...

رفضت الحكومة البريطانية التسليم بما جاء في الكتاب الأبيض العراقي، ووضعت في آذان وزارئها وقرا. واصر المستر تشرشل على ما جاء في برقيته التي نشرنا فحواها فيما تقدم، فقد كان يميل إلى استعمال العنف قبل ان يقوم قادة الجيش العراقي باستعمال حقهم في الدفاع عن استقلال العراق وسيادته وهو في عقر داره، ولكن الحكومة العراقية نزولا عند رغبة - برلين - قررت التريث وعدم التسرع في مناصبة بريطانيا العداء المسلح، والانتظار اطول مدة تمكنها لكسب الوقت، إلى ان تكمل القوات الالمانية المسلحة تنفيذ خططها الحربية في جزيرة كريت، لتقوم بعدئذ بإنزال قوات اخرى مظلية وبرمائية على الاراضي السورية، لتستعملها جسرا بريا وجويا عبر سوريا إلى وادي الرافدين، وكنت اذيع في كل يوم من اذاعة برلين العربية وبصراحة و (بالشيفرة) التي كان يحل رموزها في دار السيد رشيد عالي الكيلاني في الصليخ السادة جزمي سليمان، ونجم الدين السهرودي، ومبدر الكيلاني، وهي تتضمن نصائح وارشادات لمعالجة الموقف، ومراوغة الانكليز، وعدم التسرع في المجابهة إلى ان تحين الفرصة المناسبة السانحة التي ستحدد موعدها رئاسة اركان الحرب الالمانية العليا.

المانيا فوجئت بالحرب في العراق:

إنّ حكومة الرايخ الألمانية على ما كان يتقوله المتقولون كانت في طليعة الدول الأوربية التي اعارت الأمة العربية الممثلة بالدولة العراقية الاهتمام الأكبر، واعظم دليل على صحة ما اقول: ان اول اذاعة اجنبية (غير المانية) أسست بأمر هتلر في برلين، هي الإذاعة العربية. ولم تؤسس الإذاعة باللغات الانكليزية

والفرنسية والروسية إلاّ بعد ستة اشهر مضت على تأسيس الإذاعة العربية.

وفي الواقع فإنّ الحكومة العراقية لم تكن البادئة بالاتصال بألمانيا في ذلك الوقت، بل ان المانيا نفسها بواسطة سفيرها في بغداد الدكتور ف. غروبا (بتأثير مباشر من المؤلف) كانت البادئة بعرض مساعداتها المادية والعسكرية على الحكومة العراقية، ودليل ثان يبرهن بل يدعم الدليل الأول، هو ان الوفد العراقي الذي اوفدته الحكومة العراقية إلى تركيا في يوم ٢١ حزيران ١٩٤٠، للوقوف على رأي الحكومة التركية وموقفها من سوريا بعد انهيار المقاومة الفرنسية فيها وكان الوفد مؤلفا من وزير الخارجية نوري السعيد والسيد ناجي شوكت وزير العدلية.

وفي انقرة اتصل سفير هنغاريا فيها السيد مارياشي بالسيد ناجي شوكت واخبره بأن الهر فون بابن سفير المانيا كلفه الاتصال بوزير الخارجية العراقية راجيا الاجتماع به في داره (السفير الهنغاري) فرفض نوري السعيد رفضا باتا. وأردف نوري قائلا للوزير الهنغاري - انه لا يستطيع يجتمع بأحد من اعداء الانكليز لانهم (أي الانكليز) حلفاء العرب.

واضاف السفير الهنغاري إلى ما تقدم قوله: اما وقد تعذر اتصال الهر فون بابن بوزير الخارجية العراقي، فقد طلب إليّ ان اتوسط للاجتماع بوزير العدلية العراقي، وتم الاجتماع بالفعل في دار السفير الهنغاري.

ولما عاد السيد ناجي شوكت إلى بغداد، كلف الوزير العراقي المفوض في انقرة، السيد كامل الكيلاني (شقيق السيد رشيد عالي الكيلاني) متابعة نتائج مفاوضات السفير الألماني مع حكومته ببرلين وموافاة رئيس الحكومة العراقية بتلك النتائج مباشرة - بدون الاتصال بوزارة الخارجية ببغداد.

العراق حليف المانيا الطبيعي
تعليمات هتلر الخاصة بالعرب

وبعد ان ابرق السيد ناجي شوكت بهذه الشروط إلى بغداد حاثا حكومته على قبولها وعدم اضاعة الفرصة السانحة، استقبل القائم بأعمال السفارة الألمانية في بناية المفوضية العراقية في انقرة وبحث معه موضوع المساعدة العسكرية التي يحتاجها العراق ثم ارسل إلى بغداد البرقية التالية التي نصها انقرة ١٢-١٩٤١ قابلني القائم بأعمال السفارة الألمانية في انقرة وابلغني ما يأتي:

- ان الطائرات الالمانية ستقصف القواعد البريطانية في العراق خلال ايام قلائل. وقال أيضاً.:

- اذا تمكن الجيش العراقي من المقاومة مدة اسبوعين ستصلكم الأسلحة، ولم يبين مقدارها وطريق الايصال، اخبرناه عن توسط تركيا واحتمال الصلح بين الطرفين.

اجاب ان الحكومة الالمانية لا تريد الضغط على العراق، وللعراق ان يقرر ما يشاء، يظهر ان الالمان لا يرون مانعا في التفاهم بين الطرفين. ارجو ان تبتوا بأمر التوسط حالا. ان اقتراحات وزير خارجية تركية كلٌ لا يتجزأ.

مصلحة العراق تقضي بقبول الاقتراح، ابرقوا الجواب فورا.

ناجي شوكت

اللجنة العربية العليا:

على اثر القاء فرنسا السلاح امام الجيوش الالمانية وعقد الهدنة معها، اخذ (الزعيم الفوهرر) هتلر يفكر جديا بأمر البلاد العربية بشقيها (المغرب العربي والمشرق العربي) بغية تنظيم العلاقات، وتنفيذ خطة التعاون المباشر بينها وبين المانيا التي اصبحت بعد تقلص النفوذ الفرنسي، وضعف السيطرة البريطانية. أمر هتلر بتأليف لجنة عربية عليا في برلين تأخذ على عاتقها تنفيذ هذه المهمة فتألفت على الوجه التالي:

- السفير بروفر رئيساً.
- السفير ران نائبا للرئيس.
- أمين سر الدولة مدير عام السياسة الخارجية الهر فورمان نائبا للرئيس.
- معاون أمين سر الدولة الهر كيسينكر - مستشار المانيا الغربية الحالي - مستشارا.
- مدير القسم الشرقي والعربي السفير فريتز غروبا مديرا
- مدير القسم العربي في الجيش الرائد فون شتولزة مستشارا
- مدير الصحافة العربية الهر شتيفن - سفير المانيا الحالي في اليمن - مقررا.
- مدير الاذاعة العربية يونس بحري مستشارا تنفيذيا.

تعليمات هتلر السرية عن العراق والعرب:

وبعد ان درست اللجنة العربية - الالمانية جيدا مقدمات سياسة موسيليني العدوانية في البلاد العربية ونتائجها الوخيمة على المحور وقدمناها إلى هتلر، اصدر (الفوهور) في الثالث والعشرين من شهر ايار ١٩٤١ التعليمات الرسمية (السرية) التالية:

مقر القيادة الالمانية العليا. تعليمات هتلر رقم ٣٠ - الشرق الأوسط

«ان حركـة حريـة العرب في الشرق الأوسـط (حركة ٢ مايـس ١٩٤١) هي حليفتنا الطبيعية ضد بريطانيا. وبهذه المناسبة فإنّ قيام الثورة في العراق له اهميته الخاصـة. ان ثورة مـن هذا القبيل سـتمتد عبر الحدود العراقيـة لتقوي الجيوش المعادية (للحلفاء..؟) في الشرق الأوسط فتقطع خطوات المواصلات البريطانية، وتغل ايدي القوات البريطانية وطاقة الشحن البري والبحري الانكليزي. فتضر في سـاحات الحرب الأخرى. ولهاذ السـبب قرر (هتلر) دعم وتوسيع الحركات (الثورية) في الشرق الأدنى، وذلك بمد يد المسـاعدة (الفورية) للعراق (الثائر) اما الامكانية والشكل الذي يتم به تحطيم وضع الانكليز بصورة نهائية بين البحر الأبيض المتوسـط وخليج فارس (العربي) عطفا عـلى هجوم بريطانيا فذلك امر لا يزال بيد الإله.

هذه هي تعليمات هتلر كما تسـلمناها، وقد نشرها المسـتر ونسـتون وتشرشل بدورة في مذكراته - ذي سيكوندورلدوور - الحرب العالمية الثانية على (الصفحة ٢٣٤).

المساعدة الألمانية:

يقول السـيد ناجي شـوكت وزير العدلية العراقي في تقريره إلى مجلس الدفاع العراقي الأعلى ما نصه:

اجتمعـت (في يـوم ١٥ ايار ١٩٤١) بالسـفير الالماني فون بابـن في المفوضية العراقيـة في انقرة طويلا حيـث تذاكرنا في الموقف الـدولي، وفي الوضع العام في العـراق، وفيما تسـتطيع حكومة الرايخ (الالمانية) ان تسـديه للعـراق في حركته التحرريـة، وفي ثباتـه امام دولـة تفوقه عدة وعـددا، وقد صرح السـفير الالماني انـه قابـل الفوهور قبيـل مغادرتـه برلين فوجده على اسـتعداد لمسـاعدة العراق بـكل مـا يمكن، كما صرح لي ان المانيا اتفقت مع فرنسـا (فيـشي) على إمرار هذه المسـاعدات عبر الأراضي السـورية (ولبنان) وانه (فون باين) سيقنع السلطات

التركية بالسماح لمرور مثل هذه المساعدات عبر اراضيها.

وأنّ فون بابن سيرجو وزارة الخارجية التركية ان تبلغ السفير البريطاني في انقرة لحمل حكومته على التفاهم مع العراق (مؤقتا) كما اوصاني فون بابن ان ألح على الحكومة العراقية بأن لا تقطع حبل المفاوضات مع الانكليز.. لأن المساعدة الألمانية لن تصل إلى العراق قبل مرور اسبوعين.

خيانة وطنية:

اما الشهيد صلاح الدين الصباغ فقد صرح في خلال مناقشته مع السيد رشيد عالي الكيلاني بقوله:

- أنّ قبول شروط الوساطة يعتبر خيانة وطنية..!

وكان لابد من ارسال البرقية التالية إلى وزير الدفاع العراقي في انقرة:

- لتعلق الموضوع بالجيش فهو تحت الدرس بوزارة الدفاع.

رأي الكيلاني:

هذا وقد جاء في كتاب (حركة رشيد عالي الكيلاني) لمؤلفه السيد عثمان كمال حداد على الصفحة ١٢٠ حول هذا الموضوع مانصه بالحرف الواحد:

وحصلت مشادة كلامية عنيفة بين رشيد بك والقائد صلاح الدين، وكانت نظرية هذا الأخير، ان الألمان اكتسحوا اليونان واخذوا يتقدمون في الجزر الجنوبية كريت وغيرها.. وانهم لا محالة سينزلون قوات مهمة في سوريا، وانه يجب الصبر والثبات ورفض مفاوضة الانكليز وإلاّ فإننا نخسر الجانبين.. اما رشيد بك فقال: انا لست بالرجل العسكري، ولكن خمسة عشر يوما مضت على الحركات وانتم تهددونني كل يوم بالتسليم...!

ثم اننا اتفقنا على سياسة معينة، ولم نعد المانيا بالحرب إلى جانبها، وهذه فرصة مناسبة للعودة إلى ما اتفقنا عليه من سياسة الحياد التام ومفاوضة الحكومة

البريطانيـة، والاعتراف بحكومتنا كحكومة البلاد الشرعية.. وأصرّ رشـيد بك عـلى موقفـه، وغضـب القائد صـلاح الدين الصبـاغ واخرج في حركـة عصبية مسدسـه، فحال دونه السـيد السـبعاوي، وفهمت ان البرقية مزقت، وان رشيد بـك مصر على الاسـتقالة، وماهي إلاّ سـاعة حتى هرع القـواد جميعهم لاجتماع عقـدوه ودعوا إليه سـماحة المفتي ورجوه اسـترضاء رشـيد بـك، وكانت مهمة شـاقة حاول فيهـا المفتي اقناعهـم بقبـول شروط تركية فأعتـذر القائد (صلاح الدين) عما بدر منه وقال:

يجـب ان لا نسرع في عقد الصلح مع الانكليز فهم البادئون بالعدوان.. ومن الـضروري ان نسـتمر في المقاومـة شـهرين او ثلاثة اشـهر لنرى ما يسـتجد من الأمور، وما سـيؤول إليه الهجوم الألماني العتيد في (جزيرة) كريت، فأني أرى ان الألمان لن يتخلوا عن احتلال سوريا والتقدم منها نحونا، وربما تخضع تركيا لهم وتتغير الأحوال..

هذا وقد اسـتوضحت شـخصيا من السيد رشـيد عالي الكيلاني نفسه عندما وصـل برلين عن هذا الموضوع بالذات فأكد لي بأن المفتي الحاج أمين الحسـيني، هو الذي اوغر صدور قادة الجيش العراقي واخبرهم بأن قبول الوساطة التركية للصلـح مـع بريطانيا يعتبر – خيانـة وطنية – وان العقيد صـلاح الدين الصباغ تبنى عبارة المفتي تلك...!



الملازم الاول صلاح الدين علي الصباغ

العراقيون في ألمانيا... كيف بدأت إتصالاتنا بهتلر...؟

القادة الأحرار وألمانيا... علاقات قديمة ووثيقة...

يسرني ان انتهز فرصة اصداري لمؤلفي هذا (الحرب العراقية – البريطانية) ان اكشف عن اسرار لها علاقة وثقى ومباشرة مع تطورات هذه الحرب واسبابها ونتائجها.. فلقد كنا نحن العراقيين في ألمانيا بصورة خاصة المحور المركز والبارز في تطوير وتنمية الصلات بين العرب وألمانيا.

وفي الواقع ان تاريخ هذه العلاقة يعود إلى سنة ١٩١٦ بالتحديد، فعندما كنتُ في الكلية العسكرية (الحربية) في استنبول (الاستانة) في ذلك التاريخ تعرفت بالدكتور فريتس غروبا (الملازم الثاني الألماني) وكان مرافقا للجنرال ليمان فون ساندرس رئيس البعثة العسكرية الألمانية الإستشارية للجيش العثماني. وكان غروبا يجيد اللغتين التركية والفارسية، وفي سنة ١٩١٧، عرفته على المرحومين القائدين صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان الجنابي، وكذلك على القائد الثائر فوزي القاووجي. واستمرت هذه العلاقة الفردية تتسع حلقاتها ويتكاثر اشخاصها.

ولما زرت ميونيخ عاصمة بافاريا في سنة ١٩٢٤ اثناء قيامي برحلتي حول العالم بإسم (السائح العراقي) تعرفتُ على الهر ادولف هتلر رئيس الحزب العمالي الوطني الإشتراكي الألماني في مشرب (بورغر بروي كيلر) الشهير الذي كان يتخذه في حينه مركزا لنشاط حزبه، وتوثقت عرى الصداقة فيما بيننا حتى انه ما كان يعقد اجتماعات (نورينبيرغ) السنوية الا ويدعوني إليها فألقي فيها الخطب والمحاضرات عن العراق والبلاد العربية الاسلامية.

هتلر وغوبلز وعراق العرب:

وهكذا اخذ هتلر فكرة عميقة الجذور عن العرب من وجهة نظر عراقية، أي بواسطة ما تمكنت من شرحه له (حديثا وكتابة) فاستطاع ان يستوعب الشيء الكثير عن ماضينا وحاضرنا، وكنت كلما حضرت إلى ميونخ كان يوعز إلى مدير

دعايـة حزبه الدكتور جوزيـف غوبلز لمرافقتي طول مدة بقائـي هناك، ولما كان غوبلـز (دكتـوراه في اللاهوت) أي ان دراسـته كانت محصـورة في علم الأديان المنزلـة الثـلاث (اليهوديـة والنصرانية والاسـلامية) فقد اسـتطاع ان يزداد علما بأمور العراق والعرب.

وان يركز دعايته على اسـس مسـتمدة من روح عراقية عربية إسـلامية، وقد ظهـرت بوادر هـذه الحقيقة عندما نشر هتلر كتابـه كفاحي (ماين كامف) حيث صنف الأجناس البشرية إلى آريين.. وغير آريين.



الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ الثالث في صورة مع أسرته



الفوهرر هتلر وإلى جانبه وزير دعايته غوبلز في إحدى الأستعراضات

العرب في كتاب كفاحي:

يخطئ من يزعم بأن هتلر قد وضع العرب في كتابه كفاحي في الدرجة (الرابعة عشر؟) ذلك لأن الطبعة الاولى من ذلك الكتاب قد جاء فيها ان العرب هم من الاقوام السامية التي تكون بالدرجة الاولى من هذا العنصر بعد العنصر الآري (هندو - جرمان) وان السومريين في العراق هم من العنصر الآري (هندو - جرمان) لأنهم انحدروا من اعالي جبال فارس إلى سهول الفرات الاوسط فأقاموا الأبراج الشاهقة في العلو في مختلف انحاء العراق واطلقوا عليها اسم (زاقورة) وجمعها (زاقورات) ومنها برج (بابل) بحدائقه المعلقة التي كانت إحدى العجائب السبع في الكرة الارضية.

أمّا كيف صار العرب من ابناء (الدرجة الرابعة عشر) في كتاب كفاحي في الطبعات التي تلت الطبعة الأولى، فإنّ دور النشر اليهودية في ألمانيا وبقية البلاد الاوربية، قد تعمدت في حينه ولا تزال حتى يومنا هذا وضع العرب في تلك الدرجة..؟ في حين ان من يقرأ ترجمتي لذلك الكتاب وترجمة الشهيد المرحوم يونس السبعاوي له يجد ان العرب هم من ابناء الدرجة الاولى من الاقوام السامية التي وضعها هتلر في الدرجة الرابعة من تسلسل القوميات العالمية.. أي ان الآريين في (الدرجة الاولى) ثم الاغريق في (الدرجة الثانية) ثم اللاتيني ينفي(الدرجة الثالثة). وقد وضع هتلر العنصر السلافي في الدرجة الخامسة بعد العرب ؟؟.



صورة كتاب كفاحي

حقائق عن العلاقات العراقية - الالمانية:

عندما تسلم الملك غازي الحكم بعد وفاة والده فيصل، كان ادولف هتلر قد تسنم منصب الزعامة المطلقة لألمانيا واصبح من كرسي (المستشارية) أي رئاسة الحكومة قاب قوسين او ادنى.. وكنت قد اقنعت الملك غازي في ذلك الوقت بلزوم التعاون مع ألمانيا الجديدة لتزويد الجيش العراقي الباسل بالأسلحة واستكمال اسباب نقصه من مختلف الاشياء التي كان بأمس الحاجة إليها.

وعلى الأخص بعد الانتصار على (التيارية) الآثوريين.. وبعد ان تسلم هتلر مقاليد الحكم من المريشال هندنبورغ بفضل مساعي الهر فون بابن الذي كان آخر مستشار ألماني للجمهورية الثالثة.في ٣١ كانون الثاني ١٩٣٣ أوفدني الملك غازي إلى برلين لتقديم التهاني بأسم الشعب العراقي واسمه وطلب إلى تبادل التمثيل الديبلوماسي مع اشارة التوصية بتعيين الدكتور فريتز غروبا لمنصب ممثل ألمانيا ببغداد باعتباره من اصدقاء العراقيين القدامى..)



هتلر في صورة نادرة تجمعهُ بأسرة وزير دعايته الدكتور جوزيف غوبلز

إصدار جريدة العقاب ببغداد:

وما ان عدتُ من ألمانيا في مطلع شهر شباط ١٩٣٣ حتى استقر قرارنا على إصدار جريدتي (العقاب) جريدة يومية سياسية مسائية جامعة بالاتفاق مع القادة الشهداء صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وفهمي سعيد ويونس السبعاوي والساسة مزاحم الباجه جي وجميل المدفعي وجمال بابان، وكان السياسيان الأخيران يتوليان الصرف عليها منذ السنة الأولى من أموالهما الخاصة (خلافا لما يزعم اعداء العروبة والاسلام من ان المانيا الهتلرية كانت تصرف على الجريدة.. وتغدق الأموال الطائلة على من يتماشى و سياستها المعادية للإستعمار الغربي..؟)... وفي العاشر من شباط ١٩٣٣ صدر أول عدد من جريدة العقاب..

وفي الواقع فإنّ اختياري اسم العقاب لجريدتي ببغداد، كان تيمنا باسم راية العقاب التي عقد لواءها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأول مرة سيّر فيها جيشا لمقاتلة الكفار. ثم انها تحمل اسما له(معنيان اثنان) العُقاب (بضم العين) والعِقاب (بكسرها)!!.

العراق... والألعاب الأولمبية:

وعندما أقامت ألمانيا الهتلرية الألعاب الأولومبية ببرلين في مطلع شهر تموز ١٩٣٦، أوفدني الشهيد ياسين الهاشمي رئيس الوزراء على رأس وفد صحفي للمساهمة في تغطية اخبار الدورة الأولومبية، وكان العراق الدولة العربية الوحيدة التي اشتركت صحفيا في تلك الدورة، وكنت أراسل جريدتي الأهرام والبلاغ ومجلة السياسة الأسبوعية (القاهريات) وجريدة ألف باء الدمشقية وجريدة النهار البيروتية.

ودعا الدكتور غروبا وزير المانيا المفوض في بغداد جمهرة من رجالات العراق، بأسم حكومته ومنهم السادة الشيخ عجيل الياور رئيس عشائر شمر وتوفيق السويدي ورؤوف الكبيسي والشيخ مطلك السلمان والشيخ عبد الواحد الحاج سكر رئيس عشائر آل فتلة، والشيخ شاهر السلمان رئيس عشائر الجبور والحاج

صالح العلي والسيد علي السيد عواد، والعقيد ابراهيم البكري والعقيد محمود فاضل الجنابي والرئيس الطيار محمود هندي، وقد توليتُ بنفسي الترجمة والمرافقة لهذه الشخصيات العراقية.



صورة عضوين من أعضاء وفد الفتوة العراقي وهما كل من المشرف الرياضي عبد الجبار المصري و المشرف الرياضي شفيق الجليلي في لقاء مع فتاتين ألمانيتين في برلين

حق الجيش في السياسة:

ناقش الشهيد القائد صلاح الدين الصباغ في مذكراته أستاذه المشير طه الهاشمي حول تدخل الجيش في السياسة وذكّره بالاجتماع الذي جرى في داره بالوزيرية يوم ٢١ نيسان ١٩٤١، وحضره القادة زملاؤه الذين أسماهم الإنكليز -المربع الذهبي- واطلقوا على طه الهاشمي أسم تاج هذا المربع، فقال الشهيد لطه الهاشمي:

لماذا لا تصرح بحق الجيش في مناقشة هذه الامور في مجلس الدفاع الاعلى وتقرن ذلك بالأدلة الدامغة فتختم على افواه تلك الاقلية من الاذناب واساطينها الاربع.. فلا تتدخل في امور هي من حقوق الجيش وهم لايعلمون؟ لماذا لاتقول لها ان ما من ملك دستوري او رئيس للجمهورية مثل ليبران (فرانسا) وما من رئيس للحكومة او رئيس للوزارة مثل ديلاديه (فرانسا) يجرأ على اعلان الحرب

ضد المانيا مثلا، وعلى السماح بتحشد الجيوش الاجنبية، مثل تحشد الجيوش البريطانية في فرنسا وبلجيكا او سوق القطعات الجيكية إلى النرويج مثلا الا بموافقة القيادة العسكرية، وهيئة اركانها ورئيس اركانها ؟؟.

لماذا لا تقول لهم ان هتلر وموسليني وتشرشل وروزفلت لا يقومون بمشروع الا بعد ان يشبعه الجيش نقاشا وبحثا، وان الرأي الذي يغلب على قراراتهم كلها هو رأي الجيش حتى في نواحي الاقتصاد والمواصلات والصناعة والزراعة والري والطرق والسكك، تلك هي السياسة التي يعالجها الجيش، ولكن الاذناب تعمدوا المغالطة وشطوا عن هذا.. يريدون بكلمتهم ان يترك الجيش باب الوزارة مفتوحا، فلا بدّ أن يحصرها بزيد.. ويمنعها عن عمرو.

على ان تهافتهم على الكراسي لا يهمنا بالمقابل.. ونحن نرضى بأي واحد منهم ليكون رئيسا للوزارة بشرط ان تراعي الاصول المتبعة عند جميع دول العالم، فلا تبت بقرار يتعلق بالسياسة العسكرية قبل موافقة اربابها، أي مجلس الدفاع الاعلى، وشرط ان لا تتدخل تلك الوزارة في الامور العسكرية البحتة التي هي من اختصاص الجيش وحده، وان لا تعمل على اقصاء خيرة من تبقى من قواد الجيش أو احالتهم على التقاعد، ليخلو لها الجو فلا يوقفها عسكري عند حدها، ولا يمنعها مانع من تلبية رغبات الانكليز ومصالحهم دون الالتفات إلى حقوق الامة أو ذكر نصوص المعاهدة العراقية - الانكليزية.

ان السياسة هي التي ترسم خطط الحركات الحربية دفاعا وهجوما منذ السلم.. وخطط الحركات تشكل في بنودها كل ما يتعلق بالبلاد وسكانها ومرافقها الحيوية وجهودها وثقافتها وانتاجها واقتصادها وعلاقتها مع الدول الأخرى وقوة تلك الدول ونزعتها واطماعها واستعدادها العسكري.

وهكذا فإنّ خطط الحركات لا تترك أمرا من أمور الدول إلاّ وتشبعه بحثا وتمحيصا لأن الحروب العصرية تتطلب جهودا جماعية، تشترك فيها الأمة بمجموعها وتجند كافة قواها وجميع مرافقها (استعداداً للطوارئ ومواجهة المفاجآت).

الشهيد السبعاوي يقاوم:

بعدما غادر القادة والساسة بغداد وصلت اذاعة برلين العربية برقية من السيد رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزراء فتوليت بنفسي إذاعتها مساء يوم ٣٠ مايس ١٩٤١، وهذا نصها:

غادرت الحكومة والقيادة بغداد بعد ان قررنا اعتبارها مدينة مكشوفة الى لواء ديالى لمواصلة القتال، وقد أصدرنا امرا بتعيين معالي السيد يونس السبعاوي وزير الاقتصاد حاكما عسكريا في بغداد وأطرافها وقد خولناه جميع الصلاحيات التي تتطلبها سلامة الشعب وأمن العاصمة.



محمد يونس السبعاوي

رشيد عالي الكيلاني:

وبعد دقائق من إذاعة هذا البيان الرسمي من اذاعتنا برلين التقطنا من إذاعة بغداد باللغتين العربية والألمانية البلاغ الرسمي التالي:

أصدر فخامة رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزراء امرا بتعيين معالي السيد يونس السبعاوي حاكما عسكريا في بغداد واطرافها وقد خوله جميع الصلاحيات

التي تتطلبها سلامة الأهلين، والدفاع عن عاصمة المملكة.

محمد صديق شنشل

مدير الدعاية العام

ووجّه السيد محمد صديق شنشل بعد هذا البلاغ الرسمي نداءً آخر دعا فيه باسم زعيم كتائب الشباب للاجتماع في صبيحة اليوم التالي في مقر وزارة الاقتصاد ببغداد.



صورة يونس السبعاوي

محمد صديق شنشل المحامي
في شبابه سنة ١٩٢٨



الصورة في دار الوجيه الموصلي أحمد بيك الجليلي وهو يقف في الوسط
وعن يساره يونس السبعاوي وعن يمينه صديق الشيخ علي
وصهره سليمان الحاج داوود في الموصل سنة ١٩٢٨

ألمانيا والعراق - ألمانيا فوجئت بحرب العراق
تعليمات هتلر للشرق الأوسط جاءت متأخرة
كيف ألفنا الجيش العربي الحر..؟
فراي ارابيا - في ألمانيا...

متى بدأ الاتصال بين ألمانيا والعراق...؟

كثر القيل والقال حول علاقة قادة الجيش العراقي وقادة الرأي السياسي العراقيين بألمانيا عامة بالحزب النازي الذي يقوده الهر ادولف هتلر، وقد ركزت الدعاية البريطانية منذ ان تسلم هتلر مقاليد الحكم في ألمانيا على اعتبار أنّ أية حركة وطنية في العراق وفي البلاد العربية الأخرى ماهي سوى حركات شجعت ودبرت وتكونت ونفذت - بتأثير الدعاية الألمانية، وان برلين النازية قد مدتها وغذتها بالأموال الطائلة، وبعلم مسبق من قادة الحزب النازي..؟!.

والذي لا يقبل الجدل، وقد كنت العربي - العراقي الأول الذي كانت له علاقة بألمانيا منذ سنة ١٩٢٤ أي منذ ان أعاد هتلر تأليف حزبه الإشتراكي الوطني الألماني، واستبدل إسمه، باسم حزب العمال الوطني الألماني، ان العراقيين الذين تلقوا العلم في ألمانيا منذ مستهل ثلاثينات القرن العشرين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وأنا واحد منهم لم تكن لهم اية علاقة بالحزب النازي لا من بعيد ولا من قريب، بل جُلّ ما هناك ان ألمانيا كانت تعادي في جميع مراحل تطورات الحزب النازي الحاكم أعداء العرب المستعمرين.. سواء كانوا انكليز أم ايطاليين، أم فرنسيين.. وحتى الهولنديين والاسبان والبرتغاليين الذين كانوا يحتلون بلاد اسلامية في آسيا وافريقيا..

ومن اجل ذلك فان هذا الالتقاء بين اولئك الرواد العرب وألمانيا كان نتيجة طبيعية لتعاون واسع الاطراف، بناء على اظهار قادة ألمانيا وعلى رأسهم هتلر

أتم الاستعداد لمساعدة العرب والمسلمين للتخلص من براثن الاستعمار أياً كان نوعه ولونه..

فلسطين محور العلاقات العربية - الالمانية:

كان مستشار الرايخ الألماني يعتبر الحركات اليهودية الدينية والمالية والاجتماعية والفنية والأدبية والسياسية في ألمانيا وفي مختلف انحاء العالم عامة وفي فلسطين خاصة، منذ ان وضع كتابه - كفاحي - في مطلع عام ١٩٢٥، حركات سرية هدامة ترمي إلى تفسخ اخلاق الأمم والبلاد التي يعيشون ويعملون فيها - كشعب الله المختار - للسيطرة على العالم، ولإستعادة - الأرض الموعودة فلسطين - ليستقر فيها - اليهودي التائه في انحاء العالم - ويعيد لليهود بناء هيكل - ملكهم - سليمان في عاصمته المزعومة - اروشليم - بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى، وثالث الحرمين الشريفين.

ولما تبلورت حركة ألمانيا الهتلرية ضد اليهود في ألمانيا، وشملت الدعاية الألمانية عداءها السافر المركز ضد اللاسامية أي اليهودية العالمية، أخذ شباب العرب المتحمسين لنصرة عروبة فلسطين، يشمرون عن ساعد الجد للاتصال ببرلين، فأصبحتُ (ولا فخر) واسطة هذا الاتصال الأول والأوحد.

وبإيمان عميق وصدق وعزيمة لم يعتورها الكلل أو الملل - رغم مصائب الدهر وظلم الحكام المبادين - سرتُ غير هياب ولا وجل في الطرق المستقيمة والملتوية غالبا لتحقيق التعاون العراقي - الألماني اولا، والعربي ثانيا، لأنني وجدت ساسة برلين وقادة الرأي فيها يميلون لجعل بغداد، بالذات قاعدة التعاون، لكونها اصبحت في اول عهد العرب بالاستقلال المحور الذي ترتكز عليه القضية العربية من اقصى المغرب إلى المشرق الادنى.

رواد القضية العربية في برلين:

إنّ للتاريخ العربي عليّ دين وألف دين.. من ناحية تسجيل العلاقات العراقية

-الألمانية، وتطوير هذه العلاقات وتنميتها وتحسينها، والإستزادة من روابطها الوثيقة، وقد عمدت بادئ ذي بدء، ومنذ ان كنا ندرس في الكلية الحربية العثمانية في استنابول سنة ١٩١٦، إلى الاتصال بالقائد الألماني الجنرال ليمان فون ساندرس آمر الكلية الحربية ومستشار الجيش العثماني بواسطة مرافقه ومترجمه الملازم فريتس غروبا الذي كان يجيد اللغتين التركية والفارسية ولما حصل على شهاد الدكتوراه وعين وزيرا مفوضا لألمانيا في سنة ١٩٣٣، تعلم اللغة العربية.

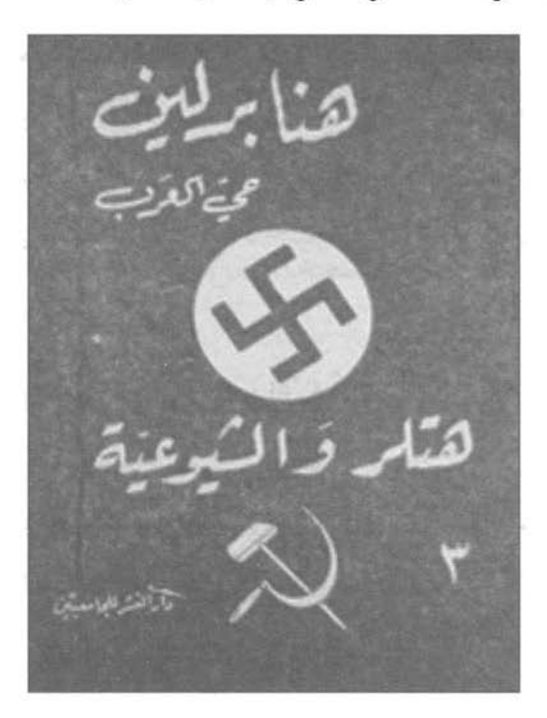
وكان واسطة عقد هذا الاتصال الفريق العزيز علي المصري (باشا) وصديقه المرحوم الأمير شكيب ارسلان (أمير البيان العربي) والشيخ عبد العزيز الثعالبي (زعيم حزب الأحرار التونسي القديم) وكان الشهيد محمود سلمان أكثرنا صلة بالدكتور غروبا في حينه وبالضابط الاحتياطي أمين الحسيني (مفتى فلسطين الحاج امين الحسيني اليوم..).

العلاقات - الرسمية - بين العراق وألمانيا:

اما العلاقات الرسمية بين العراق وألمانيا والعرب، فلم تبدأ إلاّ بعد دخول العراق عضوا في عصبة الأمم المتحدة في جنيف، وخاصة بعد ان توطدت دعائم الحكم في ألمانيا لمستشارها الجديد ادولف هتلر الذي خلف المريشال هندنبورغ في منصب رئاسة حكومة الرايخ الألمانية، ويشاء ربك ان يبرز أسم الدكتور فريتس غروبا في عالم الأحداث العربية عن طريق العراق ففي شهر حزيران ١٩٣٣، اختارت وزارة الخارجية الألمانية هذا الصديق القديم ليكون اول وزير مفوض لها في بغداد عاصمة العرب الأولى..

وكنت قد اصدرت في بغداد في العاشر من شهر شباط ١٩٣٣، اول جريدة يومية مسائية بأسم - العقاب - اثر عودتي من اندونيسيا، التي كنت اصدر فيها مجلة الكويت والعراقي بالاشتراك مع العلامة الشيخ عبد العزيز الرشيد مؤلف كتاب الكويت.. فاستعدت والدكتور فريتس غروبا اواصر الصداقة القديمة وبذلنا مساعي منذ ذلك الحين لتقوية علاقات العرب مع ألمانيا، هو من الطرق

الدبلوماسية وأنا من طرق الدعاية والنشر، واستطيع ان اؤكد بأن الدكتور غروبا طيلة مدة بقائه في بغداد، حتى يوم قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا في يوم ٥ ايلول ١٩٣٩، من قبل الوزارة السعيدية الخامسة، بأن دينارا واحدا لم يصرفه الدكتور غروبا على انسان من اهل العراق، وان جريدة العقاب الرائجة الواسعة الانتشار على الصعيدين المحلي والعربي الدولي لم تكن البتة بحاجة إلى مساعدات او إلى معونات حكومة عراقية.. ولا ألمانية..!!



ألمانيا وقادة الجيش العراقي:

كان من الطبيعي ان يؤدي وجود الدكتور فريتز غروبا وزيرا مفوضا لألمانيا ببغداد على مقربة منا إلى استعادة الصلاة القديمة مع الشهيد العقيد محمود سلمان - زميلنا وزميله في إستامبول خلال الحرب العالمية الأولى كما اسلفنا، فعرفناه ببقية قادة الجيش، وقادة الرأي السياسي في البلد، فتمكن الدكتور غروبا بفرط لباقته الدبلوماسية وتفوقه في العلم والفضل والأدب من ان يلف حوله النخبة الممتازة من رجالات البلد.

ولم تتخـذ العلاقات بـين الوزير الألماني وقادة الجيـش العراقي (الأربعة) أي لـون معـين.. او طابـع خاص.. بـل بقيت علاقـات طبيعية، كعلاقة أي سـفير اجنبي، بقادة أي جيش او قادة رأي سياسي في أي بلد آخر..

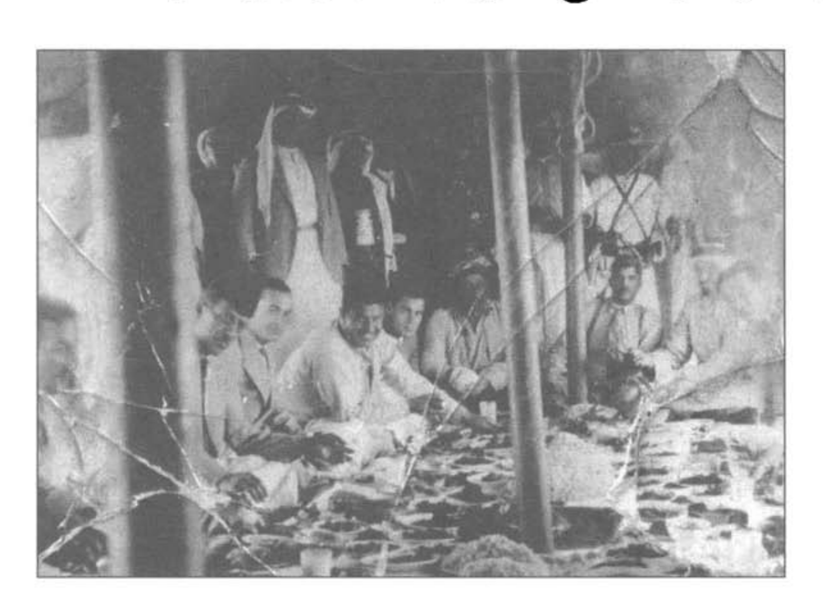
امـا ما قالتـه الدعايات الأجنبية الاسـتعمارية عن علاقـة الفريق بكر صدقي الذي قاد انقلاب سـنة ١٩٣٦، في بغداد بألمانيا، فإنني أجزم بصفة حاسمة، بأن بكـر صدقي لم يتصل لا مـن بعيد ولا من قريب بألمانيـا، وان زوجته الاجنبية لم تكن ألمانية.. بل هي نمسـاوية اختارها بنفسـه من فينا في سنة ١٩٣٥، وجاء بها إلى بغداد.. وكانت النمسـا في ذلك الوقت بعيدة كل البعد عن محور برلين.. بل كانت ضد ذلك المحور بوصف كونها من حلفاءالانكلوسكسون..؟!

متى بدأت علاقاتنا الرسمية مع ألمانيا:

انني اسـتطيع، وانا اسجل تسلسـل هذه الأحداث في هذا السفر المعاصر من تاريـخ العـراق، أن أصرّح بأن العلاقات – التعاونيـة – الوثيقة لم تبدأ بين ألمانيا والعراق بشـكل طبيعي وعلني، ليس في زمن الفريق بكر صدقي.. ولا في عهد السـيد رشـيد عالي الكيلاني..! بل في عهد وزارة السـيد جميل المدفعي – وزارة انسـدال السـتار..!–التي أعقبـت انقـلاب بكر صدقـي. فقد تمكنت شـخصيا مـن اقناع السـيد جميل المدفعي عـلى ضرورة التعاون الفعال مـع ألمانيا، لنتمكن بواسـطتها من تسـليح الجيـش العراقـي بأحدث الأسـلحة الألمانيـة، وتدريب شباب الفتوة العراقية والضباط بواسطة الخبراء الألمان في الفنون الحربية.. وبهذه الوسـيلة تمكنا من إرسـال وفد عراقي من شباب الفتوة وضباط الجيش العراقي إلى ألمانيـا ليسـاهم في مؤتمـر نورينبيرغ الذي يعقد عادة مرة كل عام برئاسـة الهر ادولف هتلر نفسه ؟؟

وقد ترأس هذا الوفد العقيد فاضل محمود سلمان الجنابي والسيد اكرم فهمي مديـر التربيـة البدنية بوزارة المعـارف، ولما اقيمت الألعـاب الأولمبية الدولية في

برلين مثل الجيش العراقي في ذلك المؤتمر العالمي العقيد ابراهيم البكري، والرائد الطيار محمود هندي، ومثل الحكومة السادة توفيق السويدي ورؤوف الكبيسي، ومثل عشائر العراق الشيخ عجيل الياور رئيس قبائل شمر..



يونس بحري في تلبيته دعوة غداء في مدينة عقرة بدعوة من أحد الأغوات الأكرادعلى شرف شيخ مشايخ شمر عجيل الياورسنة ١٩٣٢ ويشاهد في الصورة أبن أخته أحمد الأطراقجي وصاحب الدعوة أحد أغوات الأكراد ومجموعة من الصحافيين المواصلة

تسليح الجيش العراقي:

وفي ذلك العام، أي في سنة ١٩٣٧، وبعد أن عدنا من مؤتمر نورينبيرغ، إستطعتُ أن أقنع قادة الجيش بلزوم تسليح قواتنا من أسواق ألمانيا العسكرية باعتبار كون تلك الأسلحة من أحدث واقوى الاسلحة الفتاكة في العالم، واستقدمتُ من برلين ممثلا لوزارة الدفاع الألمانية المايجور شتيفن (الرائد اركان حرب) للاتفاق على عقد صفقة عسكرية.. فتم التعاقد في عام ١٩٣٨ على شراء اسلحة ألمانية بثمن رمزي وقدره ثلاثة ملايين ونصف المليون دينار عراقي(وهو مبلغ ضخم بالنسبة لذلك الزمن).. ولكن السيد نوري السعيد ما أن علم بهذه

الصفقة، وكان في حينه على صلة وثيقة وقوية مع قادة الجيش (الشهداء الأربعة) حتى سعى بأساليبه الخاصة.. إلى افساد هذه الصفقة.. وحوّل طريق شراء الأسلحة والتجهيزات المطلوبة للجيش العراقي إلى لندن.

وعلى اثر فشل هذه الصفقة مع ألمانيا، عاد المايور شتيفن إلى برلين، ونفض قادة الجيش ايديهم من التعاون نهائيا مع السيد نوري السعيد.. واتجهوا منذ نهاية سنة ١٩٣٨، إلى العمل مع السيد رشيد عالي الكيلاني الذي اصبح في ذلك الوقت رئيسا للديوان الملكي بالنظر لما عرف عنه من طموح إلى الحكم والتمسك بنصوص المواد القانونية والتوجيه الشرعي البعيد عن سفسطة النظم الغوغائية المرتجلة.. وكانت سياسته ترمي إلى تحقيق احترام حقوق العرب في فلسطين، وتسليح الجيش العراقي.

وبناء على ذلك تمكنتُ من حمل حكومة برلين التي كانت تتفهم جيدا هذه المطالب الرئيسية لسياسة العراق، ان تمد الجيش العراقي ببطرية كاملة من المدافع المضادة للطائرات - كانت الأولى من نوعها لدى جيش عربي - قدمتها مع عتاد كثير هدية وبدون أي مقابل.

كما قدّم مستشار الرايخ الألماني ادولف هتلر إذاعة كاملة على الموجة القصيرة وبقوة ١٥٠ كيلو وات هدية إلى الملك غازي نقلتها شخصيا من برلين، ونصبناها في قصر الزهور الملكي، وبدأنا الإذاعة منها ضد الاستعمار بمختلف ألوانه مطالبين بتحرير فلسطين وسوريا ولبنان وليبيا ومصر والسودان والمغرب العربي، ولم نستثني من ذلك أي بلد إسلامي آخر..

ضد بريطانيا:

إنّ الكيلاني وقادة الجيش العراقي ومن كان يناصرهم في اتجاهاتهم الوطنية والإسلامية كانوا يعتقدون بإخلاص وامانة بأن من التفريط بحق العرب والمسلمين في فلسطين وبحق الجيش العراقي في التسليح والحرية في العمل، يستمر العراق على تعاونه مع بريطانيا دون ان تلتزم حكومة لندن بهذه الحقوق

الطبيعية للعرب..!

وبالرغم من هذه الحقائق فإن الكيلاني ورفاقه، وقادة الجيش العراقي واخوانهم في السلاح لم يحبذوا الإرتماء في أحضان قادة الحكم الالماني..! وقد حاولت عبثا ربطهم باتفاق مكتوب، أو معاهدة سرية للتعاون الكامل مع ألمانية بغية استكمال اسباب النقص في تسليح الجيش العراقي من جهة، والحد من ضغط اليهود المتفاقم على العرب في فلسطين العربية.. فقد عمل مفتى فلسطين الحاج امين الحسيني على احباط مساعيي تلك بكل ما اوتي من دهاء وسعة حيلة لإبعاد الكيلاني وقادة الجيش عن طريق التعاقد مع ألمانيا بحجة ان مثل هذا التعاقد قد يثير على العرب موجات الدعايات اليهودية العالمية المتفقة مع التيارات الانكلوسكسونية العاملة بنشاط ضد العرب..!

بعد اندحار فرنسا:

ولما ألقت فرنسا السلاح وعقدت الهدنة مع ألمانيا الهتلرية في ١٧ حزيران ١٩٤٠، أوفدت حكومة برلين لجنة الهدنة، ارفقتها ببعثة عسكرية وعلى رأسها الجنرال فيامي، وقد ايد قولي هذا السيد عبد الرزاق الحسني بكتابه (الأسرار الخفية في حوادث سنة ١٩٤١ التحررية) حيث يقول على الصفحة ٣٩ ما نصه بالحرف الواحد:

وكان الألمان قد اوفدوا احد ضباطهم الكبار في البعثة العسكرية التي ارسلت إلى سوريا ولبنان لتسلم السلاح من ايدي الفرنسيين، فبعث الجنرال الألماني برسالة شخصية إلى العقيد صلاح الدين الصباغ، مع احد الشبان يخبره فيها انه قدم في البعثة المذكورة لا اهتماما بالسلاح الفرنسي، وانما الاتصال به شخصيا.. وان في مقدروه ان يأتي إلى العراق على مسؤوليته الخاصة لهذا الغرض..!

رفض بغداد:

فلما فاتح الصباغ الأستاذ شنشل (محمد صديق) في هذا الموضوع بين له عدم

رغبته في الاتصال بهذا الجنرال، اقترح ان يتصل به احد الشبان المدنيين على حين ان هؤلاء الشبان كانوا ينفرون من الاتصال بالجهات الأجنبية..! وهكذا بقى العقداء واصدقائهم بعيدين عن معرفة وجهة نظر الألمان..!

وكان لعزلة الأوساط السياسية العراقية الأثر الفعال فيما أسلفنا الاشارة إليه من خدمة الظروف للمفتي الحسيني من جهة، ولتحمله تبعة ثقيلة في تصوير موقف الألمان تصويرا ربما اقتنع به شخصيا، أو اقتناع الاخرين به تنفيذا لأغراضه السياسية...

متى طالب العراق بالنجدة...؟!

لم تلبث الأحداث التي مرت بسرعة حتى أدى الأمر إلى التصادم المسلح، بين الجيشين العراقي والبريطاني في فجر اليوم الثاني من شهر ايار (مايس) ١٩٤١، وعندئذ (فقط) بدأت مطالبة المفتي الحسيني، باتخاذ التدابير المقتضية لحمل الألمان على نجدة الجيش العراقي..!!

واذا بهذه النجدة تقتصر على ١٨ طائرة ألمانية و١٢ طائرة ايطالية، واذا بهذه الطائرات تحتاج إلى نوع من البنزين غير متوفر في العراق..! واذا بالألمان يحتجون بأن هذه الحركة قد فوجؤا بها.. وان الفوهور (ادولف هتلر) بقي يتساءل عن إمكانية وقوع الحركة في بادئ الأمر.. واتضح بعد مدة قصيرة بأن الشؤون العسكرية انما يتولاها الجيش الألماني، وان الاتصالات السابقة، كانت تجرى مع الدوائر السياسية الألمانية.. وان القيادة العسكرية الألمانية لا يمكن ان تغير خططها فجأة انصياعا لطلبات ارتجالية..! وان ألمانيا تستهدف إلى توجيه ضربة قاصمة حاسمة – لبريطانيا – وكان ذلك قبل التصادم مع روسيا، فاتضح من هذا ومن غيره ان اتصالات المفتي الحسيني لم تكن قائمة مع القادة الألمان العسكريين.. وان هذه الجهات قد آثرت تنفيذ خططها باحتلال كريت على حين غرة قبل ان تنجد العراق.. فبقى الجيش العراقي يقاتل منفردا حتى كانت النتيجة المعلومة..!!

والـذي لا يقبـل الجـدل ان طلـب العـراق النجدة مـن المانيا لم يتخذ شـكلا رسـميا، بل كانت الاتصالات الشـخصية تجري بيننا وبين بغداد بواسـطة افراد غـير مسـؤولين لم يكونوا يحملـون تفويضا يخولهـم التحدث باسـم الحكومة أو الكيـلاني بطلـب النجدة إلاّ في يوم ٢ مايـس ١٩٤١، في الوقت الذي كانت فيه القوات الألمانية المسـلحة مشغولة بكل ما لديها من حول وطول في خوض غمار المعارك في جزيرة كريت، فلم يتمكن هتلر من مد يد المسـاعدة المطلوبة فورا إلى الجيـش العراقي الذي فوجئ بدوره بالعدوان البريطـاني على قواته المرابطة على مقربـة مـن قاعدة الحبانية، فأكرهـت الحكومة العراقية عـلى خوض غمار حرب غير متكافئة مع بريطانيا...!!

لزوم المشاغلة:

كانـت التعليمات التـي اصدرها القائد الأعـلى للقوات الألمانية المسـلحة إلى إذاعتنـا العربيـة في برلـين، ان نلـح عـلى الحكومة العراقيـة منذ ان ألقت فرنسـا السـلاح امـام القـوات الألمانية المنتـصرة، ان تشـاغل الإنكليـز وتداريهم بقدر المسـتطاع إلى ان تنهـي القيـادة الألمانيـة معاركهـا في البلقـان والبحـر الأبيـض المتوسـط، وتثبت اقدامها في لبنان وسـوريا، لتنصرف بعـد ذلك إلى العراق على اسـاس اعطاء الاسـبقية للمعارك الحاسـمة التي تخلق الفرص المناسبة للاهتمام بالمعارك الجانبية..

ولكـنّ الاسـتخبارات البريطانيـة كانـت واثقـة مـن ان السرعة في معاكسـة التغلغـل الألماني في سـوريا ولبنـان ومناهضة النفـوذ الألمـاني المتفاقم في الشرق العـربي يتطلب حشـد القوات البريطانيـة في العراق اولا وبأقـصى ما يمكن من السرعـة..! ومـن اجل ذلك كنا نحذر حكومة الدفاع الوطني بواسـطة - اذاعة خاصـة بالأرقـام المُشـفرة و المتفـق عليها سـلفا - بلزوم تحـاشي الاصطدام مع بريطانيا إلى ان يتسنى للقيادة الألمانية التفرغ كليا لنجدة العراق..

تعليمات هتلر:

لم تنتـه معارك جزيـرة كريت إلاّ في العشرين من شـهر مايس ١٩٤١، وعليه فإن القيادة الألمانية العليا لم تقرر نجدة العراق إلاّ في الثالث والعشرين من شهر مايس ١٩٤١، حيث اصدر الهر ادولف هتلر تعليماته الخاصة بالشرق الأوسـط وهـي تحمل الرقم ٣٠، وكان الجنرال فيلمي قائـد الحملة الألمانية إلى العراق قد وصل إلى بغداد، بصحبة السفير الألماني الدكتور فريتس غروبا، فتسلم تعليمات هتلـر تلـك بعد ان تمكنـت القـوات البريطانية من ترسـيخ اقدامهـا في العراق، وخفـت حدة المقاومة العراقية فلم يتمكن الجنـرال فيلمي من القيام بأي عمل، فعاد بطائرته الباقية إلى حلب، مكتفيا من الغنيمة بالإياب.

وهكـذا ذهبت تعليمات هتلـر أدراج الرياح ولم ينفذ منهـا حرفا واحدا لأنها جاءت متأخرة جدا أي بعد خراب البصرة على يد الإنكليز الطغاة..

النتيجة:

وخلاصـة القول فإن حركة ٢ مايس المباركة، كانت حركة تحررية قامت على حق ممارسـة السـيادة والاسـتقلال واسـتهدفت بكل دقائقها وتفصيلاتها تحذير العـراق وبقيـة البلـدان العربية الأخرى من براثن الاسـتعمار، وضمان مسـتقبل فلسطين، ومهما قيل في اسباب فشلها والعوامل التي ادت إلى تقليص ظلها، فإنها قد بثت في نفوس العرب أجمعين، روح الثورة وأحسّ العرب الانتفاع بدروسها فنالت الاستقلال، وعرفت كيف تحتفظ بهذا الاستقلال وتطوره وتنميه فتقوى على قواعده صروح السيادة الوطيدة...

والعزة والمجد للعرب.. حي العرب

يونس بحري الجبوري

بغداد ٢ مايس ١٩٦٨









الشعب الالمانى لايريد دكتاتورية

بعد نتيجة الانتخابات النيابية في المانيا









العقيد الركن محمود فهمي سعيد

العقيد الركن / كامل شبيب

العقيد صلاح الدين الصباغ

عقيد الجو / محمود سلمان



العالم العربي

التاريخ يتكلم

احاديث رجال الفتنة واعترافهم بالحق

تصريحات هامة يعترف بها الابطال ...

على طول الخط

واجبات التلميذ

[٢]

جهود الألمان للاتفاق مع فرنسا



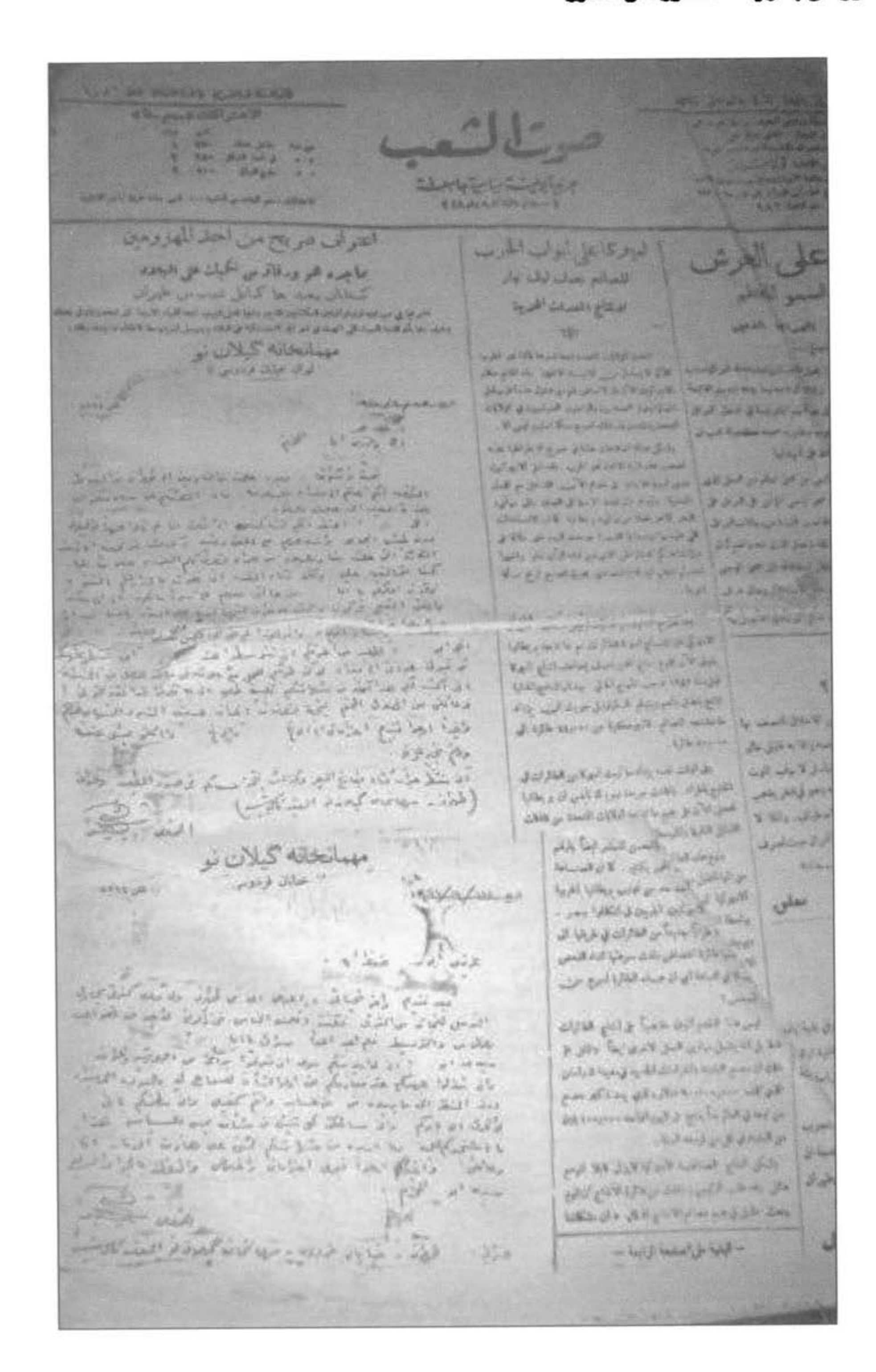
التاريخ يتكلم

٤ ـ علي محمود الشيخ علي

٥ ـ يونس السبعاوي

٦ ـ صديق شنشل

ثقة على طول



صوت الشعب

اعتراف صريح من احد المهربين

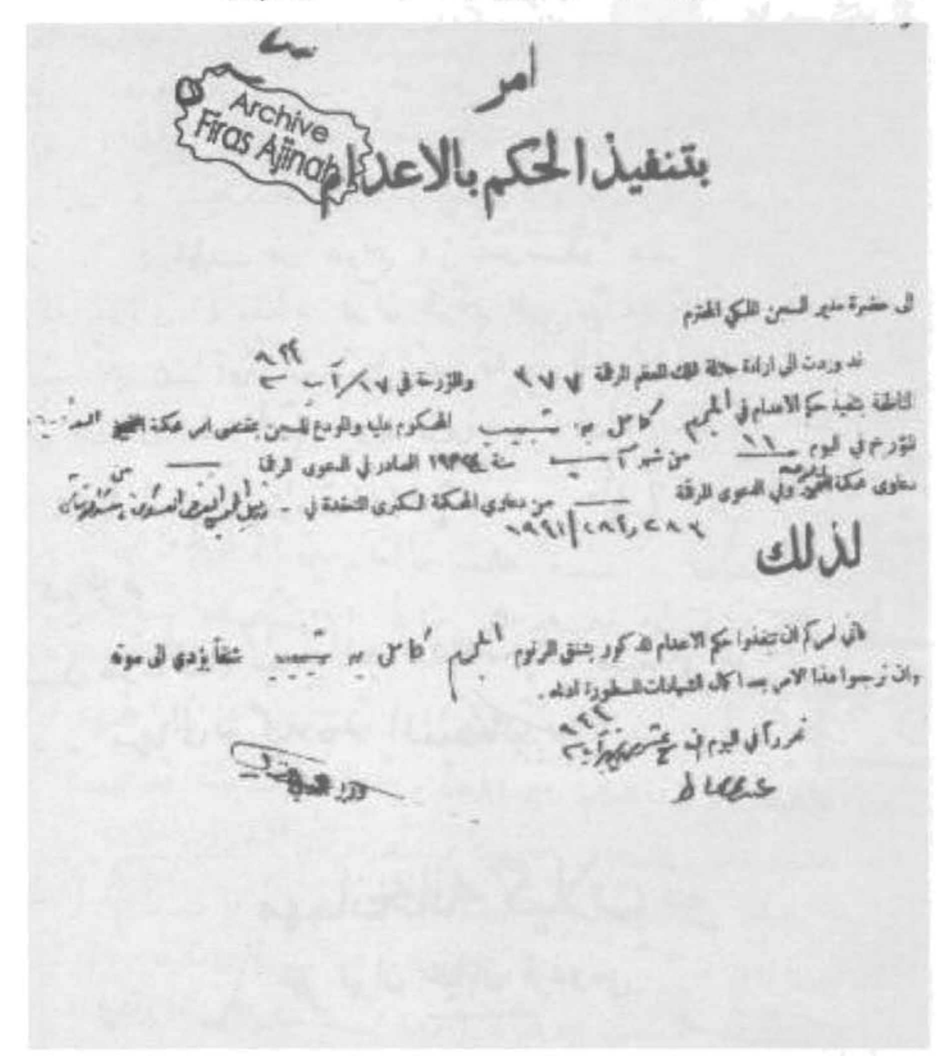
مهمانخانه گيلان نو

على العرش

مهمانخانه گيلان نو

إلى حضرة مدير السجن المركزي المحترم

أمر بتنفيذ الحكم بالإعدام... كامل شبيب



أمر

بتنفيذ الحكم بالاعدام

الى حضرة مدير السجن الملكي المحترم

قد وردت الي ارادة جلالة الملك المعظم المرقمة [illegible] والمؤرخة في [illegible] آب ١٩٤٢

القاضية بتنفيذ حكم الاعدام في المجرم كامل بن شبيب المحكوم عليه والمودع للسجن بمقتضى امر محكمة [illegible]

المؤرخ في اليوم ١١ من شهر آب سنة ١٩٤٢ الصادر في الدعوى المرقمة

من دعاوى محكمة [illegible] وفي الدعوى المرقمة من دعاوى المحكمة الكبرى المنعقدة في [illegible]

لذلك

فاني آمركم ان تنفذوا حكم الاعدام المذكور بشنق المرقوم المجرم كامل بن شبيب شنقاً يؤدي الى موته وان ترجعوا هذا الامر بعد اكمال الشهادات المسطورة ادناه.

تحرر في اليوم [illegible] من شهر آب ١٩٤٢

وزير العدلية

مهمانخانه گیلان نو

تهران خیابان فردوسی

في دور ...

والرقص الغربي السمج، وفي السينـ...

(وآمصدة السينمات) تعرض اشرطة الحب

هنا) هذه الاغنيات الادبية الاخلاقية

بماجره هو ورفاقه من نكبات على البلاد

كتابان يبعث بهما كامل شبيب من طهران

صورتين فوتوغرافيتين للكتابين اللذين بعثهما كامل شبيب احد القواد الاربعة الى شخصيتين في بغـ[illegible]
[illegible]نة العمياء التي انتهت في شهر ايار كانت نكبة على البلاد ويتوسل ان يتوسط لانقاذه مما ورطه رفاقه [illegible]

مهمانخانه گیلان نو

تهران خيابان فردوسى

تلفن ٨٢٦٤

[illegible]/ ١٩٤٢ :

عزيزي ابا [illegible] المحترم

تحية وشوقاً . وبعد علمت من الصادقين الى حضرات [illegible] من الصاد[illegible]
[illegible] انكم عدتم الى بغداد بسلامة فاني اهنئكم على سلامتكم [illegible]
[illegible] العصيبة التي حلت بالبلاد .
اعتقد انكم تشاركونني اذا قلت انا لم نألوا جهداً في الحـ[illegible]
[illegible] الجيش الجماعي واندفاعهم مع المفتي ورشيد وكذلك توقعنا ان[illegible]
[illegible] التي حلت بنا وبالبلاد من جراء تصرفاتهم المغرورة خلافاً [illegible]
[illegible] مخالفة عليه ولكن شاء القدر ان نلوث باقدامهم النسـ[illegible]
[illegible] اعلمكم يا ابا [illegible] ان حالتي معهم على اسوأ ما يكون اذ ان[illegible]
[illegible] الفسيح تركونا . شئت ان اخرج اسرها تعصبا على البلاد [illegible]
[illegible] اذا شاء البلاد وانه هذا لم [illegible] على غنيك [illegible]

تتمة التاريخ يتكلم

ان حالتي المالية في ايران كانت نوعا جيدة . وكنت اسمع ان يونس ... يعرف منها اسخاء على الجماعة . وانني لا اعلم مقدارها بالضبط ومن ... ولكن توفيق السويدي صرح في طهران انه (اي السبعاوي جاء بها من ... محمد علي محمود يعرف قصتها المشهورة)

س - هل تحتاجون لشي. ؟

لا . لا . الاهل زاروني عدة مرات وراحتنا هنا جيدة وانني اشكر ... جهودهم في راحتنا . واكرر شكري الآن ودائماً لهم لما يبدونه من العطف ... وانني ان انسى فلا انسى عطف الوصي علينـا رغم الاساءة له واسأل ... الملك ويديم خاله الامين ذخراً للبلاد

٢ـ حديث العقيد محمود سلمان

نا كر الجميل يتألم لنسيانه عطف البيت المالك له ويعترف بالخطأ . . .

س - كيف صحتكم الان ؟

ج - جيدة والحمد لله

س - هل تشكو من مرض ؟

ج - لا - لكنني متألم ومتأثر جداً للخطأ العظيم الذي حدث

س - هل تعتقد ان الاعمال التي حدثت من قبلكم قبيل الفتنة كانت مجحفة ... والبيت المالك ؟



العقيد محمود سلمان



العقيد كامل شبيب



العقيد كامل شبيب



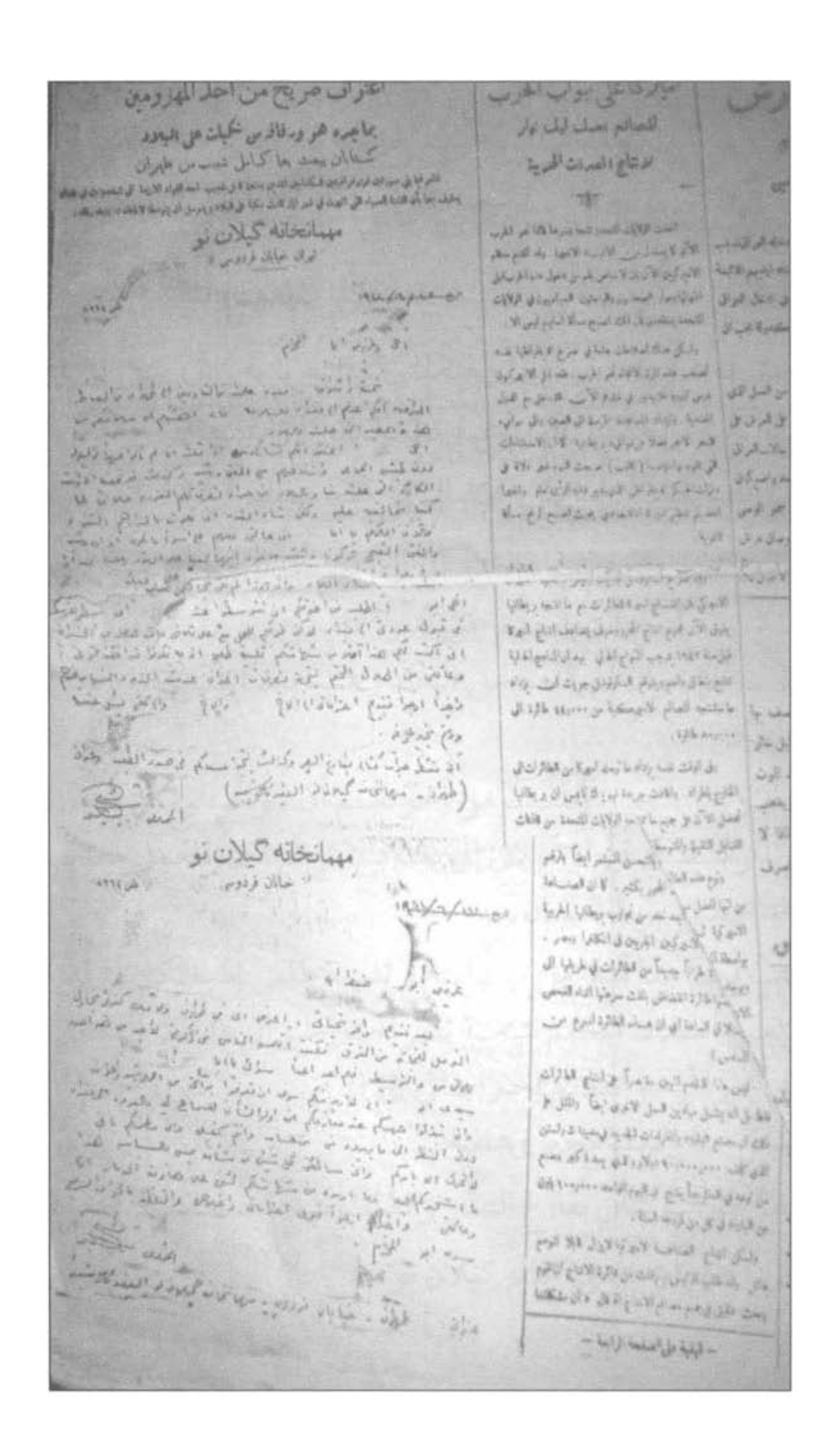
اعتراف صريح من احد المهزومين

بماجرى هو ورفاقه من نكبات على البلاد

كتابان يبعث بهما كامل شبيب من طهران

مهمانخانه گيلان نو

تهران خيابان فردوسى



اعتراف صريح من أحد المهزومين

مهمانخانه گیلان نو

مهمانخانه گیلان نو

ترجمة حرفية لما هو منشور على صفحات جريدة صوت الشعب البغدادية وصور منها طياً...

إعتراف صريح من أحد المهزومين

بما جرّهُ هو و رفاقُهُ من نكبات على البلاد

كتابان بعث بهما كامل شبيب من طهران...

ننشُرُ فيما يلي صورتين فوتوغرافيتين للكتابين اللذين بعثهما كامل شبيب أحد القُواد الأربعة إلى شخصيتين في بغداد يعترفُ بهما بأنّ الفتنة العمياء التي أثيرت في شـهر أيار سنة ١٩٤١ كانت نكبة على البلاد و يتوسلُ أن يتوسطا لإنقاذه من مما ورطهُ رُفقائه به..

الرسالة الأولى:

مهما تخانه كيلان نوتهران خيابان فردوسي

تاريخ ١٢ / ٦ / ١٩٤١ تلفن ٨٧٦٤

أخي و عزيزي أبا........... المُحترم

تحية و أشواقاً.. و بعدُ، علمتُ من القادمين إلى طهران من الضباط العراقيين أنكم عدتُم إلى بغداد بالسلامة، فإني أهنئكم على سلامتكم من هذه المُصيبة التي حلّت بالبلاد...

أخي............أعتقدُ أنكم تُشاركونني إذا قلتُ أنا لم نألوا جُهداً في الحيلولة دون طيش الجماعة. فاندفاعهم مع المفتي و رشيد وكذلك توقعنا أنا وأنت الكارثة التي حدت بنا و بالبلاد من جرّاء تصرفاتهم الفردية خلافاً لما كنا مُتحالفين عليه ولكن شاء القدر أن نُلوّث بأقذارهم النتنة، فالآن أعلمكم يا أبا........... أنّ حالتي معهم على أسوأ ما يكون إذ أنّ رشيد والمفتي القبيح تركونا وثبُت للإخوان أنهما لعبا على البلاد وعلينا بعد انشغالهما بإفساد البلاد، وأنّ هذا لم يكن تجاه...........

أخي أبو.......... أطلُبُ من أخوّتكم أن تتوسطوا عند.......... أن يستطيع للتوسط في قبول عودتي إلى بغداد لاكن قربكم للعمل معاً يُساعد على تلافي ما قد حصل من الخُسران.

إني أكتُبُ لكم هذا آملاً من شهامتكم تلبية طلبي إذ به تكونوا قد أنقذتموني وعائلتي من الهلاك المُخيم نتيجة تصرفات إخوان عدمت الذمة والشهامة عندهم، وأخيراً أرجو تقديم إحتراماتي إلى الأخ......... والأخ......... وإلى كل من يسئل عنا ودمتم بخير وعافية..

إني أنتظرُ جواب كتابي بفارغ الصبر وكذلك نتيجة مسعاكُم في خدمة الطيب،

وعنواني : طهران – مهما تخانه كيلان نو

العقيد كامل شبيب

توقيع

المخلص

الرسالة الثانية :

تاريخ ١٧ / ٦/ ١٩٤١

عزيزي أبو........ حفظهُ الله

بعد تقديم وافر تحياتي، أعرضُ أني في طهران ولا شك كغريق يُحاول التوسُل للنجاة من الغرق فكنتُ أتلمس الناس في ذاكرتي لأجد من هو أجدرُ للإلتماس والتوسُط فلم أجد أحداً سواك يا أبا..........

سيدي أبو....... إني لا أريدُ منكم سوى أن تعرفوا براءتي من أعمال رشيد وأعوانه، وأن تبذلوا جهدكم عند معارفكم من أؤلوا الشأن للسماح لي بالعودة إلى بغداد دون النظر إلى ما يُريدوهُ مني من حساب وأنتم كفيلي وأن أطمئنكم بأني لا أتحركُ إلاّ بأمركم وإني سأطلّق كل شيء من شأنه يمُسّ بالسياسة هذا ما أستنجدكم عليه وما أريدُهُ من شهامتكم لئني على هاوية الدمار أنا وعائلتي... وأخيراً أرجوا قبول إحتراماتي وإخلاصي والتلطُف بالجواب السريع سيدي أبو....... المحترم..

توقيع

المخلص

عنواني – طهران خيابان فردوسي مهما تخانه كيلان

الفصل الثالث

- هنا برلين حيّ العرب
- أول إذاعة أجنبية في محطة الإذاعة الألمانية في برلين

هنا برلين العرب... هنا برلين! حي العرب!

في هذه العبارة المدوية افتتحتُ الإذاعة العربية من محطة الإذاعة الألمانية في برلين، في الساعة السابعة من مساء يوم ٧ نيسان ١٩٣٩ أي بعد ثلاثة أيام من مغادرتي بغداد في ليلة ٤ نيسان ١٩٣٩، الليلة التي صرع فيها الملك الخالد غازي الأول عاهل العراق العظيم بحادث سيارة. قيل أنها اصطدمت بعمود كهربائي في حديقة قصر الزهور الملكي في بغداد.

لقد كانت الإذاعة العربية التي أشرفتُ على تأسيسها وتوليتُ الإذاعة فيها بمفردي بادئ ذي بدء.

اول اذاعة اجنبية في محطة الإذاعة الألمانية ببرلين

وكان الفوهرر هتلر يحاول في ذلك الحين بعد أن حقق «الانشلوس» وضم النمسا إلى ألمانيا الكبرى «غروسدوتشلاند» إسكات الدعاية البريطانية الفرنسية التي تفاقمت ضده وضد الحزب النازي في العالم عامة وفي البلاد العربية خاصة، حيث قامت اليهودية العالمية وعلى رأسها اصحاب رؤوس الأموال اليهودية الكبرى التي بلندن. وفي «وول ستريت» بنيويورك، ومورغنتاو والبارون روتشيلد في فرنسا وفي بريطانيا - تحث الحكومتين البريطانية والفرنسية لتشويه سمعة هتلر والحزب النازي بغية الخلاص من حكمه ليعود اليهود إلى ألمانيا كي يستأنفوا سيطرتهم السابقة عليها قبل ان يقوم هتلر بتجريد اليهود من أملاكهم وطردهم إلى خارج ألمانيا..

هتلر واليهود...

إن أول من شرح للزعيم هتلر حقيقة اليهود وتاريخهم او كيفية تغلغلهم بين الشعوب التي يعيشون معها والطرق التي يستخدمونها للوصول إلى الثروة

فالسيادة على الشعوب، هما رجلان اثنان من رجال الحزب النازي، الأوائل هم : الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ ويد هتلر اليسرى (باعتبار أنّ هيس كان يده اليمنى) ولسانه الذرب الفصيح المدوي.

والدكتور غوبلز كان الرجل الثالث في قائمة تسلسل الحزب النازي من حيث الأهمية والمكانة الرفيعة، ولقد كان بالإضافة إلى منصبه كوزير للدعاية المرشد والموجه والواعظ للشعب الألماني والعالم الخارجي.

أما الرجل الثاني فقد كان الدكتور الفريد روزنبرغ فيلسوف الحزب النازي وشارح قوانينه، وواضع التعديلات المستمرة بنظمه، بالنسبة للتطورات والاحداث التي تقع في المانيا.

وكان الرجل الرابع في قائمة التسلسل في الحزب النازي وكنتُ اسميه «ايميناسغريز» الحزب النازي أو «ريشيليو» الحزب.

تخرج الدكتور غوبلز في جامعة كولون بالمانيا على يد الاساتذة اليهود ونال شهادة الدكتوراه في العلوم اللاهوتية وتخصص في علم الاديان المنزلة الثلاثة وهي اليهودية والمسيحية والاسلام. ولما كان تخصصه هذا يفرض عليه بطبيعة الحال دراسة البيئات التي نشأت فيها هذه الاديان بعد التنزيل على سيدنا موسى وسيدنا عيسى وسيدنا محمد في فلسطين وفي الجزيرة العربية، فلقد ألمّ الدكتور غوبلز الماماً تاماً بالتاريخ القديم ساعده هذا على معرفة الشيء الكثير من احوال اليهود وخفايا طباعهم ما ظهر منها وما بطن، وكذلك معرفة أحوال العرب وعلاقاتهم التاريخية بالعالم قديماً وحديثاً.

أما الدكتور روزنبرغ فلقد كان ضابطاً برتبة كابتن بالجيش الروسي القيصري في اوكرانيا الحافلة باليهود ابان الحرب العالمية الاولى، وقد عايشهم خلال خمس سنوات فامتزج بهم أمتزاجاً سهّل عليه الوقوف على كثير من أسرارهم وتصرفاتهم الأمر الذي ساعده إثر التحاقه بالزعيم هتلر سنة ١٩٢٤ لانضمامه

للحـزب النازي عـلى شرح أسرار اليهود وعرض غدرهـم وتحطيمهم للقوى الوطنية والأخلاقية والإجتماعية في كل البلاد التي يسـتوطنون فيها بدون تمييز بين العنصر واللون والدين.

مـن أجل ذلك قام هتلر في اول يوم من عرض نظامه «النازي» الاشـتراكي الوطني للحملة على يهود المانيا واليهودية العالمية واستمر في الحملة إلى أن ظفر بحكم المانيا في يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ .

المُهمّة الشاقة:

لقـد كانت مهمتي عسـيرة و شـاقة للغايـة وانا أشرع بالعمـل في إذاعة برلـين. فلم تكـن المانيا بعد قد احـرزت تلك الانتصـارات «الصاعقية» في مختلف الميادين بالصورة التي دوخت العالم وأذهلت الدول ما كبر منها وما صغر.

حـين غـادرتُ بغـداد والعراق إلى برلـين إلى حيث لا رجعة كـما كنت اظن يومـذاك، في تلك الليلة العبوس القمطرير ليلة مصرع الملك غازي صباح يوم ٤ نيسان سنة١٩٣٩ كنتُ واثقاً من أن الحرب ستقع لا محال.لقد أخترتُ قلب المحـور برلين في التعاون مع المانيا في سـبيل خدمـة قضايا العرب والعمل على تحرير العالم العربي من ربقة العبودية والذل، فلم يك يهمني تقدير الموقف بقدر ما يهمني العمل والاذاعة لأسـمع صوت العـرب الاحرار من على منبر اقوى إذاعة في العالم الا وهي الاذاعة الالمانية من برلين

وبالفعل فإنّ إذاعة برلين قد ساعدتني على عرض القضايا العربية بمختلف أشـكالها واوضاعها على الراي العام العربي والعالمي ليتفتح الضمير الانسـاني على كوارث العرب ومصائب الإستعمار التي حلت بهم من المغرب العربي إلى المشرق العربي.

وكان التجاوب المستحب الذي أستقبل به العرب الاذاعة العربية من برلين

منذ أول نشـاتها مشجعاً لي على المضي بمهمتي الشاقة فرحتُ استنبط الوسائل المختلفة لجعل الاذاعة العربية من برلين منبر إرشـاد وتوجيه، وعاملاً رئيسـياً فعالاً لشـحذ همم العرب وحملهـم على التضحية بكل مرتخـصٍ وغالٍ لتحرير بلادهم والاستماتة في كفاح المستعمر وخاصة في فلسطين من يهود وبريطانيين وفي سـوريا ولبنان والمغرب العربي ولم تنجُ مني ايطاليا فلقد كنتُ أدسّ عليها في إذاعـاتي مذكـراً العرب بعمـر المختار بطل الجهاد الليبي العربي وما يقاسـيه رفـاق المجاهـد الليبي الاول أدريس السـنوسي، من آلام البعـد عن الوطن في مختلف مهاجرهم العربية.

الصفقة الخاسرة:

اجتمعـتُ بفخامة السـيد نوري السـعيد رئيس الـوزارة العراقية في باريس سنة ١٩٤٧، لأول مرة بعد الحرب في محطة الإنفاليد الجوية وكان الأستاذ باهر فائـق مدير الشـعبة الاقتصادية بوزارة الخارجية العراقيـة اليوم حاضراً، وراح السيد نوري السعيد يلومني ويعاتبني لاستمراري في نقد سياسته إبان الحرب وقبلها من إذاعة برلين، ثم قال وهو يتهكم ضاحكاً وبيده مسـبحته التقليدية: أرأيـت كيف كانت نهاية أصحابـك الألمان؟ وكيف اخترت يا يونس الصفحة الخاسرة!

لم أجـب «الباشـا» عـلى هـذا التهكم. فلقـد سـمعتُ الكثيرين مـن الناس يوجهون لي هذا الكلام دون أن أبالي...!

لكنني اخـترتُ الصفحة الخاسرة «ألمانيا» قبل انـدلاع نيران الحرب العالمية الثانية بسـبعة أشـهر. وما كنت إلا كصديق إختار الصديـق الذي يعجبه دون حساب الربح والخسارة، لا لشيء إلا لكرهي القديم لليهودية والاستعمار.

فهـل مـن المعقـول كسـب الأصدقاء بواسـطة معرفـة أو تقديـر نتائج هذه الصداقة... هل هي خير أم شرّ...؟!



حرب الأثير:

كانت الحرب الباردة التي أثارها هتلر في أوربا بعد الإستفتاء التأريخي الذي قام به في ألمانيا وفوزه فوزاً إجماعياًهو تأكيد مواطنيه على تأييدهم لهُ إثر ضم السار إلى المانيا الوطن الأم وإلغاء معاهدة الحلفاء، إن هو إلاّ السبب المباشر في إثارة حرب جديدة بين الحلفاء وألمانيا الهتلرية.

فلقد راحت الإذاعات العربية التي أقامتها لندن وباريس تشن حرباً لا هوادة فيها ولا لين ضد هتلر وكتابه «كفاحي» وضد الحزب النازي وضد الدكتور غوبلز وزير الدعاية الالمانية الذي صار متفوقاً في دعايته المنظمة القوية.. ولكن هذا التفوق وهذه القوة كانت محصورة في النطاق الاوربي..

وكان لزاماً على الدعاية الالمانية ان تجد رجلاً عربياً يستطيع الاضطلاع بمهمة الرد على الاذاعات المهاجمة باللغة العربية من لندن وباريس وغيرهما..

ولم يكن هذا الرجل سـواي أنا – ولا فخر– ولقد تبين لي فيما بعد أنني كنت محط أنظار السـفراء الألمان في البلاد العربية وهم يسـترقون السـمع! منذ مطلع عـام ١٩٣٨ لمعرفة أشـهر المذيعـين العرب لمفاوضتهم للتعاقـد معهم للعمل في محطة الإذاعة الالمانية!

فاضل الجمالي رشحني:

عـدتُ إلى بغـداد في أول سـنة ١٩٣٨ مـن رحلتـي إلى امريـكا الجنوبيـة بعد إنقـلاب المرحـوم الجنرال بكري صدقي الـذي نفاني إلى سـوريا ولبنان، فزرتُ فخامة الدكتور فاضل الجمالي، وكان مديراً عاماً لوزارة المعارف في وزارة فخامة السـيد جميـل المدفعي، التـي قامت على أنقـاض الانقلاب العسـكري العراقي، وكان البحث جارياً عن مذيع اول لمحطة الاذاعة العراقية.

فما أن رآني الدكتور الجمالي حتى هبّ واقفاً وهو يقول قبل عبارات الترحيب كلمة... وجدته وجدته..

قال: نعم لقد وجدتك فأنت المذيع الذي نبحث عنه..

ورافقنـي إلى غرفـة معالي وزير المعـارف الذي كان العلاّمة والشـاعر الكبير الشيخ رضا الشبيبي.

وفي ذلك المساء كنتُ واقفاً وراء الميكرفون بمحطة الإذاعة العراقية لأقول:

هنا بغداد!...ولكن بدون حيّ العرب.. لأن هذه النغمة ولدت في برلين...!

وطفقتُ أذيع.. واستحسـن العرب الصـوت والإلقاء، لا ادري لماذا، ولكن لا جدال في الذوق.

فاضل الجمالي أثناء تمثيله العراق في إجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك



صورة إذاعة قصر الزهور

هنا إذاعة قصر الزهور...

كان المغفور له الملك غازي الاول عاهل العراق من المولعين بالإذاعة وكانت صلته بهتلر وبالألمان قوية للغاية بسبب وجود صديقي الدكتور فريتزغروبا وزير المانيا المفوض ببغداد، فتوطدت أواصر الصداقة بين الملك العربي وزعيم المانيا، وكنتُ الصلة السرية بين الملك غازي والوزير الالماني غروبا حتى ان الملك غازي ارسل عمه صاحب السمو الملكي الامير زيد بن الحسين وزيراً مفوضاً للعراق في برلين.وذات ليلة كنت أذيع تعليقاً سياسياً عن الوضع في فلسطين العربية، وما يعانيه أهلها من عنت اليهود وطغيان البريطانيين...وانتهى الحديث.

وبعد الانتهاء من التعليق...رنّ جرس الهاتف...

لقد كان المتكلم الثائر الملك غازي الاول بالذات..

وفي تلك الليلة كنت اسهر عند الوزير الالماني الدكتور غروبا، وقلتُ له أن الملك غازي يتمنى لو كانت لديه اذاعة قوية ليسمع العالم، كيف يخاطب البريطانيين، وغيرهم من المستعمرين! وبعد اسبوع من هذا الحديث القصير طلبني الوزير الالماني وأراني صناديق ضخمة وقال وهو يبتسم بخبث:

- هذه محطة إذاعة على الموجة القصيرة القوية.. خذها إلى الملك هدية من الزعيم هتلر!. وحملتُ الهدية « ليس بيدي طبعاً» إلى قصر الزهور، واستقبلني الملك بدون أن يمد يده لمصافحتي، فلقد كان حاقداً علي بسبب اذاعاتي «المائعة» ضد بريطانيا..

قلتُ: يا سيدنا، إنّ إذاعة بغداد هي الاذاعة الرسمية و الحكومية، وانا لا أملك حق التصرف فيما يعطي لي للإذاعة.. قال هذا صحيح وأبتسم!.

قلتُ: لديّ نبأ سار لسيدنا.. وأشرتُ إلى حيث تقف سيارة النقل بحمولتها الثمينة!

قال: ما هذا؟

قلتُ: محطة إذاعة على الموجة القصيرة بقوة ٥٠ كيلووات..هدية من الزعيم هتلر إلى سيدنا..

وسمع العالم صوت الملك الشاب يلعلعُ من بغداد:

-هنا إذاعة قصر الزهور!

وبالفعل أخذ الملك غازي الاول يلهب البريطانين والفرنسيين والايطاليين نيراناً حامية، سببت للحكومة موجات أحتجاج واستنكار صاخبة.. ولكن الملك الثائر قد وضع في أذنيه وقرا..

وأمرني بترك إذاعة بغداد، ثم ما كان منه إلاّ أنه أمر بإغلاقها.. وتم الأمر...

ورحتُ أذيع من قصر الزهور وفارالتنور.. وصار الأثير ملكاً لنا نقول ما نشاء..خاصة وأنّ الملك يعتبر بموجب الدستور العراقي «مقدساً وغير مسؤول».



الدكتور غوبلز يشارك في تأدية أغنية ألمانية وطنية في أحد مسارح برلين



هتلر و غوبلز في منتجع وكر النسر – المنتجع الخاص بالفوهرر في الجبال

من بغداد إلى برلين:

وهكـذا وقـع إختيـار الدكتـور غوبلـز داهيـة الدعايـة الالمانيـة العالمية عليّ إثـر التقاريـر العديـدة التي أرسـلها الوزيـر الالماني ببغـداد إلى وزيـر الخارجية فونريبينترب، فوزير الدعاية الالمانية الدكتور غوبلز...

فأمـرني الملك غـازي الاول عاهل العـراق بالذهاب إلى برلـين «متطوعاً» لا موظفـاً ولا أجـيراً وفيـما كنت أعـد العدّة للسـفر وقع المصاب القومـي الأليم، فـصرع الملك غـازي الأول، الملك العربي الثائر الذي وهب نفسـه ليس للعراق فقط، بل لدنيا العرب طرا.

لم يبق امامي سـوى الرحيل وبسرعة.. وقصدتُ مكتبي لأخذ بعض الوثائق والأوراق المهمـة وبعـد دقائق كنـتُ في دار المفوضية الالمانيـة فأخبرتُ الدكتور غروبـا بالفاجعـة، فقال يجب أن تسـافر الليلة لأنّ بريطانيـا تتهمك بإثارة الملك غـازي ضدها وضد حليفتها فرنسـا.. وانـت تعرف ماذا ينتظرك هنـا بعد وفاة الملك غازي...! قلتُ فهمتُ..!!

وفي الصباح المبكر كانت طائرة المانيا تنتظرني في ميناء بغداد الجوي.. وتسللتُ نحـو الطائـرة بدون حقيبة لأنني لم اذهب إلى بيتي ولم اودع اهلي.. ولم يعرف أي انسان ببغداد والعراق بأنّ الملك غازي الممتلئ رقةً وحيوية قد فارق الحياة..

وترك العروبة تفتقده وتبكي على ذكراه.

وهـرع إليّ مفتـش البوليـس ناجي اليهـودي في المطار الجـوي فجمد الدم في عروقـي.. لكنـه مد يده مصافحاً وقال خير إن شـاء الله! قلت جئت أودع معالي الوزير الألماني..

كانت الطائرة تحمل البريد الدبلوماسي ولهذا فإن ركابها الرسميين لا يفتشون.

عـاد البوليـس وامتطيتُ الطائرة بدون أن يشـعر العمال الذيـن كانوا يزودنها بالوقود. واعتلينا متن الجو مودعين بغداد إلى متى...؟ لست ادري...؟

في برلين:

كنـتُ أجيد اللغـة الألمانية قبل وصولي برلين لتولي إدارة إذاعتها العربية. كان لي أصدقاء كبار من زعماء الحزب النازي عرفني عليهم في سنة ١٩٣٠ المغفور له الأمير شـكيب أرسلان قبل أن يتسلم هتلر مقاليد أمور ألمانيا من الماريشال فون هندنبرغ مستشار الرايخ ورئيس وزارته فون بابن عميد الدبلوماسية الألمانية في ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٣.

وفي طليعـة هـؤلاء الذين تعرفـتُ عليهم هتلـر وهيـس وغوبلزوريبنتروب والدكتور لاي والدكتور روزنبرغ وبالدور فون شيراخ.. وفون وايتزيكر...

وقـد وتعرفـتُ فيما بعـدُ على جمهرة من رجال الإسـتشراق الألمـان كالبارون اوبنهايـم، واضـع كتـاب عشـائر الجزيرة في شـمال سـوريا والعـراق وصاحب حفريات «تل خلف» بشـمال الجزيرة بسوريا. والبرفسـور كروكمان والبرفسور جوردان، والدكتور لينز والبرفسور شولتز.

ومن رجال الخارجية الالمانية عرفتُ السفير بروفر والوزير المفوض الدكتور

غروبا والوزيـر المفوض الدكتور فون هنتيك، والوزير المفوض الدكتور غرانو، والغيهـا مرات موريس «امين سر الدولة» وهو مسـتشرق ممتاز. والمستشـارون الدكتور غرانووشـلوبيس والدكتور منزل والهرشـتيفن والدكتور هوفمان. وهم جميعاً من المختصين في الشؤون العربية والشرقية.

وفي وزارة الدعاية الالمانية كنتُ مُكتسـباً عاملاً مباشراً لوضع الثقة بي كاملة غير منقوصة.. الامر الذي سـاعدني على القيام بواجبي نحو العروبة والمانيا كما اريد واشتهي..

منعتُ إذاعة إسطوانات الميوعة:

كنتُ اضع برنامج الإذاعة من أسـبوع إلى أسـبوع.. وقد حرصتُ على أن لا أذيـع الأغـاني المائعة التـي تعّود الجمهور العربي على سـماعها مـن محطات لندن وباريـس.. كما منعتُ إذاعة إسـطوانات محمد عبد الوهاب وفريد الأطرش وأم كلثوم.

وقد وردتني رسائل عديدة من المستمعين العرب يطلبون إذاعة الاسطوانات الآنفـة الذكـر.. فـرددتُ عليها بقولي : إذا كنتم تريدون سـماع النـواح والعويل ياحبيبي ويا عيوني فاسمعوا راديو لندن وباريس وباري.

إما إذا كنتم تريدون سـماع الأناشـيد الموجودة وإيقاظ الهمم وشحذ العزيمة فاستمعوا إلى الإذاعة العربية من برلين.

وهكذا فليس صحيحاً ما قيل من أن المحور ينوي اختطاف الآنسة أم كلثوم والأسـتاذ محمـد عبد الوهـاب ونقلهـم إلى برلين للاسـتعانة بصوتهـم للدعاية للمحـور!! إبـان وصول المارشـال رومـل إلى العلمين وقرب احتلالـه القاهرة والإسكندرية.

إن مـا ذكرته أعـلاه يكفي للرد على هـذه الفرية التي نقلهـا التابعي عن أحد مخبري «الانتلجنس سيرفس» البريطانية في مصر خلال الحرب.

فالصديق التابعي نقل الكذب وناقل الكذب ليس بكاذب...!

إذاعة القرآن الكريم:

كانـت الدعاية اليهودية وغيرها من الدعايـات المعادية لألمانيا الهتلرية تحاول جاهدة حمل العرب والمسـلمين والنصارى عـلى الاعتقاد بأن هتلر يكره الأديان وأن هتلر قد وضع العرب في كتابه «كفاحي» وهو دستور النازية في الدرجة ١٤ من الشعوب أي في الدرك الأسفل. ولكن دور النشر اليهودية في أوربا وامريكا قد تعمدت طبع كتاب كفاحي ودسـت على هتلر هذه الدعاية المشوهة للحقيقة والتاريـخ ولذلـك فإنني قبل الأذاعة بيـوم واحد اقترحتُ عـلى الدكتور غوبلز وزيـر دعايـة الرايخ أن أفتتح الإذاعـة العربية من برلين «بما تيسر من آي الذكر الحكيم»

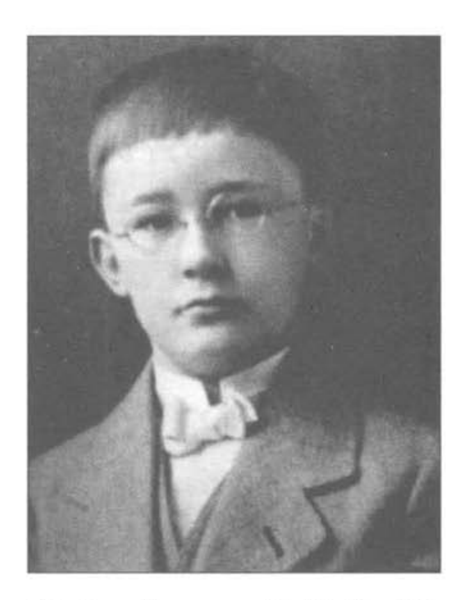
عرض الدكتور غوبلز الاقتراح على هتلر.. وكان جوابه هذا واجب.

وقصدتُ محل الدكتور بيضا للإسـطوانات العربية المعروف باسـم بيضافون وكان يديره الصديق هاشم معلوف من زحلة - لبنان- فلم أجد إلا اسطوانات المقرئة الشهيرة سكينة حسن، والمقريء الأستاذ أحمد سليمان السوداني المصري.. كان صوتهما يأخذ بمجامع القلوب والترتيل بالغاً منتهى الإجادة.

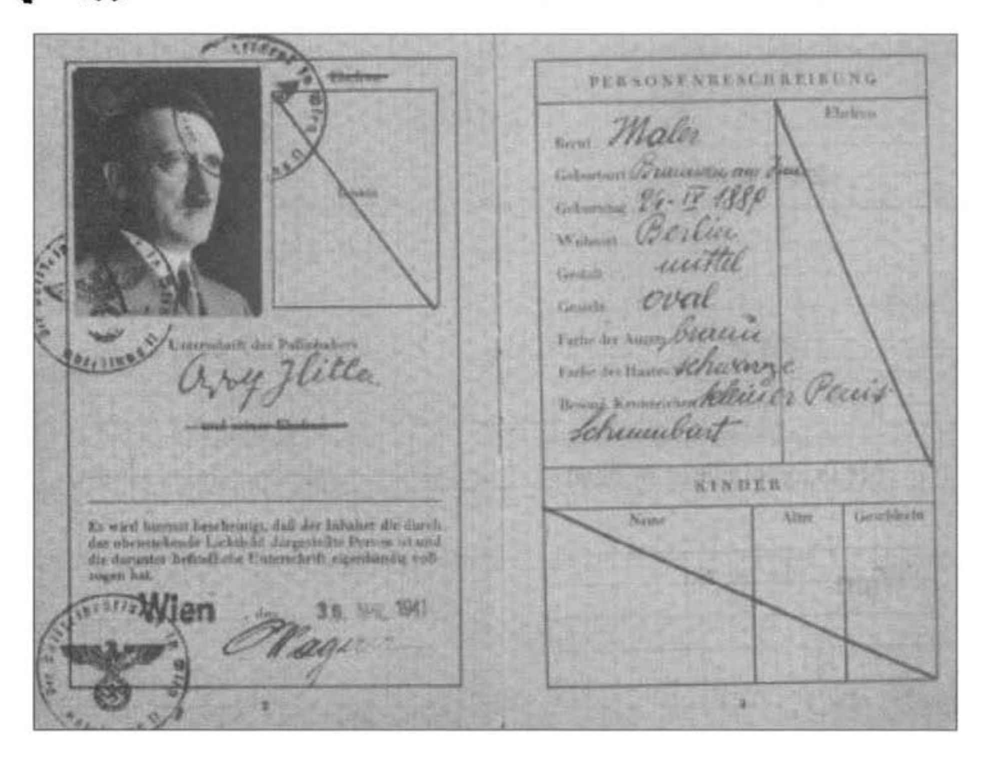




هتلر في طفولته المبكرة (عمره سنة واحدة)



هتلر في يفاعته بعمر عشر سنوات


PERSONENBESCHREIBUNG

Beruf Maler

Geburtsort Braunau am Inn

Wohnort Berlin

Gestalt mittel

Gesicht oval

Farbe der Augen braun

Farbe des Haares schwarz

Besond. Kennzeichen kleiner Penis Schnurrbart

KINDER

Name	Alter	Geschlecht

Unterschrift des Paßinhabers

Es wird hiermit bescheinigt, daß der Inhaber die durch das obenstehende Lichtbild dargestellte Person ist und die darunter befindliche Unterschrift eigenhändig vollzogen hat.

Wien, den 3 . 1941

البطاقة المدنية للمواطن الألماني أدولف هتلر

لندن تزمجر:

وافتتحت الإذاعة العربية من برلين بما تيسر من آي الذكر الحكيم واستشاطت لنـدن غضباً وراحت في اليوم التالي تمطر هتلر سـيلاً عارماً من الشـتائم وتنهش من سمعتي ما حلا لها أن تنهش.

هتلر الكافر.. هتلر الفاجر الذي يحارب الأديان. هتلر الذي يضع العرب ورسولهم العربي في الدرجة الرابعة عشرة من الشعوب يسمح ليونس بحري بإذاعـة القرآن. إنها جريمة لـن تغتفر.. إزاء هذا النصر الأول الذي أحرزناه في حـرب الأثير فكرتُ في إنشـاء دار لتسـجيل الإذاعات العربيـة الصادرة عـن القاهـرة وفيها من المقرئـين البارزين من يرضي السـامع العربي ويطربه ويشجيه.

وحـاز اقتراحي القبول ورحنا نسـجل إذاعـات المقرئين ونعيـد إذاعتها بعد

التصفيـة والـشرح والتعليق عليها.. وكأنها ليسـت منقولة. بـل إذاعات أصيلة صادرة عن برلين..

فسـجن الإنكليز بعضهم وهم في مصر والسـودان ويا للأسف، ومعذرة لهم جميعاً.

وراحت دوائر الاسـتخبارات البريطانية في مصر تبحث وتحاسب وتفتش عـن كيفيـة وصول هذا الإذاعات المسـجلة إلينـا.. وكانت الأجوبة السـلبية مـن المقرئين والمذيعين المحدثين تذهل رجال الاسـتخبارات البريطانية إذ أن مسـجلاً إذاعيـاً ألمانيـا لم يحضر إلى مـصر ... ولم يتصل أحد بهـؤلاء المتهمين المساكين.

وظـل أمـر هذه الحيلة سراً أقلـق لندن وجعلها تراقب النـاس في مصر بدون جدوى.

لندن تتمثل بنا:

لم تكن الإذاعة البريطانية «بي بي سي» .B.B.C تذيع شيئاً من القرآن الكريم قبـل أن شرعنـا بإذاعتنا العربية، فلقـد غيرت إذاعتنا رأي العـالم العربي في هتلر وجعلتـه يعتقـد بأنّ هتلر بمجرد قبولـه إذاعة القرآن الكريم مـن إذاعاته ببرلين يحترم الدين الإسلامي وبالتالي الأديان المنزلة الثلاثة.

وبعد لأي.. وبعد سـتة أشـهر من بدء إذاعة برلين العربية ولأول مرة سمعنا لندن تفتتح إذاعتها العربية بتلاوة ما تيسر من آي الذكر الحكيم.

وهكـذا اكرهـتُ لندن على التمثل بنا وإذاعة القـرآن الكريم.. ولكن بعد أن أخذتُ منها زمام المبادرة، وجعلتُ المسـتر شـامبرلين رئيس الـوزارة البريطانية يصيبهُ اليأس.

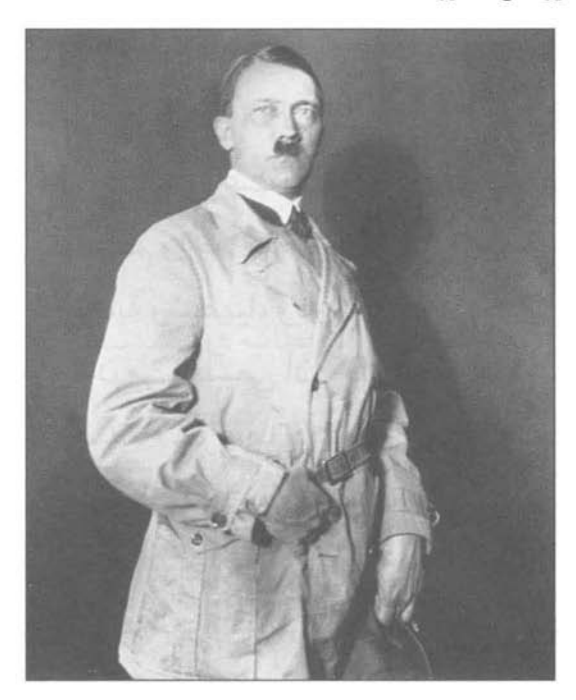
تنظيم الاتصال بالعرب:

أخذنا نشم رائحة البارود قبل اندلاع نار الحرب بشهرين. وكنا نعلم بأن الحرب واقعة لا مفر منها. فوزعتُ رسائل عديدة بالمئات على الأصدقاء الذين كنتُ أثق بعودتهم وإخلاصهم وبالأخص أولئك الذين راسلوني واتصلوا بي في برلين كتابة وشفهياً، وباركوا العمل الذي قمتُ به، وعلقوا عليه آمالاً جساماً وكان من الطبيعي أن أختار الفرصة وقد صارت مناسبة الاتصال بهؤلاء الأصدقاء لمعرفة ما إذا كانوا يريدون التعاون معنا في حالة وقوع الحرب، وهل أنهم فيما إذا وقعت الواقعة على استعداد لتزويد إذاعة برلين بالمعلومات من الحوادث الطارئة وعن أخبار العدو الغربي وعن اليهود في فلسطين، وعن المغرب العربي، وعن كل شيء يتصل بالتطورات المفاجئة في دنيا العرب.

وجاءت الأجوبة ٨٠ بالمائة بالموافقة والاستعداد التام لخدمة المصالح المشتركة بين العرب وألمانيا.

المراسلات تلعب دورها:

كان رجال السلك الدبلوماسي الألماني في البلاد العربية على أتم ما يكونوا من نشاط، فالوقت يمر سراعاً، والأحداث تشير إلى قرب دق ناقوس الخطر. وكنا نعمل كالمحموم الذي يريد الشفاء ليستعد للوقوف وتنظيم الجهاز المختص بعمله. ولم تكن هناك فرصة تمر بنا إلا واغتنمناها لتقوية إذاعتنا برجال يوافونا بالأخبار يومياً من مختلف أنحاء العالم العربي. أما وقد اخترتُ الرجال الصالحين، وتطوعوا للعمل، متحملين ما قد يصيبهم من مكاره وغرم وسجن وتشريد، فقد اتفقنا على إرسال آلات الإرسال والبثّ إليهم. وهي آلة «التليتيب» التي تشبه الآلة الطابعة شكلاً وحجماً. منها ما يعمل على الكهرباء! ومنها ما يسير على البطارية. في البلاد التي ليس فيها قوى كهربائية.



هتلر في وقفة انتظار وحسم

الأنتليجنس سرفيس يحتار...

كنتُ أرقبُ تسجيل جميع الإذاعات العربية «المعادية» لألمانيا وحتى إذاعة باري العربية الصادرة عن إيطاليا فلاحظتُ أن ارتباكاً مدهشاً يسود ما يذاع. وقلتُ في نفسي إن هذا بتأثير إذاعتنا من برلين.

وسمعتُ ذات يوم إذاعة لندن باللغة العربية تهيب بالسامعين العرب أن لا يتصلوا بعملاء ألمانيا وجواسيسها المنتشرين في كل مكان. لكيلا تتسرب الأنباء الخطرة إلى إذاعة برلين العربية التي كانت لندن تسميها ماسخة الحقائق.

وفي الواقع فإن مهمة الأنتلجنس سرفيس كانت صعبة عسيرة في البلاد العربية عامة وفي فلسطين خاصة. وقد حشدت لندن كبار رجالها المتخصصين في الشؤون العربية لمعرفة كيفية تسرب الأنباء إلينا. فقد اتفق المسيوكولومباني مدير الأمن في سوريا ولبنان يومئذٍ مع الكولونيل ستيرلينغ مراسل التايمس اللندنية في دمشق على التعاون معاً لكشف أسرار عملاء ألمانيا في سوريا ولبنان.

ووضع بعض الألمان المعروفين في بيروت ودمشق تحت المراقبة وفي طليعتهم مدام غروس مراسلة وكالة أنباء «دي اين بي» .D.N.B دويتشهنا خريشتنديسنت الألمانيـة الرسـمية. والهـر روزز الألماني، وبعـض المعروفين بميولهم نحـو ألمانيا مـن العرب. ولكن حـيرة الأنتلجنس سرفيس البريطانيـة كانت مضحكة حقاً. إذ كيـف يجـوز لنا ونحن قـد دخلنا صميـم المعركة أن نعتمد عـلى رجال عرفوا بميولهم نحو الألمان؟

وهكـذا ضاع الوقت على أعوان بريطانيا وفرنسـا ولم يعثروا على أحد. وظل السر غامضاً عليهم حتى كتابة هذه السطور.

الإذاعة البريطانية تقلدُنا:

ولفـرط تأثـير إذاعة برلين العربية عـلى الرأي العام العربي قبـل اندلاع نيران الحـرب العالمية بعدة أسـابيع قررت هيئة الإذاعة البريطانية فجأة وبدون سـابق إنذار تقليد إذاعتنا في ثلاثة مظاهر رئيسية:

١. افتتاح الإذاعة بتلاوة ما تيسر من آي الذكر الحكيم.

٢. بدء الإذاعة بعبارة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

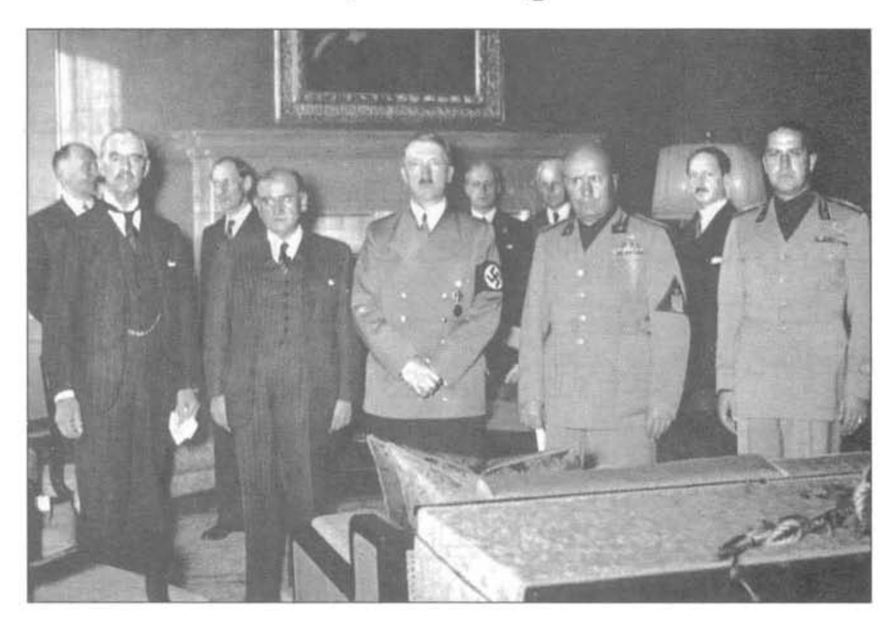
٣. استعمال النكات والتفكه في النقد والانتقاد.

ولكن لندن لم تنجح في استغلال هذه المظاهر الثلاثة. لأننا كنا قد أخذنا منها زمام المبادرة منذ أول تأسـيس إذاعتنا وتعرف العرب عليها، خاصة وأن رجال إذاعتنـا العرب كانـوا في نظر الرأي العام العربي عبارة عـن «مأجورين مرتزقة» يعملون لتقوية الاستعمار، وإدامة قيوده المفروضة على بلاد العرب.

كما أن العرب قد اسـتمعوا إلى إذاعة لندن وكيـف أنها هاجمت هتلر وانتقدته بشـدة لسـماحه بإذاعة القرآن الكريـم. ولما أذاعت لندن بدورهـا القرآن الكريم عـرف النـاس بأنها قـد غلبت على أمرهـا، فقد اذاعتـه مكرهة لا بطلـة. بعد أن شـعرت ولو بعد وقت طويل بأن احترام العرب والمسـلمين لهتلر قد ازداد، وأن

إذاعة برلين قد فرضت نفسها، وشقت طريقها إلى قلوب العرب. فجاءت لندن تـدلي بدلوها إلى جانب دلونا رغم انفها. ولكـن دلوها كان مثقوباً. فانفلت الماء واندلق الدلو في فاتحة المطاف.

وهكـذا فإن جزاء النفـاق المتعمد كان الصدّ عن إذاعـة لندن. وكاد أن يجمع العرب على سـماع إذاعة برلين، بالرغم من وجـود جماعات من العرب الخوارج الذين كانوا يسيرون وراء ناعق الاستعمار، ويروجون له الإشاعات والأضاليل. ويغرمون أو يسجنون من يستمع إلى صوت حي العرب من برلين.



هتلر يستقبل رئيس الوزراء البريطاني تشمبرلن والوفد المرافق له

العرب في ألمانيا قبل الحرب... هيس يكره المصريين...

كان الزعيـم هتلـر يميل منـذ أن بدأ بنشر دعوتـه «الاشـتراكية الوطنية» أي «النازيـة» وهـي الحـروف الأولى من اسـم الحـزب باللغـة الألمانية «ناسـيونال سوسياليسـت» أجـل يميل إلى معاونـة العرب ضـد الصهيونيـة العالمية وذلك بفضـل المعلومات التـي قدمها إليه الدكتـور غوبلز والدكتـور روزنبرغ في أول الأمر.

وقد زاد في ميل هتلر لتأييد القضايا العربية عامة وقضية فلسطين العربية خاصة؛ وجود ساعده الأيمن وخليفته في الزعامة «هيس» الذي نقل إليه الكثير من الشؤون العربية.

إن خليفة هتلر «هيس» ولد وعاش في الإسكندرية وهو يجيد اللغة العربية باللهجة المصرية الإسكندرانية كأي مصري أصيل، ولكنه لسبب لم يعرف كنهه كان يكره المصريين ويحب العرب من غير المصريين. وكنتُ كلما قابلته في نادي الصحافة الأجنبية ببرلين الذي كان يتردد عليه الوزراء الألمان وزعماء الحزب النازي يقبل بكليته عليّ ويصيح بأعلى صوته «إزايك يا خواجه يونس؟ أمال مبسوط... إزاي برلين عاجباك...؟» ولكن الهر هيس إذا رأى مصريا امتقع وجهه وولّى الأدبار حتى ولو كان يتحدث إلى سفير أو وزير. وأذكر على سبيل تأكيد هذه الظاهرة الخفية أنّ الحرب العالمية الثانية لمّا وقعت أمر الهر هيس «خليفة هتلر» بسجن جميع المصريين الذين كانوا في ألمانيا واعتبارهم من الأجانب الأعداء.

وجاءني الصديق الدكتور كمال الدين جلال مراسل الأهرام في برلين بعد عودته من مصر إلى ألمانيا في أوائل الحرب يخبرني بهذا الإجراء التعسفي من الألمان ضد المصريين. وقال إن أمر اعتقال المصريين كان موعزاً به من قبل الهر هيس.

وتأكدتُ الأمر بعدئذٍ من الصديق الدكتور فريتز غروبا الذي صار رئيساً للقسم الشرقي بوزارة الخارجية الألمانية بعد عودته من العراق حيث كان وزيراً مفوضاً لبلده في بغداد وجدة.

والحق أن الدكتور غروبا قد بذل جهد الجبابرة لإطلاق سراح المصريين واعتبار مصر العربية بلداً صديقاً وحليفاً لألمانيا كأي بلد عربي آخر بالرغم عن قطع الدول العربية علاقاتها مع ألمانيا.



العرب حلفاء الألمان:

وقد قال لي الدكتور غروبا أن الزعيم هتلر قد اصدر أوامر إلى قادة القوات المسلحة للرايخ ورجال دولته باعتبار العرب «شعباً حليفاً وصديقاً» حتى ولو أعلنت حكوماته الحرب على ألمانياوعلى هذا الأساس أمر هتلر بإطلاق سراح المصريين المعتقلين وساوى بينهم وبين غيرهم من العرب الذين كانوا في ألمانيا ولم يعتقلوا رغماً عن قطع علاقات دولهم مع ألمانيا.

كان هتلر يردد دوماً قوله إن العراق هو «بروسيا العرب» لأن ارتباطه شخصياً بالصداقة الوثيقة مع المغفور له الملك غازي الأول ومعرفته الدقيقة بمقدرة الجندي العربي، تلك المعرفة المستقاة من المفوضية الألمانية ببغداد، خاصة وأن إعجاب المرحوم الجنرال بكر صدقي بطل الانقلاب العسكري العراقي سنة ١٩٣٦ كان شديداً بالزعيم هتلر. فقد كان متزوجاً مواطنة لهتلر. وهي سيدة نمساوية من العاصمة فيينا وكانت شديدة التأثير على زوجها القائد العراقي الثائر الذي قام بالانقلاب العسكري بالاتفاق مع الملك الخالد غازي الأول، ذلك الانقلاب الذي باركه هتلر وشجع القيام به ضد بريطانيا وبالتالي ضد اليهود في سنة ١٩٣٦-١٩٣٧.

وكان هتلر يولي فلسطين العربية أهمية كبرى في منهجه الخاص المرسوم لتحطيم اليهودية العالمية والقضاء على النفوذ البريطاني المنتشر في الشرقين

الاوسـط والعربي قضاءً لا رجعة فيه.. ومـن أجل ذلك كان يرى في الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر رمزاً للنضال العربي المقدس اول الامر..

كما يرى في السـوريين واللبنانيين دعامة قوية لاسـتقرار الشرق الاوسط وقد حباهمـا بالتفاتة خاصة في مشـاريعه المقبلة التي كان ينـوي القيام بها للتعاون مع السوريين واللبنانيين في الحقلين السياسي والاقتصادي!

واذكـر يومـاً أنّ الزعيم هتلر اسـتدعى الدكتـور غوبلز إلى قصر المستشـارية وطلب اليه ان يستقدمني إلى حضرته!!

الفصل الرابع

- أبن سعود و هتلر
- وأدخلوني على الفوهرر لأول مرة بعد وصولي إلى ألمانيا

أبن سعود... وهتلر...
وادخلوني على الفوهرر لأول مرة بعد وصولي إلى المانيا..

وكان ذلك في العاشر من حزيران ١٩٣٩ ووقفتُ أمام الرجل الذي دوّخ العالم وبهرت شهرته الدنيا بأسرها وكنت اعرفه منذُ سنة ١٩٣٠. وبحركة لا ارادية رفعتُ يديّ محيياً: هايل هتلر.

وردّد هتلر بنفسه: هايل هتلر! ومدّ يده لمصافحتي...

وقال هتلر: أنّ ابن سعود قد ارسل اليه وفداً يرأسه السيد خالد آل هود «القرقني» لمفاوضته في بعض المسائل الخطيرة. فهل تعرف من هو السيد خالد آل هود؟ انني معجب كل الاعجاب بالملك عبد العزيز بن سعود فهو رجل عصامي خلق في الصحراء مملكة ووحّد القبائل والأمارات والمشيخات الصغيرة انه رجل يستحق كل احترامي.

قلتُ: الحق أنّ الملك عبد العزيز كما وصفتم يا أيها الفوهرر وانا اعرفه قبل ان يحتل الحجاز سنة ١٩٢٥ اذ زرته في الرياض عاصمة سلطنة نجد في ذلك الحين.

أمّا رئيس الوفد السعودي العربي السيد خالد آل هود فهو من مجاهدي ليبيا وهو كبير المستشارين للملك بن سعود ورجل له صفات الدبلوماسي البارع.

والتفت الزعيم هتلر نحو الغراف «الكونت» فون ريبنتروب وزير خارجية الرايخ الالماني وهو يفرك يديه ابتهاجاً: أسمعت يجب ان يكون استقبال سفير الملك العربي الكبير مناسباً للمقام.

وكان الأمر كما قال هتلر، فلقد دامت الزيارة الاولى للوفد السعودي إلى هتلر ثلاث ساعات ثم استقبله مرة ثانية في مقر الزعيم في برختشغادين «وكر النسر» بجبال ساليسبورغ النمساوية. لقد جاء الوفد السعودي إلى برلين حاملاً رسالة إلى الملك عبد العزيز آل سعود إلى هتلر لمفاوضته في شأن تسليح المملكة

السعودية بأحدث الاسلحة الالمانية التي طبقت شهرتها الخافقين.

وكما في بغداد كذلك في جدة استطاع الدكتـور غروبا وزير المانيا المفوض في البلديـن العربيين الشـقيقين ان يوفـق بين هتلر والملكين غازي الاول الهاشـمي وعبد العزيز آل سـعود وجعل بغداد وجدة تتطلعان بانظارهما إلى برلين لخطب ودّ هتلر وطلب معونته لتسليح البلدين العربين وتقديم المساعدات الممكنة.



الملك عبد العزيز آل سعود، ويقف وراءه نجلاه الأميران سعود وفيصل

خوف لندن وباريس...

لقـد صـارت الحـرب البـاردة بين المحـور وعلى رأسـه المانيـا وبـين بريطانيا وحلفائهـا قبـل اندلاع الحرب العالمية الثانية بأربعة اشـهر، حربـاً حارة طاحنة! ولم تعـد المجاملات الديبلوماسـية تجدي نفعاً.. لأن التسـابق الدبلوماسي الذي ظهـرت معالمه في هاتيك الايام بين المحور والحلفاء قد ابرز ثقل كفة هتلر بروزاً

مروعاً لبريطانيا وفرنسا. خاصة وان اهم دول الشرق العربي في ذلك الوقت كانت العراق والمملكة العربية السعودية.. ولما اخذ العراق يسير في سياسته على النهج الذي اختطه المغفور له الملك غازي الاول في السير على الاتجاه الالماني منذ سنة ١٩٣٦ والتعاون مع هتلر، ذلك التعاون الذي ظهر في كتائب الشباب ونظام الفتوة في مدارس العراق.. وارسال وفود الشباب إلى المانيا للاشتراك في مؤتمرات الشباب الهتلري ومعسكراتهم، وبتسليح الجيش بأسلحة حربية حديثة كان اخطرها المدافع المضادة للطائرات التي اهداها هتلر إلى الجيش العراقي سنة ١٩٣٩.

جرى اخر استعراض للجيش العراقي وشهده الملك غازي الاول قبل مصرعه في شهر نيسان ١٩٣٩ وشهد الناس لأول مرة المدافع الالمانية المضادة للطائرات، وكم كانت دهشة الديبلوماسيين البريطانيين والفرنسيين عظيمة عند رؤية أول جيش عربي يقتني مثل هذه المدافع.. ويظهر بمثل هذا المظهر القوي المنظم.. والحرب على الأبواب!!

وانهالت التهاني على الملك العربي الشاب. وهو لم يكن يعلم ما يخبئه له القدر! وقد لاحظتُ وانا اذيع وصف الاستعراض العسكري الرائع فقد وصفتُ المشهد قائلاً و مُتعمداً بأنّ السفيرين البريطاني والفرنسي لم يتقدما لتهنئة الملك غازي...ولما عرضت عليه الأمر هزّ رأسه بعنف وقال عبارة «عراقية معروفة» ثم اضاف: وماذا يهمني انني صافحت هتلر وما علينا اذا لم يفهم الاعداء... ويقيناً فإنّ بريطانيا وفرنسا لم تكتما خوفهما من هذه البادرة التي استنها للعرب الملك غازي بتسليح الجيش العراقي باسلحة هتلرية والتعاون سراً وعلانية مع المانيا، وقصد السفير البريطاني وزارة الخارجية العراقية يستفسر ويستنكر واتبعه السفير الفرنسي وحتى السفير الايطالي الذي كان زعيمه الدوتشي موسوليني يحلم ببسط النفوذ الفاشيستي على الشرق العربي قبل غيره... فقد فعل الشيء نفسُهُ...!

لورانس الألماني:

لقد اعتبرتْ لندن منذ حدوث الانقلاب العسكري العراقي لسنة ١٩٣٦ بقيادة الفريق بكر صدقي «الدكتور فريتز غروبا» وزير المانيا المفوض ببغداد، الخطر الاول والمباشر عليها في بلاد العرب، فسجله الكولونيل هولمز المستشار الشرقي للسفارة البريطانية ببغداد انه «عدو» بريطانيا في بلاد العربية رقم «١».

وكان الكولونيل ديكوري المشرف على رجال الانتلجنس سرفيس في الجزيرة العربية يزورني في مكتب جريدتي اليومية المسائية «العقاب» ببغداد باعتباري صديقاً شخصياً له منذ امد بعيد.. وكان يعلم مدى صداقتي الوثيقة بالدكتور غروبا التي يرجع عهدها إلى عام ١٩٣٠ ببرلين بواسطة المغفور له امير البيان العربي الامير شكيب ارسلان، وكان يستدرجني للتحدث عن الدكتور غروبا ونشاطه السياسي.. فكنت اراوغ في اجوبتي واصفاً الدكتور غروبا بأنه ديبلوماسي من الدرجة الثالثة لا ينبغي لبريطانيا ان تعيره كل هذا الاهتمام.

قلتُ للكولونيل ديكوري ذات مرة.. انني شخصياً الرجل الذي عمل على تقوية علاقة المانيا بالعراق وبعاهله الملك غازي الاول.. وليس الدكتور غروبا الذي لا شأن له بهذه الامور الا شأن الوسيط الحريص على تأدية الرسالة الديبلوماسية بحذافيرها! كما يستمد وحيها من برلين.

فرد على ديكوري ردا بريطانيا ناعماً بقوله: اننا قبل ان نتفاهم مع الاصل.. يجب ان نزيل الوسيط من طريقنا.

وأضاف قائلاً: انك رجلٌ خبيثٌ وخطرٌ! وكأنه شعر بالخطر الذي ارتكبه فقال مبتسماً: ورجل ظريف ومحبوب!!

إنّ «صاحبـك» الدكتـور غروبا اخطر منـك.. أي لقب تعطيه لو كنت في موضعي ؟

قلـتُ: إنّ الدكتور غروبا يمكن اطلاق اسـم «لورانـس العرب الجديد» عليه..

قـال: صحيـح وزيادة.. ذلـك لأنّ لورانس العـرب القديم يثـير القبائل والبدو..اما صاحبك غروبا فهو يثير الدنيا ويقلبها ضدنا.. افهمت يايونس البحري ؟ يا شريك لورنس العرب الجديد؟ قالها وهو يصر على اسـنانه من شدة الحنق. ضحكتُ ثم قلتُ له: خليك بريطاني!

قال: ماذا تعني؟

قلتُ: يعني خليك بارد..



الأمير محمد البدر نجل ملك اليمن الإمام يحيى أبن حميد الدين

وملك اليمن بعد رحيل والده



نيقولا (ثابت) عبد النور

مبعوث الإمام يحيى إمام اليمن إلى الزعيم الألماني أدولف هتلر

إمام اليمن... وهتلر:

اتسع مجال العمل في نطاق الإذاعة العربية وازداد نشاطها بعد هذا الإقبال المنقطع النظير على سماعنا من هذا المستمع العربي الحر الذي دوخ بريطانيا وحليفاتها، وبعد ان كتب الخبر وأذيع بالتعاون مع الدكتور روت المراقب الألماني في الإذاعة أوفد لنا الأمير شكيب ارسلان أحد كبار العلماء العرب الدكتور محمد تقي الدين الهلالي من أعلام مراكش وكان يدرس شهادة الدكتوراه في جامعة بون. والحق أن هذا العلاّمة قد أفادنا فوائد جُلّى في العمل لإخراج الإذاعة العربية بشكل قوي وممتاز. خاصة وأن البلاغات الرسمية الصادرة عن مقر القائد الأعلى لقوات الرايخ المسلحة تحتاج إلى شرعية.. كذلك فعل الأستاذ فرج الله ويردي الكيميائي العراقي المعروف ببغداد.

قبل شهرين من وقوع الحرب سلمتُ اول برقية للمغفور له الإمام يحيى حميد الدين ملك اليمن يبسط فيها الخلاص اليمني البريطاني ويشرح العدوان البريطاني على المحمية عامة وعلى منطقتي شبوة والبيضا اليمنيتين وعرضتُ البريد على الدكتور غوبلز، و بعد ساعة قيل لي أن هتلر يرجو أن توضع الإذاعة العربية تحت تصرف الإمام يحيى ملك اليمن.

وأبرقتُ إلى الإمام يحيى بجلية الأمر ورد عليّ شاكراً حسن تصرفي.. ورحتُ أصلّي بريطانيا نيراناً حامية واخذت برقيات الإمام يحيى تنهال عليها يومياً ونحن نزيد عليها شرحاً وتعليقاً حتى صارت قضية اليمن. فلسطين الثانية!

وامر هتلر قسم الإذاعات الأجنبية الأخرى التي تبث من محطتنا أن تنقل عنا ما نتقول ونذيع عن فلسطين واليمن باللغة الإنكليزية. وأمر الإذاعة الفرنسية أن تقوم بإذاعة اقوالنا عن سوريا ولبنان والمغرب العربي بأقطاره الثلاثة تونس والجزائر ومراكش والمنطقة الخليفية وطنجة من مراكش.

وقبل أن تعلن إيطاليا الحرب على فرنسا بثلاثة اشهر، أي في شهر نيسان ١٩٤٠ تسلمتُ برقية من الإمام يحيى حميد الدين يقول فيها ما نصه.. بالنظر

للعطف المتواصل الذي تبدونه لقضيتكم اليمنية من إذاعة برلين واعترافاً بفضلكم والزعيم هتلر على إحدى قضايا العرب الكبرى فإنني أستشيركم في أمر إرسال هدية مني للزعيم المجاهد هتلر. فبماذا توصوننا؟.

هدية الأمام وبريطانيا:

لم أخبر أحداً عن برقية الإمام يحيى وابرقت إليه راجياً إرسال كمية من القهوة اليمنية الشهيرة بإسم قهوة «المخا» لأنها القهوة المفضلة في ألمانيا، ويسمونها «كافي موكا». وقد ارتفعت أسعار القهوة في ألمانيا في تلك الأيام لندرتها وانقطاع وصولها من أمريكا الجنوبية والمستعمرات الفرنسية في أفريقيا عنا بسبب الحصار البريطاني الفرنسي المعاكس المفروض على ألمانيا. وقد بلغ سعر الكيلو الواحد من القهوة في المانيا يومها أرقاماً خيالية جنونية لا تكاد تصدق.فصار سعر الكيلو الواحد ألفاً وخمسمائة مارك أي ما يعادل ١٥٠ جنيها..

وكانت اجمل فتاة برلينية تركع خاشعة متلهفة عند رؤية حفنة من «كافي موكا» فكيف بالرجال؟

إنّ الشعب الالماني اشد شعوب العالم حباً للقهوة اليمنية وتعلقاً بها.. وكذلك الزعيم هتلر الذي كان يرتشف جرعاتها لتوحي اليه ما توحي.. من افكار صاعقية مدوية!

وعلى هذا الأساس طيرتُ إلى الإمام يحي برقية رجوته فيها ان يبعث هديته إلى الزعيم هتلر كمية من القهوة «بن كافي موكا»

وفي المساء تسلمتُ برقية من ملك اليمن يقول فيها:الهدايا تصلكم على باخرة ايطالية.. ورفعت البرقية الفوهرر.

فحازت على الرضى والقبول...

وبعد مضي اسبوع من تاريخ البرقية اذاع راديو لندن باللغة العربية نبأ من بور سودان قال فيه:

لقد صادرت مدمرة بريطانية في البحر الاحمر عليمقربة من الشواطىء الاقليمية السعودية قبالة ميناء الليث الحجازي هدية إلى الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن التي ارسلها على باخرة ايطالية إلى هتلر!

ثم قال المذيع العربي الانكليزي وهو يتهكم: ان في استطاعة هتلر بعد هذا، الاستمرار على شرب قهوة «الايرزاتزط» المخلوطة بعد مصادرة قهوة الامام يحي التي تلذذ بشربها جنود جلالته الامبراطورية.. فما كان مني الا المبادرة بتكذيب خبر المصادرة وقلتُأنّ الهدية ستصل في الموعد المحدد لها..

وفي الواقع فان الزعيم هتلر قد تأثر من هذا الحادث البسيط.. وبلغ من تأثره انه أمر الماريشال غورينغ بأن يزيد في قصف بريطانيا! فمسحت قنابله مدينة كوفنتري وازالتها من على وجه الأرض.

وابلغتُ الإمام يحي النبأ برقياً فجاء الرد انه سيضاعف الهدية فبدلاً عن ٢٥٠٠ طناً من القهوة ستكون الكمية ٥٠٠٠ طناً.

وبالفعل وصلت هدية ملك اليمن الثانية إلى برلين..

وقدمتها إلى الفوهرر بصحبة الدكتور غروبا فوزعها حصصاً على القوات الالمانية المسلحة، واهداني ٢٥٠ كيلو من البن كانت ثروة هائلة بالنسبة لي في ذلك الحين.. وجعلتُ اسراب الحسناوات تتراكض وتتكاثر على يونس بحري الذي ما عاد يدري ما يصيد! (تكاثرت الظباء على خراش)...!

وبالرغم من حاجة هتلر الشديدة و المُلحّة إلى القهوة فلم يترك لنفسه منها سوى ٢٠ كيلو أي انه فضلني على نفسه.. وهذا منتهى نكران الذات...!

مندوب الإمام إلى برلين:

كان الدكتور غروبا وزير المانيا في بغداد وجدة قد زار الامام يحي في صنعاء أثر قيامه بتقديم اوراق اعتماده وزيراً مفوضاً ومندوباً فوق العادة لبلده لدى

البلاط السعودي بجدة، وكانت اذاعاتي قد سبقته إلى اليمن، فاستقبله الامام بحفاوة بالغة.

واقنع الوزير الالماني عاهل اليمن بالتعاون مع المانيا الهتلرية بسهولة، بعد ان ذاق من البريطانيين في المحميات وشبوة والبيضا اليمنيتين ما ذاق من عدوان متلاحق الحلقات لم ينقطع حتى يومنا هذا!

ابدى الامام يحي ارتياحه واستعداده للتعاون مع الرايخ الالماني، ووعد بأرسال مندوب عنه إلى برلين لإتمام المفاوضات التي قام بها الدكتور غروبا.

وبالفعل اتم ملك اليمن ما وعد.. وارسل المندوب الذي وصل برلين بعد ان وقعت الواقعة واشتعلت نيران الحرب الثانية التي لم تعلن!

فمن هو هذا المندوب...؟!

إنّ للحقيقة والتاريخ علينا دينٌ وايّ دينْ! وهذا الدين يحتم علي خسارة اصدقاء اعزاء كنت اعتز بصداقتهم.. واعتبر نفسي من اقرانهم وخلانهم.. ولكن ما العمل والحقيقة والتاريخ لا يرحمان، ولا يخجلان...؟!

كان مندوب الامام يحي إلى برلين من قدامى ساسة العراق، والثوار الاوائل.. ومناقرب المقربين إلى السيد نوري سعيد اكثر رؤساء وزارات العراق حظاً في الحكم وفي الرئاسة..

هذا المندوب هو: الخواجة نقولا ثابت عبد النور الذي صار في غفلة من الزمن قائماً بأعمال المفوضية العراقية في جدة بعد لندن. ولما اعفاه رئيسه وصديقه السابق نوري باشا السعيد من خدمة الحكومةالعراقية في جدّة لأسبابٍ نحجمُ عن ذكرها.. قصد هذا الخواجة اليمن واستحوذ على لُبّ الامام ببراءته اللفظية التي يجيدها والحق يقال..

وقد وفد مندوب الامام يحي على برلين، وكصديق مواطن لي «فهو مثلي من الموصل» اوصاني به الامام يحي خيراً ببرقية خاصة، استقبلته في مطار تمبلهوف

قادماً من روما.

كان مندوب ملك اليمن يحمل رسالة تفويض رسمية من الامام مع رسالة اخرى شخصية من الامام يحي إلى هتلر مضافاً اليها الوف الجنيهات الذهبية لشراء الاسلحة من المانيا!

اما رقم الجنيهات الذهبية التي كان يحملها في حقائبه مندوب الامام فلم تعرف بالضبط... وقد اختلفت الاراء في معرفة عددها...!

وصحبتُ القائم بالأعمال العراقي السابق في جدة إلى الدكتور غروبا مدير القسم الشرقي بوزارة الخارجية في ويلهلم شتراسه.. ولم يكن المندوب اليمني بحاجة إلى تعريف، لأنه كان زميلاً للدكتور غروبا في بغداد وجدة..

ولكنني زيادة في تكريمه رأيتُ من الواجب ان اقوم بالمهمة كعراقي عربي وكصديق له وللإمام يحي الذي تعرفت عليه في صنعاء عام ١٩٢٩.

وبدأت المفاوضات اليمنية الالمانية..

عرض المندوب الامامي القهوة والقطن «كذا» والتمور..»كذا ايضاً» والجلود والمصارين على حكومة الرايخ كبضائع تصدرها اليمن إلى المانيا مقابل اسلحة تصدرها برلين إلى صنعاء على بواخر ايطالية، على ان يدفع قسم من الثمن بالجنيهات الذهب التي كان يحملها معه جناب المندوب الامامي الكريم.

واستمرت المفاوضات.. واستمر الخواجة نقولا ثابت عبد النور يسهر الليالي في طلب المعالي..

وفي كل يوم يبرق لي الإمام يحي و إلى مندوبه مستفسراً عن نتيجة المفاوضات مع هتلر فكنتُ اجيبُ بأنها سائرة على احسن ما يرام...!

وكان مندوب «جلالته» يجيبُ بأنها على وشك الانتهاء بنتائج باهرة لبلاد الرغد السعيدة اليمن!!

طرد مندوب الإمام...!

كنتُ أسهرُ مع جناب القائم بأعمال العراق السابق في جدة.. ومندوب ملك اليمن إلى المانيا الهتلرية في الملاهي والمقاصف وكان يبذر الأموال بسخاء وكرم حاتميين.. فلقد كان الخواجة ثابت يهب ما لا يملك.. انها اموال الامام جمعها من الزكاة التي كان يأخذها من اليتامى والأرامل والمساكين...!

ومرت الأيام والأسابيع والشهور وتوقفت المفاوضات... وفجأة توقف جناب مندوب ملك بلاد العرب السعيدة عن دفع النفقات.: نفقات الفندق الذي كان ينزل فيه. وكان يعرض جسده عارياً ولحيته المثلثةالمدببة على جيرانه في المنازل المجاورة له من نافذة غرفته ظناً منه أنه يستزيد من الإغراء والاستثارة.. مع أنه كان ولا يزال بقصر قامته يظهر وكأنه نقطة مربعة.. «بوان كاريه» يسير على قدمين!

وجاء الدكتور غروبا يسألني رأيي في هذا الرجل..

لقد عرف الغستابو حقيقته واشتهرت فضائله وامتناعه عن دفع تكاليف معيشته الضخمة لنفاد الألوف المؤلفة من جنيهات الإمام الذهبية من ليرات عثمانية وبريطانية «أبو الخيال» وفكتوريا.. وجورج الخامس! وحتى جورج السادس المثلث الرحمات...!

قلتُ لصديقي الدكتور غروبا إن مهمة مندوب الإمام يحيى قد استنفدت أغراضها كما استنفد هو جنيهاته!

ولم يبق أمامه والحالة هذه إلا إعطائه جواز سفره، والقول له تفضل إلى سويسرا تجد ما يسرك..

وهكذا اقتاد رجال الغستابو جناب المندوب الإمامي العالي الجناب السيد نقولا ثابت عبد النور إلى الحدود السويسرية.. وقيل له: ودّع هريرة...!

الفصل الخامس

- العرب في ألمانيا إبان الحرب العالمية الثانية

العرب في المانيا...
إبان الحرب العالمية الثانية...

كانت الألعاب الاولمبية العالمية التي اقيمت في برلين سنة ١٩٣٦ وسيلة لتوثيق الصلات بين المانيا والعرب فلقد دعا الزعيم هتلر نخبة ممتازة من زعماء العالم القومي المثقف، وقد قام المتخرجون العرب من جامعات المانيا بدور رئيسي في تجديد العلاقة بين المانيا الهتلرية والعرب.. بعد أن كانت الدعاية اليهودية الانجلوسكسونية الفرنسية قد عملت المستحيل لإبعاد

الاتصال بين المانيا والعرب.. حيث روّجت بإلحاح اشاعات تفيد بأنّ المانيا الهتلرية هي ضد العالم العربي وانّ هتلر يمقُتُ العرب الذين وضعهم في الدرجة الرابعة عشرة من اصناف الأجناس البشرية..

والحقيقة التي لا مناص من ذكرها، هي ان دور النشر اليهودية خارج المانيا هي التي دسّتْ هذه الفصول في كتاب هتلر الأول «كفاحي» واعادت طبعه على حسابها لتشويه سمعه هتلر وجعل كتاب «كفاحي» الذي هو دستور الحزب النازي وبالتالي الشعب الالماني يظهر بمظهر المتعالي على الاجناس البشرية.. الأمر الذي جعل العنصر الآري تزعم بأنها تحمل طابع « شعب الله المختار» وأن تكون المانيا الهتلرية وعلى رأسها هتلر «فوق الجميع»!

النادي العربي:

أسّس فريق من شباب العرب النادي العربي في برلين وجعلوا قصره في افخم واجمل شارع في عاصمة الرايخ «كروفورد ستندام شتراسا» الذي يضاهي شارع الشانزليزيه في باريس روعة واناقة..

وقد شجّع الدكتور فاضل الجمالي من رؤساء الوزارات العراقية هؤلاء الشباب وكان يومها مديراً عاماً للتربية والتعليم في بغداد..

ومن اجل ذلك راح الادون موشى شرتوك المسمى الآن موشي شاريت وزير خارجية عصابات اسرائيل في هيئة الامم المتحدة يُعيّر الدكتور فاضل الجمالي رئيس الوفد العراقي ويصفه بكونه عميلاً لهتلر ومتعاملاً مع المانيا النازية.. وبأنه «نازي»!!

ويظن الأدون شاريت اليهودي انه بهذا الوصف يخدش كرامة الدكتور الجمالي.. ويؤلب عليه الوفود الدولية...!

النازية مفخرة الألمان:

لقد عرف الدكتورغوبلز كيف يستغل هذا الظرف لحسابه، فهو يعلم علم اليقين أنّ الإنتصارات ليست مضمونة على الدوام، فراح ينظم الاجتماعات تلقى فيها الخطب والأناشيد، وتعزف فيها الموسيقى اعذب الالحان واشجاها ويدعو الشباب الهتلري والشابات الهتلريات الى حفلات راقصة تقدم فيها البيرة والخُمور مجاناً. وشملت هذه الاجتماعات والحفلات جميع انحاء المانيا حتى لقد خيل لنا في هاتيك الايام بأنّ المانيا كلها قد اصبحت ضمن اجتماع واحد وحفلة راقصة واحدة!!

وقد شبه هذه الحفلات الالمانية الصاخبة بحفلات ١٤ تموز الفرنسية الراقصة النازية التي كانت تنتهي في حفلات الرقص بقضاء (الحاجة الجنسية) في التو واللحظة وفي نفس المكان.. وعلى نقيض احتفالات ١٤ تموز الفرنسية الراقصة التي كانت لا تنتهي بصيد نسائي إلاّ بعد انتهاء الحفلات في ساعة متأخرة بعد منتصف الليل ؟!

لم تعد هناك حاجة بعد هذا كله الى دعاية داخلية لحمل الالمان على الانضماملحزب النازي، فلقد هزّ الشوق المفاجئ.. للانضمام الى الحزب النازي! وصار كل الماني يباهي الدنيا بأسرها بكلمة «نازي» حتى أنّ الدكتور لأي رئيس قسم التنظيم في الحزب النازي صرّح في ١٥ تموز سنة ١٩٤٠ بقوله: أنّ النازية اصبحت اليوم مفخرة المانيا!!

التنافس على عضوية الحزب:

لقد صار التنافس للحصول على عضوية الحزب النازي كالطوفان الذي اغرق الجميع، فالشاب الالماني الذي تقاعس حتى ذلك اليوم عن الانضمام الى منظمة الشباب الهتلري، والفتاة التي استنكرت بتقزز وجود منظمة الشباب الهتلري المختلطة بالشباب والشابات، يُحلّلون ما حرّم الله والتقاليد المرعية، وأصبحت فجأة تذوب شوقاً لتذوق هذه الحياة الجديدة المليئة بالمباهج والملذات.. وهكذا فإنّ كل الماني أصبح يريد ان يتخذ له مركزاً في الحزب النازي ولات ساعة مندم...!

كان بعض رجالا لـ SS جيش الصاعقة الذين انخرطوا حديثاً في هذه المنظمة النازية التي يتمثل فيها الطراز الأروستقراطي من الشباب الهتلري يتحرقون للحصول على ارقام الانتساب الأولى للحزب النازي، إذ أنّ شخصية صاحب أصغر رقم في الحزب تصير بطبيعة الحال كبيرة في نظر رجال الحرب والطوائف المؤيدة للحزب، تلك الطوائف التي لم يسمح لها منظمو الحزب بالانضمام لعضوية الحزب النازي لأسباب قديمة ترجع الى ما قبل وصول هتلر الى الحكم. فقد يكون أحد أولئك المرفوض طلبهم قد انتقد هتلر مرة أو تحامل على غوبلز، أو نوّه بأنّ، الدكتور لأي يكثر من شرب الكحول، وما إلى ذلك من ذكريات لا تستحق الذكر.

ما لا يقبله غوبلز يقبله غورينغ:

كان الدكتور لاي رئيس هيئة التنظيم في هيئة الحزب النازي عنيفاً في الحزب من أن تتسرب إليه العناصر الهدامة والانهزامية والرجعية. فكان يدرس شخصية كل طالب انضمام على حدة، ويرجع الى ملفات البوليس والمحاكم، ومحاكم غرف التجارة والبلديات لمعرفة ما إذا كان الطالب من أصحاب السوابق أو أن شرفه ملوث بتهمة تخل بالشرف أو جريمة، وحتى الإفلاس كان جريمة بنظر الدكتور لاي. لأنه يعتبر الإفلاس من الجرائم المخلة بالشرف. هذا وبلغ عدد

الأشـخاص الذين رفض طلبهم بالانضمام الى عضويـة الحزب النازي ومختلف منظماته المتفرعة عنه زهاء عشرة ملايين من رجال ونساء!!



هتلر يحتضن طفلتين من بنات الذوات المسؤولين



في الطبقة الأروستقراطية في إحدى المناسبات بلهفة و محبة

طبقات ألمانيا الهتلرية:

أما الباقي من الشعب الذين يؤلفون «الطبقات الألمانية الآرية النظيفة» كما كان يقول الدكتور روزنبرغ فيلسوف الحزب النازي فهم سكان ألمانيا الكبرى Gross Deutchland التي تشمل ألمانيا والنمسا وبلاد السوديت المتقطعة من تشكوسلوفاكيا كذلك الألزاز واللورين.. وهكذا فإن ألمانيا الكبرى من أقصاها الى أقصاها قد أصبحت نازية.. ما عدا العشرة ملايين الملوثين الذين نبذهم الحزب النازي وأقصاهم عن حضيرته، وهؤلاء لم يدخل اليهود في عدادهم، بهذا اصبحت المانيا تتألف من أربع طبقات: الطبقة الحاكمة: وهم هتلر وبقية أعضاء الوزارة البروسية التي يرأسها ماريشال الرايخ هرمن غورينغ وبما فيها غوبلز وهملر وقادة الـ S.S والـ .S.A وبالدور فون شيراخ رئيس منظمة الشباب الهتلري والدكتور لاي رئيس التنظيم للحزب، وطبقة الجيش، وطبقة المموّلين، والعمال. كان الدكتور غوبلز يرفض كل وساطة لقبول أحد المرفوضين من الحزب عضوا في الحزب النازي. وكان جُلّ المطالبين بالعضوية على استعداد لدفع نصف ثروتهم ليكونوا أعضاء في الحزب.

ولكن قائد فرقة موسيقى «برلنير فيلها رمونيكا» البروفيسور فورثو الذي كان دائم الخلاف مع الدكتور غوبلز بخُصوص الموسيقيين والمغنين اليهود ومنعهم عن العمل. أجل كان البروفيسور من أصدقاء غورينغ، فاستطاع أن يحمل غورينغ على تسجيل بعض أولئك المرفوضين من الحزب في مختلف مؤسسات رئاسة وزارة بروسيا أو وزارة الطيران، وكان ماريشال الرايخ يقبل من صديقه البروفيسور فورثوانغلر «الهدايا الثمينة» التي كان يقدمها طلاب العضوية النازية، ليكونوا بمأمن من رجال هملر «الغستابو».

لقد سمعتُ اكثر من مرة الاشاعات تروى من مصادر نازية عليا بوزارة

الدعاية تؤكد أنّ الماريشال غورينغ قد سجل عدداً من اغنياء اليهود اعضاء المؤسسات التابعة لوزارتهم فحماهم من قانون الحزب، ومن رجال هملر..

غورينغ يقول..

أنا الذي أقرر من هو اليهودي!!

لم اكن اعتقد بأنّ رجلاً كماريشال الرايخ غورينغ الذي صار الرجل الثاني في المانيا بعد هتلر اثر فرار الهر هيس نائب الزعيم الى بريطانيا ان يقبل عضوية اليهود في وزارته التي كانت عصب الجهاز الحربي للرايخ الالماني الثالث: كنا بدار الاذاعة الالمانية «فونك هاوس» في ساحة ادولف هتلر بلاس، نتجاذب اطراف الحديث بمكتب الدكتور شميتهانزن حين قال هانس فريشتيه: ذهب الدكتور لاي بعد ظهر اليوم الى الماريشال غورينغ يستفسر منه عن الشائعة الدائرة حوله والتي تفيد بأنه قد قبل بعض اليهود اعضاء في دوائر وزارته؟ فردّ عليه غورينغ بشدة وبغضب: اذهب يالاي «ويريو دا ايت» داس بشتيمايش» أي ما ترجمته: إني انا الذي اقرر من هو اليهودي!!

قال هانزن: وماذا كان وضع الدكتور غوبلز؟

قال فريشتيه: صاح غوبلز بنا قائلاً: إنّ غورينغ سيخرب المانيا!

قلتُ: وماذا قال الزعيم هتلر؟

قال: قال الزعيم أنّ غورينغ يعرف ما يقول!!

قال هانزن: يقولون ايضاً ان زوجة المارشال غورينغ الممثلة هي «يهودية»

قال فريتشه: هذا صحيح..

إيفا براون... يهودية...!!

وذهب الهر هانس فريتشه، وبقينا نحن الثلاثة الهر شميتهانزن والدكتور

فون براوخيتش شقيق الجنرال فون براخيتش رئيس اركان حرب الجيوش الالمانية العام يومئذ وانا في مكتب شميتهانزن.

وما ان اقفل الباب حتى التفت إليّ الدكتور فون براوخيتش وهو مدير مكتب المعلومات للإذاعات النازية وهمس بأذني وهو يلتفت ذات اليمين وذات الشمال قائلاً: لا تستغرب ياهر بحري من كل هذا الذي سمعت فان خليلة الزعيم هتلر فراولاين ايفا براون هي «يهودية» وأنّ استاذها او معلمها المصور هوفمان يقال عنه انه يهودي ايضاً.

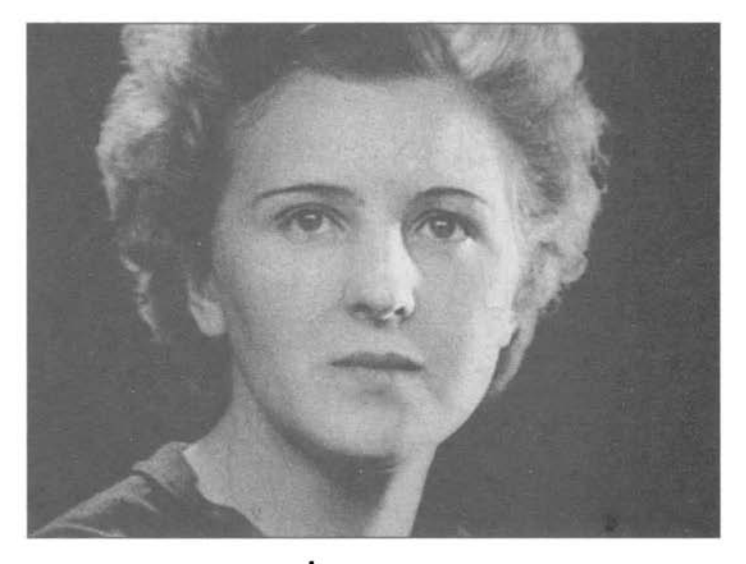
قلتُ: وماذا يقول الزعيم هتلر في هذه الحقائق قال: لا ادري ربما يقول هتلر ما قاله الماريشال غورينغ للدكتور لاين أنّ من يقرر من هو اليهودي هو انا...!

كنتُ قد تعرفت الى فراولاين ايفا براون في ليلة الثلاثين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٣ في فندق كايزرهوف حيث جرت الحفلة التاريخية الكبرى بنقل سلطات الحكم الى «الزعيم» ادولف هتلر، وكانت الفراولاين ايفا براون مرتديا ثوباً من الموسولين الابيض الخاص بالسهرة يبرز «ديكولتيه» الواسع مفاتن اعالي صدرها وكتفيها الابيضين العاجيين. وكان قوامها السمهري المقدود كرمح مختال اذا مشت ودارت لالتقاط الصور الرسمية للزعيم هتلر فإنما تهوي على من يراها بضربات قاسيات ذات اليمين وذات الشمال.

لقد كانت ايفا المصورة الوحيدة التي سمح لها بالتقاط صور هذا الحفل التاريخي لأنّ هوفمان كان المصور الرسمي الوحيد لأدولف هتلر وهو الذي علّم تلميذته فراولاين ايفا براون كيف تصور «الزعيم» ومن أي ناحية تبرز شخصية الفوهرر هتلر...!




الفوهرر هتلر وعشيقته إيفا براون



العشيقة إيفا براون مُلهمة هتلر

كيف تعرّف هتلر بإيفا براون...؟!

لما فتح الدكتور غوبلز ابواب برلين امام هتلر فتغلّب على الغول المخيف «برلين، بسحق الشيوعيين واليهود في انتخابات الرايخشناغ «البرلمان الالماني وحصولها على ١٧٥ مقعداً بأعضاء الحزب النازي ابرق غوبلز الى الزعيم هتلر للحضور الى برلين وهو واركان حرب الحزب النازي للاحتفال بالفوز العظيم الذي سيقرب كرسي الحكم الى الزعيم في اقرب فرصة ممكنة...

وجاء هتلر الى برلين لأول مرةودخلها دخول الفاتحين حيث استقبلتهُ

الألـوف المؤلفة من جماهير شـعب طال أمـد كبته منذ افول نجـم الامبراطورية الالمانيـة وتقلـص ظل قيـاصرة آل هوهنز ولـيرن. وكانت الاعـلام النازية التي تعلوها شارة «السواستيكا» الصليب المعقوف تحجب السماء عن الانظار لكثرتها وكثافـة حجمها، والهتافات تتعالى من كل حدب وصـوت بحياة الزعيم «هايل هتلـر» وكان مـن بين المستقبلين مصور برليني لم يفارق هتلـر منذ وصوله محطة قطار «آنهالتربانهوف» الى «شـبورت بالاس» قصر الرياضة، حيث أعدّ الدكتور احتفـالاً ضخماً لم تشـهد له برلين مثيلاً منذ ايام القيـصر ويلهلم الثاني امبراطور المانيا قبيل الحرب العالمية الاولى.

لقد اخذ هوفمان وتلميذته فراولاين ايفا براون سلسـلة رائعة من الصور منذ محطـة القطار «آنهالتربانهوف « الى شـبورت بـالاس « كانت اضخم مجموعة من الصـور شـهدها هتلر في حياته، وهي مؤلفة من ٣٦٥ صـورة تمثل المراحل التي قطعها الزعيم في دخول برلين بشكل جذاب يأخذ بمجامع القلوب.

ولما كان هوفمان المصور من الرجال الذين يقرأون الخط الممحي كما يقولون، فلقد سـولّت له نفسـه الأمّارة بالخـير أن تكون الفراولاين ايفا بـراون هي التي تقدم بنفسها مجموعة الصور الى الزعيم هتلر الذي اشتهر في طول المانيا وعرضها كونـه «رجـل صاحب ذوق» يحبّ الجـمال، ويجيد التحدث الى النسـاء او بعبارة اصح رجل من رجال الصالونات يعرف كيف يجعل من نفسـه «شيفالي» فارس ماهر.

نظرة وابتسامة.. الخ..

وفي عشـية اليـوم التـالي على وصـول هتلر برلين جـاءت ايفا بـراون تعرض مجموعـة الصور على الزعيم ويتلقاها «ايفا براون» لا الصور بقبول حسـن جداً وجـداً للغاية، ومع انه اعجب بالمجموعـة اعجاباً لا يقل عن حاملة المجموعة، غير انه كرسـام سـابق، كان متأثراًبالألوان الزاهية وبالريشـة المرهفة التي تظهر المفاتـن والمغريات على الجدران والحيطان وعـلى الورق وفي الذاكرة التي تعرف

كيف ترسم الصور على رسلها وكما تشاهد بالعين المجردة..

لقـد كان هتلـر انسـاناً لـه عاطفتـه وقلبه واحاسيسـه، قبـل ان يكـون زعيماً وقائداًلحزب سياسي يريد الوصول الى كرسي الحكم من اقرب السبل.

لما رأى هتلر ايفا براون وهي جاثمة على المقعد الى جانبه تعرض عليه مجموعة صوره الانيقة وانفاسـها الحارة المختلطة بعطر شانيل تتسرب الى انفه الحساس، التفـت الى الدكتـور غوبلـز الجالـس على يمينـه وقال لـه بهمس: لقـد وجدتُ ماجدتي!!

ويشيرُ هتلر بهذا الى انه انه قد وجد حبيبته، كما وجد غوبلز في زوجته (ماجدة) التي تزوجها قبل مدة من وصول هتلر الى برلين..

ومنـذ ذلـك اليوم اصبحـت الفراولاين ايفا بـراون جزءاً لا يتجـزأ من حياة هتلـر اليوميـة، تجدهـا معه- كمصـورة صحفيـة رسـمياً - في الاجتماعات وفي الرايخشـتاغ.. وفي قـصر المستشـارية، القائـد الأعلى للقـوات الالمانية المسـلحة المحاربة والمرابطة في الوطن...



صورة هتلر مع عشيقته

داس فراولاين ايفا براون اوبرآل...

ومرّتْ الأيام تترى في المانيا واعلن هتلر الحرب على اوربابأسرها. واجتاحت جيوش الرايخ شمال اوربا حتى القطب الشمالي. واحتلت اوربا الغربية. واحتلت البلقان ونصف روسيا الشيوعية ووصلت قوات هتلر القفقاس، وفي كل مكان وجد فيه هتلر في هذه الأقطار المحتلة كانت ايفا براون الى جانب هتلر، تأخذ له مختلف الصور والأوضاع وتسجل مراحل حياته كما تسجل الساعة الثواني والدقائق بالضبط.

لقد كانت سجل تأريخ حياته الحافلة بالمغامرات وبالفرح والسرور والغضب واليأس، بل كانت شريكته بالسرّاء والضرّاء تحملت معه النكبات، وساهمت معه في ساعات النصر الكبرى في الروهز والسار، وفيس فيينا وفي انتقال الحكم وفي براغ وفي بولندا، وسجلت صورةُ الطافحة بالبشر تحت قوس النصر في باريس حيث كانت قوات الرايخ تدخل عاصمة فرنسا ولا يسمع فيها سوى وقع أقدام الجندي الألماني يمشي مشية البط من شارع الجيش الكبير جيش نابليون الأول «لافينيو دولا غراند آرمي» عبر قوس النصر، الى شارع الشانزيليزيه فقلب باريس ساحة الكونكورد...!

لقد كان كل ألماني يردد قبل كارثة ستالينغراد إنّ ألمانيا فوق الجميع!

أما بعد كارثة ستالينغراد فإنّ كل ألماني كان يردد همساً إن فراولاين بران هي فوق الجميع!!

يا للعار والشنار إنّ الناس في ألمانيا أصبحوا يقيسون الزعماء بمقياس الانتصارات، فإذا لم يكسب القائد أو الزعيم معركة فإنه يكون قد ارتكب أمراً إفكاً.. إنه قد صار صفراً الى اليسار...!



هتلر مع العشيقة

قال هتلر أنا... مثل ادوارد الثامن...؟

لقد أحبّ هتلر ايفا براون حباً وازى حبه زعامة ألمانيا بأسرها، حتى أنّ الدكتور روزنبرغ لما نبّه هتلر الى ما يدور حوله من الهمز والغمز من جراء حبه إيفا براون.. انفجر هتلر صارخاً بوجه روزنبرغ، واعترته نوبه عصبية لم يسبق لأحد من زعماء الحزب النازي أن رأى لها مثيلاً!!

ضرب هتلر المصباح الكهربائي الموضوع على مكتبه المستطيل في غرفة الخرائط في قصر المستشارية ورفس الكرسي الوثير الذي إعتاد أن يجلس فوقه تحت صورة الإمبراطور فردريك الكبير الزيتية برجله وزمجر قائلاً: ماذا تريد مني؟

إنّ قادة الجيش من جنرالية ومارشالات هم خونة!!

لقد باعنا الماريشال فون باولوس بثمن بخمس... دراهم معدودات..!

علينا أن نقول الحقيقة للشعب الألماني! كفانا تمسكاً بالشكليات الرسمية! إننا نتحمل وزر غيرنا من قادة جيش الرايخ...!

هاتوا لي جوزيف «الدكتور غوبلز» إنه أكثر تفهماً لوضعي منكم يا أيها الزبانية

العتاة. إذهب يا روزنبرغ ولا تعد على أسماعي ما قلته لي، فأنا لستُ خيراً من ادوارد الثامن!! لقد ضحى ادوارد الثامن بعرش الامبراطورية البريطانية التي لن تغيب عن املاكها الشمس، من أجل إمرأة...! فهل انا اقل منه شأناً؟

انني احب ايفا، كما تحب انت زوجتك! فهل تسمح لي حضرتك ان اقول لك اترك هذه الزوجة لأنّ الشعب الالماني يتهمك بانك تحب زوجتك ؟ او لأنها يهودية!!

النازية موضة جديدة...للآروستقراطيين:

لقد صارت النازية موضة جديدة للآروستقراطية الألمانية، ومتى قلنا الآروستقراطية الألمانية معنى ذلك أنّ النازية قد اكتسحت المانيا وغمرتها بموجة من الفعالية والنشاط!! أو بعبارة اصح بأنّ المانيا بأسرها شيباً وشباناً صارت نازية من رأسها الى أخمص قدميها.

قال لي الكونت فون سودن من أشراف روسيا ذات يوم ونحن في بريسلاو، إنّ هؤلاء النازيين يعرفون كيف يدخلون البيوت من أبوابها، ويعرفون كيف يتصرفون. وشيء آخر اكتشفته الآروستقراطية الألمانية فيهم أن زعمائهم وخاصة هتلر وغوبلزوبالدورفونشيراخ هم رجال «صالونات» تابعين ومُحدثين برعوا في فن الكلام والانسجام في المجالس حتى جذبوا إليهم سيدات المجتمع الألماني.

لقد أصبحت النازية موضة جديدة بالنسبة لسيدات مجتمعنا، فالصالون الذي لا يضم أكبر عدد من الزعماء النازيين لا ترتاده سيدات المجتمع!

في الواقع فإن علاقتي المباشرة بالدكتور غوبلز فتحت أمامي أبواب صالونات برلين الراقية، فسجلتُ في دفتري أكثر من ٤٠٠ رقم تلفون لأجمل وأشيق سيدات المجتمع الألماني.

لم يكن رواد الصالونات البرلينية الراقية بحاجة الى طلب رقم تلفون سيدة ألمانية تعجبهم.. بل إن مجرد تقديم السيد «النازي» الى سيدة من سيدات المجتمع

ينتقـل الطقس من الأحوال الجوية.. الى صميم الموضوع الذي من اجله تعلقت جُلّ السيدات المعجبات بالرجال النازيين!!

وأول سـؤال تلقيه السـيدة على الشـخص المقدم اليها حديثاً، ما جرى معي. قالت السيدة:

- كم ولد لديك ياسيدي؟

- عفواً انا لست بمتزوج..

- يعني انت عازب؟

- هو كذلك ياسيدتي..

- عظيم، الحق انك ظريف ياسيدي!

- هذا لطف منك ياسيدتي، لم اكن أتوقعه..

- وأنت كذلك لبق وكيّس ياسيدي..

- شكراً يا... سيدتي..

- تسمح تعيد عليّ ذكر أسمك!

- إنّ أسمي يونس بحري...

- أنه أسم جميل، ولكنه غريب على مسامعي!

- هو أسم عربي..

- يا إرادة الله! أرني كيف تكتبه بالألمانية..

وتتقـدم السـيدة الماكـرة بدفترها الخـاص بأرقـام التلفون مع قلمهـا الذهبي الصغير..

وسطرتُ أسمي بدفترها، وأنا لم انتبه بعد لهدفها..

وبعـد ان تتبادل السـيدة بعض العبارات التافهة مع أقرب شـخص يقف الى

جانبنا، التفتْ وهي تحملق فيما كتبتُ، ثم قالت:

– ولكن اليس لديك رقم تلفون خاص؟

– بالطبع يا... سيدتي..

– أكتبه الى جانب أسمك مع رقم المنزل وأسم الشارع.

– على الرحب والسعة ياسيدتي..

– آه أنك جنتلمان،

– هذا تقدير زائد..

– دعك من الكلام الهراء، أنك قد اعجبتني..

– لا تتكلم. هل فهمت؟

– وتنثني السيدة بإغراء وتشجيع ظاهرين، ثم همستْ في أذني قائلة:

– سأكلمك تلفونياً الساعة السابعة مساء..

– إني أشتغل في هذا الوقت..

– أنت تشتغل ؟ بماذا تشتغل؟

– في الاذاعة الالمانية.

– يا إلهي! مع الدكتور غوبلز؟

– بالضبط مع الدكتور غوبلز..

– هل تعرفه جيداً ؟هل تراه؟

– نعم أعرفه جيداً منذ ١٩٣٠ ...وأراه في صباح كل يوم، وأحياناً نسهر معاً في نادي الصحافة الاجنبية.

– متى تكون في منزلك الليلة؟

– الساعة العاشرة تماماً..

- لا لزوم الى التلفون إذن.. سازورك في الساعة العاشرة والربع، لتحدثني عن الدكتور غوبلز..

- وافترقنا.. وفي الموعد المحدد، دقّ جرس الباب الخارجي، ودخلت السيدة المحترمة الراقية الى غرفة النوم رأساً وهي تتظاهر بالتعب والإعياء.. ثم قالت بتوسل:

- ياهر بحري، أسعفني بقليل من النبيذ الأحمر..

قلتُ: ياسيدتي إنّ النبيذ الاحمر صار نادراً كالكبريت الأحمر..إنني لا أملك منه شيئاً.

قالت: يا الله ما أكثر كلامك، إنكم يارجال غوبلز تحبون الكلام اكثر من حبكم للنساء..!

قلتُ: أؤكد لك ياسيدتي بأنني لا املك نبيذاً لا ابيض ولا احمر!

قالت: انا لم اقل لك إشتري لي نبيذاً.. بل قلت لك اسعفني بقليل منه! أنه في حقيبتي هناك!!

ورحت أفتش في حقيبة يدها السوداء الأنيقة..

قالت: ليس في هذه الحقيبة ياهر بحري.. لماذا تضيع علينا الوقت الثمين بمثل هذا التباله؟

قلتُ: لم أفهم!

قالت: إنّ النبيذ في حقيبة اليد الأخرى..!!

وشاهدتُ الى جانب حقيبتها السوداء حقيبة يد كبيرة فيها كل ما لذ وطاب من طعام وشراب! زجاجتين من نبيذ الراين المعتق الابيض والاحمر.. بطة محمرة كاملة غير منقوصة.

وأصناف فاخرة من الخضر والفواكه النادرة، مع شيء انفس من كل ما

تقدم. زجاجة من الشمبانيا الفرنسية!!

قلتُ: وانا كالمذهول مما أرى، من اين لك كُلّ هذا ياسيدتي؟

قالت وهي تبتسم ابتسامة المنتصر المزهو: إنها من زوجي الجنرال ف.ب مساعد الجنرال شتوليناغل حاكم باريس العسكري الالماني!

قلتُ: أنك تعيشين في نعيم مقيم.. أنني لم أرَ من مثل هذه الاشياء منذ سنة كاملة..!

قالت: إنني أتسلم أربعة صناديق من هذه الاشياء في كل أسبوع، زنة كل صندوق ٢٥ كيلوغراماً ولما كنتُ وحيدة وليس لي ولد، فإنني أوزع الفائض الكثير منها على المعارف والاصدقاء، أو أشارك الاعزاء أمثال حضرتك مرة في كل أسبوع ؟

قالت: دعك من الكلام الفارغ!! إنّ الأعزاء الذين لا يجيدون صناعة الغرام، استبدلهم بغيرهم.. حاولتُ أن أردّ عليها، ولكنها جذبت الحقيبة وراحت ترتبها بعناية على المائدة، وطفقنا نأكل ونشرب وهي تكثر من الشراب الى أن لعبت الخمرة برأسها.. وشرعت بخلع ملابسها، وأنا أنظر اليها مبهوتاً. ولما تعرّتْ من ثيابها، نادتني بدلال وهي تتمطى، تعال ياحبيبي حدثني عن الدكتور غوبلز.. وأطفأت النور!!...

وكان الحديث حديثاً عربياً المانيا...عن الدكتور غوبلز!!..

الفصل السادس

- من ذكرياتي في ألمانيا
- كيف سجن المُفتي رشيد عالي الكيلاني ..؟!
- الإنشقاق في الحزب النازي

من ذكرياتي في ألمانيا...
سيرو والقاهرة في برلين وفينا...
كيف سجن المفتي رشيد عالي الكيلاني...؟!
الانشقاق في الحزب النازي...

في مساء العاشر من أيلول ١٩٣٩ تركتُ مكتبي في دار الإذاعة الألمانية وقد انتهيتُ من تسجيل الإذاعة الرابعة لذلك اليوم لتذاع على الساعة التاسعة بتوقيت ألمانيا، وهي الإذاعة الوحيدة التي كنتُ أسجلها سلفاً لكي أتفرغ الى أعمال أخرى ترفّه عني أتعاب عملنا الشاق، فإعداد منهج طويل لمدة سبع ساعات في اليوم الواحد من الأمور الصعبة العسيرة التي يعرفها كل من يشتغل في الإذاعات ويشرف على إعداد المناهج. فكل دقيقة يجب أن تملأ بما يثير السامع ويكرهه على السماع.

إني من الذين لا يعتقدون بالقول المأثور ساعة لربك وساعة لقلبك، بل أعتقد بأن الوقت فرص سانحة، فمتى ما استطاع المرء أن يتقن عمله وينهيه كما هو مطلوب منه وزيادة فما عليه إلّا أن يشغل نفسه بما هو دون الإرهاق ليتسنى للعامل المجد أن يستجم فيتهيأ للعمل من جديد في اليوم التالي. فكما لابد من الترفيه في ليالي برلين الملاح ولكن ضمن حدود معقولة وبلا إسراف في هذا الترفيه الذي استغله بعض شبابنا العرب قبل الحرب وفي خلالها. فقد رأيتُ شاباً ليبياً يموتُ وهو ثمل محاطاً بأربع فتيات عاريات قبض عليهن البوليس الألماني وقد اعترفن بأنهن لم يفعلن شيئاً لموت الفتى العربي الذي قتله الإرهاق في الترفيه عن نفسه معهن...!

قصة الأمير العربي:

لقد أهلك الفتى العربي نفسه من شدة الإرهاق والإجهاد حيث قضى مع الفتيات الأربع ثلاثة أيام بلياليها وهو وإياهن عرايا ربي كما خلقتني وراح يأكل ويشرب ويطارحهن الغرام بالتناوب الى أن نفدت قواه فاستنفد أغراضه...!

عرفتُ هذا الشاب معرفة جيدة لأنني أعطيته عملاً في مكاتب إذاعتنا العربية ببرلين، لقد وصل الشاب ألمانيا وهو يضع على رأسه عمامة التقى والورع كأي متخرج من الأزهر الشريف يحمل شهادته العالية الى جانب شهادة أن لا إله إلا الله.

ولكنني لما ألقيت عليه نظرتي الأولى وهو يقدم إليّ كتاب التوصية من أمير البيان الأمير شكيب أرسلان لمساعدته ليتم دراسته في جامعة برلين، توسمت فيه الفحولة العارمة من أنفه الطويل الأقنى كأنه العُقاب فأشرتُ عليه بأن يضع العمامة جانباً، فإما أن يسير حاسر الرأس كما أسير أنا شخصياً وإما أن يلبس البرنيطة، فالعمامة في برلين قد كانت وما تزال مصيدة عظمى للنساء، فلقد ارتسم في عقلية نساء ألمانيا بأن كل مُعمّم هو أمير عربي فلقد كان الحاج عمر التازي من وزراء مراكش الأسبقين وأثرياء المغرب العربي الكبار جداً يزور برلين في كل عام على رأس جيش من أتباعه وحاشيته وهم جميعاً يلبسون العمائم على رؤوسهم فأظهروا العجب العُجاب مع سيدات برلين وخلفوا ذكريات رائعة مروعة في محافلها وفنادقها تحكيها الأم لابنتها مع كثير من التأسف والحرقة على هاتيك السويعات العذاب مع الأمراء العرب المُعمّمون.

طبيب الجامعة العربية:

قبل ثلاثة أعوام نشرتْ مجلة المصور القاهرية حديثاً مصوراً للدكتور عبد المسيح جيد وكان الدكتور يحمل عنوان «طبيب الجامعة العربية» أي دول الجامعة العربية وقد تضمن الحديث بأنّ الدكتور إياه سيقيم الدعوى على حكومة ألمانيا الغربية باعتبارها وريثة لألمانيا الهتلرية وبأنه سيطالبها بتعويض قدره ١٢٠ ألف

جنيه لأن حكومة هتلر قد سجنته في عام ١٩٤٣ في برلين لأسباب سياسية.

إن قصة الدكتور عبد المسيح جيد هذه ذكرتني بقصة الفتى العربي الليبي الذي قضى نحبه بسبب إرهاق نفسه في معاشرة الغيد الحسان.

ومن المؤكد أن سرد قصة الدكتور جيد على قراء سلسلة كتب «هنا برلين» – حي العرب– فيها لذة وعبرة وتسلية.

عرفتُ الدكتور عبد المسيح جيد في بغداد سنة ١٩٣٨ وهو مصري من أقباطها الأخيار تلقى علومه في جامعة برلين ونال منها شهادة الدكتوراه في الطب وكان يختال كالأسد الهصور في بزة عقيد في الجيش العراقي. أسمر اللون بشعر جعد، وجسم ممتلئ صحة وعافية، شديد المرح، سريع النكتة. يضحك لها قبل أن يضحك السامع.

الدكتور والزعيم:

إن صديقي الدكتور عبد المسيح جيد أريحي كريم، وعلى استعداد لكي يصرف عليك ويمنحك كل ما تريده منه إلاّ أشياء ثلاثة يعتز بها، ولا يفرط فيها علبة دخان فضية مستطيلة تستوعب ٢٥ لفافة تبغ. وساعة ذهبية مرصعة بالجواهر هدية إليه من مولانا الملك الصالح السابق فاروق، وسبحة فاخرة من الكهرب الأصفر الفاقع لونها تسر الناظرين. وكان يسمي هذه الأقانين الثلاثة «عدة النصبُ على النساء».

لقد كان يحلو لي أن أجالس صديقي الدكتور جيد – ويقرأ الاسم جيماً مصرية من فضلك– فهو كصديقي العراقي السابق نقولا ثابت عبد النور حلو الحديث كثير الدعابة.

فرّ الدكتور العقيد من الجيش العراقي بعد نكبة رشيد عالي الكيلاني التي مُني بها العراق، مع من فرّ الى برلين وهناك في برلين اعتمده –الزعيم – ليس هتلر بالطبع بل – الزعيم رشيد عالي الكيلاني– الذي أطلقتُ عليه لقب –الرئيس

الشرعي لحكومة الثورة في المهجر- في إذاعاتي من برلين. هكذا اعتباطاً وغروراً منـي لا أقل ولا أكثر. أجل اعتمده -الزعيم- رشـيد عـالي الكيلاني لإيفاده الى هنكاريـا ورومانيا وبلغاريا ليشـتري -للزعيم- صابوناً معطـراً فقط...فرئيس الحكومة العراقية الشرعية كما زعمتُ أنا شـخصيا كان مولعاً بالصابون يغتسـل بـه ويهديـه الى رجـال وزارة الخارجيـة الألمانيـة ليقومـوا بتنفيذ طلباتـه الكثيرة وأغراضه. والصابون في ألمانيا كان مشكلة من المشاكل.

عِدّة النَصْب:

عـين العقيد الدكتور عبد المسـيح جيـد المصري الأصل العراقـي الوظيفة في مستشفى ألماني ببرلين. وراح الطبيب الماهر يداوي الناس وهو عليل.

إنّ الدكتور جيد كما يحلو له أن يسميه الأصدقاء باسمه المجرد جيد فهو رجل متواضـع مع الرجال ولكنه يتجبر على النسـاء تجبراً فرعونيـاً كثيراً ما أحدث له المشاكل.

كان الدكتور جيد يحمل الى جانب عدة النصب المثلثة الرحمات والبركات علبة الدخان وساعة فاروق والمسبحة الذهبيات جرائد الصباح والمساء البرلينيات.

إنّ الناظـر إليه وهو يضع مجموعة الصحف على المائدة أمامه في مقهى كرانار الفخم في شـارع كورفورستدام ببرلين يعتقدبأنه إنما ينظر الى علاّمة فهاّمة جليل القـدر عـالي الجناب يتتبع تطـورات أحداث العـالم باهتمام فائق ودقة تسـترعي الانتباه.

كان يقـرأ الصحف باسـتمرار وهو يختـار الموائد السـتراتيجية في مقهى كرانار أمام النساء الفاتنات فيفتح الصحيفة على مصراعيها ويغوص في أعمدتها المتناثرة أمامـه وهـو يتظاهر بأنـه لاهٍ عن كل ما يـدور حوله، وفي الوقت نفسـه كان يترك المجال لثعبانه أن يتدلى فيطول ويتمرد أمام نظرات النساء الفضوليات اللواتي كن يعتقدن أن الصدفة وحدها جعلت الدكتور المحترم ينسى أزرار سرواله مفتوحة.

لقد كان ثعبان الدكتور عبد المسيح جيد أشنع من أفعوان علي غالب الأعرج العراقي فهو يطوله بعدة سنتمترات...!

أبا الخطّاب:

ذكرني منظر الدكتور عبد المسيح جيد، الطبيب المصري، والعقيد العراقي، بقصة المحامي العراقي الأستاذ محي الدين أبو الخطاب، صاحب مجلة الأديب الموصلية(جريدة الأديب) التي توقفت عن الصدور بموجب قانون المطبوعات العراقي الذي صدر في العام المنصرم، وكان قانوناً مصيباً لمنع السفه والانحطاط الصحفي الذي بلغ القمة في التطاول والتحرش والوقيعة. حتى صار كل مبتدئ من حملة الأقلام يعتقد بأنه سيد الموقف، وبأنه قد اصبح قادراً على أن يحطم رأس أكبر سياسي بجرة قلم من رأيه السخيف الانهزامي الذي لا يعتد به ولا يؤبه له.

لقد كان ابا الخطاب ينام في مقاهي بغداد وأزرار سرواله مفتوحة ليس تعمداً منه ولكن سهواً منه كسهو العلماء الفطاحل أمثال ساطع الحصري والأب أنستاس الكرملي وعبد المسيح وزير الذين اشتهروا بالطرونة العراقية ومعناها بالعربية الفصحى الذهول.

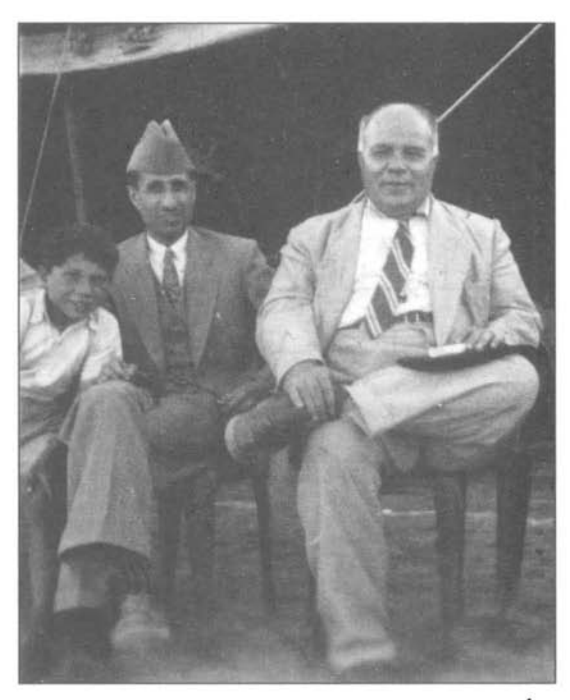
كنا جماعة من الأصدقاء ومن بيننا الشاعر العراقي الكبير محمود الملاح نراقب حركات أديبنا صاحب الأديب محي الدين فنعلق عليها تعليقات فكهة. ولما رأى شاعرنا الملاح ما رأى قال في التو واللحظة:

أبا الخطاب نسل الأكرمي ... ألا تخشى إله العالمينا

ترينا الأسود الغالي الثمينا

هو كالأفعى ولكن بانسياب ... وذو سُمٍ ولكن كالشنينا

أبا الخطاب نسل الأكرمينا



الصحافي الموصلي مُحيي الدين أبو الخطاب مع الصحافي الموصلي محمود مفتي الشافعية (الغُلامي) في إحدى المناسبات الرياضية في الموصل في الغزلاني سنة ١٩٥١ ويظهر الطفل رامي أبن محمد أمين أبو الخطاب

مدعاة للفخر:

لقد كان طبيب الجامعة العربية يفاخر ويباهي الشباب العربي الناهض الثائر الذي يسهر الليالي في طلب المعالي في برلين بأنه بالرغم عن كهولته وعن سمرته وعن زهده يستطيع أن يصطاد بواسطة عدة نصبه أكبر كمية من النساء في كل يوم بحيث توازي ما يصطاده الفرد العربي العادي في شهر ولعمري أنّ مقدرة الدكتور جيد في هذا الصدد كانت بارزة فائقة.

كان دكتورنا ينام ويعمل في المستشفى حيث خصصت له شقة خاصة به فلم تبق ممرضة أو مريضة ترتاد المستشفى إلا ودخلتها وصارت محج الرائحات والغاديات.

وفي ذات يوم من أيام شباط ١٩٤٢ زارت المستشفى فتاة قاصرة من عمر

الـورود لعيـادة أمها المريضة وكانـت ذات حياء وخفر ومـا أن رآها دكتورنا إلا وسـلّط عليها أشـعته وعدة نصبه وبسـذاجة الفتاة البريئة انصاعت له فدخلت مخدعه وهو الطبيب المحترم الشرقي في ذلك المستشفى.

وهناك سكبت الفتاة القاصر الدمع الهتون، فلقد فقدت عفافها وثلم عرضها من جروح بالغة لم تشفى منها إلاّ بعد عدة أشهر.

واقتيـد دكتورنـا الى السـجن بتهمـة الاغتصـاب والاعتداء على عفـاف فتاة قاصر، وليس لأسباب سياسية كما زعم.

ولـولا تدخل المكتب العربي التابع للسـيد الكيلاني والذي كنت أديره حينئذ لبقـي الدكتور جيد حتى يومنا هذا عاجزاً عن معاشرة النسـاء، ولقضى نحبه في غياهب السجن.

في مربع سيرو:

كان مربع سيرو الواقع في شارع رانكاشترامه على مقربة من كنيسة غيديشنيس كـيرث من أمتع مرابع برلـين وأرقاها، ترتاده الطبقة الآروسـتقراطية القيصرية وعـلى رأسـها الكـرون برانسـويلهم ولي عهـد ألمانيـا السـابق، وكان ولي العهد صاحـب ذوق في الجـمال كما تـراه دائماً محاطـاً بنخبة ممتازة من سـيدات المجتمع البرلينـي، ولم يكـن ينافـس ولي العهـد في صخبـه وملذاتـه إلا مريشـال الرايخ غورينـغ الـذي كان مـن رواد مربع سـيرو حيث يسـهر فيه مرتين في الأسـبوع ليلـة الأحد وليلة الأربعاء. وكان مصطفى صاحب مربع سـيرو ومؤسسـه من المصريين الناجحين في برلين وهو شـاب أنيق ممتلئ الجسـم صحة وعافية يعرف كيف يصطاد النسـاء الفاتنات ويغري السـيدات اللواتي تخطـين العقد الخامس وبقين محتفظات بمسحة خفيفة من أثر الجمال الغابر.

لقد كانت عين مصطفى سيرو تبقى عالقة بعقود الجواهر واللآلئ التي تزين أعناق هاتيك السيدات، فغرامه كان بالأحجار الكريمة أكثر من جمال السيدات العجائـز. وفي الواقـع فإنّ مصطفى سـيرو قد اسـتطاع أن يقتنص عـدداً ضخماً

من جواهر ولآلئ السيدات العجائز حتى أن برلين ضجت بأنباء وحوادث ومغامرات مصطفى سيرو وصار اسمه أشهر من اسم مربعه الذائع الصيت.

الدانسور مونديـن:

كان هملر رئيس الأمن العام النازي والغستابو قد وضع عينه على مصطفى سيرو. وكان هو نفسه من رواد مربعه فأخذ يراقب المربع وانتشر رجاله بين الساهرين والساهرات ولكن مصطفى كان يضحك من هملر ورجاله، فقد كان مشمولاً بحماية ماريشال الرايخ غورينغ الذي يحول دون يد هملر من أن تصل الى مصطفى سيرو.

كنتُ أسكن في الطابق الثاني فوق مربع سيرو وكنتُ وأنا في شرفة بيتي أراقب الداخلين والخارجين بسهولة وقد لاحظتُ بأن سيدة شابة أنيقة تدخل المربع ولا تخرج منه... تدخل في الساعة الثامنة مساءً وتبقى فيه، وقد دفعني الفضول وحبّالاطلاع الى معرفة الحقيقة.

كان مصطفى من أصدقائي وكثيراً ما حدثني عن مغامراته الغرامية وصيده جواهر ولآلئ العجائز فلقد بدأ حياته المادية دانسور مونديـن أي راقص اجتماعي فهو لا يرقص وحده بل يراقص السيدات اللواتي يفدن على المراقص والمرابع لوحدهن بغية شراء اللذة والمتعة مع رجال من طراز الدانسور موندين، فيراقصها ثم يتفقان على موعد لقضاء لبانة إما في دار السيدة العجوز أو في شقة الراقص الاجتماعي.

وقد جمع مصطفى سيرو ثروة طائلة وصارت المرسيدس الفخمة التي يقتنيها مطمع أنظار فتيات برلين الطروبات الكواعب الترب.

ولكنه رغم هذا المال الوفير فهو لا يشبع ولا يكف عن الاستزادة من جواهر السيدات العجائز اللواتي كنّ يحِمْنَ حوله كالفراش المُتهالك على النور.

شامير سيباريه:

وذات مساء وأنا أراقب السيدة الفاتنة ذات القناع الأسود وهي تدخل كالأفعى مربع سيرو شعرتُ بدافع يدعوني للدخول وراءها وكان المربع لا يزال خالياً من الرواد إلا الخدم الذين كانوا يسقون الزهور والورود على الموائد العامرة بمختلف قوارير المشروبات الروحية. ووقفتُ مشدوهاً أمام الجدار المقابل لمنصة الجوقة الموسيقية حيث كانت لوحة كبرى تزين الجدار وهي تمثل الأهرام وتطل على نهر النيل ومن وراء الأفق البعيد يبدو منظر الشمس وهي تميل الى الغروب صفراء عاصبة الجبين. لقد تحركتُ اللوحة وانفرج الحائط عن شقة أنيقة فيها خمس غرف سرية شامير سيباريه يستخدمها مصطفى سيرو لقضاء الحاجات المستعجلة. ويضعها تحت تصرف الزبائن السمان الأثرياء ليقضون لبانتهم مع المختارات من الفتيات، وهذه الغرف مجهزة بالأسرة والفرش الوثيرة والمياه الجارية ساخنة وباردة وبحمام أنيق. ولا يدخل الخدم الى هذه الغرف ويكفي الزبون أن يصدر أوامره بالتلفون فيأتيه الطعام والشراب بواسطة مصعد صغير اسنسور. وبعد أن يقضي الزبون وطره ويدفع الثمن الباهظ يسمح له بالخروج من أبواب سرية غير منظورة بصورة لا يرى فيها الزبائن بعضهم بعضاً.

أسرار المباذل:

في هذه الغرف السرية كانت تكمن أسرار مباذل القادة النازيين وأثرياء العرب والغربيين الذين كانوا يفدون على برلين ولقد شهدت رؤوساً متوجة ورؤوساً حاسرة. ولكم جرت الرؤوس صرعى أمام فتنة الجمال الساحر الذي كان يحشره مصطفى في هذه الغرف السرية فيستنزف الأموال ويسخر بنات العائلات الشريفة للعمل في هذه الغرف دون أن يعرف مخلوق أي شيء عنهن.

لقد كانت تجارة مصطفى هذه رابحة للغاية فاستغلها لأقصى حدود الاستغلال، وكان يصرخ مازحاً «وإيه يعني إني أحصل على هذه الأموال – بشرف– وبعرق الجبين.

أمـا العـرق الـذي كان يتصبب من أجسـام الفتيات على مذابـح الغرام المباع فذلك شرف لم يحسب له سيرو أي حساب...!

كنـت أحتـسي كأسي عـلى بار المربـع والصالة تعـج بالرواد، هناك ماريشـال الرايخغوريـنـغ، وروزنبرغ فيلِسـوف النازيـة، والدكتور غوبلزوالمسـيو دوغريل رئيـس حـزب ريكـس البلجيكـي، والدكتور ديتريـش رئيس صحافـة الرايخ، ونخبة ممتازة من سيدات المجتمع البرليني، وبول ديلوكس المحترمات الممتازات أو الدجـاج المصطفـى اللـواتي كن يمـلأن جو القاعة الفسـيحة حبـوراً وبهجة بضحكاتهـن الصاخبة التي تختلط مع أنغام الموسـيقى الناعمة فتحدث نوعاً من الضجة المستحبة التي تزيد في الجالسين العابثين بشعر الفاتنات وبراعم نهودهن المتنافرة وخصورهن المياسة حماساً واندفاعاً للإغراق في اللذة والعبث. وفي هذا الجـو المكهـرب فتح باب المدخل الرئيسي وتقدم منه «الرايش لايتر، إسْـإسْSS هملر» ومن ورائه نخبة م عمالقة الغستابو وقد شهروا مسدساتهم، وعندما صاح هملر بصوته الأجش سـكوت لا يتحرك أي إنسـان من مكانه، وسـاد الصمت وذهل ماريشـال الرايـخ، وأراد الدكتور غوبلز أن يحتـج ولكن هملر كرر كلمته -سـكوت- وراح يفتـش المربع، في حين وقف رجاله وقفة الاسـتعداد بشـكل دائـرة في وسـط القاعة بصفـين أعطيا ظهورهمـا بعضها لبعـض، الصف الأول وجهه باتجاه الجدران، والصف الثاني وجهه باتجاه المدخل.

ماذا يريد هملر...؟!

لم أتحرك من مكاني وبقي الكأس في يدي وكأن اصابعي زادت اصبعاً واحداً، فلقد جمد الدم في عروقي وأنا أتـطلع في وجه هملر، هذا الوجه المخيف المتجهم لم أره في حياتي مرة بمثل هذه القسـوة والوحشـية التي رأيتـه فيها تلك الليلة... ليلة العاشر من أيلول ١٩٣٩ .

لقـد أهمـل هملـر وجود هـذه النخبة الممتـازة من قـادة النازية في هـذا المكان وأقلهـم رتبة يفوقه بمراحل في المقـام والجاه، ولكن هملر وجدهم في هذا الموقع

الشاذ العابث، فوضعهم جميعاً في سلة المهملات. وبعد ثلاث دقائق مرت علينا وكأنها ثلاث ساعات، عاد هملر من حملة التفتيش ولم يعثر على شيء ووقف وسط القاعة وقفة الاستعداد وألقى بنظرة فاحصة على الجميع ثم صاح بأعلى صوته هايل هتلر، وانصرف وهو يمشي مشية البط. وظهر مصطفى من مكتبه وهو يحمل طائفة من الأطباق الصغيرة وراح يوزعها على السيدات وهو صامت، وما أن أغلق باب المربع وراء هملر، إلا وأخذت السيدات يرمين المكان الذي كان يقف فيه هملر بشدة فتتحطم الأطباق بعضها على بعض الى أن صارت كومة من الأطباق المكسرة. وبعد أن انتهت عملية التكسير وقف غراف فون ريبنتروب وزير خارجية الرايخ وهو يصيح بسيرو -شمبانيا- للجميع على حسابي! شامبانيا هاينكلي بروت.

ملك الشمبانيا:

لقد جاء هملر الى مربع سيرو وهو يبحث عن إبنة اخته برتا الجميلة التي أشيع في برلين منذ بضعة أشهر بأنها قد صارت خليلة مصطفى سيرو، إذن ففتاة القناع الأسود التي تدخل متلصصة مربع سيرو ولا تخرج منه والتي حملتني على ارتياد المربع واكتشاف سر -شامبر سيباريه- الغرف السرية قد كانت ابنة اخت هملر سفاح الغستابو الأكبر...!

ضحك مصطفى وهو يغمزني بعينه اليسرى التي يضع عليها فردة نظارة- مونوكل- أسوة بشباب اليونكرز البروسيين الأصليين ثم قال لي بصوت خافت... والله لو كانت لهتلر إبنة لما خلصت مني...!

لقد سجلتُ نساء هؤلاء جميعاً -مشيراً الى الرجال الموجودين في القاعة - في قائمة ضحاياي وعلى رأسهن ابنة ملك الشامبانيا هاينكل حمو الكونت ريبنتروب.

إن من أهم أسباب نجاح فون ريبنتروب في حياته السياسية وصعوده السريع على سلم القيادة النازية هو مصاهرته ملك الشامبانيا الألماني من ممولي الحركة

النازيـة بعـد انتقال هتلـر على رأس أركان حـرب الحزب تقدم فـون ريبنتروب الى(الزعيم) هتلر وعرض عليهخدماته وأموال ملك الشامبانيا الألمانية.

بائع خمر مُتجوّل:

لقد كان فون ريبنتروب يشـتغل عند ملك الشـامبانيا هاينـكل بائعاً متجولاً يطوف بسـيارته عـلى الفنادق والمطاعـم والبارات في مختلف مـدن ألمانيا وقراها عارضاً بيع الشامبانيا.

كان وسـيم الطلعة جميل المنظر، ولكنه آروستقراطي حقير بدد الثروة القليلة التـي ورثها عـن أبيه في ميادين سـباق الخيل وعلى النسـاء والمغامـرات الليلية. فهاجر الى أمريكا بغية الزواج بثرية أمريكية ممن تستهويهن الألقاب. ولكنه عاد كما ذهب خالي الوفاض.

وفي ألمانيـا أعطـاه هاينكل عملاً فعينه بائعاً متجولاً، وبعد مدة رأى ابنة ملك الشـامبانيا الجميلـة ولم يجـد صعوبة في إغرائهـا، فاضطر أبوهـا أن يزوجه إياها لأنهـا حملـت منه، وهكذا ضرب عصفوريـن بحجر واحد، تـزوج وريثة أموال ملك الشـامبانيا الوحيدة، وصار بعـد طول الإفلاس شريكاً لها في هذه الوراثة. وعندها كف ريبنتروب عن العمل وراح يشتغل بالسياسة.

ولمـا بزغ نجـم هتلر في برلـين قصد ريبنـتروب العاصمة ولم يجـد صعوبة في التعـرف على (الزعيم) بطريـق حفلات ماجدة غوبلز السـاهرة، فدخل الحزب النازي من بابه الكبير.

بطل من نوع آخر:

إن قصة مصطفى سيرو ومربعه في برلين هي قصة لا تكاد أن تذكر بالنسبة الى مغامر مصري آخر رفع رأس الفن العربي عالياً فوق طربوشه خمس سنتمترات! في مختلـف المـدن الأوربية. وهـذا المغامر والفنان الشـاطر هو أحمـد البيه الممثل المسرحي زميل فاطمة رشـدي والنجم السـينمائي الأسـمر، والصحفي الحولي،

والطباخ العبقري، صاحب أكبر مربع عربي في أوربا قبل الحرب العالمية الأخيرة وفي خلالها.

لقد اختار أحمد بيه فيينا عاصمة الفن والجمال والنمسا قاعدة لعمله البديع الجريء، فشيد بنفسه مربعه «القاهرة» في أحسن موقع اجتماعي في فيينا على طراز عربي ممتاز يأخذ بمجامع القلوب.

إن قائمة أحمد البيه قد سجلت مجموعة من أجمل سيدات أوربا وأكبرهن ألقاباً وآروستقراطية، ومن يكن مصطفى سيرو ليقارن اسمه المتواضع باسم أحمد البيه الذي يكتب اسمه بأحرف من نور كهربائي يسطع كنجوم برودواي وهوليود ومونمارتر فيضفي على ليالي فيينا روعة وجمال وإغراء.

إن ألف ليلة وليلة قد انتقلت بجواريها وحسانها وشبابها الى مربع أحمد البيه. فالجواري الحسان المنتخبات اللواتي يسبحن في المسابح الطافحة بالمياه التي اختلطت بألوان زاهية من الأنوار الكهربائية التي تثير المشاعر وتستهوي الأفئدة. والحق فإن أحمد البيه العملاق الدمياطي الصعيدي المصري الأسمر الذي كان يوازي عمالقة الـ اسْ اسْSS في الطول والعرض والمظهر الأخاذ كان بارعاً في فن الغواية والاستهواء بأسلوب مليء بالصرامة والتعالي.

تينو دوريفور أيت ايكزيجي:

إن أحمد البيه الصعيدي المصري العربي العملاق كان يفهم عقلية قادة النازية ونفسية الجرمانيين. فلقد عمد الى إحداث بدعة ما كانت لتخطر على بال مصطفى سيرو أو غيره من دهاقنة المرابع والمراقص الدُهاة. فلقد أصدر أمراً إدارياً قاهرياً دمياطياً يحتم على رواد مربع القاهرة لباس السهرة فراك أو سموكينغ وللنساء لباس السهرة الكبرى.

لقد كان هو يلبس الفراك والخدم والحشم يلبسون الفراك وكأنهم في بلاط سان جيمس يستعدون لاستقبال ملك الملوك الإمبراطور هايلا سيلاسي إمبراطور الحبشة. وكان يمنع رواد المربع كائناً من كان من الدخول إذا لم يكن

مرتدياً السموكينغ أو الفراك.

إن صرامـة أحمد البيه من هذه الناحية أوجدت في فيينا حركة عادت بالفينيين والأجانب فيها الى ايام الإمبراطورية حيث كان لباس السهرة مفروضاً على كل سيد وسيدة في الحفلات.

لقـد اثرت هذه الظاهرة في المجتمـع تأثيراً واضحاً فصار التأنق رائد الجميع، وصارت الموائد في مربع القاهرة تُحجزْ أسـبوعاً سـلفاً. ومـن من الناس لا يريد الاسـتمتاع بالجـواري الحسـان يرقصن عاريـات في أحواض سـباحة ألف ليلة وليلة التي يعرضها البيه على الجمهور بمثل هذا السخاء.

سيرو والقاهرة:

لقد اخذ مربع سيرو مكانته الممتازة في برلين كمربع سهل ممتنع لزعماء النازية وقادتها، يجدون فيه ضالتهم المنشـودة، ويرقصون حول الصحون المتكسرة التي حطموها كالمستعيذ بالله من شرور هملر فرجموه بها في مربع سيرو ببرلين. ولكن مربع أحمد البيه كان يتطلب من الزعماء النازيين ومن غيرهم طاعة النظام، نظام المربـع الذي فرضه أحمـد البيه بالقوة والقسر فلا شـامبر سـيباريه ولا امتيازات خاصة. إنّ الجميع في مربعه متساوون في الدرجة والامتياز.

الشـامبانيا واجب مفروض!! ومن لا يفتح زجاجة شـامبانيا مصيره مغادرة المربـع.. لا جدال في ذلك!! الأوامر صريحة واضحـة.... والفنانات والفنانون يلبسـون ويرقصـون طبعـاً لأوامر البيـه والخدم الذيـن يرتدون الفـرار والقفاز الأبيـض يدفعون لأحمد البيه نصف ارباحهم الليلية!! ثم انّ احمد البيه هو الذي يختار بنفسه الزبائن الذين يرتادون المربع، فمن لا يعجبه منهم يقول له بصراحة ان المحل محجوز حتى ولو لم يكن في المربع أي انسان واحد!

يطيرون من برلين!

إنّ جُلّ زعـماء الحزب النازي كانوا يمتطون متن الطائرة لقضاء سـهرة ممتعة

في مربـع القاهرة في ذلك الوسـط الصارم من النظـام، وكان من الواجب حجز الموائد قبل اسبوع كون الوقت محدد سلفاً.

لقـد كان الالمان يُحبون الطاعة والنظام، ولكن احمـد البيه المصري الصعيدي العملاق فرض عليهم نوعاً جديداً من النظام والطاعة، خلقه هو، وكيّفهُ وفرضهُ هو فرضاً.. فالملاهي والمربعات كان الالماني المحب للنظام يجد فيها مجالاً واسعاً امامه ليسرح ويمرح ويشرب ويصخب! كما هي الحال في مربع سيرو في برلين

ولكنْ احمد البيه كان يستخدم طائفة من العمالقة يقفون وهم مكتفوفي الأيدي بملابس السـهرة اليومية وبالأوسمة.. أمّا من اين جاءتهم هذه الأوسمة.. ومن منحهم اياها...؟!فذلك سرٌ من اسرار احمد البيه قدّس الله سرّه العزيز!...

وعنـد اقـل اشـارة من البيـه ينقـضّ العمالقة عـلى الزُبـون المشـاغب أو ذاك المُخالف للنظام فيحكمون مسـكه وبسكوتٍ عجيب يقذفون به خارج المربع.. فهـم يقومون بعملهم هذا وكأنهم يمثلون دوراً من ادوار المنهج المعتاد، كل هذا واحمد البيه يقف بقامته الفارعة ببدلة الفراك وهو منتفخ الأوداج وقفة امبراطور يرعى شـعبه الوفي ولا ترّف له عين.. واحياناً تنفرج شـفتيه عن ابتسـامة سريعة لمريشال هتلر او زعيم نازي، او نجمة سينمائية لامعة...!

مُحتكر نابغة!

إنّ أحمـد البيـه لا يحفـل بجواهـر السـيدات العجائـز ولا بأموالهـن بقـدر ما يحفلبالجمال، الجمال النمسـاوي الآخاذ والاسـكندينافي الأشقر.. أي زائر وجد عنـد مربع القاهرة – شـامبر سـيبارهه – فهـو يعتبر هذا النوع مـن قيادة الجنس بضاعة مُزجاة.. وهو لا يسمح لكائنٍ من كان ان يقبل رفقته في المربع، اذ فرض على الجميع احترام المكان!!

الحـق أنّ مناهـج احمـد البيه كانـت مختارة ومنتقاة، وكان يسـتقدم من اشـهر كبريهـات باريـس ومدريـد وبروكسـيل ورومـا الـمع النجـوم واشـهر الممثلين والممثلات يدفع لهم الأموال الطائلة بسخاء عربي، وكرم حاتمي.

وفضلاً عما تقدم فإنّ المانيا الهتلرية في ايام الحرب العالمية الثانية لم تر محتكراً بلغ الأوج في الإحتكار مثل احمد البيه، ومع أنّ جزاء الإحتكار هو الإعدام بدون محاكمة، فإنّ صاحبنا البيه لم يكن يهتم بالعقوبات بقدر اهتمامه بإرضاء «تهم» قادة الجيش وقادة الحزب النازي من لحوم الخنازير والدجاج والبط وديك الحبش..إنك لو اردت جملاً لأوجده لك احمد البيه من تحت الأرض ويسهولة تحير العقل..! ولجعلك تدفع الثمن الباهظ عن طيب خاطر مشفوعاً بالشكر لهذه الإلتفافة الكريمة التي بدرت من صاحب القاهرة نحوك...!

في مخدعه الخاص...!!

لقد كان لأحمد البيه في شقته الفخمة التي حرص على تأثيثها بالطراز العربي المغربي، والشرقي مخدع فخم للغاية يستهوي فؤاد اجمل سيدة من سيدات المجتمع.. فلقد جعل المخدع على غرار مخدع سلاطين آل عثمان في قصر يلدز، والسرير في المربع يتسع لنوم خمسة اشخاص براحة وبدون أن يزعج احدهم الآخر، والبرّاد الكبير العامر بما لذّ وطاب من المآكل..التي يسيل لها لعاب صبحي زين الذي كثيراً ما زار هذا المخدع وازدرد منه الحمام والعصافير كما يزدرد العُنفوان حملاً صغيراً..!

إنّ أحمد لا يدعو أحداً الى مخدعه الخاص إلّا إذا كان من أصدقائه الخلص، ولقد أراد المفتي مرة أن يزور شقة أحمد البيه فاعتذر بحجّة أنّ في الشقة إصلاحات كثيرة. ومرّ عام على هذه الإصلاحات وكرّر الأفندي الطلب..! ولكن صاحب الحاضرة ردّ عليه بقوله أكسيلانس..إنّ الإصلاحات لا تزال مستمرة! وهكذا كسب أحمد البيه عداوة (الأفندي) في سنة ١٩٤٢..

عراقي يرقص أمام هملر..!

كنتُ قد عرّفتُ أحمد البيه على صديق عراقي كان فناناً اشتهر في أوربا قبل الحرب بفن الرقص الكلاسيكي حتى راحت تتخاطفه المسارح في العواصم الكبرى. وكان العمل في مربع القاهرة يضيف الى شهرة كبار الفنانين شهرة فوق شهرة.

ومن أجل ذلك تعاقد احمد البيه مع الفنان العراقي العربي الكبير(وليم شفّو) الذي كانت زوجته الدنماركية الحسناء زميلته في الرقص المزدوج الكلاسيكي.

كان هملر يزور فيينا زيارة شخصية خاصة عندما افتتح الصديق وليم شفو أول حفلة من حفلات رقصه في عاصمة النمسا. وقد كان من الصدف النادرة لمربع القاهرة في تلك الليلة.

كنتُ بصحبة الصديق صبحي زين المجاهد الفلسطيني نأكل في شقة أحمد البيه في ذلك اليوم إذ أعدّ لنا بطة حشاها بالأرز وحواصل الدجاج. لقد طهاها لنا احمد بنفسه، وبعد أن استثنى ما تيسر من مخلفات صينية بقلاوة عامرة بالعسل المصفى، طفق أحمد يحدثنا عن «بروغرام» منهاج الليلة، قال: الليلة دي هي ليلة ليلاء. خلّوها في سركم رجاءً! عندي لكم مفاجئة نادرة، أتدرون ماذا سيحصُل في الليلة دي...؟!ستجلسون عندي الى جانب هملر!

وهنا صاح صبحي زين.. إيه هملر؟

قال أحمد: بالضبط وبالذات .

قال زين: في أي ساعة..؟

قال أحمد: على الساعة العاشرة تماما.. ثم أردف قائلاً، وفضلاً عن ذلك ووجّه الكلام إليّ إنّ صاحبك وليم شفو الفنان العراقي سيرقص أمام هملر...!

هملر في المربع:

لم يكن ليدور في خَلَدِ أحد بأنّ هملر سيزور مربع القاهرة..!ولكن الليلة كانت ليلة ألأحد وعيون مجتمع فيينا يتهافتون على ذلك لأنه يشبع ذوقهم في مثل ذلك اليوم من كل أسبوع.

لقد كان يوم الدعاية الأكبر لباقي أيام الأسبوع...

قلتُ لصديق وليم شفو قبل ساعة من عرض فنه: شد حيلك يا ولد...

قال باللهجة العراقية:شنهي القضية؟

قلتُ: إنّ هملر بالذات سيحضر ليشاهد فنك يا أستاذ.

وهنا لمحتُ أسارير وليم تنبسط عن آخرها وراح ينط ويقفز من شدة الفرح.. ثم عاد فقال لي: راح تشوف يابيه.. أيش راح أسوي بهملر؟

وفي تمام الساعة العاشرة شاهدنا عشرة اشخاص يدخلون المربع بملابس السهرة المدنية وكان الرجل الأخير الذي دخل خلفه هملر هو صبحي زبن؟

لم يتمالك أحمد البيه نفسه رفع يده وصاح بصوته الأجش: هايل هتلر...

هملر مصفي:

لقد كان المربع يعجّ بالقادة والزعماء وكبار نجوم ونجمات السينما سارا لياندا.. روزيتا سيرانوا.. ليلي ماير هوفر.. هانز موزر.. وولي فريتشه.. ونحن.

وكان المنهج مطبوعاً على أنفس ورق صقيل وبماء الذهب وكانت أسماء النجوم والنجمات تتلألأ على المنهج وكأنها تتراقص جذلى بهذه المناسبة السعيدة.. في حين أن أسم الفنان العراقي كان يجلله العلم العراقي بألوانه الأربعة الزاهية.

وما غنم أن لمحني هملر عندما كان يتصفح المنهج.. فما كان منه إلاّ أن رفع الصفحة التي فيها صورة العلم العراقي فلوّح بها إليّ وهو يبتسم فرفعتُ يدي أحييه بالتحية الهتلرية..

رقص صاحبي وليم شفو رقصة بوليرو لمؤلفها «رافل» وكان هملر من المعجبين بهذا المؤلف والمُلحن الموسيقي. وكانت هذه الرقصة هي سبب شهرة هذا الممثل العراقي لأنه إمتاز بها وأتقنها الى درجة العبقرية والإبداع...!

وراح وليم شفو يراقب زميلته وكأنه يطيرُ بها طيراناً على خشبة المسرح ويبدي فنه الذي مزج فيه الحركات الغربية بالشرقية العربية وصورة جعلت من «البوليرو» رقصة ما كان «رافل» نفسه يحلم بها أو يتصورها. ولو أنها مزيج من من الأنغام الغربية والشرقية. وهنا التفت إليّ هملر وهو يصفقُ إعجاباً بحرارة ويقول بصوت مسموع «آوس غيسايختيتس» أي عظيم للغاية.

وينتر غارتن:

كنا في برلين في شهر تموز سنة ١٩٤٠، وكنتُ قد تزوجتُ فتاة هولندية تعرفتُ عليها في فرنسا عام ١٩٢٩. وقد انتقل وليم شفو الفنان العراقي الى برلين، وحلّ في نزل قرب مطعم روما في شارع «لوتر شتراسه» شارع الفنانات والفنانين.. وكان يسكنُ في هذا النزل المذيع الأول في إذاعة برلين، اللورد هاوهاو..والمسترجون ايمري أبن اللورد ايمري وزير المستعمرات البريطانية المذيع الثاني في الاذاعة الالمانية باللغة الانكليزية من برلين.

وكذلك كان مُتواجداً المرحوم السيد سالم الآلوسي القائم باعمال المفوضية العراقير في روما والذي التجأ الى المانيا مفضلاً البقاء فيها على الرجوع الى العراق بعد ان أعلنت ايطاليا الحرب على فرنسا..

لقد بلغت شهرة وليم شفو النجم العراقي العربي درجة رفعته إلى مصاف النجمة السينمائية السويدية الكبرى سارة لياندر والنجمة الشيلية الممتازة روزيتا سيرانو، فتعاقد معه مسرح (وينتر غارتن) العظيم اشهر واوسع مسرح للميوسيك هول في اوربا.. وصار المع نجم فني في المانيا الكبرى.. لقد زكّاهُ «الرئيس» هملر فصفق له واعجب به..

وكتبتْ عنه أمهات الصحف الالمانية المقالات الطوال والصور المثيرة، وصار مسرح وينتر غارتن يفتخر بالفنان الذي صفق له هملر..!

رقاص مع الزعيم...!

الحق أنّ الذكريات صدى السنين الحاكي...!

فاليوم وبعد مرور ١٥ عاماً على هذه السلسلة السينمائية الحية من وجودنا في برلين عاصمة الرايخ الالماني الثالث.. يلُذّ لي أن استعيد ذكريات ما اطيبها على القلب فهي جزء لا يتجزأ من حياتنا اليومية التي كنا نحياها في وسط الارهاب والشدة والجوع.. وتحت وابل مستمر من قنابل طائرات الحلفاء التي كانت تصلينا نيراناً حامية في كل نهار بدون هوادة او لين وبدون انقطاع.

ومضت الايام وجاء المفتي الحاج امين الحسيني الى برلين وبعد شهر واحد من وصوله جاء السيد رشيد عالي الكيلاني مع اركان حربه السادة جزمي سليمان وحكمت سامي ونجدة الشواف مرافقه العسكري.

وكان السيد محمد سلمان الجنابي «المايور» موجوداً في برلين وهو يسكن في نفس النزل الذي يسكن فيه النجم الفنان وليم شفو والمستر جون اميري واللورد هاوهاو..

ان رشيد عالي الكيلاني الذي زامل المرحوم العقيد محمود سلمان الجنابي في حكم العراق ابان نكبة، مايس ١٩٤١ اصطفى «الرئيس الاول» محمد سلمان وجعله مستشاراً عسكرياً له وهو في برلين.. وحباه ثقته وكتم اسراره.. ولما كانت اواصر الصداقة قد توثقت بين المايور وبين جاره في السكن وليم شفو الى «الزعيم» ليس هتلر.. ولكن رشيد عالي الكيلاني. كما كان يسميه في برلين الاخوان من ابناء العراق..

ولما بلغ المرحوم السيد سالم الآلوسي هذا النبأ هبّ محتجاً صارخاً باللهجة العراقية: يابا شلون ممكن ان يقدم محمد سلمان.. وليم شفو الرقاص الى «الزعيم» الكيلاني...؟!

قصة الزعامة:

إنّ لدى معالي الصديق والاخ العزيز الدكتور محمد حسن سلمان وثائق مهمة وخطيرة جداً عن وضع «الزعيم» رشيد عالي الكيلاني وعن العرب في المانيا بوصفه اول مدير للمكتب العربي الذي افتتحه «القادري» الكيلاني في «بوكلر شتراسه» ببرلين ثم خلفه بعده، معالي الاستاذ علي الصافي مديراً للمكتب العربي الذي يعني أنّ المكتب هو مجلس الوزراء، وبأن مديره هو رئيس الوزارة العراقية «الهاربة» السيد رشيد عالي الكيلاني الذي اعترف بوجوده رسمياً هتلر وموسوليني والامبراطور هيرو هيتو عاهل اليابان ؟



الدكتور محمد حسن سلمان الحمامي وزير الصحة العراقي للفترة ١٩٥٣ - ١٩٥٤

ولما فرّ الدكتور محمد حسن السلمان مع زوجته هارباً من المانيا الى تركيا استدعى السيد رشيد عالي الكيلاني الدكتور علي الصافي ليخلفه مديراً لمكتبه العربي.. ولكن الدكتور الصافي رأى أنّ سياسة الكيلاني لا توافق مزاجه ومزاج صديقنا المشترك الدكتور عبد الحميد الهلالي فتركه.. وفضل البقاء على الحياد لمعرفة نتيجة الحرب..

وعندما استفاق السيد رشيد عالي الكيلاني من غيبوبته استدعاني الى برلين وكنتُ في بودابست منفياً بطلب من المفتي يوم ذاك...

المكتب العربي...!

لقد كان السيد سامي سعد الدين صاحب الصيدلية الاسلامية في بغداد قد منح «الزعيم» قرضاً مالياً، اجهل قدره تماماً، حتى أنّ القرض لم يسدد له ايضاً ولما صرتُ مديراً للمكتب العربي «الكيلاني» أي رئيساً للوزارة العراقية «القادرية» قدّس الله سرّها العزيز واسرار شيخنا «الزعيم» ونفحنا ببركاته «القادرية.» قررتُ فوراً استعمال حقي في المطالبة بمال سعد الدين وفي تطهير

مقر المكتب العربي «أي مجلس الوزراء» من تنابلة السلطان و(الهتافون) بحياة «الزعيم» رئيس الدولة القادرية...!

وكان أول شيء فعلتُه هو اخراج المرحوم السيد كامل الكيلاني من المكتب لأنه كان يستعمل أجمل شقة فيه للنوم والطبخ والنفخ.. وكان له فيه مآرب اخرى..!

ثم أبعدتُ الأستاذ جميل الجنابي عن «الزعيم» فلقد كان له كالسيد كامل الكيلاني التأثير القوي على «الزعامة» التي ما كانت لتقبل نصحاً وارشاداً إلاّ من هذين الصديقين وكأنما كانا يتنافسان في تقديم النصح بسخاء للزعيم» بصورة جعلته يكيلُ الوعود كيلاً للألمان سنأتي على ذكرها بالتفصيل في كتاب خاص عنوانه «المفتي والكيلاني» واوفدتُ الى باريس الدكتور ماجد شيخ الأرضْ.. والى صوفيا عاصمة بلغاريا المجاهد صلاح المختار.

التطهير...!

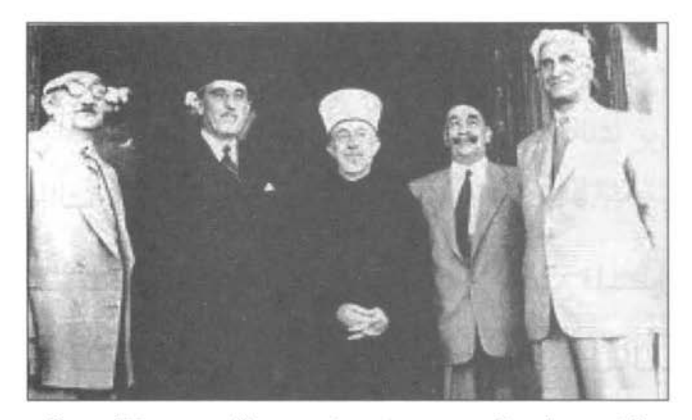
لقد كان عليّ وانا اقوم بمهمة مدير مكتب العربي او العبارة الاصح لوجه التاريخ الجليل القدر العالي الجناب، رئيساً للوزارة القادرية في برلين ان نعيد تنظيم الادارة (مجلس الوزراء) فكان الرئيس الاول محمد سلمان من ضباط الجيش العراقي الذي فرّ وهو في طريق عودته من لندن الى بغداد بالطائرة من لشبونة الى برلين كما سبق ان اوضحتُ ذلك في الجزء الأول من هذه السلسة. كان محمد سلمان المشرف على الشؤون العسكرية لدولتنا. وكان السيد حكمت سامي المشرفعلى الشؤون المالية وكان الملازم الأول نجدة الشواف مرافقاً عسكرياً للزعيم وكان السيد جزمي سليمان المشرف على الشؤون الداخلية..وكان البروفسور فرج الله ويردي الكيميائي العراقي رئيساً لشعبة الترجمة.. وجعلتُ الدكتور مهدي الحمداني مديراً لإدارة المكتب. لقد فرضتُ رقابة شديدة على «الزعيم» وحدّدتُ زواره ونظمتُ مقابلاته.. ولم يعدْ كلّ من هبّ ودبّ يستطيع مقابلة «الزعيم» بالسهولة الفوضوية التي كانت سائدة من قبل..!!



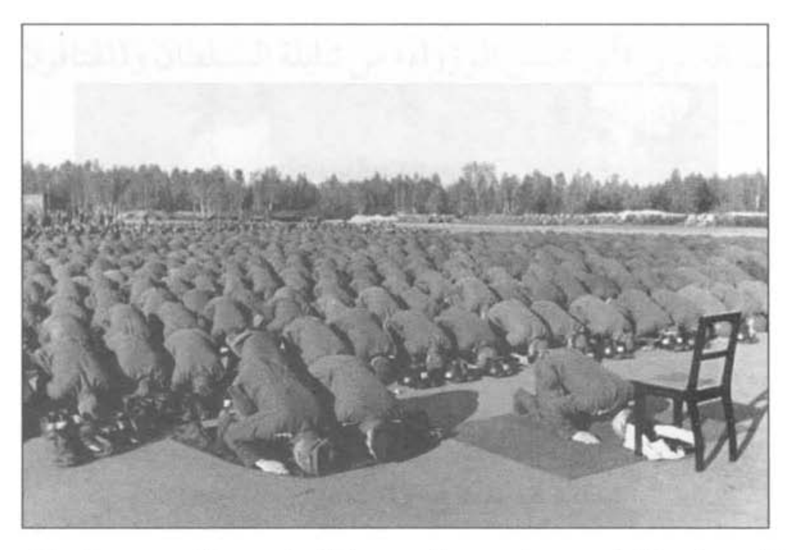
الحاج أمين الحسيني مع هتلر في مكتبه



الحسيني يستعرض قطعات من جيش المتطوعين العرب



شكري القوتلي مع مفتي القدس في صورة تذكارية



قطعات جيش المتطوعين العرب يؤدون صلاة العيد في إحدى ساحات برلين

ثلاث مكاتب عربية:

كان هناك في برلين ٣ مكاتب عربية تعمل في بلد واحد، ولكن ليس من اجل غاية واحدة.. أريد ان اقول أنّ الهدف كان واحداً لخدمة العروبة.. ولكنّ الاجتهاد في هذه الخدمة كانت مختلفة.

١. المكتب العربي المستقل الذي أسّسته الحكومة الالمانية بالاتفاق مع مديره الاول المجاهد الاستاذ الطيبي ليوجهه حسب اجتهاده وبحرية مطلقة لضمان التعاون العربي الالماني، وكان هذا المكتب منتجاً اكثر من غيره من المكاتب الاخرى الثلاث لأنّ السلطة فيه كانت غير موزعة، ولا تتجاذبه التيارات الخفية والعوامل الشخصية المتنافرة...

٢. المكتب العربي لسماحة الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين السابق.

لقد كان المكتب العربي الذي أدرته يتعاون مع المكتب الذي كان يديره الاستاذ عفيفالطيبي تعاوناً تاماً ولكن المكتب العربي التابع لدولة الكيلاني كان يعمل ضد المكتب العربي لسماحة المفتي.. بناء على تفاقم الخلاف بين الكيلاني

والمفتي لأسباب سياسية شخصية. سنذكرها في كتاب خاص ، وقد ذهبتُ أنا البحري ضحية هذا الخلاف مرتين...

الخلاف الأول:

لمّا انتقل سماحة المفتي الحاج امين الحسيني من قصر الضيافة الذي انزلهُ فيه «الزعيم» هتلر لا الكيلاني الى الفيلا الجميلة التي خصصتها له حكومة الرايخ الثالث مع الخدم والحشم.. مع «الافندي» الشاعر الثائر المنثور الدكتور صبحي ابو غنيمة والسادة راسم الخالدي ومحمد الحجازي ثم التحق بهم الدكتور فرحان الجندلي كمترجم لأنه أخذ شهادة الدكتوراهفي الطب من جامعة المانية فكان يجيد لغة هتلر..! لا من حيث القوة بل منناحية أخرى، فالدكتور الجندلي لا يجرؤ على قتل فأر في جُحره.. وفي اليوم الاول الذي انتقل فيه المفتي الى الفيلا الجديدة دعاني «الافندي» لتناول طعام الغداء على مائدته التي كانت دائماً عامرة بالمآكل العربية الشهية التي كنا محرومين منها طوال مدة الحرب. وكان المفتي كعادته يطنبُ في مدح إذاعاتي وخطبي وأسلوبي...!

ولكنه في كل مرة يمتدحني عندما أكون في حضرته يستشهد بأقوال المسيو كولومباني مدير الأمن العام الفرنسي في لبنان في اذاعة برلين التي قال عنها انها اقوى اذاعة عربية بفضل وجودي فيها..

وقد عزّ على فرحان الجندلي الدكتور الطبيب هذا الإطراء فقال زاعماًأنّ اذاعة لندن اقوى من إذاعة برلين. ولولا تدخل الصديق الدكتور صبحي ابو غنيمة لكاد ان ينقلب هذا الفرحان الى ندمان زعلان غضبان.

وبعد أيام وصل سراً فخامة رشيد عالي الكيلاني.. وحلّ ضيفاً على المفتي في (فيلته) الجميلة.

الكيلاني يستنجدُ بي...!!

كتم سماحة «الأفندي» نبأ وصول الكيلاني الى برلين، وأبقى السر مكتوماً

زهـاء شـهر بأكمله.. وبعـث الى الجنـرال فـوزي القاووقـجي صديـق الطرفين المرحوم بهاء الدين الطباع يسألني عما اذا كان الكيلاني قد وصل برلين...؟!

قلتُ:لا ادري؟...

قال:اسأل صديقك الوزير غروباً..

قلتُ:صبراً.. ذهبت الى وزارة الخارجية الالمانية. وقابلتُ الدكتور غروباً فقال لي لقد وصل الكيلاني الى برلين قبل اسبوعين. وفي صحبته السيد جزمي صهره، ومرافقه الملازم الأول العراقينجدة الشواف. وقد حلوا ضيوفاً على «غروس مفتي» يعني المفتي الاكبر.

اكدتُ بدوري للصديق القاووقجي قدوم الكيلاني، وهو يزعُم مؤكداً بأنّ رشيد عالي الكيلاني لم يصل وهو لا يزال مريضاً في استامبول...

قال القاووقجي: انك لا تعرف سماحته جيداً.. فإنّ أساليبه في السياسة، أساليب خاصة لا يمكن إدراك كنههنّ بسهولة.

وفي مساء ذلك اليوم كنتُ اقتحم «فيلا» المفتي..

وقبل أن أستقر إلى مقعدي في القاعة الكبرى التي تفصل بينها وبين المخدع الثاني ستائر حريرية ثقيلة حيث يستقبل «الافندي» زواره من العيار الثقيل.. أجّل قبل أن أستقر جالساً واذ بالصديق جزمي سليمان يلمحني وهم يمرُ من على شرفة الطابق الاول، فأشار بيده ثم اختفى. وبعد بضع دقائق ظهر السيد جزمي سليمان مرة أخرى وقال لي بصوت مرتفع: تفضل يا أستاذ...

وبقدرة قادر أزيح الستار الثقيل وظهر سماحته وهو بعباءته السوداء وعمامته الضخمة الاسطوانية البيضاء. ومدّ يده لمصافحتي ثم قال بدوره وهو يبتسم ويلعب بأصبع يده اليسرى بأرنبة انفه الأقنى تفضل يا أستاذ. مشيراً الى مخدع العظماء من زواره. صافحتُ المفتي وانا اضحك مقهقهاً ثم قلتُ سأتفضل بعدئذ، أنـــا مطلوب فوق...!



رشيد عالي الكيلاني باللباس العربي بعد هروبه الى السعودية متنكراً

صورة الكيلاني مع هتلر

مع الكيلاني:

تركتُ سماحة الأفندي وهو يحرقُ الأرمَ غيضاً.. لقد سمعته وانا اصعد درجات السلم حيث كان ينتظرني جزمي سليمان فوق الشرفة، وهو يقول لمن

تداعوا اليه متراكضين من المريدين والاتباع: من اخبره...؟! سيفضحنا يونس بحري.. إنّ لسانه اطول من لسان «ابو العبد» الزعيم سليم عبد الرحمن.

وهناك في الطابق الاول من فيلا المفتي التي كانت ملكاً لقنصل البرازيل اقتادني السيد جزمي الى شقة السيد رشيد عالي الكيلاني. لقد كان المشهد مؤلماً للغاية، فلقد كنتُ انتظر ان ارى الكيلاني مرحاً كعادته عندما كان رئيساً للديوان الملكي ببغداد في هاتيك الايام التي كنا فيها راية الملك الخالد غازي نقارع الاستعمار، ونقود الجموع ونطالب بالوحدة العربية... وندحض مفتريات الجهال...!

أجّل كنتُ اتوقع ان ارى الكيلاني كما عهدته سابقاً ببغداد

فماذا رأيت..؟!

رأيتُ امامي رجلاً قد انهكتْ الايام قواه.. لقد كان يبكي ويبكي وهو يقطع شعر رأسه بكلتا يده، ثم التفت اليّ وهو يردد القول: لقد سجنني. لقد مضى عليّ ٢٠ يوماً وانا على هذه الحال.. لقد منعني من الاتصال بأحد. يا أخ يونس ارجوك ان تنقذني. اريدُ حريتي. وإلاّ أعيدوني الى بغداد... سلّموني للحكومة... وهناك دعوهم يشنقونني.. انني افضّل الموت على هذه الحالة...!

وفي الواقع فإنني لم اعرف حتى كتابة هذه السطور ونشرها على الناس «السرّ» في كتم نبأ وصول رشيد عالي الكيلاني الى برلين...!

ولماذا (سجن) المفتي صديقه وحبيبه وزميله الكيلاني في داره ببرلين...؟!

بدأ الصراع:

لقد شعرتُ وأنا أرى هذا السياسي العراقي الكبير أمامي يبكي ويستنجد

بمثل هـذه الحرقة والحـزن للخلاص مـن الأسر، بـأنّ الأرض تميـدُ بي..!
فثـارت في نفـسي عوامل كثـيرة تدافعت كلهـا الى رأسي، ذكريـات التعاون السـياسي القديـم، ذكريات حفلات بغـداد.. ذكريات النضـال العربي. مع عامل الشـفقة على هذا الرجل الذي كان يشـار اليه بالبنان في بغداد عاصمة الرشيد وفيصل، ومنارة المجد التليد..!

لم انطـق بحـرف واحد. وكان جزمي سـليمان يسـتمع الى عبارات صهره والدمع يكاد ان ينفجر من مآقيه.

وبحركـة لولبيـة درتُ حـول نفـسي.. ثـم انطلقـتُ اجري نحـو الباب. ورحـتُ انهبُ الأرض نهبـاً الى الباب الخارجي حيث كان سـماحة الافندي يذرع الأرض جيئة وذهاباً.

قـال وهو يكاد يعترض سـبيلي في الممـر الضيق الذي تعلـوه من الجانبين أغصـان الزيزفون: الى أين يا أسـتاذ...؟!اراك على عجـل. تفضلّ خذ معي فنجان قهوة...

قلتُ:إستمع اليوم الى الاذاعة ياسماحة الافندي..

قـال: لا يا أسـتاذ بعـد وكُتْ: قالهـا باللهجـة العراقية ... وهـو يعني أنّ الوقت لم يحن بعد لإذاعة نبأ وصول الكيلاني الى برلين.

قلتُ: لا ياافندي ثـم أردفتُ باللهجة العراقية: هذا الوقتْ الجْنا أنريدا.. هذا الوقت الذي كنا نريده - وما ان إسـتعاد سـماحته رشـده حتى كنتُ في سـيارتي اسـوقهابسرعة جنونيـة الى وزارة الخارجيـة، وهنـاك عنـد الوزيـر الدكتور غروبـاً افرغتُ ما تجمّع في جُعبتي...

صون ايميناس:

قـال الدكتـور فريتز غروبـاً بعد ان اصغـى الى حديثي بإمعـان:إنّ كل ما

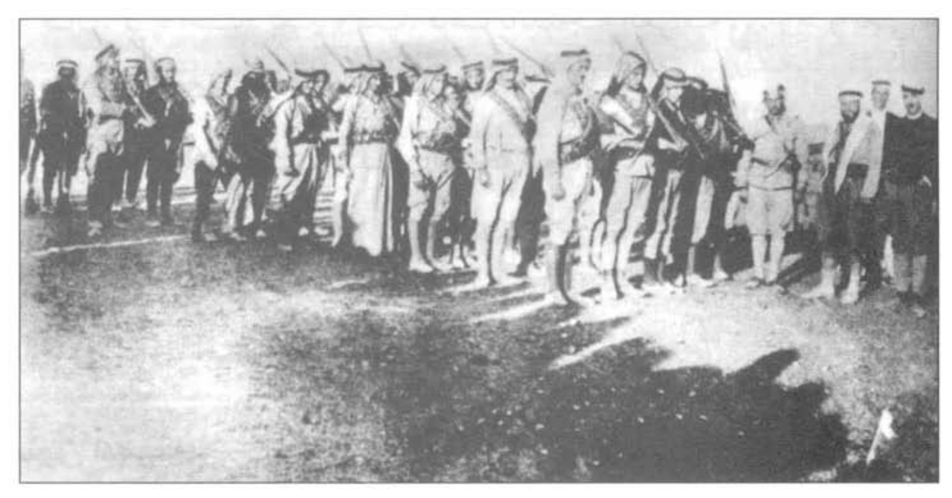
قلته لي هو صحيح ومعقول ... ولكننا عملنا بنصيحة «زاين ايميناس» أي سماحته.. لنتجنب الإشاعات والأقاويل.. فالمفتي يقول:أنا قبل ان نعلن نبأ وصول «رئيس الدولة».. كذا.. يجب ان نضع برنامجاً نتفق عليه للعمل ثم ننفذ التعاون العربي الألماني...

قلتُ:إنّ التعاون العربي الالماني موجود فعلاً..

منذ ان قمتُ بتأسيس اذاعة برلين العربية.. وأنّ هذا التعاون العربي الالماني موجودٌ بالفعل... وأنّ هذا التعاون العربي الالماني قد ضعف منذ وصول سماحته ووصول الكيلاني برلين.. لقد كانت كلمة الربع هنا قبل ان وصولهما واحدة.. واليوم فلقد صارت كلمتهم ذات ثلاثة اطراف.

إنّ الخلاف بين المفتي والكيلاني قد بدأ.. بل استفحل يادكتور غروباً وسترى ماذا ستكون النتيجة...!إنّ «صوت ايميناس» قوي جبار، يعرف كيف يحارب خصومه به..

قال غروباً: إنني اعرف ماذا تقول، ما هو راي «هير أوبيرست قاووقجي..؟!»



الجيش العربي المؤلف من مجموعة من المتطوعين تحت قيادة القاووقجي



صورة القاووقجي في إحدى جبهات القتال على الأرض الفلسطينية

اوبرست قاووقجي:

قلتُ إنّ رأي القاووقجي هو من رأيي، بل هو الذي أشار عليّ بإذاعة نبأ وصول الكيلاني. واستغلال النبأ لدعاية كاسحة في الاذاعة العربية والاذاعات الاخرى باللغات الانكليزية والفرنسية...

وأزيدك علماً بأنني قبل ان ادخل تكلمتُ مع اللورد هاوهاو المذيع الانكليزي الاول والمسيو فيردوني المذيع الفرنسي بالتلفون واخبرتهما بالنبأ لاذاعته باللغات الثلاثة في ساعة واحدة.

قال غروبا: أمّا والحالة هذه فلنذهب الى العقيد قاووقجي... وفي بيت القاووقجي كانت حلقة (الرواد العرب) مجتمعة حول (الطاولة) حيث كان المرحوم السيد بهاء الدين الطباع يلاعب السيد عبد الكريم السباعي الذي صار أخيراً رئيس بلدي بيروت وكانت الرواد تملأ البيت والشارع.

وهـذا هو الدكتـور علي الصافي بقامتـه الفارعة يقهقه ضحكتـه المتقطعة ... والدكتـور عبد الحميد الهلالي يضحك بدون صوت ويرنو إلى البروفيسـور فرج الله ويردي بنظرات مغرية للتحرش بمرافق القاووقجي حميد الصافي ليطلب منه لفافة تبغ. وكان أكثر الحاضرين هدوءاً هو المجاهد العربي منير الريس والدكتور جابـر عمر الذي كان يراقب الجميع ويدفع بتشـجيع مثير عـلى الإكثار من هذه الضجة المستحبة.

وجاء اوبرسـت قاووقجي «والسـيغارة» التقليدية تتوسـط شفتيه يرحب بنا وقبلني.. وصافح الدكتور غروبا.

لقـد انعم «الزعيم» هتلر على القاووقجي في يوم وصوله مجروحاً بالطائرة الى برلين برتبة «أوبسـت» عقيد في الجيش الألماني والرتبة ليست فخرية بل رسمية، ووضع هتلر مرافقاً المانيا له برتبة رئيس وسـيارة عسـكرية مع سائق برتبة نائب ضابط.. تقديراً لبطولته العربية.

وبعـد أن تحدثنـا عـن موضـوع السـيد الكيـلاني والمفتـي أقرّني «اوبرسـت قاووقجي» وانصرفنا.

ثورة رشيد:

وفي مساء ذلك اليوم كنتُ في اذاعة الموجة القصيرة أعدّ «ريبورتاجا صحفياً« للأنباء عن وصول «الزعيم» الى برلين سـالماً... وقد اضفتُ من عندياتي وبدون ان استشير احداً من الخارجية او من قصر المستشارية بانه وصل ليواصل العمل والجهـاد من برلـين على رأس حكومته التي صرتُ» انـا رئيس وزارتها أي مدير المكتب العربي «..!

واذكـر انني اخـترتُ عنوانـاً لهـذا الريبورتاج الطريـف، الـذي كان له وقع الصاعقـة في لنـدن وبغـداد ... وبقية أنحاء البـلاد العربية ومن لم يسـمع بثورة رشيد عالي الكيلاني..؟!

لقد اقمتُ الدول العربية واقعدتها لهذه الثورة التي كان منها رشيد عالي بريئاً ... براءة الذئب من دم أبن يعقوب..!

إنّ الضباط الأربعة لما قّرروا بالاتفاق مع المفتي الحاج امين الحسيني القيام بالانقلاب العراقي العسكري الثالث قرّروا استدعاء رشيد لتأليف الوزارة.. كما استدعى ضباط الانقلاب المصري الأستاذ علي ماهر لتأليف الوزارة المصرية يوم ان اخرج فاروق الأول والأخير من مصر ...

فالثورة ليست ثورة رشيد عالي، وأنّ هذه التسمية هي خطأ تاريخي لا أساس له من الصحة..!

إذاعة النبأ:

وبعد أن اذعتُ النبأ، نبأ وصول رشيد عالي الكيلاني الى برلين، وعلقتُ عليه الذيول والحواشي.. كشرح اللبّاد على متن الحصير.. دق جرس التلفون.. وكان المتكلم، الدكتور صبحي أبو غنيمة..

قال: داس هالب.. أي من أجل ذلك..؟!

قال الدكتور أبو غنيمة: يايونس خليك معنا..

قلتُ: لا ياسيدي انني لن استطيع معه صبراً..

قال: على الرحب والسعة...

على مائدة المفتي:

وعلى الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم التالي كنتُ في بيت المفتي، وكان العقيد فوزي القاوقجي حاضراً والسيد بدري قدح «ملحق المفتي العسكري» وكان من قبل مسّاحاً في أمانة بغداد العاصمة العراقية، ومن المقربين «العاطفيين» للقاووقجي وكان هناك ايضاً السيد عبد الكريم السباعي والدكاترة صبحي أبو غنيمة وفرحان الجندلي.

حول مائدة المفتي:

أجلسني المفتي على يمينه واجلس القاووقجي على الشمال ... فغمز لي أبو مجدي «القاووقجي»بعينه محذراً.. فقلتُ له بصوت عال: حصل...

وعندها تكلم « الأفندي « ولم يلتفت إليّ، بل قال سمعتُ تسجيل الاذاعة العربية مساء البارحة.. لقد كان التعليق موفقاً ولكنه كان سابقاً لأوانه..!

لم أرد ان اجيب بسرعة حباً مني في استدراجه.. ثم سكت وكأنه ينتظر مني الجواب على هذا التحدي..

ودار علينا الساقي بأباريق مليئة بعصير الفواكه... وبدلاً من ان اردّ على سماحته.. قلتُ للساقي: أنّ فخامة السيد رشيد عالي الكيلاني الذي هو في الطابق الأول –فوقنا يحب عصير البرتقال.. خذ هذا الإبريق الى فخامته...

تبدل الموقف:

وعندها حملق القاووقجي بوجهي متسائلاً وكأنه يسمع بالنبأ لأول مرة... ماذا تقول يايونس ؟ هل انّ فخامته هنا ؟ وقبل أن أجيب على السؤال قمتُ من مكاني كمن لسعته افعى... فتدحرجتُ من أسفل الى فوق... وهناك في شقة «الزعيم» قلت له هيا بنا اهبط من عليائك..!

وهبطنا معاً.. وما أن رأى سماحة الافندي «فخامة الرئيس أو الزعيم» يتقدم بخطى متعثرة متثاقلةكمن يقدم خطوة ويؤخر أخرى حتى هبّ من مقعده وهو يقول مرحباً.. أهلاً بفخامة البيك قالها بقوة ومرارة كالأستاذ الذي يلوم تلميذه لارتكابه امراً بذيئاً..

وقام الجميع لتحية «الزعيم» الذي كان يبلع ريقه ويتمتم بعبارات غير مفهومة ومتقطعة شاكراً كعادته في مواقفه العصيبة العسيرة، وما أن إنتهينا من الطعام حتى قال «الأفندي» تسمحون لو شربنا القهوة في المخدع، فأجبتُ عن المدعوين...لا بأس.

لقد كان سماحة الأفندي الى ذلك الحين يعرفني معرفة مجاملات ورسميات.. معرفة الصدفة.

ولكنه ذُهل عندما رأى مني هذا العناد والإصرار في معاكسته وفي مخالفة أوامره ونواهيه، ولكنه مع كل ما بدا مني ظل مالكاً أعصابه، شأنه في الملمات...

قرّرتُ أن أستفز سماحته..

وبالفعل إلتفتُ الى «اوبرست» قاووقجي ونحن نحتسي القهوة وقلتُ له: الغداء «بكرة» عندك على شرف «الزعيم»..!

وكانت مفاجأة بهُت لها الجميع إلاّ القاووقجي الذي استدرك وقال اننا جميعاً تحت تصرف فخامته.. ماذا يفضل «الزعيم» من الطعام..؟!

قلتُ: باذنجان «مسقعة « مع الأرز..

قال: من يطبخها ؟

قلتُ: أنا..

وبالفعل طبختُ الباذنجان والأرز المفلفل في دارة القاووقجي وأكل معنا سماحته و «الزعيم» والدكتور بروفا وقادة الرأي العربي في برلين..

قال الأفندي وهو يبتسم لي: انك طباخ ماهر..

قلتُ: بفضل حُسْنِ دعائكم..

خلينا نكون أصحاب:

وبدون أن يبدي سماحة الأافندي أيّ حركة قال وهو يضع الملعقة على فنجان القهوة على المائدة: يا أستاذ خلينا نكون اصحاب..

وعندها حدجني الدكتور صبحي أبو غنيمة بنظرة فاحصة وكأنّ الإنسان لحاله يقول: ألم أقل لك ذلك من قبل..؟!

وأجبتُ بإيماءة من رأسي، بلى ولكني لا استطيع معه صبراً.. لقد كان عرضه

انـذاراً وتحديـاً لي، قبلتُ التحدي والإنذار وأخرجتُ رشـيد عـالي الكيلاني من معتقله في بيت المفتي وأنا لا الوي على شيء..

وفي بيـت فـوزي القاووقجـي اكلنا وشربنـا وضحكنا، وكأننا لسـنا في حالة حرب، وكأننا في بغداد سـادة الموقف ولسنا مهاجرين فارين نجاهد ونناضل في سبيل استرجاع حقنا السليب.

وفجـأة قـال لي المفتي أننـا ذاهبون قريبـاً الى روما فهل تريد المجـيء معنا..؟ قلتُ: لا باس

قال: أرجوك إنّ السنيور ملليني بوزارة الخارجية الإيطالية سيتصل بك غداً.

قلتُ: وهو كذلك...

مُفاوضات روما:

وفي مساء ذلك اليوم التاريخي مساء يوم ١٩ كانون الثاني ١٩٤١ كنا في مطعم ومقهى «فيين» فيينا في الشـارع الفخم كورفورسـتندام، كنتُ أختلس النظرات مع الغيد الحسان.. وكان الدكتور محمد الحجازي المُقرّب من «الأفندي» يختلس النظـرات مع الفتيان الحسـان.. كلانا ناظر قمـراً ولكن.. رأيـتُ بعينها. ورأى بعينه..!

لقد كان الدكتور محمد حجازي عنيفاً في دفاعه عن المفتي الى درجة حملته على أن يقوم بالتلاحم معي بالأكُفّ..!

وجاء السـنيور تملليني ممثل وزارة الخارجيـة الايطالية ومترجم اللغة العربية الخاص للكونت تشـانو وزير الخارجية الفاشيستية وصهر الدوتشي موسوليني الى المقهـى.. وبعد تبادل عبارات التحية والترحيب قال لي: هل انت موافق على برنامج سماحته.. للمفاوضة في ايطاليا ؟

قلـتُ: لا علم لي بأي شـيء عن هـذا الموضوع. ولم يكلمني سـماحته في هذا الصدد...

قال: ستعلم التفاصيل في روما..

قلتُ: لا يمكنني السفر قبل استشارة الكيلاني والقاووقجي.

قال: أنّ فخامة رشيد عالي على علم بتفاصيل المواضيع التي ستدور حولها المفاوضات وهو سيوافق حتماً على سفرك الى روما.

قلتُ: اذن سأستشير فوزي القاووقجي..

قال: لا لزوم فالقاووقجي لا علاقة له في هذه الشؤون..

من نتائج الرفض:

قلتُ: إنّ الواجب يقضي عليّ أن استشير صديقي القاووقجي قبل أن اقوم بأي عمل سياسي معكم.. أعني مع سماحة المفتي، خاصة وأني قد ارتبطتُ مع السيد الكيلاني للتعاون معه ليس على الصعيد الإيطالي.. بل على الصعيد الألماني.

وبعد أن فكّر ممثل الخارجية الإيطالية السنيور ملليني ملياً عاد فقال:

يظهر لي من حديثك أنك لا تثق بسياسة سماحة المفتي.. قلتُ: أرجوك أن لا تغالط.. إنني لا أثق بسياسة الكونت شانو من الناحية العربية..

قال: وما هو رأيك بسياسة المفتي؟

قلتُ: إن المفتي رجل عربي.. ونحن وإن اختلفنا وإياه في الاجتهاد وفي الأساليب المتبعة للوصول الى أهدافنا القومية.. فإنّ مبدأ جميع العاملين في الميادين السياسية العربية هو مبدأ واحد..!

قال: هذا كلام عام. أعود فأكرر سؤالي.. ما هو رأيك بسياسة المفتي؟

قلتُ: إنني حديثُ عهدٍ بسماحة المفتي في برلين، وأنا غير مطلع على درجة تعاونه مع إيطاليا بعد..!

قال: هل تريد التعاون مع إيطاليا مثل سماحته؟

قلتُ: كلا..

قال: أفهم من هذا أنك ترفض المجيء الى روما

قلتُ: بعد الإستشارة..

قال وهو يعضّ على شفته العليا: إذن لم نتفق- أريفيديرشي- الى اللقاء..

ماذا كان يريد موسوليني...؟!

كان الكونت تشانو منذُ احتلال الجيوش الإيطالية الحبشة في سنة ١٩٣٦ يسعى جاهداً لبث دعاية فاشيستية قوية في مصر وفي اليمن وفي العراق وسوريا ولبنان.. وكان نشاط الحزب فاشيستي يتعدى النشاط الدبلوماسي فقد شمل منظمات الشباب ودعوة الزعماء العرب والشباب العرب لزيارة إيطاليا ومعارضها ومتاحفها ومواخيرها ومراقصها.

وفي الواقع فإن الدعاية الفاشيستية قد حملت جُلّ الصحف العربية على نشر جُلّ المعلومات التي وزعها الحزب الفاشي سواء بأجرة.. أو بالاندفاع العاطفي.

لقد كان جُلّ همّ موسوليني منحصراً في وجود ١٠٠ ألف إيطالي فاشي في تونس وتقوية هذا الوجود من مختلف المساعدات المادية والأدبية حتى صارت فرنسا تخشى قوة هؤلاء الطليان وتحسب لهم ألف حساب..!

كان المريشال بالبو حاكم ليبيا العام يحكم ليبيا حكما مستقلاً عن روما وهو يحلم بتأسيس إمبراطورية عربية أفريقية في شمال إيطاليا ويتوج نفسه إمبراطورا عليها.

إمبراطورية موسوليني:

عندما أمر موسوليني جيوشه بالهجوم على فرنسا في العاشر من تموز سنة ١٩٤٠ قبل أسبوع من انهيار فرنسا وتوقيع المريشال بيتان معاهدة الهدنة، أمر موسوليني المريشال بالبو الهجوم على الجيش الثامن البريطاني الذي كان مرابطاً

في الصحراء الغربية، فاحتل المريشال غرازيني السلّوم وسيدي براني بسهولة حملت موسوليني على الاعتقاد أنه قد صار سيّد الموقف وبأنه سيحتل مصر والسودان ويربطهما بالحبشة وأريتيريا والصومال ويخرج بريطانيا وفرنسا من هذا الجزء من أفريقيا ويعيد تأليف امبراطورية رومانية تمتد من حدود مراكش الى حدود كينيا وأوغندا.

ولكن موسوليني قبل أن يمدّ يده لتنفيذ هذه الخطة الكبرى عمد الى إزالة المريشال بالبو من طريقه فدبّر مؤامرة مكنّت الدوتشي من نسف طائرة بالبو بقنبلة مؤقتة انفجرت في الطائرة عندما كان مريشال الجو بالبو يقودها بنفسه وهو في طريقه لتفتيش الجيش الإيطالي المنتصر في الصحراء الغربية..!

وهكذا خلا الجو لموسوليني بعد أن كان المريشال بالبو أقوى منافس له في الحزب الفاشي. بل كان بعض أعضاء قادة الحزب يرشحون بالبو ليكون خليفة الدوتشي في الزعامة الأولى.



صورة هتلر وموسوليني

التبادل بالنوع:

لم يعط «مراد» الإشـارة بأن نطفئ الشـموع وتبقى شـمعة صغـيرة تطل على الحفل من بعيد وهي تلقي عليه شعاعات باهتة تتراقص حول نفسها.. وبعد أن يقضي الواحد وطره من واحدة. يربت بكفه على ظهر جاره ثم يستلم منه الثانية فالثالثـة.. وهكذا دواليـك الى أن يتهالك الجميع بعد أن خارت قواهم.. ويبقى الـكل في ذهول عجيب وهـم ينظرون بعضهم بعضاً وكأننا لا نرى شـيئاً.. ولا نستهدف رؤية شيء.

إن حفـلات -بارونـوس- هـذه الحفـلات اخترعـت في باريـس مـن عهد «رينيسـاس» النهضة الأولى التي شملت فرنسـا وإيطاليا وعمّ الرخاء وكان من نتيجة هذه المظاهر الغلّو في الإشباع الجنسي. وصار الواحد لا يكتفي بواحدة...!

وهكذا تفتقتْ حيلة الإنسان الفاجر عن مثل هذه الحفلات التي أحيا عهدها «مراد» في برلين..

كنتُ أسمعْ عن حفلات -بارتوس- هذه.. ومع أنني سمعتُ عنها الروايات والأقاصيص غير أنّ الفرص لم تتح لي.. دخول حلبة سـباق إنسـاني كهذه إلاّ في برلـين.. وفي ايـام الحـرب التي كانت تثـير الاعصاب وتهيج الشـعور الى درجة الغليـان.. ومهما تمادى الإنسـان الإنغـماس في المباذل فإنه يبقـى متوتر العاطفة. يطلب المزيد من الإشباع الجنسي...!

إنّ عملية التبادل بالنوع، أي انك تتبادل مع رفيقتك «رفيقة الصدفة» رفيقك الآخـر، تحتاج بواقـع الأمر الى أعصاب فولاذيـة، فإنّ حبّ التملـك الوقتي في حالات كهذه، تجعل الغيرة والعوامل الأخرى التي يختلجُ بها قلب الشرقي على الأخصّ تحثه على التمسك بما هو كائن في حوزته.. ولا تسمح له نفسه أن يلقي بيده بفتاته التي إختارها قبل بدء الحفلة وإطفاء الشـموع من بين الجميع... بين أحضان الآخرين...!

همزة وصل:

كان «مُـراد» كثير التنقل بين عواصـم الغرب والمغرب.. فكان يطير يومياً إلى باريس يبحث في مكاتب محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية في « الكي دروسي» عـن أوراق ووثائـق خاصة حملهـا معه قبل انهيـار المانيا بثلاثة اشـهر ونقلها الى مدريد حيث كانت لديه فيها شقة أخرى كان يصفها بأنها أجمل من شقته الكائنة في شارع «نص باوم آلي» بقرب ميدان أدولف هتلر بلانس ببرلين.

وكان يطـيرُ الى مدريد يحمل معه «كوريي» بريد سـياسي خاص، وكان يقابل الجنرال فرانكو وهتلر وريبنتروب وغوبنز.. ويخاطب هملر تلفونياً ليلقي القبض عـلى فلان.أو يحتجز في باريس عُلان.. أو أنّ شـخصاً غير مرغوب فيه قادم من جهـةٍ مـا إلى برلين وهو يحذر من وجوده ويرجـو إعادته من حيث أتى. لقد كان الصديق عبد الرحمن ياسـين حركة دائمة ولكنهـا حركة مباركة ويكفيه بركة أنه علّمنا أسرار حفلات - بارتوس- الباريسية الممتعة.

مهمات خطيرة:

يقيناً أنّ «مُراد» كان يتمتع بمالٍ وفير، فلم يكن له عندنا في الإذاعة العربية أي راتـب معـين.. بل كانت لديه أموالاً ضخمة في بنـك الرايخ أو فروعه - كارت بلانش- يستطيع أن يضع على الصك أي رقم يشاء.

ولكن حياته كانت في خطرٍ دائم فجواسـيس الحلفاء كانوا موجودين في كل مـكان.. بـل وفي كل مصلحة المانيـة.. كان يعلـم مثلي بأننا معرضـان للأخطار الداهمة.. ولكننا مع ذلك استسلمنا للقدر مع الحذر الشديد..

كان مُـراد الـذي صـار لولـب المباحثـات التـي دارت بـين ألمانيـا وإسـبانيا بخصوص السـماح للجنـرال فرانكو لاحتـلال مراكش بأقسـامها الثلاثة، حمل فرانكوعـلى إعلان الحرب على بريطانيا واحتلال جبل طارق وإلقاء ما تبقى من الأسطول البريطاني في البحر!

وبهذه الوسيلة تنضم إسبانيا الى المحور.. وتبسط المانيا نفوذها على البحر الأبيض المتوسط!.

ولكن مُراد كان داهية دهماء، فلقد لعب الدور الرئيسي لإحباط هذا المشروع وحذّر فرانكو من نيّات هتلر، مؤكداً له أنّ البقاء على الحياد هو أنسب وسيلة للاستفادة من الحرب.

لقد كان فرانكو يعلم أهمية مُحدثّه على الصعيدين العربي والألماني.. فمُراد كان متصلاً بالسلطان وبخليفته في تطوان الأمير مولاي الحسن أبن المهدي وبباي تونس، الشهيد المنصف باي! ومن أجل ذلك وثق به وأحبط المشروع.

جواسيس بريطانيا وأمريكا...؛

أشرتُ في سياق الحديث آنفاً عن الخطر الداهم الذي كان يُهدّد حياتنا في كل لحظة وأنا أدير هذا الجهاز الضخم «الإذاعة العربية في برلين» ...

لقد كانت المسؤوليات الملقاة على عاتقي صعبة ضخمة.. فقد كنتُ مطلعاً على أسرار الوضع الداخلي والخارجي لألمانيا الكبرى وفي أوربا. وكنتُ بحكم علاقاتي الواسعة النطاق مع رجالات وزعماء وملوك ورؤساء العرب والشرق بأقسامه الثلاثة.. الأدنى والأوسط والأقصى! ناهيك عن معرفتي التامة بمجريات الأحوال في المغرب العربي..

كل هذه المعلومات تفيد السياستين السلمية والحربية، فباستطاعتي وأنا في موقفي في برلين أن أحطّم أكبر رأس في العالم وأفضحه وأجعله حديث المجالس والتندُر والتفكه.. أو بالعكس بإمكاني أن أصنع منه قديساً يُصّلى على أذياله ولا يذكر أسمه إلا بالحمد والتقدير والشكر!

راكوفسكي أولاً:

كان الهر راكوفسكي أحد كبار رجال وزارة الخارجية الألمانية قد أعيرت خدماته الى المكتب العربي الذي يديره الأستاذ الكبير عفيف الطيبي في شارع

«فرانسـوازش شتراسـا» هو المُشرف عـلى توزيع بطاقـات المـواد الغذائية علينا وعـلى المكتـب العـربي التابع للكيـلاني والمكتب العـربي التابع للمفتـي، وكنتُ بحكـم عمـلي وأنا عـلى رأس الإذاعـة العربية من قبـلُ، والمكتب العـربي التابع للكيلاني من بعدُ على اتصال دائم ووثيق بالهر راكوفسكي وسكرتيرته السويدية «فراولاين هول» حتى أنها صارت عشـيقتي قبل أن تتزوج في نهاية عام ١٩٤٤ وقد طارحتُها الغرام زهاء عام ونصف عام..

وكان الهر راكوفسكي رجلاً مؤدباً كيساً استطاع أن يبقى على الحياد بين رشيد عالي الكيلاني وبين المفتي الحاج أمين الحسيني.

كان يدخـل المكاتب العربية الثلاثة ويخرج وكأنه في داره، يأكل ويشرب معنا ويجالـسُ نسـاءنا ويداعـبُ صويحباتنا.. الى درجـة أنه هو الذي مهّـد لي الطريق لمعاشرة فراولاين سكرتيرته الجميلة.

وفي منزلي كان راكوفسـكي يطبخ ويشرب الويسـكي والشمبانيا وينام ويأتي بخليلاته ويقضي الليل كله في غرفة خصصتُها له وأعطيته مفتاح المنزل يستعمله أنّى شاء ومتى أراد..!

البيت بيته.. وأي فرق بين الإخوان والأصدقاء لا وجود لهُ... بين الأحباب تسقُطُ الآداب...!

برودر شافت:

لقد تآخيتُ مع رابكوفسكي بعد خصام عنيف دام زهاء سنة كاملة إختتمتها بأن هجمنا عليه في المكتب العربي المستقل وهو في مكتبه وأشبعناه ضرباً وشتماً.. كان يصحبنـي المرحـوم السـيد عبد المطلب السـيد يحيـى أمين صندوق السـيد رشيد الكيلاني الخاص بالعراقيين.. والدكتور محمود الأمين عالم الآثار العراقي ومُفسّر الرسـائل الصخرية لسرجون ونبوخـذ نصر..ومحيي الدين أبو الخطاب نسل الأكرمين وآثار شرح اللبّاد على متن الحصير!

هجمنا على راكوفسكي وهو كان يُملىء «الماجور» الرئيس الاول محمد سلمان وحكمت سامي ضدّي وكانا موجودين في المكتب العربي المستقل في ساعة الهجوم على الطريقة الهتلرية!

ولكنني لم افعل معهما أي شيء بل صببتُ على رأسيهما سيلاً من الشتائم والمسبّات وصلت الى اجداد اجدادهما المساكين الذين اصابهم من أحقادهم الأشرار - لوقتٍ قصير فقط - هذه الصفات التي ما كانوا يستحقونها! وبعد أن اشبعتهما لعناً اغلقتُ عليهما الباب وأخذتُ المفتاح!

وبعد ايام صلح الحال اذ دعانا الأخ فوزي القاووقجي الى حفلة عشاء ساهرة صاخبة سكبنا فيها العبرات.. عبرات الويسكي «سكوتش الأصلية» من بلاد البريطان!

اعتذرتُ بعدها للهر راكوفسكي عما بدر مني.. وقلتُ له عفا الله عما سلف...

فما كان منه إلاّأن إغرورقت عيناه بالدموع فهو شرقي الدم..مثلنا.. اذ قال لي انه الماني ولكن اصله بولندي!

قلتُ اهلاً بإبن العم.. إنّ الشرق والغرب لا يلتقيان.. أمّا وانك من شرقنا العزيز فسنكون بعد الآن شرقاً واحداً.. يعني اننا اخوان واصدقاء، لك ما علينا ولنا ما عليك!

ومن شدّة تأثره لم يتمالك نفسه... حين قال لي... تعال لنشرب كأس الأخوة «برورد شافت»...

أخي راكوفسكي:

ومرّت الايام والاشهر والسنين سراعاً.. وكلما اعودُإلى برلين من المنفى.. او من الرحلات السياسية التي صرتُ اقوم بها منذ مطلع عام ١٩٤٣ بجواز سفر دبلوماسي وبرتبة وزير «الرجاء عدم الضحك والإستخفاف « أفلستُ مديراً للمكتب العربي يعني رئيس وزارة رئيس الدولة القادرية الكيلانية رشيد عالي

الكيلاني في المهجر.. في برلين التي صارت ام العجائب والغرائب.. بل ام الدنيا!

في شـهر مايـس سـنة ١٩٤٥ عندما نقلنا اذاعـة العـرب «العربالاحرار» من برلـين الى مدينـة هيلم شـتات المكشـوفة بإعتبارهـا مدينة مستشـفيات بموافقة الصليـب الأحمـر الـدولي. زارني الهر راكوفسـكي في منزلي ببرلـين وقال لي وهو مُكفهر الوجه بادي الإضطراب! هل تمنحني ثقتك يا أخ يونس.. ؟

لقد كان يغالبُ نفسه وهو يتحدث إليّ كأن شيئاً لم يكن ظاهراً يخيفه عني!

قلتُ أنسيت يا أخ راكوفسكي اننا اصبحنا اخوان منذ أن شربنا كأس الأخوة «برودر شافت» في منزل «اوبرست قاووقجي»؟

قـال: نعم اذكـر.. ولكني اخاف أن تتهمنـي بالخيانة ونكـران الجميل.. لقد كنت معي بعد خصامنا الأول أكثر من من أخ شقيق!

قلتُ: ربّ أخٍ لك لم تلده أمك..!

وهنا قبلني راكوفسكي وضمني إلى صدره قائلاً:

- لقد خسرتْ ألمانيا الحربْ.. وقد فكرتُ في مصيرك أنت.. إنك صاحب الرقم الرابع في قائمة المجرمين العرب في الحرب!

وأخـرج من جيبـه أوراقاً طبـع عليها بالآلة الكاتبة ٦٤ إسـماً من أسـماء العرب الذين إعتبرهم الحلفاء «مجرمي حرب»...

قال راكوفسكي بهدوء وكأنه يهمس همساً.. أتدري من أنا...؟!

ذهلتُ وانا أحدقُ بوجهه.. لقد انحبست العبارات في فمي وكأنني أمام قاض سيحكم عليّ بالإعدام!!

قال: هوّن عليك!!

قنصل أمريكي عام...!

قلتُ هيا افصح.. هيا تكلم!! من أنت...؟!

قال إنني (أمريكي) وبرتبة قنصل عام..!

لم أتمالك نفسي وانا أمسكُ بكأس الويسكي من أن أدع الكاس يسقط من يدي.. وأن اقف واقفاً ورجلي حافية لأدوس شظايا الكأس وتدفق الدم يسيل من الكعب والخمص!

إبتسم راكوفسكي وهو يدخن، ينفث دخان سيغارته بهدوء..

ويمزمز كأس الويسكي ثم قال: تعالَ لنداوي جرحك المزمن يايونس بحري.. وبعدئذ نتكلم!!

قلتُ: أتتحداني ؟ إنّ روحك بيدي الآن..!! ومددتُ يدي الى سماعة التلفون!!

قال وهو يبتسم ايضاً وبغرور ارسل الدم الى رأسي كالمنجنيق!! إنك تحبني.. إنك لن تقدم على الوشاية بي..!

وعندها أجمعتُ قواي ونظرتُ اليه، فرأيته واثقاً من نفسه، وهو ينظر إليّ بحنان الصديق عند الضيق!

قلتُ:إنني تحت تصرفك ياصديقي وأخي... مُرني وأنا رهن إشارتك..!

قال:لا شيء ابداً..إنني أريدُأن أخدمك الخدمة الأخيرة..

أريد أن أنقذك..!

قلت: كيف..؟

قال: سأعطيك شهادة «سوف كوندويت» أي شهادة «حسن السلوك» السياسي طبعاً!!

ثم قال: ماذا تريد أن أسمّيك..؟!

يونس الجبوي!.. ودكتور..

وبعد أن تفاوضنا في التسمية.. تسميتي أنا من جديد تمّ الإتفاق فيما بيننا على

أن يكتب أسمي على شهادة حسن السلوك الأمريكية الموقعة من قبل قنصل أمريكا العام في برلين المستر راكوفسكي أسمه الصحيح الصريح. على أن أغادر برلين غرباً الى الجبهة الأمريكية مُتحاشياً الجبهتين الفرنسية عبر الزاين.. والبريطانية عبر هولندا والبلجيك، وأن اقصد بعدئذ باريس..!

وعندها أتصل بالقوات الأمريكية، جيش الجنرال باتن... ويكفيني أن أبرز شهادتي الأمريكية هذه لاختراق الحواجز العسكرية الطويلة العريضة..!!

وزيادة في الاحتياط قال لي المستر راكوفسكي أنّ أسمك من الآن فصاعداً «يونس الجبوري» من رعايا الجمهورية السورية!!

قلتُ له وأنا أبتسم بألم.. أرجوك ان تضيف كلمة دكتور إلى الاسم!

قال وهو كذلك: الدكتور يونس الجبوري من قبيلة الجبور.. جبور سوريا في الحسكة.. وهو من أبناء عمومة مسلط باشا خليفة سلطان جبر الذي حكم القطاع الكائن بين دجلة والفرات في أيام زمان! وهو جدنا ولا فخر!

ممثل دولة الاسلام الهندية...!

إنني قبل أن أنام في كل ليلة أصلّي من أجل أخي راكوفسكي.. الرجل الذي إعتديتُ عليه وأهنته وهو في أوج مجده فساعدني وأنقذني من الموت المُحتم.. لقد أرسلته العناية الإلهية ليلعب دوره الحاسم في إتاحته لي هذه الفرصة الغالية الثمينة لأتحدث إلى قراء سلسلة مذكراتي «هنا برلين.. حي العرب» فلولاه لما استطعتُ أن أحيّي العرب.. بحاضرهم الذي صار مليئاً بحركات النضال والتحرير.. ليعرف العرب حقائق الماضي يقارنونها بين حاضرهم إستعداداً للمستقبل الزاخر بالمُلمات والأحداث..

كان يشتغل معنا في الإذاعة العربية رجلٌ هندي مسلم أسمه حميد خان.. وكان رجلاً قصيراً مُمتلىء الجسم صحة وعافية يبدو كالثور عندما يمشي.. لقد كان أستاذاً بارعاً باللغة العربية.. يستطيع أن يقول لسيبويه قمْ لأجلس مطرحك..!

كان حميد يعمل في روما في الإذاعة... قسم اللغة العربية!

ولما قرّر المجيء الى برلين أخذ كتاب توصية من صديقي وأخي الزعيم الباكستاني محمد إقبال شذاني رئيس الدولة الإسلامية الهندية بالمهجر في روما.. وصديق الأستاذ نايل الخوري!

وكان لا بد أن أقبل كتاب التوصية من صديقي وأخي محمد إقبال شذاني.. فهو استاذي الحبيب الذي لا يرد له طلب...

وجاء حميد خان الى برلين.. وكلفتُهُ بمهمة مراقبة المناهج.!

وفي الواقع فقد بذل دموع عينيه رخيصاً لهذا العمل المضي الشاق وهو كهل تجاوز العقد الخامس من العمر ولكنه واصل العمل بهمة الشباب الوثاب الذي لا يهن ولا يتعب!

جاسوس بريطاني كبير...!

صار حميد خان الرجل الأول في إذاعتنا العربية.. إذ لم أعد أستطع عمل شيء إلاّ برأيه!

ماذا تقول في هذا الموضوع يا أيها الأخ حميد..؟

إنّ رأيي في هذا الموضوع لا يتفق والمصلحة المشتركة.. فلماذا لا نذيعه على الصورة التالية!

لقد كان الرجل، رجل براعة واستهلال، يعرف كيف يوجه.. يعرف ماذا يريد!

وبعد مضي ثلاثة أعوام على عملي معه.. وبعبارة أصح عمله معي.. سيان.. لقد اختلط الحايل بالنابل في خاتمة المطاف.. دعوته إلى منزلي في شهر مارس ١٩٤٥ وكان ذلك بعد أن أخذتُ شهادة «سوف كوندويت» من القنصل العام في برلين المستر راكوفسكي!

لقد شعرتُ من حركات حميد خان وسكناته أنه من الطرف الآخر.. وإن كان يراوغ.. وفي منزلي قلتُ له ياحميد.. لقد خسرنا الحرب ونحنُأمام مشكلة صعبة.. فكيف الخلاص...؟!

فقال وهو يبلع ريقه بصعوبة!

- يا أستاذ يونس سلّم نفسك للبريطانيين! وسترى أنهم كيف سيعاملونك بشرف!

قلتُ: وكيف تعلم ذلك؟

وبدون أن ترمش له عين قال لي: أنك من العناصر الطيبة ياسيد يونس وأنا على إستعداد لخدمتك!! قلتُ: من أنت ؟ فلم يجب؟؟

ضابط بريطاني...!

سكت حميد خان ولم يرد على سؤالي بحرف واحد.. ولما دخل الروس الى برلين واحتلوا قطاع الكسندربلاتس في برلين.. جاء حميد خان وهو يختال ببزة كابتن في الجيش البريطاني!

وراح يفاوض الضباط الروس في مكتب الإذاعة العربية..

وعندها تسللتُ من المكتب الى خارج دار الإذاعة بعد أن رأيتُ صاحبي حميد خان يحمل رتبة رئيس عسكري بريطاني ويفاوض بإسم جلالته البريطانية..!

من يومها لم أرَ حميد خان الرجل الذي عمل معنا، وعاشرنا وعرف أسرارنا وخفايانا في السرّاء والضرّاء!

لقد كان يحضر معي الى وزارة الدعاية لأتفاهم مع هانز فريتشيه على تعليق اليوم السياسي!

وكان يحضر معي الى رئاسة صحافة الرايخ حيث كنتُ أبحث مع الدكتور اوتو دبتريش في موضوع الساعة!

كان من واجبي أن أطلعه على كل شيء.. فلقد كان ألمعياً واصمعياً الى درجة متناهية.. ولو رآه الأخ عبد الجبار جومرد الدكتور والشاعر الأديب والفيلسوف والنائب العراقي الأصمعي الموصلي مع حفظ الألقاب.. لأمسك بتلابيبه ولإقتاده اليه وهو يرددُ قول الشاعر العربي الفحل ... تعالي أقاسمك الهموم... تعالي!

ثالثة الأثافي...!

كانت الجمعية الإسلامية في برلين بعد النادي العربي من أهمّ المشاغل التي تشغل بال العرب والمسلمين في المانيا لأنها كانت جمعية ذات أثر فعّال في توجيه التلامذة المسلمين والعرب في المانيا.

وكانت تتمتع بحقوق وامتيازات ضخمة منها إعانة الطلبة غير الرسميين من الذين يفدون على برلين للدراسة على حسابهم.. ومنحهم مصاريف خاصة تساعدهم على مواصلة الدرس والسكن.. والحياة برفاه التلميذ المعتدل!

وكان جامع برلين من مركز نشاط الحركة الإسلامية.. وكان حبيب الرحمان الهندي المسلم رأس الحكمة في برلين! ورأس الحكمة فيها.. مخافة الله!

فلقد كان حبيب الرحمان كل شيء في الجمعية الإسلامية.. وفي جامع برلين..

لقد صار مديراً لمكتب سبحان شندرا بوزا رئيس دولة الهند في المهجر.. في برلين!

وصار مديراً للإذاعة الهندية من برلين!

وصار كل شيء وهو لم يفعل شيئاً..

لقد أتته الوزارة منقادة وهي تجرجر أذيالها!!

كان حبيب الرحمن صديقي وهو يقلد حركات الحيوانات التي عايشها في الهند.. وكان يُنافس الدكتور كمال الدين جلال مراسل الاهرام القاهرية في برلين.. والدكتور عبد الحليم النجار مندوب الأزهر الشريف في منصب الرئاسة..!

لقد خذلهم جميعاً.. وصار رئيساً للجمعية الإسلامية!!

والسرّ في هذا نصرة المستر سرحان تشندرا بوزا رئيس الحكومة الهندية المؤقتة في برلـين له! بوصف كونه السـكرتير الخاص لمكتبـه.. أي رئيس وزارة الهند في برلين!!

و ماذا بعد الحرب...؟!

لقد صار حبيـب الرحمان بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها مديراً عاماً لدعاية حكومة الهند بعد أن تألفت في ١٥ اغسطس ١٩٤٧.. وصار الرجل الذي يتكلم بإسـم السيد محمد إقبال شـذائي رئيس حكومة الهند المسلمة من ايطاليا! وبإسم حكومة الهند الصميمية الهندوكية من برلين بإسم سبحان تشندرا بوزا.

إنّ الانقـلاب عجيـب وغريـب.. إنّ الإنقـلاب يشـير الى الخطـة المرسـومة الموضوعة.. وهي أنّ الجاسوسـية البريطانية «انتليجانس سرفيس» كانت تعرف كيف تضع الأمور في نصابها سلفاً ومع حُسْنْ ترتيب وأحكام..!

وكان رجالها المختارون يستهونون الأخطـار والأهوال عن طيب خاطر، لا يهمهـم القتـل أو الحبس أو التعذيب بقـدر ما يهمهم الوصـول الى النتيجة الحاسمة.

لقد عايشتهم جميعاً وأنا مؤمن بإخلاصهم وطهارتهم وماذا كانت النتيجة ..؟

لقد كانوا يُسـجلّون حركاتي وسكناتي، ولكنني لا ادري لماذا لم يقضوا علي!! ولماذا تركوني سائباً أفلتُ من أذاهم.. لأكون بعد الحرب.. حرباً عليهم ..؟

الفصل السابع

- شباب الطليعة العرب مع هتلر
- كيف كنا نعيش ..؟ وماذا نفعل ..؟!

يونس بحري...
نحنُ في المانيا...
شباب الطليعة العربْ مع هتلر...
كيف كنا نعيش، وماذا فعلنا.. ؟!
شخصيات وتراجم عربية...
١٥ عاما من شبابي...

لقد كنتُ أول عربي تعاون مع هتلر وبالتالي مع المانيا النازية.. وكان ذلك في ١٠ كانون ثاني ١٩٣١، حيث قمتُ بزيارة برلين، وتعرفتُ على الدكتور جوزيف غوبلز، ولم يكن غوبلز في ذلك الحين وزيرا للدعاية الرايخ الثالث بل كان يصدر جريدته الاسبوعية (دير انغريف) الهجوم: وكان نائبا عن برلين في (الرايخشتاغ).. وبالإضافة الى ما تقدم كان لقب (غاولايتر) أي المحافظ او الوالي.. على مدينة برلين الكبرى! وهذا اللقب منحهُ اياه (الزعيم) هتلر منذ شهر اغسطس ١٩٢٦ يوم أن بعثه الى برلين ليفتتح فيها أبواب الكفاح النازي..

لقد عرّفني المغفور له الأمير شكيب ارسلان أمير البيان العربي على غوبلز!!

ولم ينفض عقد اجتماعنا الأول إلاّ وكنا قد اتفقنا على أن أصدر جريدة عربية سياسية ببغداد.. وأن اقطع صلتي بالمرحوم الملك عبد العزيز ال سعود الذي كان قد اوفدني والشيخ عبد العزيز الرشيد المؤرخ الكويتي الكبير للقيام بالدعاية للحج في إندونيسيا.. منذ عام ١٩٢٩..

لقد سلختُ ١٥ عاما من شبابي في التعاون المطلق وبحرية تامة مع هتلر، والمانيا النازية، وقادة الحزب طائعاً مختارا.. وبقيتُ ثابتا في عملي ولم انفصل عنه

وراء المذياع النازي.. اللهّم إلاّ في خلال فترتين!! الأولى بسبب خصامي مع الحاج امين الحسيني.. والثانية خلافي مع السيد رشيد عالي الكيلاني في سنتي ١٩٤٢ و١٩٤٣.. إثر الخصام العنيف الذي ذرّ قرنه فيما بيننا في برلين (سأصف ذلك في كتاب قادم ..!!).



عبد العزيز أبن سعود على ظهر الطراد الأميركي برفقة الرئيس الأميركي روزفلت، والواقف منحنياً هو الجنرال آيزنهاور القائد العام لجيوش الحلفاء



عبد العزيز أبن سعود برفقة رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل على ظهر الطراد الأميركي



الرؤساء الثلاثة بعد النصر في الحرب العالمية الثانية، الرئيس الأميركي هاري ترومان في الوسط و ستالين زعيم الاتحاد السوفياتي و تشرشل رئيس وزراء بريطانيا العظمى

من مكة إلى بغداد..!

كان الشرط الأساسي لقبول تعاوني مع غوبلز ربط مستقبلي بعجلة الدعاية النازية العالمية و ترك خدمة الملك عبد العزيز آل سعود!!

وقد إستغربت آنئذٍ فرض هذا الشرط عليّ.. اذ لم تكن هناك علاقة تربط الحزب النازي بالملك عبد العزيز. فألقيتُ السؤال المُحير على غوبلز ..!

فهبّ من مقعده واقفا واشار بمسطرة طويلة بيضاء على خارطة كبرى للشرق الأوسط، . وقد وُضعتْ على عواصمها أعلام نازية صغيرة تتفاوت في الحجم بالنسبة لأهميتها من وجهة النظر النازية..

ثم ضرب غوبلز بالمسطرة على علم كان اكبر الأعلام الملصقة على الخارطة وقال:

من هنا يجب أن نبدأ!!

وتطلعتُ الى المكان الذي أشار اليه عميد الدعاية النازية.. فكانت بغداد!! أحنيتُ رأسي موافقا.. إابتسمغوبلز وهو يردف قائلا:

إنّ بغداد اليوم وغداً وفي المستقبل هي مركز الثقل في الشرق الأوسط كله.. إنّ هذه القطعة من الأرض (مُشيراً الى نجد) لا فائدة ترجى فيها حتى ولو صارت جنة عدن!إننا لو أردنا إنشاء برلين ثانية في بلادكم لما وجدنا خيراً من بغداد. وهكذا أصدرتُ جريدة العُقاب ببغداد وهي تحمل صورة العُقاب المُشابه للنسر الألماني الهتلري(دير ادلار) تماماً.. وكان لغوبلز ما أراد...!

الى آخر يوم!

إنني إذ أكتبُ هذا السِفْرَ من تأريخ حياتي.. وشطراً من تأريخ حياة وأعمال الرجال والنساء الذين عملتُ معهم أو كنتُ على صلة بهم من أمواتٍ وأحياء.. فإنني أكتبُ ويدي على قلبي.. محاسباً ضميري.. فللحقيقة والتأريخ عليّ دينٌ

والـف دين.. خاصة وأنّ هاتيك الأعوام التي قضيناها في المانيا، قد صارت من حـقّ التأريخ العربي.. وهذا الحقّ هو الذي دعاني لتسـجيل أحداث تلك الحقبة والخطوات التي مشيناها في دروب هتلر! وأزقة غوبلز.. وأجواء غورينغ!

مشيناها خُطىً كُتبتْ علينا   ومن كُتبتْ عليه خطىً مشاها

لقـد كان تعـاوني مع هتلر وقـادة المانيا النازيـة تعاونا صريحا يقـوم على الثقة المتبادلـة وعـلى المسـتوى العالي وقدم المسـاواة.. وكنـتُ كلّما أعـودُ بالذاكرة الى مراحل هذا التعاون منذ (١٠ كانون الثاني سنة ١٩٣١ الى يوم ٣٠ نيسان ١٩٤٥) وهو آخر يوم ألقيتُ فيه المذياع جانباً.. وألقى فيه هتلر مقاليد الحكم وصولجان الزعامة!! كنتُ أسـتعرض شريط حيـاتي وهو يمُرُّ بسرعة البرق الخاطف.. فلم أجد فيه لحظة تنغصّ فيها صفو التعاون بيني وبين من تعاونتُ معهم من الألمان الهتلريين..!

من أجل حرية العرب!

كنتُ اثيرُ الضجّة في بغداد، وأستثير الرأي العام العراقي.. وأقيم العالم العربي واقعـده.. ليـس حبا بزرقة عيون هتلر.. أو لأن كتاب كفاحي قد اسـتهواني! او تأييـدا لتعاليـم الحـزب النـازي!! كلاّ.. والـف كلاّ! لقـد اخترتُ المانيـا وهتلر بالذات في وقت كان فيه العرب نهباً مقسـماً بين الدول الإسـتعمارية وبين زعماء (الإسـتقلال) العربي الذي تعاونوا مع المسـتعمر بسـخاء مفرط فسـدّوا آذانهم ووضعوا فيها وقراً من دسائسهم ليحولوا دون سماع مطالب العرب التي كانت تسـتهدف الحرية والإسـتقلال.. ولا تزال.. ومن أجل ذلك رفعتُ عقيرتي من برلين وتطوعتُ لكي اسـتغل قوة جهاز الإذاعة الهتلريةأسـلطّها على الإستعمار فأخفيـه وأقضّ مضاجعه، وأقلّل من غلوائـه في الهيمنة على بلاد العرب واهلها العرب جاعلا من فلسطين الشهيدة قميص عثمان.. ومن سوريا ولبنان والمغرب العربي عصاة الإسـتقلال العـربي أهشّ بها في وجه الاسـتعمار واذنا به العرب.. وصار مذياع برلين العربي قبلة الأنظار والأسماع!!

أعمال سرية وعلنية..

كان تعاوني مع المانيا الهتلرية تعاوناً علنياً ذاع وشاع وملأ الأسماع.. وصارت عبارة - هنا برلين. حيّ العرب - التي كنتُ أستهلُ بها خطبي وأحاديثي وإذاعاتي في خمس إذاعات كل يوم.. تسير في العالم العربي والدنيا بأسرها مسير الشمس في الشرق والغرب!!

لقد كانت أعمالنا تشمل طائفة كبرى من الأعمال التي تتفرع بالطبع من أعمال الاذاعة. فلقد كان الرُسُل والمندوبون الذين زرعناهم في العواصم العربية والغرب العربي يؤلفون خطراً داهماً على الحلفاء.. بل كان خطرهم اشد واكثر من الجواسيس ورجال الطابور الخامس الذين يبثون عادة بين صفوف العدو.. فالجواسيس تنحصر مهمتهم في جمع المعلومات وارسالها.. ولكن رجالنا الذين اخترناهم بعد طول تجربة كانت لهم مهام سرية دقيقة للغاية.. اولها موافاتنا بالأنباء والمعلومات الصحيحة عن مواطن الضعف في سياسة البلاد العربية الكائنة تحت النفوذ البريطاني والفرنسي وكذلك الإيطالي.. والهولندي ايضا. ومنها اقامة المظاهرات والنسف والتخريب وعلى الأخص في المناطق الستراتيجية بالنسبة لنا نحن العرب بفلسطين وسوريا ولبنان. وقطاع الموصل حيث توجد آبار النفط فيها وفي كركوك.. والبصرة الذي كان الميناء الرئيسي حيث جهزتْ منه روسيا بالذخائر والعتاد الحربي ضمن مشروع (الإعارة والتأجير..) ومن البصرة ايضا كانت الإمدادات تتدفق الى العراق فمصر عبر فلسطين لتقوية الجيش الثامن البريطاني الذي سحقه المريشال رومل ثعلب الصحراء!

باكورة العمل!

لمّا وصلتُ برلين في الخامس من شهر نيسان ١٩٣٩ شعرتُ وانا انزلُ من الطائرة - لوفت هانزا - بأنني قد انتقلتُ من عالم قديم الى عالم جديد لم اكن قد عهدته من قبل تماما! نعم لقد زرتُ برلين مرارا عديدة ولي فيها ذكريات حلوة يلذ لي ان استعيدها كلما أنستُ في نفسي ميلاً لإستقراء صفحات الماضي الحافل

بالمغامرات والمُبهجات والمُزعجات.

لقد وصلتُ برلين في هذه المرة لأعمل.. ولأضرب بسيف الأثير حصون الإستعمار.. لا لكي ادكّها دكّا.. بل لأهيء الأسباب لمن يدكّها من الرجال الذين عاهدوا الله والوطن العربي على استغلال قواهم وقوتهم المادية والمعنوية، والوصول الى الهدف العربي من اقرب الطرق..

كان اول شي فعلته بعد الأسبوع الأول من مشروع اذاعة برلين العربية بالبث ان ابعث بعدد من أصدقائي العرب المخلصين الى مختلف العواصم العربية في المشرق والمغرب لاختيار الأماكن التي يجب ان يعمل فيها مراسلونا المغاوير وسلمناهم آلات أخذو إرسال على الكهرباء والبطاريات. وحمّلناهم جوازات سفر ديبلوماسية لكيلا تفتش حقائبهم وامتعتهم في البلاد التي يمرون بها او ينتقلون اليها.

مُتعاونون متطوعون...

لقد بلغ الحماس أشدّه بين عدد كبير من الشباب العربي الى درجة حملتهم على التطوع مجانا لمراسلتنا والاتصال بنا وتزويدنا بالأنباء والأخبار والمعلومات الثمينة التي كانت موادا دسمة لإذاعتنا العربية.. ولعل من المفيد ان اذكر ان هذا الشباب لم يقبل منا أي ثمن او مكافاة على تعاونه معنا، بل أنّ وحدة العقيدة في الدفاع عن الصالح العربي المشترك هي التي دفعت بهؤلاء الشباب لركوب متن الخطر ووضعهم أنفسهم تحت نيران ورصاص الحلفاء.

لقد كانت انباء ومراسلات هؤلاء الشباب تصلنا عن طريقين: طريق مباشر، وطريق غير مباشر... فالذي يتصل بنا مباشرة يكون اتصاله بواسطة مندوبينا ومراسلينا السريين. والذي كان يتصل بنا بطريق غير مباشر فكان عليه ان يبعث بحصيلته الينا عن طريق استامبول حيث كان مراسلنا فيها شخصية عربية كبيرة، وكان يجمع ما يحصل عليه يوميا ويسلمه الى اعوان ووكلاء القنصلية الالمانية في استامبول. ثم ترسل القنصلية إلينا رزمة الإذاعة العربية بما فيها من

رسائل وصحف وانباء في البريد الديبلوماسي (كوربي) صباح كل يوم بالطائرة.

هتلر باللباس العربي...

كان أول عـربي إتصـل بنا ونحـن لانزال في الشـهر الأول من عمـر الإذاعة العربية من برلين الصديق الحاج قرنفل من بيروت - لبنان..!

فلقد كتب لي الحاج ابراهيم رسالة مطولة طافحة بالأنباء والحوادث.. أذعتُها مشـفوعة بالشرح والتعليق، وكانت لرسـائله الوقع المُسـتَحَبْ على أذن السامع العربي.

إنّ الحـاج ابراهيـم قرنفل كان يكتبُ الى هتلر رسـالة واحـدة في كل عام منذ سـنة ١٩٣٦ أي بعد دورة الأولمبياد العالمية في برلين، وقد حدّد موعد رسالته في يوم عيد ميلاد هتلر في ٢٠ نيسان من كل سنة..

لقد شرعنا بالإذاعة العربية في يوم ٧ نيسان ١٩٣٩ وفي يوم ١٨ نيسان ١٩٣٩ سلمّني ساعي البريد طرداً كبيرً من بيروت وهو مُرسَل بالطائرة!

وفتحـتُ الطـرد فوجـدت فيـه رسـالة الى (الزعيـم) هتلـر ... ورسـالة لي شخصيا.. وتحت الرسالتين وجدت كسوة عربية فاخرة من الطراز الذي يرتديه أمراء العرب، عباءة سوداء مُزركشة بالقصب المُذّهبْ، وعقال مُذّهبْ على غرار أشراف الحجاز..

لم أتمالك نفسي من شـدة الضحك عندما قرأتُ رسـالة الحاج ابراهيم قرنفل الـذي أرسـل هذه الهديـة الثمينـة الى هتلر بمناسـبة عيـد ميـلاده ..! ذلك لأنه يرجـوني أن اطلـب الى هتلـر بعـد ان أقـدّم الهديـة القرنفلية، أن يلبس الكسـوة العربية ويتصور بها.. ثم ابعث بالصورة الى بيروت.. الى الحاج ابراهيم قرنفل!

عند هتلر!

حملتُ رسـالة السـيد قرنفل مع الهدية المُرسـلة الى هتلر، وقدّمتُ الرسالة الى الهر لاميرس رئيس قصر مُستشارية الرايخ بعد أن كنتُ ترجمتها الى اللغة الالمانية

لأنّ السيد قرنفل كتبها باللغة العربية وكأنه يريد ان (يُعرّبَ) هتلر!!

ابتسم الهر لاميرس، وقال إنّ صاحبك هر قرنفل قد عوّدنا على رسائل التهنئة (للزعيم) في عيد ميلاده.. ولكن هذه اول هدية عربية من نوعها تصل الى (الزعيم) ثم اردف قائلا: سأعرض الأمر على الفوهرر..!

وبعد نصف ساعة عاد الهر لاميرس، وأشار إليّ بيده طالبا أن أتبعه الى مكتب الزعيم! والى جانبي الجنرال فيغلابن رئيس تشريفات هتلر وزوج أخت ايفا براون. ومن ورائه أحد ضباط حرس.S.S وهو يحمل هدية الحاج ابراهيم قرنفل الى هتلر.

كان هتلر واقفا وعن يمينه وقف الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ وهو يبتسم لي منشرح الخاطر.. وانطلقتْ تحية (الزعيم) من فمي كطلقة مدفع! هايل هتلر!..

ومدّ هتلر يده اليمنى لمصافحتي وهو يقول:

أخلص التهاني بعملك الجديد.. أنت رفيقنا في السلم!!

قلتُ: وفي الحرب ايضا..!

قال: لقد بلغتني رسالة الهر قرنفل، إنه عربي كريم.

وعندئذ تراجعتُ الى الوراء خطوتين، فلقد صار البروتوكول في حضرة هتلر كما كان في عهد القياصرة الالمان ينفذ بنفس الطريقة! فكان على الزائر ألاّ يدير ظهره الى (الفوهرر) فيتراجع ووجهه متجها الى هتلر.. وهذا ما حمل هتلر على ان يجعل مكتبه على اليمين قريبا من الباب!

البروتوكول المنحوس... وحملتُ الهدية وقدمتُها الى هتلر...

وأخذ (الفوهرر) يفحص القطع واحدة فواحدة.. وهو يبدي إعجابه الشديد بما رأى.. ثم سألني كيف يمكن لبس هذه المجموعة الفاخرة من الملابس العربية...؟!

وأريته كيف تلبس، فصفق بكلتا يديه.. وربت على كتف غوبلز وهو يقول: أنك تصلح أن تكون شيخاً عربياً.. والتفت اليّ قائلا: انا اشكر صديقك قرنفل على هديته وانا آسف لعدم استطاعتي تلبية طلبه، فالبروتوكول يحول دون ذلك ولكنني اقدم صورتي هذه، ارجوك ان تبعث بها اليه ..! وبعثتُ بالصورة الى الحاج ابراهيم قرنفل الى بيروت.، وبعد مرور عاما على هذا الحادث التاريخي زرتُ بيروت لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية وكنتُ قد حللت ضيفا على رفيق السلاح المجاهد عفيف الطيبي صاحب جريدة اليوم البيروتية.

وفي اليوم التالي لوصولي زارني في مكتب (جريدة اليوم) رجلٌ لا أعرفه، وما أن رآني حتى راح يُشبعني عناقاً وتقبيلاً حتى لقد كدتُ أخاله انه قد تقمص روحي، لأنني الرجل الوحيد بعد (الزعيم) فخري البارودي في العالم العربي الذي لا ينجو من قبلاته أحد.. وكذلك الزعيم سليم عبد الرحمن.. وصاح الأستاذ عفيف الطيبي بصوته المدوي مُعرّفاً القادم الجديد:

الحاج ابراهيم قرنفل!! تصاعد الدم الى راسي. واكتظت الذكريات في مخيلتي وهي تتدافع لتفسح المجال لصاحب هذا الاسم لكي أستعرض شريط حادثتهُ معي.

وكان الحاج ابراهيم بجسمه الهائل ورأسه الضخم فطن الى ما شغل بالي.. فقال وهو يقهقه نعم انه انا.. انا هو ذلك الرجل الذي كلفك بتسليم هديتي الكسوة العربية الى هتلر واخذ صورة له بالملابس العربية..

ثـم قال ارجو ان تشرفنا غدا لتناول طعـام الغداء في دارنا بمعية الاخ عفيف الطيبي وبقية الاخوان. وهناك في قاعة اسـتقبال ال قرنفل الكرام بعد ان تناولنا اكلـة (الفتة بالكوارع والـرؤوس النيفة) طفق الحاج ابراهيم يربنا رسـائل هتلر ورسائلي اليه من برلين..

وحمل من على منصة عالية صندوقا متوسـط الحجـم فيه عدة صناديق اصغر حجما، وتحت قاعدة الصندوق الأخير أخرج كتابا مغلفا بغلاف سـميك، ففتح اسفله فظهرت منه صورة مال لونها الى الإصفرار..

لقد كانت صورة هتلر.. تلك الصورة التاريخية التي اهداها هتلر الى ابراهيم قرنفل!! لقد احتفظ بها كما تحتضن الأم طفلها العزيز الوحيد.

وكانـت هـذه الصورة، صـورة هتلر السـبب في اعتقال ابراهيـم قرنفل، لقد اعتقـل في معتقـل (ميـه وميـه) لمدة ١٥ شـهرا، ولما جـاءت لجنة الهدنـة الالمانية المشتركة الى بيروت إستانف الاخ ابراهيم قرنفل صلته في غير هيابٍ ولا وجل..

لقـد كان قرنفل فردا واحدا مـن العرب الكثيرين الذين اعجبوا بهتلر.. ليس لكونـه نازيـا او لأنـه احتـل اوربا.. او لأنه سـحق فرنسـا، بل لأنه ضـد اليهود المجرمين..

هتلر في بغداد...

وكما في بيروت كذلك في بغداد كان لهتلر انصارا ومريدين، ففي لبنان كانوا يسمونه (أبو علي) وفي العراق كانوا يشيرون اليه بالحاج.. أبو محمد.. !

لقد استحوذ هتلر على قلوب المتطرفين في الوطنية العربية، لأنهم كانوا يعتقدون بأنه مناط الأمل في الخلاص من الاستعمار ومن النير اليهودي الذي كان ينوي نصب شراكهُ في فلسطين ليمدّ الاخطبوط الاسرائيلي اصابعه الى البلاد العربية المجاورة.. وفي غمرة الحرب الطاحنة، عندما كانت الصحف مُراقبة وسماع الاذاعات الالمانية ممنوعا في البلاد العربية والحريات مقيدة، وُلد لشيخ عربي جليل في بغداد ولدٌ ذكرٌ..!! لقد اهتزت اسلاك البرق بسبب هذا النبأ.. وراحت اذاعات الحلفاء تعلق على هذا النبأ تعليقات شتى وهي تُجمع على القول ان تسمية المولود البغدادي الجديد هي تسمية لها خطرها المباشر على الرأي العام العربي..

لقد كنتُ اول من أذاع نبأ ولادة (هتلر) في بغداد!! وأحدث كل هذه الضجة العالمية!!

اجل لقد ولد هتلر في بغداد.. في عقرقوف عاصمة أمراء بني تميم العرب الاشاوس.

فلقد ولد للشيخ علي السهيل ولد اسماه (هتلر) تيمنا بإسم زعيم الرايخ الالماني الثالث!!

إنّ شيوخ بني تميم القبيلة العربية الاصيلة في العراق معروفين بميولهم البريطانية..

ومع ذلك أصّر الشيخ علي السهيل على تسمية ولده (هتلر) بالرغم من الانذارات والتهديدات التي صدرت عن اذاعات الحلفاء.. ثم عن الشيخ

حسن السهيل عميد قبائل آل تميم وأميرهم المعروف عند عادل عوني.. هذا ولا يزال هتلر حيا!!

أجّـل فإنّ هتلر لايزال حيـا.. وأعني به هتلر علي السـهيل في بغداد.. وليس هتلر (زعيم) المانيا النازية!

علي ماهر المصري...

لقـد كنـتُ وانـا عـلى رأس الاذاعة العربيـة في برلين أتسـلمُ انبـاء وحوادث وصحـف في كل يوم مـن القاهـرة.. كانت تصلنـي بالطائرة بطريق اسـتامبول وعليها طوابع بريدية تركية بمبالغ ضخمة.. واستمر الحال على هذا المنوال زهاء ستة اشهر دون ان أعلم من هو المُرسل المُتطوع الذي يصرف هذه المبالغ الطائلة ويُعرّض نفسه للخطر بدون أي مقابل او اجر.

كانت اخباره صحيحة، لأنني كنتُ اقارنها مع اخبار العملاء السريين الذين كانوا يراقبون حركات علي ماهر (باشا) وسكناته، فلقد اتصل بالمانيا– عن طريق المرحوم الامير شكيب ارسلان – في ايام انتصارات المريشال رومل في ليبيا، فقد حاول فعل شي مع الرايخ الثالث الالماني.. لحفظ استقلال مصر والبلاد العربية.

ولكنّ الالمان لم يعيروا اتصالات علي ماهر الاهمية المنتظرة، لانهم كانوا يرون في شقيقه احمد ماهر الكماشة التي تلتقط النار وتحترق في سبيل تأييد البريطانيين..

لقد سألني هانز فرتيشة: ما هو رأيي في علي ماهر!!

قلتُ: انه سياسي عتيق من عباد الرجال الآلهة!!

لم اكـن اعـرف عـلي ماهر شـخصيا.. ولكننـي جمعتُ عنـه الـشي الكثير من المعلومـات، فألاعيبـه السياسـية الكثـيرة المتناقضة تفصح عـن حقيقته ودخيلة مراميـه، فوضعتُ نقطة سـوداء على إسـمه بالرغـم عن التوصيـات المُلحّة التي كتبها لنا الأمير شـكيب ارسـلان من مقره في جنيف للاسـتفادة من علي ماهر، وجعـل تعاونه معنا أساسـا للعلاقات مع مصر في المسـتقبل.. وقـد اكد لنا هذه

النواحي السيد يحيى البدراوي الذي كان يراسلنا من القاهرة قبل الحرب، ثم اخذ يراسلنا من استامبول في خلال الحرب العالمية الثانية في مهمةٍ قعساء لا تعرف الكلل او الملل.

وقد صرف أموالا طائلة من ثروته في سبيل التعاون معنا.. حتى انه عرّض نفسه للخطر، فسُجن مرتين، ولولا صهره زوج أخته فؤاد سراج الدين الأمين العام لحزب الوفد المصري لنفي مثل صديقه علي ماهر الى فلسطين، وخلاصة القول فإنني قد حلتُ دون تعاون النازيين مع علي ماهر واحبطتُ المشروع قبل ان يتبلور!!

ضمان استقلال مصر...

في ٢٠ مايس ١٩٤١ تسلمتُ من المغفور له الامير شكيب ارسلان رداً على رسالة سابقة قد بعثتُ بها اليه اعلمته فيها بأنّ دول المحور - المانيا و ايطاليا - قد أعلنتا تصريحا رسميا ضمنتا فيه استقلال مصر والبلاد العربية.. وقد اذعتُ أنا شخصيا هذا التصريح الرسمي من اذاعة برلين العربية وهذا نصه:

إنّ الجيش الالماني اذ يدخل الاراضي المصرية انما يدخلها (مُحرراً) لا فاتحاً.. و أنّ المانيا ودول المحور تحترم إستقلال البلاد العربية وتضمن هذا الإستقلال..



السياسي المصري و رئيس الوزراء علي ماهر باشا وراء مكتبه



علي ماهر باشا الوصي على عرش مصر يقف إلى جانب قائد الانقلاب

اللواء أركان حرب محمد نجيب بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢



علي ماهر باشا في صورة شخصية رسمية

كاناريس يهدد!!

وما أن أذعتُ هذا التصريح الرسمي حتى دعاني البرفسور جوردان عميد البعثة الجيولوجية الألمانية للحفريات في آثار نينوى (الموصل) عاصمة آشور، وكان الى جانب عمله الرسمي هذا يشغل منصبا خطيرا في إدارة الاستخبارات الألمانية التي كان يشرف عليها أمير البحر كاناريس الذي كان من ألّد اعداء (النازية) وخصوم هتلر وهملر.. اجل دعاني جوردان الى تناول الشاي على مائدته، وقال لي بعد مقدمة طويلة عن الوضع في البلاد العربية ومطامع ايطاليا الفاشيستية فيها..

ثم استطرد قائلا: هل تعرف امير البحر كاناريس ؟

قلتُ: لا والله.. لم يحصل لي بعد شرف التعرُف الى حضرته! فمن هو كاناريس؟

وفي الواقع فإنني الى ذلك التاريخ لم اكن قد سمعتُ بهذا الاسم الغريب..!

قال: أنّ امير البحر كاناريس غاضبٌ عليك وهو يهددك بالنفي من المانيا!! فيما لو واصلت مساعيك لاستصدار مثل هذه التصريحات التي اذعتها البارحة من الخارجية الالمانية!!

قلتُ: انني اقوم بواجبي المفروض عليّ كعربي، فاذهب الى امير بحرك، وقل له ليفعل ما يشاء. اننا هنا وسنبقى! (ويرزبند! اوندوير بلايبن!)

الأمير شكيب أرسلان والتصريح...

وفي يوم ٢٥ مايس ١٩٤١ تسلمتُ من الامير شكيب ارسلان حديثا أعدّه لأذيعه شخصيا بإسمه من اذاعة برلين العربية تعليقا على تصريح المانيا الرسمي حول استقلال مصر العربية.. وقد كان المير شكيب رحمه الله يلحّ على هتلر وموسوليني وهما من قدامى اصدقائه الاوائل، بوجوب منح مصر والبلاد العربية (ضمانات)يتقيدون بها ازاء العرب بتصريح رسمي لا يذاع من الاذاعة فقط بل يُبلغ خطّيا الى الدول العربية بعد ان ينشر في الصحف.



أمير البيان شكيب أرسلان

بلاد العرب للعرب...

لقد أوحى لي تعليق استاذنا المير شكيب ارسلان على تصريح المحور رسميا بضمان استقلال مصر عبارة صارت مضرب الأمثال يُردّدُها العرب في كل مكان..

وكما أوحى لي راديو برلين العربي عبارتي الشهيرة - هنا برلين.. حيّ العرب.. كذلك أوحى لي الامير رحمه الله ان اهتف بالعرب قائلا:

- بلاد العرب للعرب!

وصرتُ منذ ذلك اليوم اردد بدون انقطاع:

- بلاد العرب للعرب..

إنّ هذه التعابير التي انتشرت في العالم العربي بسرعة البرق الخاطف قد كانت ولا تزال في غاية الأهمية لأنّ الدعاية البريطانية لم تزل من بداية الحرب العالمية الثانية تكرر بمذاييعها المختلفة وصحائفها المنشورة في مختلف الأقطار بأنه إن كان المصريون ومن يليهم من العرب يميلون الى المانيا والمحور ويرجون لهم الطائلة في هاتيك الحرب التي طبقت المعمورة أملا بأن تكون نتيجة تخلص مصر

والبلاد العربية من القيود البريطانية التي كان يؤسرُ فيها سكان بلاد العرب فقد أخطأت في حساباتها، فإنّ مصر والعرب لا يقبلون استبدال مستعمر بآخر..

فبلاد العرب ليست مُلكا مشاعا بين بريطانيا وفرنسا او المانيا وايطاليا..

إنّ بلاد العرب للعرب!! وللعرب وحدهم دون غيرهم!

الكابتن باري..!

بعد عشرة ايام من شروعنا بالاذاعة العربية في برلين زارني الدكتور هيسلر مدير البرنامج للموجة القصيرة في محطة الاذاعة الالمانية وكان يحمل رتبة كبيرة في جيش الصاعقة الهتلري توازي رتبة امير لواء.. وكان معروفا بميوله الطيبة نحو العرب، تعرفتُ عليه في برلين سنة ١٩٣٦ إبان دورة الأولمبياد العالمية.. حيث عملنا معا على تنظيم مؤسسات الشباب الهتلري.. فتحدثنا عن هاتيك الايام، وكيف أنّ حركتنا هذه انتجت (نظام الفتوة) في العراق اذ كان صاحب الفكرة في الواقع هو الزميل الاستاذ تيسير ظبيان الصحفي السوري المعروف. اذاعها لأول مرة على صفحات جريدتي العُقاب آنذاك ببغداد سنة ١٩٣٥.

فاقترح عليّه تيسير أن أنضّم الى جيش الصاعقة، وان اكون على رأس كوكبة من الشباب العرب الموجودين في المانيا اختارهم شخصيا من بين الصالحين للعمل، ثم اردف قائلا: أنّ الجنرال فيغلابن من قادة جيش الصاعقة ورئيس تشريفات (الزعيم) هتلر هو الذي اقترح ذلك.. فإذا وافقت فأنت اعتبارا من هذه اللحظة (الكابتن هانس باري)..وبحركة لولبية التفتُ اليه وقلتُ... موافق..!

ووقف الدكتور هيسلر وأخرج من جيبه تذكرة هوية عسكرية كان قد وضع عليها صورتي ومختومة بختم القيادة العليا لجيش الصاعقة، والتذكرة تعتبر جوازا ديبلوماسيا – باس بارتو– يحق لي بموجبه أن أخترق الحواجز البوليسية

والعسكرية في كل مكان يرفرف عليه العلم الهتلري ..!

ضحيتي الأولى..

لم اتمالك نفسي في اليوم التالي وانا ارتدي الكسوة العسكرية لجيش الصاعقة والاوسمة والنياشين التي يعلوها الصليب الحديدي تزين صدري.. من الضحك!

اجل ضحكتُ وانا انظرُ الى شكلي الجديد في المراة.. فلقد كنتُ ابدو وانا بهذا الزي والمظهر كأي ضابط جرماني بروسي -بونكرز- لا تنقصني سوى (ندبة الشيش) على خدي الأيمن و (سانتيمترين) لأصير ضابط .S.S تماما.. لأن الطول لا ينبغي ان يقل عن ١٨٠ سانتيمترا!!

عميل مزدوج..

قال الدكتور هيسلر اننا ذاهبان الى مقر الجنرال شيلنبرغ رئيس دائرة الارتباط السياسي بالسفارات والمفوضيات الاجنبية - او بعبارة أصّح إدارة مكافحة الجاسوسية الديبلوماسية.. وهي ادارة تناقض ادارة امير البحر كاناريس التابعة لمكافحة الجاسوسية العسكرية..

قلتُ: وما هي العلاقة بيني وبين الجنرال شيلنبرغ..؟

إنني رئيس قسم الاذاعة العربية في برلين.. وهو رئيس دائرة الارتباط السياسي في السفارات والمفوضيات الاجنبية أي السلك الديبلوماسي في برلين وفي الخارج..

قال: إنّ هناك ارتباطا وثيقا بين عملك وبين عمله ..

قلتُ: ماذا تعني ؟ انني على اتم استعداد لخلع كسوة ال .S.S والعودة الى حياتي السياسية المتواضعة والعيش بدون أن احشر نفسي في امور لا ناقة لي فيها ولا جمل ولا افهم منها أي شي! فأنا داعية فحسب.. ولستُ بجاسوس يعمل لحساب دولة دون أخرى!

قال هيسلر وهو يضحك: هوّن عليك فليس الأمر كما تتصور.. وليست القضية قضية تجسس..!

ودخلنا على الجنرال شيلنبرغ.. فقال وهو يبتسم بدون مقدمة.. ياكابتن باري اننا في أمسّ الحاجة اليك.. ارجوك ان تكتب لنا تقريرا عن جالية الديبلوماسيين العرب.. وعن الديبلوماسيين الشرقيين الممثلين في المانيا. الى جانب عملك في الاذاعة.. اننا نريد ان نتعرف على اصل هؤلاء وفصلهم ..!

مع البروفسور دوفيفات..

وبعد ثلاثة ايام دعيتُ إلى فندق سبلاياد الأنيق لتناول الشاي على مائدة البروفسور دوفيفات عميد كلية الصحافة في جامعة برلين، وكان قد سجلني في الاسبوع المنصرم تلميذا في الصف الاول للحصول على شهادة الدكتوراه في الصحافة.. وكنتُ العربي الوحيد في هذه الكلية!

لقد كان البروفسور دوفيفات من ألّد اعداء الشيوعيين واليهود.. وفي الوقت نفسه يكره (النازية) ويكره الفرنسيين، ويميلُ بكل قواه وبصراحة إلى الانكلوسكسون.. لقد درس فنون النقد والتقريض في جامعات لندن وأوكسفورد وفي جامعات يلّ وهارفادفي أمريكا، وفضلا عن ذلك فهو مستشرق أغرم بالاتجاه الانتقادي في شعر ابي العلاء المعري والمتنبي والجاحظ وبالشاعر النقاد الهزال فولتير الفرنسي..!

لقد عرفتُ البروفسور دوفيفات في معرض باريس الدولي عام ١٩٣٧ وفي الجناح العراقي الذي كان يشرف عليه الدكتور عبد الإله حافظ (طبيب الاسنان) وهناك في المعرض ألقى عليّ اول درس في الصحافة.. او بعبارة اصح في النقد والتقريض! وتكررت اجتماعاتنا.. واصطحبته لزيارة مرابع الكتيبة والجزائر.. وجامع باريس ومطعم الجامع..

نصائح وارشادات...

لقد استحوذتُ على قلب البروفسور دوفيفات عميد كلية الصحافة بجامعة برلين، وحصلتُ على ثقته التامة..

وفي ليلة حمراء من ليالي باريس ونحنُ جالسين حول مائدة عامرة بما لذّ وطاب من المأكل والشراب نتجاذب اطرف الحديث عن الحركات الثورية عامة وعن الحركة النازية خاصة.. قال البروفيسور وهو يرتشف جرعة من نبيذ برودو الاحمر المعتق: لقد بدأتْ النازية بداية حسنة، وهي اليوم تتأرجح بين استعمال العنف والمقاومة السلبية مع كتلتين هائلتين من البشر. ففي الشرق الكتلة الشيوعية الرعناء.. وفي الغرب الكتلة الانكلوسكسونية الواعية! اضف الى ذلك كتلة ثالثة كبرى لا حدود لها ولا مركز ثابت وهي طاقة مدمرة مخربة تعمل سرا وعلانية ضد الحركة النازية واعني بها (اليهودية العالمية)..!

واردف البروفسور دوفيفات قائلا:أنّ في استطاعة هتلر أن يتفادى خطر الكتلة الشرقية والكتلة الانكلوسكسونية مجتمعتين او على انفراد.. ولكنه لن يقدر على الكتلة الثالثة الكبرى لا لأنها تملك اسلحة افتك او جيوشا اقوى.. بل لمجرد كونها تمتلك صحافة واسعة الإنتشار وفي كل مكان وتمتلك ناحية النقد والتقريض مع حيلة وتلفيق وابداع في الإختلاق!

مراسل حربي...

وفي برلين استقبلني البروفسور دوفيفات في القاعة الكبرى بفندق سبلاناد وكان وحيدا، فلم استغربْ ذلك، ولم أوجّه اليه أي سؤال، فلقد تعودتُ منذ اول علاقتي بالقادة النازيين ألاّ أسأل شيئا.. وألاّ اتكلم إلاّ عندما أخاطب..! وعندئذ فقط اناقش وابحث بحرية وصراحة..

قال البروفسور وهو يسكب الشاي في فنجاني، أنّ إدارة مكافحة الجاسوسية الهتلرية التي يُشرف عليها أمير البحر كاناريس قد اتفقت معي على انشاء دورة تدريبية لإعداد طوائف من المراسلين الحربيين للإذاعة والصحافة..

وقـد اقترحتُ ان تكـون انت العربي الأول الذي يجـب ان يدخل الدورة الأولى لتساعدني في المستقبل على تدريب المراسلين الحربيين العرب الذين نريد ارسالهم الى مختلف الجبهات!

لم اتردد في قبول المهمة الجديدة، فإنّ روح المغامرة المتغلغلة في قرارة نفسي قد دفعتني لاكتشـاف آفاق جديدة ما كانت تخطر لي عـلى بال.. خاصة و أنّ العمل الجديد يتفق وعملي في الاذاعة والصحافة!

طفـق البرفسـور يتحدث وكأنه أمـام الطلبـة يلقي عليهم إحـدى محاضراته القيّمة على مدرج الجامعة عن أهمية المراسل الحربي، وكيف يجب ان يعمل.. وان يلاحظ ويراقب!

كريك بريشتر...

إنّ المراسـل الحـربي يجب ألاّ يحمل ورقا او قلما وهـو يعمل في خطوط القتال الامامية.. فهو كالجاسوس الذي يقع في الفخ او في الأسر.. يجب ان يقبض عليه وهو خالي الوفاض! لا شيء مُدون عنده، بل يدوّن كل مايرى ويسمع في ذاكرته التي يجب ان تستوعب كل شيء مع دقائق الموقف.. ووقائع الصراع! لا جدال في أنّ مهمة (كريك بريشـتر) المراسـل الحربي هي من أصعب وأشق المهن، فلقد طالت دورة التدريب التي دخلتها سـتة اشـهر في (سـيمنار) خـاص تابع لكلية الصحافة، وكانت دروسنا النظرية تشمل التبحر في أسماء المواقع والقرى والمدن على الخارطة، وحفظ أسماء جميع الأشياء التي تقع عليها العين بلمح البصر، مع وصف عدد النوافذ والأبواب التي نمرُ بها من مدخل الجامعة الى كلية الصحافة فالسيمنار الخاص الذي كنا ندرس فيه..

اما الدروس العملية فكانت منحصرة في حضور المُناورات العسكرية الحقيقية التي كانت تجري في ضواحي برلين الكبرى، فنصف سير المعارك الحربية ومدى تعاون القوات الجوية والبحرية مع القوات البرية بمختلف أسلحتها.

وهكـذا اعطينا فكرة نظرية وعملية عن مهمة المراسـل الحربي العويصة التي

تتطلب سرعة الحركة والتنقل من خط الى خط تحت وابل القنابل المنهمرة من الطائرات ومن مدافع واسلحة العدو على اختلاف عياراتها وحجومها..

اكثر من جاسوس :

والمطلوب من المراسل الصحفي ان يكون حاضر الذهن، سريع البديهة، قوي الجنان، لا ترمش له عين امام المرئيات والأهوال مهما تعاظمت، وان يعلم علم اليقين بأنه لم يرسل الى ميادين القتال ليكون في (نزهة) يغير فيها (الهواء) بل ارسل ليراقب قوة العدو.. ومواطن الضعف عند الطرفين المتحاربين سواء في القيادة او بين الجنود! انه شاهد عدل، يروي قصة يومه للقيادة العليا بواسطة رئاسة قسم المراسلين الحربيين التي ترفع تقاريرها في كل ساعة.. او عندما تتوفر لديها المعلومات تباعا وبالمراسلات الخاصة.. فإذا أنس في المراجع المختص في المعلومات الواصلة اليه ميلا لنشرها كلّها او بعضها على الرأي العام. فإنّ الجواب يكون هكذا مثلا:

- تقرير رقم ٢٠ تحذف عبارة كذا وكذا من صفحة ٩.. وتضاف عبارة كذا وكذا الى آخر الصفحة ١١.. ثم توضع الصيغة وترسل الى ادارة (دراتلوزادنيست) أي ادارة اللاسلكي لتقوم بدورها بتوزيعها على الاذاعات والصحافة ووزارات الدعاية والخارجية والقيادات الالمانية لمختلف القوات المسلحة، ووكالات الأنباء الالمانية والاجنبية..

ومن اهم اعمال المراسل الصحفي ان يندس بين معتقلات الاسرى يتحدث الى الجنود والضباط والقادة المأسورين وهو يرتدي ملابسهم ويحمل في السلسلة المعلقة في عنقه رقمه واسم وحدته والفوج التابع له على ان يعلم قبل القيام بمهمته من هو ضابطه ومن هو قائد الفوج مع اسماء الجنود الكائنين تحت امرته اذا كان عريفا ام رئيس عرفاء ام ضابطا.. كما انه يجب ان يتقن لغة الاسرى المراد ارساله اليهم كأنه وقع اسيرا معهم في المعركة الفلانية والميدان الفلاني..

وبعد ان يقوم بالمهمة، يشير الى ضابط الحرس الألماني اشارة خاصة متفق

عليها من قبل، فيستدعى للاستجواب في غرفة أسموها غرفة (الاعتراف) حيث تجري عادة عملية استجواب الأسرى.. ثم يعودُ الى مكانه الذي جاء منه.. وبعد ساعة او ساعتين تحضر الى ساحة المعتقل سيارة عسكرية تنقله أمام الجنود والضباط الى مكان ما.. الى حيث لا رجعة!

الأول في الامتحان :

بدأت دورة التدريسية للمراسلين الحربيين في ١٥ ايلول ١٩٣٩ وانتهت في ١٥ شباط ١٩٤٠ أي انها امتدت ستة اشهر بالضبط. تعلمنا في خلالها دروسا قاسية في المصارعة على اختلاف الوانها. وشيئا من الملاكمة والضرب بالسكين وبالمسدسات الى جانب (الشطارة) في (الزوغان) من المطاردة.

لقد كان عدد ضباط الدورة الأولى ٢٥٠ ضابطا تخرجنا على دفعتين.. وكنتُ أنا ضمن الدفعة الأولى التي تخرجت مع ٤٥ ضابطا بعد أربعة أشهر من ابتداء الدورة بنجاح تام حتى انني فزتُ على الجميع بالأولوية واختارني البرفيسور دوفيفات مع العشرة الأوائل الذين تلوني في الدرجة، لنكون أساتذة مدربين!! والمجموع الباقي أساتذة مساعدون في دورات التدريب القادمة. التي استمرت ثلاث دورات كان عدد من تخرج منها ١٥٠٠ مراسل حربي من مختاف دول اوربا..

اما العرب فلم يتخرج منهم إلاّ ثلاثة ضباط فقط ... أولهم كاتب هذه السطور.. وثانيهم مدير إذاعة برلين العربية.. وثالثهم (الكابتن) يوهانس باري ..!

لقد أغريتُ زهاء ٥٠ عربيا على التطوع للالتحاق بالدورة.. ولكنهم فرّوا هاربين من التدريب القاسي الى المقاهي والمقاصف والمرابع حيث تعودوا حياة الرفاه والعيش الرغد.. او لإتمام دراساتهم التي غادروا الوطن من أجلها..!!

الفصل الثامن

- ماذا فعلنا في سنتي ١٩٣٩ – ١٩٤٠ ..؟!
- قصص و طرائف من الإخوان في ألمانيا ..
- نحنُ والمحور ..!
-توحيد الكويت والعراق ..!

ماذا فعلنا في سنتي ١٩٣٩ و ١٩٤٠ ؟
قصص وطرائف من الإخوان في المانيا...
نحن والمحور ..!

يطيبُ لي وانا اسرد قصة التعاون العربي الألماني في برلين أن أتحدث عن ذكريات لا تزال مائلة امام القلب والعين وكأنها حدثت قبل ساعة ولم يخفت صداها بعد..!

إنّها حياة حييناها في بلد اجنبي لا يمتُ للعروبة بصلة حسب او نسب.. ولكن وحدة التفكير في كفاح عدو مشترك كانت القاعدة الاساسية في هذا التعاون الذي قمنا به.. وكنا نأمل مخلصين ان نرى الجبهة التي اخترناها للعمل تخرج ظافرة منتصرة، لنقول كلمتنا في السياسة العربية بشكل غير الشكل الذي تقال فيه اليوم بيد انني أحمد الله على اننا لم نكسب الحرب، ذلك لأننا لو كسبناها لأصبح العالم العربي نهبا مقسما ليس بين دول المحور!! بل بين المفتي والكيلاني، ومن لاذ بهما في هاتيك السنوات العجاف التي لم يشبع كرشه أحد في خلالها إلاّ من طأطأ الرأس لهما! وسار معهما في دروب هملر.. وأزقة تشانو العفنة المظلمة! إنّ السنوات الثلاث التي سبقت مجيء المفتي والكيلاني الى المانيا كانت بالنسبة لنا نحن العرب الذين إختاروا الإقامة في المانيا، والتعاون مع الرايخ الثالث تعاونا تاما شاملا، كانت سنوات إنتاج وعمل مثمر ظهرت آثارها في دنيا العرب فقطفت المانيا ثمار هذا الإنتاج عطفا اجماعيا من العرب وتاييدا مطلقا لسياسة الرايخ ضد الاستعمارين الغربي واليهودي العالمي.. والشيوعي..

لقد قدّر هتلر هذه الحقائق الدامغة حقّ قدرها فأوصى بأن تكون للعرب في الرايخ وفي غير الرايخ الحظوة الممتازة والمعاملة مع النازيين على قدم المساواة والتآخي معهم من جميع الوجوه.

فراي ارابيان...العرب الأحرار!

سبق وان اشرتُ الى قيامنا بتأليف السرية الأولى من الجيش العربي الذي كانت نواته من الطلبة العرب المثقفين أعضاء البعثات العلمية من مختلف البلاد العربية الذين تطوعوا للانضواء تحت ظل الراية العربية التي اخترنا لها الوان العلم العراقي الذي يمثل الوان راية الثورة العربية الكبرى بألوانها الاربعة.. وجعلنا شعار الجيش العربي عبارة (فراي ارابيان) أي العرب الاحرار..

لقد كان في طليعة المتطوعين لتأسيس هذا الجيش العربي الدكاترة: علي الصافي، عبد الحميد الهلالي، عبد المطلب سيد يحيى، محمود الأمين، حمدي الخياط، ناجي عبد الرزاق، مهدي الحمداني، سميح الأعظمي، أحمد عبد الرزاق من العراق... ورشاد الكزبري، مأمون الحموي، رشاد جاسم، أنور بركات، عبد الوهاب الرفاعي، من سوريا، وبطرس شويحات وشوقي عميرة من الأردن، وعزيز ضومط وتوفيق حداد من فلسطين، ولم يتطوع أحد من المصريين لأنهم كانوا جميعا في المعتقلات أسرى حرب بناءً على أوامر رودولف هيس نائب(الزعيم) هتلر الذي كان يكره المصريين من دون العرب، لقد تطوع الطلبة العرب بمجموعهم في جيش العرب الأحرار (فراي ارابيان) وكان مجموعهم في باديء الأمر ٧٥ شابا..

ولم يبق من العرب الذين لم يتطوعوا سوى السيد عبد الكريم السباعي بناءً على تقدمه في السن وبعض الملاكمين والمشوهين! وأعضاء هيئة الاذاعة العربية ببرلين ومن بينهم كاتب هذه السطور لأننا كنا نقوم بمجهود ضخم في مختلف ميادين حرب الاثير!

أمير البحر كاناريس...

في مطلع شهر كانون الثاني ١٩٤٠ دعاني البروفيسور دوفيفات عميد كلية الصحافة بجامعة برلين لتناول الشاي في مشرب الجامعة وكان يجلس مع ثلاثة اشخاص لم يسبق ان تعرفتُ بهم.. وبعد أن قدّمني اليهم قال مشيرا الى أكبرهم

سناً: امير البحر كاناريس، الجنرال شيلينبرغ، الدكتور اوتوديتربش! وقبل ان اجلس على الكرسي الخاص المُعدلي من قبل.. تكلم كاناريس وكأنه يلقي أوامر.. وليس مجرد حديث..!

نحن اليوم في حالة حرب، وأول شيء يهمنا بعد بريطانيا وفرنسا، دول البحر الأبيض المتوسط والبلاد الواقعة حوله! ولما كانت البلاد العربية تؤلف المجموعة الكبرى من بلدان هذا البحر، فإنّ الاهتمام قد انصرف لمراقبة النشاط الذي تستغله الدول المحاربة في هذا البحر وفي بلاده..

ثم التفت امير البحر اليّ وهو يقول: لقد قررنا (واشار الى من حوله) ان نقوم بمهمة ايفاد رسل الى مصر وفلسطين والعراق للقيام بأعمال خاصة.. نتفق عليها فيما بعد. فهل أنت موافق ؟ وهنا صعد الدم حارا الى رأسي، ولم أحر جوابا!

قال: ماذا تقول.. ألست جاسوسا ؟!!

قلتُ وانا ارتجف من شدة الحنق:.. عفواً يا أميرال، ولم يسبق لي ان اشتغلت بالجاسوسية!!

قال: اننا لا نكلفك بأن تكون جاسوسا.. فالمهمة صريحة..

قلتُ: انني مرتبط بالدكتور غوبلز..

قال: هل نسيت انك ضابط في جيش الصاعقة وبرتبة كابتن!!

قلتُ: انني ضابط شرفي والرتبة فخرية!

قال وهو يبتسم: أرني تذكرة هويتك العسكرية..؟!

ناولته التذكرة، وبعد أن قرأها، اشار بإصبعه الى توقيعي ثم قال: انظر انك قد وقعت على بطاقة ضابط محترف في جيش الصاعقة.. والتبعة رسمية!!

قلتُ: إنّ هذا نصب واحتيال وتغرير.. لقد أوقعني الدكتور هيسلر في فخ، ثم أنّ وقتي في الإذاعة لايسمح لي بالإشتغال بمثل هذه الأمور..!

قال كاناريس :إنّ الحرب خدعة.. أمّا الوقت فإننا سندبره كن على ثقة بأننا لا نريدُ منك إلاّ التعاون على أساس الثقة المتبادلة ... لم أجبْ على قوله عندما رأيته يلين في كلامه.. ورحتُ أنفثُ دخان سيكارتي، وكأنني أستمدُ منها الوحي، لأرد عليـه!! وطال الانتظار فلقد تعمـدتُ ان ازيل اثر الرجة التي أحدثها تصلبي في رفض مطلبه!! والظاهر أنّ امير البحر كاناريس كان متعوداً على إصدار الأوامر التي لن تقابل بالرفض ... فلقد ادهشه رفضي والتمسك برايي بمثل هذه الحدة والعناد..!

ضابط ارتباط عربي...

ولّما رأى كاناريس وجومي الطويل، شرب جرعة من الجعّة (البيرة) الموضوعة امامـه وقـال وهو يحرصُ في هـذه المرة على أن يكون صوته رقيقـا مؤدبا.. ارجو ان لا تكون قد أسـأت فهم قصدي.. اننا نريد عونك ومساعدتك، فأنت الخبير الأمثـل في الشـؤون العربيـة والإسـلامية!! قلتُ وانـا أحوّل المراوغـة، اذا كان الأمـر على صعيد الاستشـارة وبـذل النصـح والتوجيه فأنا على أتم الاسـتعداد للتعـاون معكم الى أقصى حـدود التعاون صراحة وعلى رؤوس الأشـهاد!! كما افعل من اذاعة برلين.. قال: لقد اتفقنا فإنك ستكون منذ الآن فصاعداً المستشار العسكري العربي.. وضابط ارتباط بيننا وبين العرب!!

قلـتُ: انني اقبل هـذه المهمة على المكشـوف بكل سرور.. وسـترون مني ما يسرُكم!

ثم قلتُ: إعطوني مهلة أسبوع ونحن لا نزال في الشهر الخامس من الحرب ؟!

قال: فليكن لك ما تريد.. أتكفيك ثلاثة اسابيع..

قلتُ: بلى!!

من هو كاناريس... ؟!

أمـير البحر كاناريس كان ربّان البارجة درسـدن التي أغرقت في عام ١٩١٥

في معركة جزر الفوكلاند قبالة شـواطئ الأرجنتين واعتقل أسيرا ثم فرّهاربا الى اسـبانيا فإيطاليا وهناك أعتقل مرة ثانية وحكم عليه بالإعدام بتهمة التجسـس. وتمكن مرة ثانية من الفرار من المعتقل بمعاونة قس ايطالي.. وعاد الى المانيا حيث انيطت به قيادة غواصة المانية.

واسـتمر كاناريس منذ سـنة ١٩١٩ الى سـنة ١٩٣٤ يقوم بعمله العسـكري كضابط في البحرية.

وبالرغـم من هذه الثقة الكبرى التي وُضعتْ في أمير البحر كاناريس بوضعه عـلى رأس أخطـر منصب عسـكري فإنّ كاناريـس ما كان ليخفـي كرهه لمبادئ الحزب النازي.. وكثيرا ما ندّد بدعاوي الاشتراكية الوطنية الهتلرية!!

لقـد جاهر كاناريس بصراحة وعلى رؤوس الإشـهاد بشـجب سياسـة هتلر الحربية، فعارض اندفاع المريشـال كايتل في تأييد وتنفيذ خطط هتلر العسـكرية بدون نقاش او بحث او تمحيص.. وكانت ادارته لمصلحة مكافحة الجاسوسية في الرايخ الثالث في سـنوات الحرب الاولى ادارة مثالية! فنظم شبكات الجاسوسية الالمانيـة في اوربا وفي انحاء المغرب العربي وفي الشرق الأوسـط، وعلى الأخص في العراق وايران وفي تركيا وفي فلسطين..



الدكتور جوزيف غوبلز وعائلته الصغيرة

راي الدكتور غوبلز..

قصدتُ في صباح اليم التالي وزارة دعاية الرايخ لأعرض على الدكتور غوبلز حقيقـة ما جرى لينقذني مـن هذه الورطة التي أوقعني فيها سـوء الطالع، فأنا لم أحـضر إلى المانيا لأكون أسـتاذاً للجواسـيس، ومُعلماً للتدمـير والتخريب! وقد تعمـدتُ عـدم الإجتماع بالدكتور هيسـلر الذي أوقعني في هـذا المأزق الحرج.. فلذتُ بالصمت لعلّي أجدُ عند غوبلز مخرجا..!

أدخلـتُ عـلى الوزيـر الخطـير وأنـا لا أكادُ أضبطُ أعصـابي من شـدة التأثر! فحدجنـي بنظـرة فاحصــة.. لأنّ تعمقــي بالتفكـير أنسـاني أن أحيّيـه بالتحيـة الهتلرية!..

وقال غوبلز وهو يتنحنح مبتسماً بعد أن لاحظ ارتباكي:

يعني ماذا حصل ؟

قلتُ: إنني في خطر!

قال: ماذا ؟

وقصصتُ عليه القصة بحذافيرها..

ضرب غوبلـز كفاً عـلى كف مصفقا، وهـبّ من مقعده واقفـا. ثم ربتَ على كتفي وهو يقولُ مبتهجا:

أنّه لشرف عظيم يوليك إياه أمير البحر كاناريس!! إنّ هذا التمساح البحري لا يثق بي أنا شـخصيا.. فكيف وقد وثق بزميل من زملائي النشـيطين.. إذهب إليه وبلغّه تحياتي، وتقديري لحُسْن اختياره.. وبدون أن يزيد على ما تقدم بكلمة شدّ على يدي وصاح .. هايل هتلر..

في مدرسة الجواسيس..!

كانت المدرسـة الجديدة للجواسـيس تقع في فيلا قديمة في ضاحية شـباندو،

وعلى بعد ٩٠ مترا من سجن شباندو الكبير، وقد وُضعتْ على باب الفيلا لوحة ضخمة كُتب عليها بالقلم العريض (دار النقاهة للضباط المجاريح)..!

وكانت الدار، او بعبارة اصح المدرسة التي افتتحت لاول مرة في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٠ قد قُسمتُ الى ثلاثة اقسام: قسم فرنسي، قسم بريطاني، وقسم عربي! ويشمل القسم العربي هذا افريقيا الشمالية - تبعا لتقسيمهم - والعراق وسوريا ولبنان، أمّا مصر فلم تدخل في قائمة حساب مصلحة مكافحة جاسوسية الرايخ الثالث لأنها كانت قد أدخلت في حساب مصلحة إدارة الإستخبارات السياسية التي كان يشرف عليها الجنرال شيلينبرغ وكذلك فلسطين! ولم تضاف مصر وفلسطين الى القسم العربي إلاّ بعدما هَزم الجيش البريطاني الثامن الجيش الإيطالي الذي توغل في الصحراء الغربية واستجاب هتلر لإستغاثة موسوليني فأمر بإرسال المريشال رومل الى ليبيا لينقذ الإيطاليين من بين مخالب الإنكليز في ليبيا!!

كان واجبي يقضي بأن أدرّس ٢٤ ضابطا المانيا من الشباب المولودين في مدينة الناصرة بفلسطين اللهجات والعادات الخاصة في العراق وسوريا ولبنان، وليبيا والمغرب العربي. وكان مفروضا أن أقّسم الضباط من الناحية العددية بالنسبة لكل بلد، فكان من نصيب العراق ٤ ضباط ولسوريا٤ ايضا وللبنان ٣ ضباط، ولليبيا ٣ ضباط ولتونس ٣ وللجزائر ٣ ولمراكش ٣ ضباط، وضابط واحد يرابط في طنجة.. وقد درّستهم مجتمعين جميع المعلومات التي تلقيتها في دورة التدريب التي تخرجتُ منها بتفوق ونجاح تامين.. ثم درّستُ كل وحدة على حدة العادات واللهجات العربية بالنسبة للبلاد التي قُسّموا للعمل فيها.

نجاح باهر..!

لقد كانوا جميعا يتقنون اللغة العربية كأبنائها باللهجة الفلسطينية طبعا لأنهم ولدوا وعاشوا في الناصرة بفلسطين، فكان من السهل تلقينهم اللهجات العربية الأخرى، ولم أجد الصُعوبة إلاّ في تعليم اللهجة الجزائرية بأقسامها

الثلاثة (قسنطية والجزائر و وهران..) وعلى الأخص لهجة أهل وهران المختلطة بالفرنسية الممسوخة العامية.. مثلا:

- بادباري كيف جيت مسنير.. ردوني للعام الديرني!!! أي ما تعريبه: ماذا أدبّر عندما وقعتُ... فلقد ردّوني للعام الفائت ...

وفي لهجة أهل تلمسان من عمالة قسطينة يقلب المتفيقهون فيها حروف التاء (سينا) مثلا:

- طالعه من المكسب.. سعرف سقرا وسنعرف سكسب.. حتى في البيانو سضرب سركي وعربي وفرنسيس!

أي ما نصّه: طالعه من المكتب.. تعرف تقرا وتعرف تكتب.. حتى في البيانو تضرب، تركي وعربي وفرنسي!!

لقد ساعدني ذكاء هؤلاء الطبيعي على إتمام المهمة في الوقت المحدد، وقد إستطعتُ أن أجعل منهم فرقة متماسكة متساندة كأحسن فرقة من فرق كرة القدم التي تجيد أخذ الكرة وايصالها الى الهدف بتعاون وإتقان بديعين!

إنني أحمدُ الله على أنّ مهمتي في هذا الحقل اللعين قد إنتهت ساعة تخرّج هؤلاء الضباط من الدورة التدريبية لأنهم صاروا أساتذة مدرستهم وعلى اتم استعداد لتخريج غيرهم من الضباط.

وسام الصليب الحديدي...

في اليوم العاشر من آذار ١٩٤٠ وهو اليوم الذي هجمت فيه جيوش الرايخ على هولندا والبلجيك واجتاحت الدنمارك.. جائني الى مكتبي في دار الإذاعة ضابط الماني كبير لا اذكر ما هي رتبته واظنه (عقيد) وكانت تلك الزيارة أول زيارة يقوم بها ضابط عسكري لمكتبي ولكنني بعد تورطي في قصة الجاسوسية الهتلرية لم أعد أستغرب أمثال هذه المفاجآت و المثيرات! جلس الضابط ولم يتكلم ولم يقدّم نفسه لي.. وكنتُ منهمكا في تعيين وقت المذيعين، وبعد مضي

٣ دقائـق تكلّم الضابط! قال:إنّ القيادة العليـا تقديرا منها للخدمات التي تقوم لتقويـة الجهـاز الحربي الألمـاني فقد قررتْ منحك وسـام الصليـب الحديدي. يا كابتن يوهانس باري!

ولما لفظ الضابط إسـمي مقرونا بعبارة وسـام الصليـب الحديدي وقفتُ في التـو واللحظـة وردّد صـوتي مُدوياً عبـارة هايل هتلر! ضحـك الضابط الألماني حتـى اسـتلقى عـلى قفاه مـن شـدّة الضحك! وبقيـتُ واقفـا وأنـا مذهول من ضحكات الضابط البلهاء وكأنه أحسّ بموقفي هذا فقال من أي مدرسة حربية تخرجت..؟! زاد ذهولي أكثر من الماضي.. ولكنني لاحظتُ من سـؤال الضابط انه في حضرة ضابط الماني متخرج من مدرسة حربية المانية!

قلتُ: ماذا تعني ؟

قال: إننا معاشر العسكريين لا نُحيّي بالتحية الهتلرية!..

وهنا حُبكتْ النكتة، فقلتُ: يالسـخرية القدر أن العمل مع المدنيين هو الذي حملنـي على ما بدر مني.. تغير وضع الضابط الكبير عندما سـمع قولي.. ثم ردّد قائلا! طبعا طبعا بحكم العادة..

السكرتيرة الفاتنة...

لمّـا سـقطت باريـس، و ألقـتْ فرنسـا السـلاح تحـت أقـدام هتلـر كلّمنـي البروفيسـور كروكمان بالتلفون، والبروفيسور كروكمان كان أستاذ اللغة الالمانية في صف (الميترو كوليشن) الصف الأعدادي لطلبة البعثات في بغداد.. وهو من أخلـص الألمانيين في صداقة العرب وأكثرهم حبا للعـرب.. وهو نجل العلامة الألماني البروفيسور كروكمان أكبر طبيب اخصائي لأمراض العين في العالم..

قال البروفيسور كروكمان.. أنّ لديّ مفاجأة لك!!

قلتُ: خيرا إن شاء الحظ!..

قال: فتاة رائعة الجمال..

قلتُ: يعني!

قال: ليس للزواج..

قلتُ: اذا لماذا ؟

قال: للعمل معك.. سكرتيرة لك.. قلتُ: اين في المكتب ام في البيت؟

قال: الإثنين معا.. هل انت مبسوط ؟..

قلتُ: أرني إياها أولاً ثم أخبرك اذا كنتُ مبسوطا أم لا...!

وبعد ساعة كان البروفيسور كروكمان عندي وهو الى جانب فتاةٍ كاعبٍ تربٍ تفوقني في الطول سنتمترين ممتلئة الجسم كاملة الأنوثة.. قال كروكمان وهو يقدّمها إليّ: فراولاين ينيكا.. سكرتيرتك الخاصة.. إنها ليست تابعة لوزارة الدعاية.. بل من موظفات الجيش!! قلتُ: وعيناي مركزتان على السكرتيرة الفاتنة، باللغة الألمانية:إنني أرحُبُ بها ولو كانت من موظفات الغستابو.. أهلاً وسهلاً... أي (ويلكومون!!)

قلتُ: والله إنّ الفراولاين ينيكا هي أعظم خدمة تقدمها لي القيادة العليا الالمانية!! قال كروكمان: صَهْ يارجل!! إننا لسنا في كباريه!.

اختلط الحابل بالنابل!

قلتُ : سيّان عندي.. مكتب أم كباريه..! إنّ رائد الكباريه يفتح شمبانيا للفاتنة الحسناء عميلة الكاباريه وانت تقدم أي هذا الطراز الفاخر من الجنس اللطيف.. وانا في غفلة من الزمن.. لم أضرب منجلاً في سبيل الحصول عليها.. ولم افعل شيئا من أجل امتلاك ناصيتها!! فهل ألام اذا قلت أنّ تعريفي بها هي خدمة مجانية أحسد عليها ؟

لقد تعرفتُ الى فتيات كثيرات فاتنات مُغريات من مختلف وزارات الرايخ.. ومن فتيات المهن الحرة.. ومن النجوم الساطعات على المسرح والشاشة البيضاء.. ولكنني لم أرَ قط فتاة أخاذة جذابة كالفراولاين (ينيكا).. إنها إذا

ابتسـمت فإنما تنفرج شـفتاها عن لآلئ بيضاء كالدر المنضد.. وفي قوامها سحر أفعواني يسـيلُ لـه لُعاب الدون جوان العـربي المُتصابي (حناغصـن!!) وقبل أن اقـول للفتاة كلمة، كانت قـد وضعت آلتها الطابعة النقالـة على المكتب الصغير الكائن الى يمين مكتبي وتبوأتْ مقعدها وكأنها تشـغل المكان منذ سـنوات!! ثم فتحتْ حقيبة يدها وانتزعت منها سـيغائر أمريكية (لوكي سترايك) وقدّمتْ لي ثلاث علب منها.. ولمّا بدا استغرابي قالتْ وهي تفرغ محتويات حقيبة يدها:

أنّ من واجبنا توفير أسباب الراحة والترفيه لك!

قلتُ: شكرا

قالت: لا شكر على واجب.. إنني هنا تحت تصرفك المطلق..

قلـتُ: يافتاتي الجميلة إنني لسـتُ بحاجة الى سـكرتيرة.. ثـم أنك لاتعرفين اللغة العربية، فما هي مهمتك..؟! أصدقيني القول.. وسنبقى أصحابا..!

مرافقة مراقبة...

قالـت الفراولايـن ينيـكا وهي تضحـكُ جـذلاً.. عندما إسـتدعوني لأكون سـكرتيرة لعربي.. ظننتُ بأنني سأرافق شيخا عربيا ملتحيا من شيوخ الصحراء او شـيوخ النفط الذيـن تحدثت بمباذلهـم الركبان!! فارتعدتْ فرائصي من شـدّة الخوف، ولكنني لما رايتك إستعدتُ روعي واطمأنتْ نفسي اليك..

ثـم أردفت الآنسـة ينيكا تقـول أنّ مهمتي تنحصر في مرافقتك والسـهر على راحتك هنا في المكتب وفي البيت..

قلتُ: لا داعي لذلك.. إنني أعرف كيف احفظ نفسي هنا وهناك!

قالـت: الحـق انكم معـاشر الرجال أغبيـاء!.. لقد قالوا لي أنك زيرْ نسـاء!.. وقالـوا انـك متواضع جدا مع النسـاء ترافـق أول امراة تصادفـك في الطريق او تشجعك في مغازلتها..

قلتُ: هذا صحيح، فالمرأة ضالة الرجل اينما وجدها التقطها!

قالت: ومن أجل ذلك أرسلتُ لأحلّ محل اللقيطات!! ثم أنك لا تدري أنّ جُلّ هاته اللقيطات من النساء اللواتي يرتدن المرابع والبارات والمطاعم والمقاهي هنّ جاسوسات للحلفاء ... واننا نخاف عليك من شرهن! انني ضابطة في وحدتك يا كابيتان يوهانس!! وانا بمرافقتك إنما اقوم بواجب عسكري..

قلتُ: كفاك ضحكا على ذقني إنك أنت جاسوسة عليّ.. اليس كذلك ؟ قالت أقسم لك على صحة ما أقول .. فما أنا إلاّ مرافقة مراقبة لك، أدفع عنك شرّ النسوة الجاسوسات!

يعرفون كل شي!

إنتهيتُ من العمل في الاذاعة، وانصرف الزملاء الى بيوتهم وبقيتُ وحدي في المكتب أرتبُ بعض مواد منهج الغد.. وفجأة فتح الحارس العملاق باب غرفتي وهو يقول: أنّ الآنسة ينيكا هي بانتظارك في السيارة عند الباب الخارجي!

قلتُ: أنها قد ودعتني ذاهبة قبل عشرة دقائق!

لم يُجبْ الجندي الحارس الى سؤالي بل أدّى التحية وانصرف. ولما وصلتُ الشارع لوّحتْ لي الآنسة ينيكا بيدها من نافذة السيارة المرسيدس بنز التي كان يجلس أمام مقودها سائق جندي من جيش الصاعقة.. وما أن تبوأتُ مقعدي في السيارة الى جانب الآنسة ينيكا حتى أمرتْ السائق هامسة في أذنه الى البيت!! وبعد أن مرّت السيارة في الشوارع التي تعودتُ السير منها في رواحي وغدوي من البيت الى الاذاعة وبالعكس.. وقف السائق أمام باب البيت الذي كنتُ اسكنه الى جانب المركز العام لشركة باير للمستحضرات الطبية رقم ١٧٢ في شارع كورفور ستندام شتراسه الفخم.. لقد كانوا يعرفون كل شي عن حركاتي وسكناتي في المكتب وفي الشارع وفي البيت.. وكانوا يعرفون من هم اصدقائي وصديقاتي، وصويحبات التو واللحظة.. قالت الآنسة ينيكا وانا افتح باب المنزل انك تفضل شرب (الكونياك) على الويسكي اليس كذلك ؟ إنّ شولز السائق قد احضر لك صندوقا كاملا.. يكفينا لمدة شهر!! لم أحر جوابا.. وهرعتْ السيدة

بيرتا خادمتي الوفية لاستقبالنا.. وقبل أن اتفوه بكلمة لإجراء التعارف قاطعتني السيدة ينيكا بقولها: لا حاجة للتعارف فنحنُ اصدقاء منذ ثلاثة اشهر!! أحنت السيدة بيرتا دينغلر خادمتي رأسها تأكيدا لأقوال الآنسة ينيكا!

فصول لاتنتهي...

ولأول مرة منذ ستة أشهر بعد اشتعال نيران الحرب كنتُ اتناول

طعام العشاء على مائدتي في منزلي مع أكثر من شخصين.. فلقد جرت العادة أن أتعشى في مطعم الإذاعة صحبة اللورد هاو هاو والمُذيع باللغة الإنكليزية الذي كان يتفوق عليّ في احتساء كؤوس الويسكي مترعة.. او في أحد مطاعم(السو) او كورفورستندام! لقد كانت المائدة عامرة باللحوم والخضر والفواكه التي لم أوصِ على شرائها.. فكانت المفاجاة سارة حقا ومُمتعة معا..

إمراة جميلة وسيارة فخمة.. وطعام لذيذ.. وشراب ألذّ! لم أوجّه الى الآنسة ينيكا أي سؤال.. بل رحتُ آكل بشهية ونهم.. واتمتع بشرب الكونياك مع السودا كأي لورد بريطاني.. كانت مائدة وكأنها مائدة أنزلت من السماء!

طفقتْ الآنسة ينيكا تجاريني في تناول الشراب بسهولة عجيبة وبنفس السرعة المعروفة عني في هذا الميدان.. وبعد أن انتهينا من تناول الطعام والإمعان في الشراب وكانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل ودعنا السائق وهو يقول سأحضر غدا صباحا على الساعة العاشرة.. وجاءت الخادمة برتا لتقول لنا ليلتكم سعيدة!

دحض المزاعم الباطلة...

في الصباح التالي قالت الآنسة ينيكا بدلال وتبهج: سأسكن معك هنا وأكون لك زوجة وصديقة وسكرتيرة.. لا سبيل للاعتراض هذه هي الأوامر: وعندها لم اتمالك نفسي من شدة الضحك.. وقلتُ لها مبررا سبب ضحكي هذا:إنّ بعض اصدقائي العرب يتهمونني بعكس ما تقولين لذا فإنّ الإخوان

أعضـاء حـزب الإخـاء الوطنـي كالدكاترة عـلي الصـافي وعبد الحميـد الهلالي وعباس كاشـف الغطاء وجابر عمر وعبد الأحد داؤود وفرج الله ويردي وعبد الكريم كمونة ومأمون المحـوي وناجي عبد الرزاق يزعمون زوراً وبهتاناً بأنني لا أسـتطيع حـراكا! وأنه ليسرّني دحـض مفتريات هؤلاء السـادة الجليلي القدر العـالي الجناب! لقد اسـتمرت هذه التهم الشـنيعة ملتصقة بي حتـى يومنا هذا، وبالرغم عن زواجي فإنّ الإخوان وعلى رأسـهم الأسـتاذ الكبير عفيف الطيبي الفحل، والأسـتاذ (المتوسـط) عادل عـوني (بك) صاحب الحـوادث البغدادية يدعون بأنني لازلتُ باقي على عهد برلين.. أما شهادة الأخ عفيف الطيبي فهي شـهادة لن أطعن فيها. لأنها مجرد دعابة مستحبة يؤديها إخوان السلاح المذكورة أسـماؤهم اعلاه.. أما شهادة الاستاذ(المتوسـط) عادل عوني (بك) فهي دسيسة رخيصـة يراد بها التشـنيع والافتراء ليسـتر بهما مركب النقص الكائن في كرشـه الضخـم المترهل وفي أوداجـه المتفخمة كجيوبه الملآى بأمـوال إعلانات مجلس الإعمار العراقي...!

الزملاء في الإذاعة العربية...

لم أعـد وحيدا في الإذاعة العربية التي أسّسـتها.. فلقد كنتُ في الشـهر الأول الـذي مرّ عـليّ وأنا اترجمُ نشرة الأخبار واكتبُ التعليقات السياسـية واذيعها.. وأضـعُ البرامج.. واقدمُ المُقرئين والمنشـدين والمطربين.. وفي نهاية الشـهر الثاني وصـل الدكتـور محمد تقي الدين الهـلالي من كبار علماء مراكـش، وكان قبل أن يدخـل جامعة بـون للحصول على شـهادة الدكتوراه يُـدرّس في جامعات الهند والعراق، وهو متزوج في البصرة وقد أوصاني به خيراً أمير البيان الأمير شكيب ارسلان فكان الدكتور الهلالي عند حسن ظن الجميع، اذ كان يتدفق علماً وفضلاً وقد اسـتفادت الإذاعة العربية كثيرا من فيض معرفته في الشـؤون الإسـلامية. وكان العضـو الثـاني الـذي أفاد الإذاعـة بدقة البحـث والتضلع باللغـة العربية المجاهد التركستاني المعروف الأستاذ إدريس عالم جان وكان رئيسا لقسم الترجمة الشرقيـة بـوزارة خارجية الرايخ الثالـث، وهو يُجيد اللغات الفارسـية والتركية

ومختلف لهجات التركستان (التركية) ولغة البشتو التي هي مزيج من اللغات الفارسية والأوردو والعربية.. أضف الى ذلك لغة عربية فصحى تُبحر في لهجها حتى صار يضاهي أكبر عالم من علماء الأزهر الشريف. ويشغل الأستاذ ادريس عالم جان منصباً مهماً في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، وهو متزوج من إمراة تركستانية فاضلة حصلت على شهادة الدكتوراه في الطب من جامعة برلين وتخصصت في التوليد وأمراض الأطفال. وانضمّ الينا الدكتور كمال الدين جلال الذي كان يراسل الأهرام قبل الحرب في برلين. ولكنه عاد الى مصر مع من عاد اليها من المصريين عندما اشتعلت نيران الحرب، واشتغل مديرا للدعاية بنك مصر، غير أنّ خلافاً شديداً نشب بينه وبين محمود فهمي النقراشي، وأظن أنّ النقراشي كان يومئذ وزيرا للداخلية فاضطر الدكتور جلال ان يعود الى برلين حيث كانت زوجته الالمانية بانتظاره..

المصريون المعتقلون...

زارني الصديق الدكتور كمال الدين جلال في مكتبي بالإذاعة وبحث معي في موضوع المصريين المعتقلين الذين أمر باعتقالهم الهر ردولف هيس نائب (الزعيم) هتلر باعتبار كون المصريين من حلفاء بريطانيا من دون العرب!! فوعدته خيراً.. وراح يسعى من جهته مع أصدقائه من الألمانيين للإفراج عن المصريين وأتبارهم كغيرهم من العرب حلفاء طبيعيين لألمانيا. ولم تبق وسيلة إلاّ و تشبثت بها لإطلاق سراح إخواننا المصريين من معتقلات الأسر..

ولمّا تحقق لنا ما اردنا وتم الإفراج عن المصريين، واصبحوا أحراراً في أعمالهم جاءني الدكتور كمال الدين جلال وطلب مني عملاً في الإذاعة، فلم أر بُداً من إسناد وظيفة محرر ومترجم اليه..

وفي الواقع فإنّ الدكتور جلال شخصية ظريفة ممتعة لعب أدواراً رئيسية في انتخابات الجمعية الإسلامية قبل الحرب وصار أمينا عاما للجمعية التي تسيطر على جامع برلين، وكان للجمعية مركزا مرموقا لدى حكومة الرايخ الألماني الثالث..

لقد كان المصريون في السنة الأولى من الحرب يؤلفون في المانيا أكثرية ساحقة بين العرب الموجودين في الرايخ الثالث.. وكان التنافس شديدا بين السيد حبيب الرحمن رئيس الجمعية الاسلامية في برلين وهو مسلم هندي وبين الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار مبعوث الأزهر الى المانيا على منصب الرئاسة... فالسيد حبيب الرحمن بوصفه الرئيس المؤسس للجمعية كان يريد الإحتفاظ بمركزه رئيسا على طول الخط.. ولكنّ الأستاذ النجار كان يرى أنّ حظه اوفر نجاحا من الرئيس الهندي في الجمعية بوصفه عالما دينيا.

دعوتُ البروفيسور دوفيفات الى تناول طعام العشاء عندي في البيت وكانت الآنسة ينيكا التي أصبحت (ربّة البيت) بيتي أنا تقوم بخدمتنا والسهر على ترفيهنا.. وفي خلال المأدبة قلتُ للبروفيسور ما هو رأيك في إنتخاب الدكتور عبد الحليم النجار رئيسا للجمعية الإسلامية.. ؟

أسباب غامضة مثيرة..

إزدرد البروفيسور دوفيفات عميد كلية الصحافة في جامعة برلين قطعة اللحم المشوية.. بصعوبة ثم أردف قائلاً: إنّ حبيب الرحمن الهندي رجل مشاغب!! اما الدكتور عبد الحليم النجار فإنه من الرجال الطيبين الذين ينبغي لنا ان نستفيد من خدماتهم.. وفيما نحن نتجاذب أطراف الحديث دق جرس التلفون وكان المتكلم هو الهر بونغفر مدير الأقسام الشرقية للإذاعات الألمانية.. قال أوّد أن أراك بالسرعة الممكنة، سأكون في سيارتي بعد ٥ دقائق عند باب منزلك!

وفي الوقت المُحدد كان بونغفر في سيارته فصعدتُ الى جانبه. لقد كان بادي الإرتباك ولكنه دخل في صلب الموضوع الذي جاء من أجله قال: يجب أن لا يحضر الدكتور كمال الدين جلال الى الإذاعة غداً.. فأرجوك أن تخبره ذلك فورا!! وأن نسحب منه بطاقة الإذاعة!

ثم أرجوك أن تبلغ السيد حبيب الرحمن المذيع الهندي بأننا قد استغنينا عن خدماته إعتبارا من هذه اللحظة!..

قلتُ: سأبلغ حبيب الرحمن الأمر.

أما الدكتور جلال فإننا في أشد الحاجة اليه فهو ضليع باللغة الألمانية وهو خير من يترجم البلاغات الرسمية ترجمة شرعية.

قال: لقد قمتُ بواجبي فأخبرتك بالأوامر التي صدرت إليّ.. وفي الحقيقة فلقد عزّ عليّ فراق الدكتور كمال الدين جلال بقدر ما عزّت علي هذه الصورة المفاجئة التي يريدون إخراجه بها من الإذاعة العربية..

إنني حتى هذه الساعة أجهلُ الأسباب الغامضة التي حملت القيادة النازية على فصل الدكتور كمال الدين جلال من الإذاعة العربية.. ولقد فرحتُ من أمر فصل حبيب الرحمن المشاغب الهندي...!

البروفيسور (الله ويردي)...

قبل أن تدق طبول الحرب بثلاثة أشهر كنا نجتمع في دار الصديق سليم الراوي قنصل العراق في برلين وكان يقاسمه في سكنى الدار البروفيسور فرج الله ويردي المحلل الكيماوي العراقي الأشهر.. وكان الله ويردي.. أي(عطاء الله) مترجمة عن التركية، يهتم بالسياسة اكثر من اهتمامه بشؤون الدرس والبحث والإستقصاء والتحليل الكيماوي الذي جاء من أجله الى برلين تاركا وراءه مكاتبه ومختبراته وعمله الرسمي! وكنا نجمع على معاكسته واثارة اعصابه.. ولما كان يلفظ العبارات العربية بلهجة تركية خفيفة أخف بكثير من لهجة العلامة العربي ساطع الحصري التركية (الطرن العراقي السوري الأكبر) فلقد كنا نلح في معاكسته ليمعن في الثورة على الأوضاع السياسية(الملخبطة) في العالم العربي على حد تعبيره.. وعلى الاستعمار. وعلى أذناب الاستعمار من العرب الذين مكنّوا المستعمر الدخيل الغاشم من التحكم في رقاب العرب.

كان الله ويردي أو عطاء الله ولا يزال على ما اعتقد، عطية نادرة ممتعة من عطايا الله.. الله الذي صنع هذا الكون في كفة.. وصنع الله ويردي وجعله (كونا) قائما بذاته في كفة أخرى!! إنّ الله ويردي او بعبارة أصّح فرج الله ويردي

البروفيسور في التحليل الكيماوي هو بروفيسور في التحليل السياسي ايضا على المستوى العالي.. كان يشتري كل صحف الصباح يقرأ فصولها السياسية والمقالات الافتتاحية والأنباء البرقية، والإعلانات المبوبة.. واعلانات طلب الزواج وإعلانات الأحذية!! لقد كان مقامراً من الطراز الأول.. يقرأ الصحف ويناقش في السياسة في النهار.. ويلعب النرد او الشطرنج بالليل في (كافي ام سو)..

اما العمل والشغل فتلك كلمات لا وجود لها في قاموس الله ويردي!

نازي متعصب ..!

كان فرج الله ويردي من أشد الناس تعصبا لهتلر.. بل كان نازيا أكثر من الدكتور غوبلز! ومن هو الدكتور غوبلز حتى يقارن بفرج الله ويردي!!

أنا لا اقولُ هذا من عند ياتي.. فهو ليس برأيي في الأخ فرج الله ويردي.. ولكن هذا هو رأي الله ويردي في فرج.. يعني فرج الله ويردي.. أي رأيه في نفسه!

لقد صرف الله ويردي المبالغ التي جاء بها من بغداد لينفق منها على دراسته.. وفي شهر أيلول سنة ١٩٣٩ صار فرج الله ويردي (على الحصير..) لم يبق لديه لا خيل ولا مال.. اللهّم إلاّ فلسفته النازية السياسية يهديها لمن ارادها...ام لم يردها!!

كان يعتقد بأنّ الله قد أرسله هاديا ومبشرا برسالة هتلر.. وكان علينا ان نصغي اليه رغم أنوفنا.. كما كان على سليم الراوي القنصل العراقي في برلين ان يقبل الله ويردي ضيفا مزمنا عليه! وذات يوم كلّمني الصديق سليم الراوي في قضية فرج – حاضره ومستقبله –.

فلقد كنا نتوقع نشوب الحرب.. وقد اعلن فرج الله ويردي بكل إباء وشمم

بأنه سيبقى في المانيا ولن يعود الى العراق بالرغم عن اشتعال نيران الحرب!!

وازاء هذه الرغبة السامية واللفتة الكريمة.. طلب إليّ الصديق سليم الراوي أن اجد للبروفيسور فرج عملاً في دار الإذاعة، وأفردتُ له غرفة خاصة كتبتُ على بابها (رئيس) قسم الترجمة.. لقد برهن فرج الله ويردي في خلال الأشهر الستة الأولى التي مرت على عمله في الإذاعة بأنه من انشط العاملين فلغته الألمانية ممتازة ولغته العربية (كتابة) فاخرة.. ولكن تكلمه بالعربية يضحك الثكلى!! ويضحك اصدقاءه.. وهم كثر! كان الله ويردي مترجما شرعيا من الطراز الممتاز، ومن اجل ذلك انطنا به مهمة ترجمة البلاغات الحربية الصادرة عن مقر القائد الأعلى للقوات الألمانية المسلحة (الفوهور) هتلر! وكان يجد لذة ومتعة في هذه الترجمة بل البراعة في الترجمة، لاعتقاده بأنّ هذه الترجمة تقربه من (الزعيم) روحيا وتجعله يقوم ببعض الواجب نحو هتلر الذي احبه واعتقد منذ اول يوم عرفته فيه ببرلين و إلى قبل شهر من إنهيار المانيا صحبة (الزعيم) رشيد عالي الكيلاني في فندق – ادلون – بأنّ هتلر سينتصر!!

وهكذا كان الله ويردي يضيع وقته ووقتنا في إقدامه على القسم بالأيمان المغلظة بأنّ (النصر) ييكون حليف هتلر في خاتمة المطاف!!

اثنتان بواحدة ..

لقد استطاع البروفيسور فرج الله ويردي ان يحمل(الزعيم) رشيد عالي الكيلاني على الاعتقاد مثله بأنّ انتصار المانيا هو حقيقة ثابتة، وان هتلر سيخرج من المعركة الحاسمة ظافرا منتصرا.. ليعود هو الى العراق ليوزع الاراضي على (الموعودين بها من قبله) من الاصدقاء الالمانيين الذين اغدق عليهم العطاء – وعودا براقة من الأراضي في العراق – في حالة انتصار المانيا.

انني ابحثُ في هذه العجالة عن البروفيسور فرج الله ويردي ونوادره اللطيفة التي لايزال صداها يتردد في اذهاننا نحن الذين عشنا معه في المانيا سبع سنوات

عجاف!! اما السيد الكيلاني والمفتي فسيأتي البحث عنهما مع القائد القاوقجي في كتاب خاص قادم!

ان قصة البروفيسور الله ويردي في برلين هي قصة جُلّ ابناء العروبة الذين اكرهتهم الظروف على البقاء في المانيا خلال الحرب العالمية الثانية، فالنوادر والمتاعب والمصائب التي كانت تصادف الله ويردي كانت نصيب كل واحد منا.. لافرق في ذلك بين كبير او صغير.. او امير وفقير.. فلقد تساوى الكل على (المستوى العالي) في مستوى المعيشة والنصب!!

كان تقنين الدخان والسغائر قد هدّ حيل الجميع.. ثلاث سغائر للرجل.. وسيغارتين للمرأة في اليوم الواحد! والله ويردي يدخن ٩٠ سيغارة في اليوم الواحد.. انه كمدخنة الباخرة التي تعبر المحيط لاتفتأ تنفث الدخان بدون انقطاع.. ان اصابع يده اليمنى مجللة بالصفرة الداكنة.. ٢٤ ساعة في اليوم الواحد.. انها صفرة نيكوتين السيغائر!!

وذات يوم جاءنا البرفيسور الله ويردي وهو يعرض علينا (سيغارتين) من سيغائره لقاء سيغارة واحدة من سيغائرنا!! وجعلتُ ابادله السيغائر مدة.. ولكن (سخاء) الله ويردي ادخل الشك في نفسي اخيرا.

وطلبتُ الى السيد احمد عبد الرزاق الذي يعمل معي في الاذاعة بوصفه (الخبير في التبغ) ان يدرس لي قصة سيغائر الله ويردي.. ولماذا يبادلنا سيغارتين بسيغارة ؟.. وعلام هذا التواضع! والكرم الحاتمي..؟!

اصلي وايرزاتز..!

وفي اليوم التالي جاء البروفيسور فرج الله ويردي وهو يبتسم ووجهه الابيض المستدير يبدو وكأنه قمرا منيرا.. ورأسه تظهر عليه بقية صالحة من شعيرات بيضاء هي صدى سنوات قضاها في اعمال البرّ والاحسان في بغداد وبرلين!!

قال فرج: انتيني جيغارة.. انتيك جيغارتين!!

قالها باللهجة العراقية.. يعني اعطني سيغارة واحدة.. اعطيك سيغارتين!

ومـا كاد ان يتم عبارته حتى دخل علينا المشـاغب العراقـي الزميل احمد عبد الرزاق وهو يضحك.. قال: لا تعطه يااسـتاذ أي سيغارة! ان دخان البروفيسور فرج الله ويردي هو دخان(ايرزاتز..) أي دخان (مقلد) مغشوش! فالبروفيسور قد صنع هذا الدخان. من ورق اشـجار شـارع الكورفور سـتندام الوارفة الظل المتساقطة. من اشجار الزيزفون واشـجار اليوكاليبتوس ومزجها بعطر الدخان فصنـع منها (سـيغائر) خاصته يبدل بهـا اثنين منها (ارزاتـز) بواحدة اصلية من سـيغائرنا التـي نشربهـا من (نورث إسـتيت) بألوانهـا الثلاثة الحمـراء والزرقاء والصفراء..

لقد اراد البروفيسـور الله ويردي ان يشـترينا بسـيغائره (الايرزاتز) ولكننا لم نكن بضاعة سهلة لنستسلم بمثل هذه السهولة للمضاعفة العددية.. فنحن نهتم بالنوع اكثر من الاهتمام بالعدد!.

فلقد كنا في حرب بين التقليد وبين الاصلي.. بين الايرزاتز.. وبين (الإيخت) او(الوارهايت)!

ديبلوماسي عراقي...

ان قصة البروفيسور فرج الله ويردي تستحق الشرح والدرس لأسباب سنأتي على ذكرها في الكتاب الخاص الذي سينشر من سلسلة هذه الكتب (هنا برلين.. حي العرب)و سـنحكي فيها كثيراً عن سـماحة (الأفندي) الحاج امين الحسـيني وعن (الزعيم) رشيد عالي الكيلاني.. زعيم الطريقة القادرية الجيلانية والادوار الطريفـة التـي لعبهـا البروفيسـور الله ويـردي – عطـاء الله بالعربيـة.. في حيـاة (الزعيم) رشيد عالي السياسية في السنتين الاخيرتين من الحرب العالمية الثانية.

انني في عرض شخصيات الرجال الذين تعاونوا معنا في الاذاعة العربية ببرلين من قريب او من بعيد اعطى القراء فكرة، بل صورة حية لهؤلاء السادة.. بوصفهم رجال الطليعة الذين وضعوا أسس التعاون العربي - الالماني، وكان لكل واحد منهم دوره القليل او الكثير في جهاز دعايتنا القوي المنظم، إنْ خيرا فخير.. او شرا فشر!

في الخامس عشر من شهر تموز سنة ١٩٤١، أي بعد شهرين من اعلان الكيلاني الحرب على نفسه وعلى حليفته التي صارت (سابقة) بريطانية، قدّم لي ساعي البريد برقية مصدرها روما ومكتوبة باللغة الفرنسية هذا نصها:

(ميتر يونس بحري راديو دبفيزيون اراب بيرلان! أي الاستاذ يونس بحري الاذاعة العربية برلين..)

(اريفيرون دومان انهالتر بانوف اونزاور. سالم الآلوسي!)

(أي نصل غدا محطة انهالتر على الساعة ١١. سالم الآلوسي.)

كنتُ أنّى ذهبتُ وأنّى حللتُ اترك عنواني في (سنترال تلفون) الاذاعة العربية ليكون الاتصال بي عند الضرورة سريعا ومنتظما، وفي الواقع فإنّ هذا العمل لم يكن ضرورة ماسة لأن رجال هملر (الشُطّار) كانوا اتبع لنا من ظلنا.. فلي منهم (ملاكينْ حارسينْ) قد صارا لي بالتناوب مع من يخلفهما في مراقبتي (كراما كاتبين) يكتبون ما افعل في كل ساعة ويوم! اخبرتُ الوزير الالماني الدكتور فريتز غروبا ببرقية السيد سالم الالوسي وكان السكرتير الاول في المفوضية العراقية في روما، ولما كان الوزير العراقي فيها غائبا فقد قام بأعمال المفوضية ولما قطع العراق علاقته مع ايطاليا لم يشأ السيد سالم الالوسي العودة الى العراق، بل فضل المجيء الى برلين، ولم اكن بعد قد علمت اسباب رفضه العودة الى العراق، خاصة وقد كان الموظف العراقي الوحيد في المفوضية العراقية بروما.

لاجئ سياسي ..

كنتُ المكلف من قبل حكومة الرايخ باستقبال الضيوف العرب(الكبار) واعداد الفنادق اللائقة بأشخاصهم (الكريمة) بحسب جليل قدرهم وعلو جنابهم.. ومكانتهم في الدجل السياسي.. ونفاقهم الدولي، والدسّ المحلي العربي.. كنتُ اعرفهم جميعا!! ولا أزال اعرف دخيلة مرام كل واحد منهم.. اعرف الزعماء والمتزعمين! اعرف قادة الرأي.. من قادة الجهال! اعرفُ غثهم من سمينهم..! وهكذا فإنني لما استقبلت السيد سالم الالوسي لم استقبله كقائم بأعمال مفوضية العراق في روما.. بل كصديق قديم من ايام التلمذة في باريس صحبة السادة موفق الالوسي وعبد الله الباجه جي وباهر فائق وابراهيم الزئبق.. وعبد الكريم الباجه جي والدكتور عبد الهادي الباجه جي.. وكان السيد الآلوسي اول ديبلوماسي عراقي عربي يصل برلين في خلال الحرب، ومن اجل ذلك حرصتُ على ان يكون استقباله لائقا وان انزله منزلا حسنا.. فأنزلته في فندق سبلاناد الكبير.. وفي اليو التالي زارني السيد سالم الالوسي في مكتبي في دار الاذاعة، وصرّح لي امام الدكاترة محمود الأمين ومهدي الحمداني واحمد عبد الرزاق بما نصّه باللغة الفرنسية والعربية:

مون شير ميتر!! لقد رفضت العودة الى العراق والمجيء الى برلين، اعتمادا مني عليك.. اريد ان ابقى معك لأعاونك في العمل هنا، فهل من الممكن قبولي لاجئا سياسيا.. قلتُ اني ارحب بك عاملا قويا معنا هنا.. اما مسألة اللجوء السياسي فهي قضية تقررها وزارة الخارجية الالمانية.. ولكنني أزكيك، بل أنا وكيلك منذ هذه اللحظة.. قال شكرا، قلت عفوا..

بوزارة الخارجية...

وبعد ساعة كنتُ والسيد سالم الالوسي عند الوزير الدكتور غروبا بوزارة الخارجية نبحث الموقف العربي العام الذي نجم عن دخول ايطاليا الحرب في

العراق وفي سوريا ولبنان وفي فلسطين وفي مصر وطال النقاش والجدل، وكان سالم الالوسي بالرغم عن عصبيته الظاهرة واسع الاطلاع يشارك في الشؤون السياسية مشاركة متئدة رزينة بأسلوب ديبلوماسي فرنسي ناعم، فدراسته كانت باريسية فرنسية.

قلتُ للدكتور غروبا: ان السيد الالوسي يرجو اعتباره لاجئا سياسيا يعمل معنا في الاذاعة العربية. طلب الدكتور غروبا جواز سفر السيد الالوسي.. وكان جوازا ديبلوماسيا عراقيا ما ان راه غروبا حتى قال لا لزوم لطلب الالتجاء السياسي باهر بحري، فإنّ الحكومة الالمانية تعتبر كل ديبلوماسي عراقي وعربي ديبلوماسي عامل (مجاز) وان في استطاعة صديقك البقاء معك طول مدة الحرب ضيفا على وزارة الخارجية ويعامل كأي ديبلوماسي اجنبي معترف به من حكومة الرايخ. ثم اخذ الدكتور غروبا الجواز وسجله في السجلات الديبلوماسية الالمانية ومنح الالوسي بطاقة هوية ديبلوماسية المانية..

مُستشاراً ديبلوماسياً...

خصّصتُ للسيد الآلوسي مكتباً الى جانب غرفته في فندق سبلاناد، ووضعتُ على الباب لوحة صغيرة تحمل عنوان:آلوسي. المستشار الديبلوماسي للإذاعة العربية! وبقي جنابه يحمل هذا اللقب الى ان توفاه الله اثر الغارة الجوية الكبرى التي شنها الحلفاء على مدينة دريسدن حيث كان يسكن فيها بفندق (يوروبشيرهوف) ضيفا معززا على الخارجية الالمانية.. لقد كان رحمه الله لطيفا للغاية، محافظا لايحب مجالسة المهملين للأناقة في الملبس.. والذين يتحررون من (إيتكيت) المجالسة وآداب الحديث والطعام.. والاجتماع.. لم يشاهد يوما واحدا يجلس الى جانب سيدة او فتاة بعكس شباب العرب الذين كانوا يتهافتون على النساء تهافت الجياع على القصاع! وكان يصّرُ على التحدث بالفرنسية مع الالمان.. حتى انه اذا طلب من خدم المشارب الالمان جعة يقول بالفرنسية

(دولابيير) أي كاس بيرة.. ان باستطاعتي ان اوكد لكل من هبّ ودبّ بأنّ المستشار الديلوماسي لاذاعتنا العربية واعني به الصديق سالم الالوسي لم نستشره استشارة واحدة لا ديبلوماسية ولا غير ديبلوماسية طول مدة تعاونه معنا في الجلوس في مقهى كرنسلار او في سهراتنا الحمر في الملهى (اورينت) الشرق الواقع في شارع (فازانن شتراسة) ببرلين...!

الإعجاب بالجندي الالماني ..!

انني في تسجيل وقائع العرب واحوالهم في المانيا في خلال السنوات السبع العجاف التي قاسمنا فيها الشعب الالماني الحلو والمر في حياة جعلتني لا ابالي بالوتيرة الواحدة ولا بتكيف الاحوال ولا بتقلب الرجال في مختلف مشاربهم وبطراز معيشتهم.. اجل انني في تسجيل وقائع العرب والالمانيين واحوالهم لا اتوخى سوى الحقيقة ووصفهم على علاتهم، وكما عرفتهم وشهدتهم وخبرتهم سواء الاحياء منهم والاموات.. فالسجل يجب ان يبقى متسلسل الحلقات ولا يتضمن صفحات بيضاء خالية من الكتابة والتسطير! كان الصديق سالم الآلوسي متمسكا بصداقة السيد عبد المطلب السيد يحيى امين الصرف على العرب التابع لمكتب حكومة السيد رشيد عالي الكيلاني القادرية في (المهجر) فكانا يسافران معا ويعودان الى برلين معا.. ويأكلان معا.. ولكنهما يختلفان كل الاختلاف في وجهة النظر الغرامية.. والمغامرات الليلية.

زميل المفتي...

لمّا أُخرج الدكتور كمال الدين جلال من الإذاعة العربية فجأة ولأسباب لاتزال مجهولة، اقترح عليّ الدكتور حمدي الخياط الذي كان يعمل في الاذاعة مترجما ومذيعا تعيين الدكتور زكي كرام في الوظيفة التي شغرت بدلا عن الدكتور جلال.. كنتُ قد تعرفت على الدكتور زكي كرام قبل نشوب الحرب بعدة سنوات، وقد اختار برلين موطنا (ثالثا) له.. فهو سوري عربي الاصل

واظنـه من حلب، ولكنه تجنس بالجنسـية التركية باعتبار كونه من قدامى ضباط الحـرب العالميـة الاولى، فلقد كان ضابط احتياط في المدفعية بقسـم الرشاشـات والاسـلحة الخفيفـةِ وتخرج من الـدورة التدريبية العثمانيـة (التعليمكاه) صحبة المرحـوم العقيد محمود سـلمان الجنـابي احد ضباط الانقلاب العسـكري ببغداد والصحفي التونسي المعروف السيد عبد القادر بولكباش وصحبة المفتي السابق بفلسـطين الحاج امين الحسـيني الذي كان بدوره ضابطا برتبة (نامزيد ضابطي) في قسـم الرشاشـات ايضا! وكان زكي كرام من العرب الاوائل الذين تملكوا في برلين إبان التضخم النقدي الالماني فاشترى عمارة بكاملها بمبلغ متواضع لايزيد عن ٢٥ جنيها ذهبا.. كما فعل السـادة عبد الكريم السباعي ريئس بلدية بيروت السـابق.. والدكتور عماد الشـهبندر سـفير العراق اليوم في واشنطن والمغفور له الامير شـكيب ارسلان الذي اشـترى عمارتين الاولى في سـاحة سافيني بلانس بالقـرب من متحف تل حلف لصاحبه عـالم الاثار الديبلوماسي الالماني البارون فون اوبنهايم، والعمارة الثانية في شارع (غرولمان شتراسه).



الحاج أمين الحسيني وهو يفتش سلاح جندي ألماني

توحيد الكويت والعراق...

عينتُ الدكتور زكي كرام مذيعاً ومترجماً في الإذاعة فصار خير خلف للدكتور كمال الدين جلال.. وتم الإنسجام فيما بيننا..

لقد كان الدكتور زكي محدثا بارعا، ولكنه بطيء الحركة لأنه اعرج.. فلقد اصيب في الحرب العالمية الاولى بجروح بليغة برجله اليمنى اضطر الاطباء الى قطعها ووضعوا له رجلا خشبية عطلت عليه الحركة بحرية، وصار يعرج ويمشي بصعوبة ومع ذلك فلقد كان جم النشاط يكفيك ان تكلفه بأية خدمة ليقضيها لك بسرعة وبطيب خاطر..

كانت للدكتور زكي كرام علاقات واسعة النطاق مع قادة الحزب النازي عامة ورجال وزارة خارجية الرايخ خاصة.. وله صداقات كثيرة مع زعماء العرب والمسلمين في الشرق والغرب وفي المهاجر.. فما ان ينتشر اسم زعيم جديد او متزعم في الشرق الادنى والاوسط والاقصى ويذيع صيته الا ويندفع الدكتور كرام لمكاتبته والاتصال به..

واذكر انني لما ذهبتُ الى جاوا - هندونيسيا في سنة ١٩٢٩ موفدا من المغفور له الملك عبد العزيز ال سعود للقيام بالدعاية للحج صحبة العلامة الكبير مؤلف تاريخ الكويت الشيخ عبدالعزيز الرشيد واصدرنا في بتافيا - جاكارتا - مجلة (الكويت والعراقي) التي دعونا من على صفحاتها بضمّ الكويت الى العراق لأول مرة في التاريخ العربي الحديث، كتب لي الدكتور زكي كرام مقالا ايد فيه دعوتنا لتوحيد الكويت والعراق مبرهنا على ان هذين البلدين الشقيقين يؤلفان معا وحدة اقتصادية واجتماعية لاغنى لأحدهما عن الاخر.. ناهيك عن الضرورة الستراتيجية البحرية والبرية.. وقد شجعنا على المضي في هذه الحركة المرحوم الملك عبد العزيز ال سعود

الذي كان يمول وفدنا الى هندونيسيا ويصرف من ماله الخاص على الصحف التي اصدرناهـا هناك باللغتين العربية والماليزية.. ومنذ ذلك الحين لم تنقطع أواصر الصداقة بيني و بين الدكتور زكي كرام..!



الأمير الجليل الشيخ عبد الله السالم الصباح يهدي صورته بقلمه للبحري في ٨ صفر سنة ١٣٤٩ للهجرة ويقول فيها: أقدمه لصديقي السائح العراقي يونس بحري.. مع توقيعه...



الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت و صديق البحري

جامعة عربية ..

بـدا الدكتور زكي كرام عمله في الاذاعة العربية ببرلين وهو على اتم ما يكون مـن النشـاط، والادراك للعمل الجديد الذي اضطلع بمسـؤوليته، فكان يترجم التقاريـر السريـة التـي تردنا يوميا من مختلـف قيادات القوات الالمانية المسـلحة ومـن مختلـف الوزارات (للمعلومات الشـخصية) وليسـت للإذاعـة والنشر.. والحق فإنّ عمل الدكتور كان مرضيا للغاية فأراحني من (كسـل) البروفيسـور فـرج الله ويردي الذي صار من اول سـنة ١٩٤١ كسـلا مزمنـا.. فاطلقتُ عليه لقب رئيس (تنابلة) الاذاعة.. بعد ان كان رئيسا لتراجمتها!!

وسـهلتُ للدكتـور زكـي المجال ليكـون مذيعـا اضافيا الى جانـب نخبة من المذيعين الذين دربتهم على الاذاعة. وكانوا حسـب القدم في العمل يتألفون من الاساتذة التالية اسماءهم:

حمـدي الخياط، محمود الأمـين، مهدي الحمداني من العراق، هاشـم معلوف من لبنان، عزيز ضومط وحسـن تيوفيل حداد من فلسطين، رشاد جاسم، زكي كرام، من سوريا، شوقي عميرة من الاردن الهاشمي. وبوزيد من مراكش وعبد

الرحمن ياسين (مراد) من تونس.. والشيخ محمد صالح من الجزائر. وهكذا صارت هيئة الاذاعة العربية في برلين جامعة عربية! هذا ناهيك عن جيش لجب من المحررين والكتاب والمترجمين.. والضاربين والضاربات على الآلات الطابعة..

موضع ثقة الجميع...

لما اسّسنا اذاعة باريس العربية لاذاعتنا التابعة من برلين طلب اليّ ان اذهب الى طنجة لاختيار بعض المذيعين للقسم المغربي العربي لإذاعة باريس فاعتذرتُ بسبب تراكم العمل بالنظر للحرب الاثيرية الصاخبة التي شنت علينا من اذاعات لندن والقاهرة وام درمان وبغداد وانقرة.. وبناء على ماتقدم فلقد اقترحتُ ايفاد احد مساعدي للسفر بالطائرة الى مدريد فطنجة.. وفي اليوم التالي جاءني الدكتور زكي كرام ورجاني ان اوفده الى طنجة ليقوم بالمهمة خير قيام خاصة وهو يحمل جواز سفر تركي لا يلفت نظر جواسيس الحلفاء في تلك المدينة الدولية الزاخرة بكل ما هبّ ودبّ من جواسيس ومرتزقة واذناب الاستعمار..

قلتُ معترضا: ولكن رجلك الا تؤذيك في السفر ؟

قال وهو يبتسم: انا جندي قديم دعني اقوم بالمهمة.. فانا لستُ ذاهبا للاشتراك في سباق دولي للركض!!

قلتُ: تهيأ للسفر غدا..

وفي الواقع فإنّ الدكتور زكي كرام قد قام بواجبه خير قيام.. فصار موضوع ثقة الجميع..

تغيير مفاجئ..

وبعد شهرين من عودة الدكتور زكي كرام من رحلته الى طنجة زارني الهر شابوي السكرتير الشرقي لفيلسوف الحزب النازي الفريد روزنبرغ وهو من

اهــم رجــال امير البحــر كاناريس في برلــين.. وكان صديقا حميـما لي طالما قضينا سـهرات ممتعـة عنـده في داره.. واحتفظنـا بهـذه الصداقـة الى آخر يـوم من ايام برلين.. وقبل ان يجلس الهر شابوي قال لي وهو متجهم الوجه خلافا لعادته:

– هـل يشـتغل في الاذاعة هـذا الشـخص ؟ واراني جواز سـفر.. قلتُ ان صاحـب هـذا الجواز قد اوفدناه منذ شـهرين الى طنجة للقيـام بمهمة سرية فقام بها خير قيام..!

– قال:وهو يحدجني بنظرة فاحصة: هل انت واثق منه ؟

– قلتُ: كل الثقة بل هو موضوع ثقة الجميع!

– قال: اين هو الآن ؟

– قلتُ: لقد منحناه اجازة لمدة اسـبوع ابتداء مـن يوم غد ليذهب الى فيينا لزيارة زوجته التي تستشفى هناك.

– قـال: ان صاحبـك قد تقدم امـس بطلب (سـمة خروج) مـن المانيا الى تركيا!!

– قلتُ: وما المانع في ذلك ؟.

– فنظر اليّ الهر شابوي بذهول ثم قال:

– إنّ صاحبك يثق بك كل الثقة فهل لك ان تساعدنا على كشف حقيقته!

– قلتُ: وكيف يمكنني أن اساعدكم ؟

– قـال: تسـافر الليلة الى فيينـا وتكون غدا في قاعة فنـدق أمبريال الكبرى على الساعة العاشرة صباحا.. إنّ غرفتك محجوزة في الفندق!

– مهمة ٢٤ ساعة!

– سجلتُ تعليقاتي السياسية لإذاعات اليوم التالي سلفا وعلى عجل.. وفي الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم كنت في فيينا وكان لي فيها اصدقاء كثر..

ولكنني أبيتُ ان اقضي ليلة ممتعة بعيدا عن ظلمة برلين وسكونها المهيب في الليل بعد ان أتممت عمليات (التنظيم) _ فردونكلونغ _ مدينة برلين وامهات المدن الالمانية.. ولكن فيينا بقيت تنرها الانوار الكهربائية الساطعة حتى نهاية سنة ١٩٤٠ ! كان صديقي القديم فرج توما مدير السفر والاقامة العراقية سابقا قد سكن فيينا منذ سنة ١٩٣٢ يوم ان احيل على التقاعد في العراق لمرض في صدره وقد نصحه الاطباء بالشخوص الى فيينا والمعالجة فيها.. والسيد فرج توما من اكثر العرب حبا لخدمة العرب والسهر على قضاء حوائجهم لا فرق عنده بين عراقي او سوري او مصري اومغربي.. ان كل ناطق بالضاد لديه يمثل العروبة بطرائقها وببلدانها وبلهجتها والحق فإنّ فرج ال توما كان مثال العربي الكريم الذي لا يرد لسائل سؤالا، ولا لذي حاجة طلبا.. وكان بالنسبة لقدم عهده في سكنى باريس وبرلين وفيينا اعرف الناس بالعرب الاوائل الذين كانوا يسكنون المانيا وفي طليعتهم السادة عبد الكريم السباعي وموسى الشهبندر والدكتور زكي كرام وانطوان ديب صاحب المطبعة العربية ببرلين.. وغيرهم وغيرهم من السادة العرب النجب. كلمتُ السيد توما في مقهى فكتوريا في حي (شوتنتور) الآرستوقراطي بفيينا ومعناه بالعربي الفصيح _ باب الاسكوتلنديين _ فقال من اين تتكلم ؟

- قلتُ: سأكون عندك في خلال ربع ساعة!

- وفي الوقت الموعود كنتُ الى جانب صديقي فرج الذي كان دائرة معارف تحتوي على ابناء العرب المقيمين في المانيا وفرنسا والنمسا.. وكان بحكم وظيفته مديرا لبوايس الاقامة والسفر في العراق يستقصي انباء الرايح والغادي لا لشي سوى حب الاطلاع والمعرفة والفضول البوليسي الذي صار غريزة في نفسه..

- عميل تركي!

- كان السيد فرج ال توما بخلاف صنوه فرج الله ويردي عدوا لدودا لكل ما هو تركي او عثماني! فلقد بذل قصارى جهده وهو في المانيا في مطلع الحرب العالمية الثانية ان يبحث عن عثرات الاتراك والمتشيعين لهم من العرب وعلى الاخص بعد اقتطاع سنجق الاسكندرون من سوريا وضمه الى تركيا اتاتورك!!

- رحب بمقدمي الصديق فرج وسألني عن الصديقات الفاتنات غيردا ماسون وفراولاين ينيكا فطمنته على انهن لايزلن بخير والعلاقات فيما بيننا تسودها روح الود والحب المتبادل!

- قال: ما السر في هذه الرحلة المفاجئة ؟

- قلتُ: (تغير هواء)!

- قال: هواء سياسي ام غرامي ؟

- قلتُ: الاثنين معا..

- فقال بلهجة البوليس الواثق من نفسه: اسمع يا يونس، لقد جئت لتسألني عن وضع احد ابناء العرب!! اليس كذلك ؟ قلتُ وحقك لم اقصدك بالذات.. بل طلب الي الذهاب الى فيينا وقد خاطبتك تلفونيا من تلقاء نفسي لاقضي معك ليلة حمراء في حانات (غرنزينغ) لنستمتع بأغاني (شراميل موزيك..) ونتفكه مع هانز موزر وجوقته الموقرة!!

- قال:هيا افصح وتكلم فأنا على استعداد لخدمتك..

- قلتُ: هل تعرف الدكتور زكي كرام ؟

- قال: ذلك الأعرج ؟

- قلتُ: نعم!!

- فقال بدون تفكير وانتظار: انه عميل تركي، اوقف بالجرم المشهود!!

وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي كنتُ في القاعة الكبرى بفندق امبريال.. وبعد عشر دقائق رأيتُ صديقي الهر شابوي يدخل القاعة وهو يتلفت ذات اليمين وذات الشمال.. فأشرتُ له بيدي فتقدم نحوي.. وهو يقول بدون ان يصافحني .. هيا بنا الى الخارج..

وامتطينا سيارة قصدت بنا القنصلية التركية.. وهناك في الساعة العاشرة والنصف وعلى مدخل القنصلية التركية وقفت سيارة أجرة (تاكسي) من سيارات فيينا التقليدية ونزل منها الدكتور زكي كرام وهو يحمل حقيبته المنتفخة الأوداج.. وما ان رآه الهر شانوي إلاّ ونزل من سيارتنا كالبرق الخاطف وأسرّ اليه بكلمات لم اسمعها.. فعاد الدكتور ادراجه الى سيارتنا وهو بادي الاضطراب ومنزعج الخاطر .. ولما رآني إطمأن وقال : خير ان شاء الله ما هي القصة ..؟

قلتُ: والله لا علم لي بالموضوع.. !

ركب الدكتور سيارتنا والعرق يتصبب من جبينه ثم قال:ما هي القصة التي تمثل معي ؟

قلتُ: ان الموضوع لا يخصك انت شخصيا بل يخص المانيا!!

قال: وما هي علاقتي بالمانيا ؟

قلتُ: علاقة الذئب بالحمل!!

قال: ما معنى كلامك ؟

قال شابوي: انك تلعب على الحبلين.. التركي والالماني.. او بعبارة اصح تجذب حبلك في صالح الحلفاء..

قال: هذه جريمة نكراء لن اقبلها على نفسي!

قال شابوي : سنتدبر الأمر بعد حين..

وثائق واوراق...

وفي شقة فخمة بفندق امبريال بفيينا جلسنا نحن الثلاثة نتطلع في وجوه بعضنا بعضا.. ونحن سكوت وكأنّ على رأسنا الطير.. ونكاد نسمع دقات قلب الدكتور التي صارت شديدة الخفقان.وبعد نصف ساعة اردتُ الخروج للذهاب الى غرفتي لتغيير حذائي، فوجدتُ عملاقين من عمالقة حفاظ الأمن (زيشر هايت دينست) يقفان على الباب.. ولما هممتُ بالخروج اشار اليّ الحارس الثالث الذي كان يقف في منتصف الممر ان اعود ادراجي بكل لطف!

عدتُ وانا اتفرس بوجه الصديق شابوي، ولكنه لم يقل شيئا، وبعد ربع ساعة إنفتح الباب على مصراعيه ودخل اربعة رجال وهم جميعا بالملابس المدنية، وتقدم كبيرهم ففتح باب الغرفة الثانية وهو يقول للدكتور زكي تفضل، فحمل الدكتور حقيبته ودخل الغرفة مع الرجال الأربعة وبقيت مع شابوي لوحدنا! ومرت ساعة ونحن بالانتظار..

كانت الساعة تدق الواحدة بعد الظهر عندما طل علينا ضابط الماني برتبة عقيد فأدّى التحية العسكرية ثم قال لي : هل تُجيد اللغة التركية! اجبتُ بالايجاب.. قال تفضلا واشار الى الباب الذي دخل منه الدكتور الى الغرفة الثانية فلم نجد له أي اثر.. لقد ذهب مع الرجال الاربعة.. ولكن محفظته كانت على مائدة ضخمة وقد افرغت محتوياتها فوقها، خرائط مختلفة.. احصاءات عن منضمة توت.. وعن مؤسسات الشباب الهتلري.. وصور فوتغرافية لأهم التقارير السرية التي كانت تصلنا من مختلف قيادات القوات المسلحة الالمانية! واهم من هذا كله كشف مفصل بأسماء جميع المشتغلين بالاذاعات العربية والتركية والايرانية والهندية مع صورنا وعناويننا وارقام (تلفوناتنا) هاتفنا والبلاد والجنسيات التي نتمي اليها.. وتواريخ بدء عمل كل منا في الاذاعة الالمانية..!!

لقد بُهتُ من هذه المعلومات المطولة عنا، فأنا شخصيا لم اكن محيطا بمثل هذه التفصيلات الدقيقة عنا!

تقرير خطير ..

كنتُ اتطلعُ الى الاوراق والوثائق وانا مذهول مما أرى.. لقد تصورتُ وانا اشاهد هذا المنظر الأخاذ المروع الأثر المبهج الذي ستحدثه هذه المجموعة النادرة في نفس من سيستلمها هناك في انقرة سواء اكان امريكيا ام بريطانيا، ولكن تركيا لم يكن يهمها أي شيء عنا.. وهذا ما يبرهن على أنّ العاصمة التركية لم تكن إلاّ (صندوق بريد) لبريطانيا وحليفاتها!

قال لي العقيد الالماني وهو يقدم لي احد المغلفات السميكة الثلاثة الموضوعة الى جانب حقيبة الدكتور زكي: ما هو مصدر هذا التقرير ؟

وقرأتُ باللغة التركية وبحروف عربية المصدر (برلين رقم ٢١)!

واردتُ ان اقرأ المزيد فقال معتذرا ارجوك ان تقف عند هذا الحد!!

ثم اردف قائلا: هل انت محلف ..؟

قلتُ: انني ضابط الماني وبرتبة كابتن.. وقدمتُ تذكرة هويتي العسكرية التي هي بمثابة جواز سفر ديبلوماسي ايضا!

قال: إقرأ باسم (الزعيم)..!

تقرير رقم ٦٣ تاريخ ١٠ ديسمبر _ كانون الاول ١٩٤٠ كنتُ اقرأ التقرير بصوت عالي باللغة التركية والعقيد الالماني الذي ما عرفت اسمه حتى كتابة هذه السطور يترجم ويكتب بالالمانية النص.

ماذا يحتوي التقرير..؟!

كان التقرير رقم ٦٣ يتضمن وصفا دقيقا لسير المفاوضات الاسبانية والالمانية حول مستقبل العلاقات بين (الفوهرر) والغوادويلو (الزعيم) الاسباني فرانكو وحول توحيد مراكش بضم طنجة والقسم المحتل من فرنسا بالمنطقة الخليفية، وجعل السلطان محمد الخامس عاهل مراكش وبلاده تحت حماية اسبانيا.. وبهذا

تنقل مراكش باقسامها الثلاثة من الاحتلال الفرنسي الى الاحتلال الاسباني: ويتعهد الجنرال فرانكو مقابل هذا (التعديل) في سياسة افريقيا الشمالية ـ المغرب العربي ـ بإعلان الحرب على بريطانيا ويساهم مع القوات الالمانية والايطالية المسلحة في احتلال جبل طارق وسد المضيق او بعبارة اصح اغلاق البحر الابيض المتوسط في وجه بريطانيا.. والتقرير رقم ٦٣ هو مجموعة من ١٥ تقريرا وردوا من مختلف العملاء والمصادر في ١٥ مدينة وعلى الاخص من مدريد وروما وباريس وطنجة وتطوان وارسلتْ هذه التقارير الى المقر الرئيسي في برلين (رقم ٢١) حيث تدرس وتنسق ثم توضع صيغتها النهائية على ضوء التقارير الخاصة التي استقيت من منابع موثوقة!! لقد استغرقت العملية ثلاث ساعات فقط. اخذتُ في خلالها صورا لجميع المستندات والتقارير والصور، ودستُ بين الاوراق والمغلفات تقارير مشابهة مغلوطة، وجي بحقيبة جلدية هي صورة طبق الاصل لحقيبة الدكتور وضعت فيها جميع محتوياتها كما كانت من قبل وختمت بالشمع بنفس الختم والحروف!!

عملية بارعة..

إنّ مصلحة مكافحة التجسس الألمانية التي يرأسها أمير البحر كاناريس كانت تصنع المعجزات في التزوير البارع المتقن الى حد الابداع، فلقد كانت المصلحة تراقب الدكتور زكي منذ هجوم هتلر على هولندا أي منذ مطلع شهر تشرين الاول ١٩٣٩.. ولما اعطيته عملا في الاذاعة لفتت محفظته الجلدية الضخمة التي كان يحملها بالرغم عن ثقلها وهو اعرج نحيل لا يستطيع ان يمشي نصف كيلو متر في الساعة، لفتت أنظار رجال كاناريس، فأخذوا قياسها وشكلها داخلا وخارجا.. والذي اثار الدهشة حقا، دهشة رجال كاناريس لا دهشتي انا.. لأنني لم اعلم كل هذه التفاصيل الا فيما بعد ان وقع العصفور في الشبكة.. شبكة هتلر.. لا شبكة الصياد العربي البارع الاستاذ سعيد فريحة..

اجـل لقـد اثار دهشـتهم.. أنّ حقيبـة الدكتور كانـت تسـتبدل القديمة منها بحقيبـة جديـدة اخاذة المنظر ومـن جلد (الخنزيـر) الغالي الثمـين.. خاصة وان الجلـود على اختـلاف انواعها كانت من جملـة المواد الضروريـة المقننة في منهاج الرايخ الثالث الحربي! ولما اخذ الاربعة الاوائل الدكتور من الغرفة التي كنا فيها اخذوا منه حقيبته واسـتبدلوها بالحقيبة الثانية المختومة.. ثم لما قضينا وطرنا من الحقيبـة الاصليـة ما أعيدت اليه كـما كان عهده بها.. بل اسـتبدلت للمرة الثانية بالحقيبة المزيفة.. وتظاهر حفاظ الأمن بانهم لم يفتحوها!!

وهكذا إطمأن الدكتور زكي كرام، وعاد الينا على السـاعة الخامسة وحيدا وهو يقول لي كسابق عادته: لقد ظلمتني يا استاذ بحري الم اقل لك انني بريء ؟!

قلتُ: هنيئا لك والحمد لله على حسن العاقبة..

وداعا... يا اذاعة ..!

عدنـا الى برلـين بصيدنـا الثمين.. على متن طائرة عسـكرية خاصـة.. وتركنا الدكتور ينهي مهمته بكل حرية وبدون مراقبة.. اذ انه كان في العاصمة النمسوية كسـاعي بريـد ينقل الى المرسـل اليهم بريدا صادقـا او مزيفـا.. والله وحده اعمّ بالسرائـر!! وبعد انقضاء اسـبوع اجازة الدكتور زكي في فيينـا وفي تركيا.. فلقد سافر في الطائرة في اليوم التالي الذي غادرنا فيه فيينا الى استامبول، تاركا الحقيبة المشـار اليها او (الكويـير..) في عهدة القنصلية التركية! سـمعتُ حذاء الدكتور العسـكري الثقيل يحـدث الضجيج المزعج المعتاد على خشـب الممرات الطويلة المؤديـة الى مكتبـي! ودخل عليّ الدكتور، فعانقني عناق الأخ المشـتاق بعد طول الغياب!!

قال: متى أبدأ بالعمل ؟

قلـتُ: يادكتور انـي لا اخفيك سراً بأننا هنا في الاذاعـة العربية لانحتاج الى

كفاءات علمية او الى جهابذة باللغة العربية.. بل نحتاج الى شباب يرغبون في اتمام تحصيلهم، فنساعدهم ماديا لمواصلة الدراسة.. وانت بفضل الله وفضل جهادك العسكري القديم قد حصلت على املاك وثروة تحسد عليها.. وانني على استعداد لمنحك راتب ستة اشهر كتعويض..

لقد كان الدكتور زكي أبخل من جرادة!! كان حريصا على جمع المال.. يعدده ويضمه الى بعضه بعضا.. وبسرعة البرق الخاطف قام بعملية حسابية وهو الضابط المدفعي التركي فكان المبلغ مسيلا للعاب!!

وبهذه الوسيلة إنتهت مهمة الدكتور وانصرف الى داره حيث بقي تحت المراقبة طيلة مدة الحرب.. وانطوت صفحة عتيقة من صفحات اذاعة برلين العربية!..

فترة انتقال..

انني عندما اكتب هذه الصفحات التاريخية انما افضح اسرارا كان من الواجب ان ابقيها طي الكتمان لأنها تمس شخصيات عربية كان لها شانها في دائرة المحيط العربي.. ولكن ماالعمل وأنّ واجب الحقيقة يقضي عليّ ان اقول الحق ولو على نفسي..وقد رأى القراء انني كنتُ ولا ازال صريحا في سرد هذه الخطى التي مشيناها نحن العرب.. وكما مشاها القادة النازين والفاشيستيين وغيرهم من بريطانيين وفرنسيين وشيوعيين! لقد احدثت قضية الدكتور زكي كرام رد فعل عنيف في قرارة نفسي.. فللمرة الثانية بعد فصل الدكتور كمال الدين جلال من اذاعتنا العربية بناء على طلب الحزب النازي، يطلب الي ان افصل الدكتور زكي كرام!

اما الدكتور جلال فإنني لم اخذ عليه أي مأخذ.. ولكن الالمان طلبوا الي اخراجه فصرفته بلباقة وبألم لأنه كان زميلا قديرا واستاذا ماهرا، وقد تألمتُ لأنه كان مريضا يشكو من اوجاع مزمنة في صدره..



هتلر في لقاء مع أحد قادة الجيوش البرية الألمانية



هتلر يستقبل في مقره في برلين رئيس الوزراء البريطاني نوفيل تشامبرلن

ثورة العرب الأحرار ..

كان الهر بوفنغر رئيس القسم الشرقي في الاذاعة الالمانية يخافني ويحسب لي الف حساب، وكان يعرف مقدار تأثيري على الدكتور روزبنرغ فيلسوف الحزب النازي (وعلى الدكتور غروبا الوزير المفوض).. ثم على (الزعيم) هتلر بالذات!! بطريق غير مباشر..

فلما طلبتُ اليه ان اقوم بعملية تطهير شاملة في الاذاعة العربية، قال لي ارجوك ان تعطيني مهلة ٢٤ ساعة.. وكان مساعده الهر كولباخ من أعز اصدقائي.. اضف الى ذلك المراقب الدكتور ابل (الذي صار اليوم مديرا للقسم الشرقي في وكالة الانباء الالمانية وقد زار بيروت في الشهر الماضي..)

انني عندما استعرض الاشخاص والاحداث والوقائع التي مرت بنا ونحن في السنة الاولى من الحرب انما استعرض شريطا سينمائيا ناطقا عن هاتيك الامور التي انطبعت في الذاكرة واستوعبتها المخيلة استيعابا لا تقدر على دثر معالمه خرافات المظللين ولا ادعياء القومية العربية الذين صاروا اليوم يتاجرون بالوطنية على حسابنا!! نحن قدامى المجاهدين الاحرار الذين وضعنا دماءنا على اكفنا فقارعنا باطل الاستعمار بالحجة.. ودحضنا مفتريات اعداء العروبة بالفعل.. وشققنا لانفسنا طريقا محفوفة بالمكاره، لايستطيع ولوجها إلاّ كُلّ من كتب بدماء قلبه على قراطيس جبينه: الحرية للعرب والاستقلال لنا.. ان بلاد العرب للعرب.. حي العرب!!

حيّ العرب..

بعد أربعة اشهر من تأسيسي اذاعة برلين العربية رحتُ ابحث عن تعبير أحيي به العرب، وانتهض به هممهم، وادفعهم للثقة بأنفسهم وبعدالة قضاياهم! وفي ليلة مطيرة من ليالي شهر اغسطس سنة ١٩٣٩ كنتُ في منزل الدكتور علي الصافي في شارع (مدمزن شتراسه..) نتناول طعام العشاء قال لي يا أخ بحري يجب ان تحيي العرب بعبارة متواضعة هي(حيّ العرب) على غرار (هايل هتلر)

فكلمة (هايل) معناها (حيّ). وعبارة هايل هتلر تقارن بمعناها (حيّ العرب).. وهكذا استعضنا عن كلمة هتلر بالعرب! العبارة متشابهة.. فصار كل المتعاونين معنا من النازيين يحيونني بعبارة (هايل أراب) ظنا منهم بأنّ حي العرب معناها حي هتلر بالطريقة العربية!

لقد سارت عبارة (حي العرب) مسير الشمس في الشرق والغرب، فصارت التحية المستحبة لدى المناضلين العرب الاحرار. اللهم الا ادعياء القومية العربية (العربيون المستعربون) الذين قتلهم الحسد واكل قلبهم الباطل والفساد فراحوا يحاولون عبثا النيل من كعب اقدام عمالقة القومية العربية، وينقلون علينا الاكاذيب السافلة والدس الخيص الذي لن ينال منا منالا.. فلنا في حصانتنا الوطنية وايماننا بالقومية العربية مايجعل سهام اولئك الاقزام الخوارج عن العروبة ترتد اليهم مع طرفهم.. خاسئة وهي حسيرة..

لقد خلقنا للكفاح والنضال ومكافحة الصهيونية والشعوبية والاستعمار على اختلاف الوانه واشكاله ومن اجل ذلك فاننا سنواصل تحية العرب من برلين او من القاهرة. او بغداد. وبيروت!

بلاد العرب للعرب...

كان منبر الإذاعة العربية من برلين خير مجال لاستنزال الوحي، لمواجهة تيارات الدعاية اليهودية ودعاية الاستعمار، وإظهار العروبة بمظهر الجبّار المتوثب للدفاع عن حقه في الحياة الحرة الكريمة، وفي الإستقلال والسيادة التامة الناجزة.. فكنتُ أدحضُ ولا ازال مزاعم المستعمرين من يهود وغربيين وشرقيين. هؤلاء المستعمرين الذين اعتقدوا ظلما وعدوانا بأنّ البلاد العربية قد صارت نهبا مقسما فيما بينهم.. فيحتلون منها مايشتهون، ويبسطون نفوذهم على المناطق الغنية بالثروات القومية ما ظهر منها.. وما هو مطمور تحت الارض لمجرد اشباع نهمهم الاستعماري واستغلال خيرات العرب ليعيش العلوج في بلادهم وهم يرفلون في بحبوحة العيش الرغد.. في حين يُبقون العربي يبيت

في عقـر داره على الطوى.. خـاوي الوفاض.. وهو في اغلـب الأحيان لا يملك شروى نقير!

كانـت هـذه الحقائـق المفجعة هـي التي اوحـت من وسـائل قـوّتْ في روح النضـال وشـدّتْ من قواي وشـحذت عزيمتي فقلتها عبـارة صاخبة مدوية في الآفاق واجواء دنيا العرب:

يايهـود العالم! ويا أيها المسـتعمرون اعلموا علم اليقين بأننا نحن الاسـياد في بلادنا.. إنّ بلاد العرب ليست لكم ... ان بلاد العرب للعرب. حيّ العرب...







الفصل التاسع

- نحنُ في برلين
- العرب المُتزعمون قبل مجيء المُفتي والكيلاني
- المُتعاونون معي في إذاعة برلين
- السوريون القوميون — أنطون سعادة
- نحنُ والوفد المصري ..!
- كيف طردني النقراشي ..!
-فاروق و ألمانيا ..

يونس بحري...
نحن في برلين
العرب المتزعمون قبل مجيء المفتي والكيلاني..
تتمة المتعاونين معي في اذاعة برلين ..

إنّ التجاوب المُستحب الذي صار لإذاعة برلين العربية، ولنداءات (حيّ العرب..) و (بلاد العرب للعرب) في البلاد العربية قد اصبح صدى لصوت عربي واحد لايكاد ان ينطلق من أثير برلين حتى يتكهرب الأثير العربي بمجموعه.. ولعمري أنّ هذا خير دليل على وحدة المشاعر.. وعلى أنّ صدى المستقبل في بغداد والقاهرة ودمشق وبيروت وعمّان هو رجع الصدى المتدفق من معين عروبة واحدة واحساس نبيل واحد! ان الامة العربية التي شجبت بمجموعها الاستعمار، والحماية والوصاية ومناطق النفوذ الاستعماري في بلادها قد كانت ولا تزال تجد في كل حركة تحررية استقلالية طريقا للخلاص وللانعتاق.. فكيف باذاعة برلين العربية التي لم ترسم طريق الخلاص فحسب..؟! بل سلّمت العرب السلاح المناسب للانطلاق والتحرر.. وهذا السلاح هو الثقة بالنفس واستعادة الايمان بالحق المشروع السليب. على هذا الاساس عملنا ونعمل وسنعمل.. اما فقاقيع السياسة الملوثة بأشباه الرجال فهي كالزبد تذهب جفاء ولا يبقى الا ما ينفع الناس!

جنود أبطال ..

لقد قطعتْ عليّ المقدمة الانفة الذكر سلسلة بحثي عن اذاعة برلين العربية.. وعن الرجال الذين تعاونوا معي في السرّاء والضرّاء وتحملوا في سبيل خدمة الرأي العام العربي ضد الاستعمار الغاشم.. وضد اذنابه العرب من كل همزة لمزة جمع مالاً فعدّده.. جحود الجاحدين.إنّ أولئك الشباب المغاوير رجال

(كومانـدوس) مغاويـر عـرب، صدقـوا الله والعروبة ما عاهـدوا الله عليه.. فما وهنـت عزيمتهـم وما اسـتكانوا.. ولم تفّتْ في عضدهم غـارات الحلفاء الجوية الساحقة الماحقة.. ولا الجوع.. ولا خفية الملابس في الشتاء القاتل.. بل استمروا في عملهـم غير هيابين ولا وجلين يؤدون واجبهم.. ويطلقون اصواتهم مجلجلة بالدفاع عن حق العرب المهضوم.. وشرفهم المُهان.. وحريتهم السليبة!

إنهم جنود مجهولون.. لم يعودوا الى ديارهم حتى الآن.. مثلي بالضبط!

لقد تشتتوا في كل قطر... كالقطيع المشرد!!

ولقـد قابلهم العـرب بنكران الجميـل.. وبجُحودٍ لا يحسـدون عليه! إنّ من السـهل جدا عـلى المرء ان يصير وزيرا في وزارة يسـندها المتعـاون مع الغرب او مع الشرق!! ولكن ليس من السهل ان تسخر جنديا عربيا يهبك نفسه من بدون قيد او شرط ليتعاون مع اذناب الاسـتعمار بل يهبك نفسه لمجرد خدمة العروبة، واستقلال العرب واستعادة حقهم الهضيم!

قلْ ..كلّ يعملُ على شاكلته ..

لقد تعلمتُ من الأحداث المروعة التي مرّت بنا في الوقت الذي كنا نقارع فيه الاسـتعمار ولا نزال.. ونجاذبه الحبل بصورة لن تدع مجالا للشـك بأننا سنكون في خاتمـة المطـاف الطرف الخاسر!! ومع ذلك كان عملنا يسـير بإيمانٍ وعقيدة.. وكانـت بريطانيا ترتعد فرائصها عندما نذيـع أنها في المعركة الفُلانية قد خسرت من اطنان البواخر كذا وكذا..

كُنـا ندّق أجراسـنا مـن اذاعة برلـين العربية لنخبر المـلأ العربي بـأنّ بريطانيا قـد خسرت في اليوم الـذي اذعنا فيه النبا مائة الف طن مسـجل من بواخرها.. وبأنّ... وبأنّ..

لقد كنا ولا نزال نحارب بريطانيا وحليفات بريطانيا.. ونحارب فرنسـا من أجل الجزائر والمغرب العربي ونحارب الشيوعية واليهود!!

اننا نعمل مثل غيرنا على شاكلتنا ولا نريد ان نفرض ارادتنا على أحد.. فلكُلٍ رأيه.. ولكُلٍ طريقتُهُ ولكل عقيدتُهُ ورائده! وكلٌ يعمل على شاكلته!!

نحنُ على الدرب سائرون.. والى هدفنا واصلون. ولن يثنينا عن عزمنا هذا حسدُ حاسد.. او فتنة لئيم.. او غرض مستغل..!

إننا نعرفهم جملة وتفصيلا.. ومتى اردنا كشفهُم فإننا نضعهم في الميزان بملابسهم وبدون ان تستلزم الحالة تجريدهم منها!!

عبد الكريم السباعي ..

تاجر كبير لبناني إستوطن برلين منذ عام ١٩٢٠ على اقل تقدير.. وتنّعم في خلال التضخم المالي الالماني بعد الحرب فاشترى العمارات، وألفّ شركة الشرق الألمانية التي كان يستغل ريعها وحده وبطرقه الخاصة.. انه طيب القلب حلو الحديث.. مظهره مقبول أكثر من أولاده.. بالرغم عن الشيب الذي وخط شعره بصورة جعلت رأسه يبدو وكأنه لفافة قطن للمُستشفيات! ومع ذلك فهو ذكي والمعي.. ولكنه كان بخيلا للغاية!! بيد ان لطفه غلب على بخله في أيام برلين الاخيرة عندما أصبح امين صندوق للمفتي الحاج امين الحسيني!!

لقد كنّا نحن العرب في برلين بعد اشتعال نيران الحرب لايتجاوز عددنا الثلاثمائة شخصا من ابناء البلاد العربية بما فيها الطلبة.. والمشتغلين في الاذاعة.. وأرباب الأملاك! وعلى رأسهم السيد عبد الكريم السباعي.

إنّ جُلّ أملاك السيد السباعي تقع في نفس الشارع الذي تقع فيه عمارة السيد موسى الشهبندر سفير العراق اليوم بواشنطن.. ومن أجل ذلك ارتبط الاثنين بصداقة متينة حملت السيد موسى على الزواج من ابنة السباعي قبل الحرب العالمية الثانية بعدة سنوات.. ولما عيّن السيد موسى الشهبندر وزيرا مفوضا للعراق في برلين بعد نقل صاحب السمو الملكي الامير زيد بن الحسين الهاشمي من برلين. صار السيد السباعي يعتبر نفسه عميدا للجالية العربية.. ليس من

ناحية الوجاهة والثراء وحسن المظهر فحسب ومن ناحية السن ايضا.. بل لأنه صار حموا للوزير العراقي العربي.. في برلين!

الحب من البطن ..

كان السيد عبد الكريم السباعي مُحبا (لبطنه..) فهو يجوبُ الأسواق في صباح كل يوم ليشتري نفائس اللحوم والخضر والفواكه (الرخيصة) وكانت خادمته (هليدا) تبذل الجهد المُستطاع لتلفيق وجبات طعام متعدد ومتنوع يُعمّر بها (ابو فؤاد) مائدته وبطنه.. ولعل الخصلة الطريفة التي اعجبتني في الصديق السباعي هي انه لايستطيع ان يأكل لوحده.. ففي الأيام التي لا تكون (البارونة) صديقته المختارة في داره.. فهو يطوف مقاهي كورفوستندام بحثا وراء صديق ليشاركه الطعام على مائدته العامرة بصنوف الاكل!

إنّ السيد السباعي يسير على المثل الالماني القائل بأنّ(الحُبّ) يأتي عن طريق البطن! أي ان الرجل الالماني يحب المراة التي تجيد طهي الطعام الذي يشبع (البطن) والمعدة.. ومن اجل ذلك رأيتُ السباعي لا يتردد في حب خادمته وطباخته وسيدة بيته ببرلين هليدا(حباً جاء) عن طريق بطنه او معدته..

وعندما وفد القائد العربي فوزي القاووقجي على برلين وشاركنا نحن الإثنين السيد السباعي في طعامه اللذيذ شعرتُ بدوري بأنّ (حبّاً) جديدا قد جاءني عن طريق بطني.. وتطلعتُ في وجه الآنسة (هليدا) فوجدته وجها يستحق (الشكر) فشكرتها (شكرا عربيا) كما يقول الصديق كامل مروة.. وهكذا شاركتُ السباعي في طعامه.. وفي حب هليدا!

وكم تمتعتُ بالأكل والشرب والحب.. على حساب السيد السباعي في خلال السنتين الأخيرتين من الحرب.. وبناءً على ما تقدم فإنني اشكره شكرا عربيا صادقا.. وليس كالشكر العربي الجزيل الذي شكرت به هليدا الجميلة!

مجلة الجهير...

في مطلع شهر أغسطس ١٩٤١ أصدرنا العدد الأول من مجلة الجهير وهي مجلة شهرية للاذاعة العربية من برلين، وقد تضمن العدد المقالات التالية: ١- الديموقراطية البريطانية والعرب!، وثيقة تاريخية مهمة ضد الشيوعيين، نجوى الملك الشهيد غازي، العلم والعلماء في المانيا الهتلرية!، حقيقة العلاقات العربية الانكليزية، مشروع مساعدة الشتاء النازي، شوقي والعقاد (صفحة أدب انتقادية، إنكلترا بلاء العالم!..، جمال الدين الأفغاني (تراجم)، برامج الاذاعات العربية من برلين!

زميل جديد..

عندما وقعتْ عينيّ النقادة على الدكتور حمدي الخياط الموصلي العراقي العربي الطالب في جامعة برلين العربية علمتُ تواً بأنّ هذا الشاب المتحمس المندفع بكليته للاضطلاع بمهمة(مذيع ومحرر) يستطيع ان يقوم بالواجب المفروض عليه بمهارة.. فلقد كان يقدم لي ادق التفاصيل عن البيانات والبلاغات الرسمية، وتسجيل الاذاعات العربية الاجنبية التي كانت تلتقط ساعة بعد ساعة بالتوالي.

والحق فإنّ حمدي الخياط كان شعلة ذكاء، يعرف ماذا اريد قبل ان اتكلم، ولكنه كان محبا للاطراء الى درجة متعبة.. فكان عليّ ان اثير فيه عاطفة الطموح والمثالية والتضحية، فما أن أتم عباراتي إلاّ ويندفع كالسهم لإنهاء العمل المنوط به بسهولة يحسده عليه الرئيس (تنابلة السلطان) البروفيسور فرج الله ويردي!

عبّو عيني..

إنّ حمدي الخياط المذيع والمحرر الجديد في اذاعتنا العربية (هو اليوم دكتور ويصدر مجلة اقتصاديات الشرق ـ اورينت ميركول ـ بمدينة كولن بالمانيا

بالعربية والالمانية واربع لغات غربية اخرى..) طروبا لعوبا.. وله مواقف تميت من الضحك مع الدكاترة الأماثل مأمون الحموي ورشاد الكزبري ومحمود الأمين واحمد عبد الرزاق..

لمّا رآني الدكتور الخياط واعني به حمدي اتخذ _ هنا برلين حي العرب _ شعارا لاذاعتنا العربية راح يقدح زناد فكرة لاختراع شعار مماثل (للاستهلاك المحلي) وليس للاذاعة.. فجاءني وهو يبتسم مختالا فخورا ثم قال اسمع يا ابا لؤي: عبو عيني!! هل اعجبك هذا الشعار ؟

قلتُ: أجل عبو روحي!! عبو عيني!

وكلمة (عبو) هي اختصار لكلمة عبد الله.. وهو تعبير آشوري بابلي قديم.. فأهل الموصل العرب، وكذلك الأكراد الاشاوس يستعملون هذا الاختصار في بعض الأسماء فيقولون لعبد الله، عبو، ويقولون لسليمان، سلو، ويقولون لعبد العزيز عزو، ولعبد المجيد، ججو، وهكذا دواليك!

لا شيوعية..

قام رجال بوليس (الغستابو) بحملة واسعة النطاق بين الأوساط العربية في خلال شهر كانون الثاني ١٩٤٠ بحثا وراء العناصر الشيوعية والمباديء الهدامة التي قيل انها قد انتشرت بين العرب من طلبة وغيرهم، وقد قمتُ بتحريات واسعة النطاق، وبحثتُ عن سوابق من عرفتُ من العرب في المانيا وفي النمسا. وكذلك عن نشاطهم الحاضر، فلم اجد بين الطلبة العرب، ولا شيوعي واحد! إنّ العرب الذين فضلوا البقاء في المانيا على العودة الى اوطانهم يوم ان دقت طبول الحرب لم يتاثروا بالمباديء الشيوعية التي كان سيل دعايتها ينهمر من اذاعة موسكو القوية باللغة العربية.. وكان من الطبيعي ان تبقى المباديء الهدامة الاخرى بعيدة عن الاوساط والمحافل العربية بُعْدَ السماء عن الأرض.. فالشيوعية كالطاعون ما دخل مكانا الا ونقل معه الأوباء والمصائب والويلات!

وطنيون عرب...

لقد لمستُ أنّ جُلّ العرب الذين كانوا معنا في المانيا والنمسا وبقية الأقطار العربية، اللهم إلاّ باستثناء فرنسا.. كانوا من الوطنيين العرب الذين فاخروا ويفاخرون بوطنيتهم العربية التي مازادتها مظاهر الاشتراكية الوطنية الهتلرية إلاّ اشتعالا.. ولكن بعض الذين بقوا في فرنسا قد تلوثوا بالمباديء الشيوعية وبالمفاهيم الهدامة المخربة الأخرى.. ومن اجل ذلك فإننا صرفنا النظر عن التعاون مع جُلّ العرب الموجودين في المانيا وايطاليا والبلجيك وسويسرا. كان التجاوب المستحب الذي لمسته من الاخوان العرب القاطنين في الاقطار الغربية الانفة الذكر مدعاة للاعتزاز والفخر، فلقد اظهر جلهم ميلهم الاكيد للتعاون معنا حقا ام باطلا.. وصار لسان حالهم يقول: انصر اخاك ظالما او مظلوما!

ولعل من الواجب ان اذكر بأن جل العرب الذين تعاونوا مع الحزب الشيوعي بفرنسا او انخرطوا في عضوية الحزب، لم يفعلوا ذلك لاعتقادهم بان الشيوعية من المذاهب المفيدة للانسانية. او انها مفخرة من مفاخر العصر الحديث، بل فعلوا ما فعلوا نكاية بفرنسا المستعمرة. وتشفيا من الغرور الاستعماري اللاتيني الذي لا حدّ له ولا عدد!

ولنأخذ مثلا الزعيم الجزائري المعروف مصالي الحاج، فهو لم ينضم للحزب الشيوعي الفرنسي إلاّ لاعتقاده بأنّ هذا الحزب، هو حزب يساعد الجزائريين على نيل الحرية والاستقلال من فرنسا المستعمرة الغاشمة وهذا برهان قاطع على ان العقيدة الشيوعية لم تتغلغل في النفوس لمجرد كونها عقيدة شيوعية.. بل كانت وسيلة لمكافحة الاستعمار وتحدي القوى الاستعمارية المسيطرة!



أنطون سعادة



إنطوان سعادة في قفص الأتهام سنة ١٩٤٩ وقبل إعدامه بأيام قليلة

السوريون القوميون...

كنتُ في برلين عندما وفد عليها زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي المرحوم انطون سعادة.. وكانت علاقتي به ترجع الى سنوات عديدة سبقت الحرب العالمية الثانية الكبرى حيث تعاونت مع والده الدكتور خليل سعادة في سان باولو بالبرازيل حيث كان يحرر في صحف عربية.. وكنتُ معه على وفاق تام في فكرته وفي المرامي التي يرمي اليها والده الحكيم الذي استحوذ عليّ، واخذ بمجامع قلبي، فلقد كان يرمي فيما يكتب ويخطب الى الوحدة السورية اولا ثم الوحدة العربية التامة الشاملة.. وكان يتدفق حكما باللغة في سبيل الوحدة العربية والاستقلال العربي التام الناجز.. وعلى هذا الاساس استقبلتُ الزعيم السوري القومي المرحوم انطوان سعادة في برلين قبيل الحرب العالمية الثانية.. وبالنظر للصلة الوثيقة التي كانت تربطني به وبوالده المرحوم الدكتور خليل سعادة فلقد حرصتُ على أن أقدّم للحكومة الالمانية الهتلرية صورة صادقة عن الحزب السوري القومي الاجتماعي وعن زعيم هذا الحزب.

جاء انطوان سعادة الى برلين وهو يحمل قلبه على يده.. ولسانه يعبر عما في ذلك القلب الكبير من عواطف واحاسيس كان يصورها لنا بعبارات مقتضبة وهي ان قضية الوطن السوري يجب ان تسبق قضية الوحدة العربية.. فالوحدة العربية لن تستكمل اخراجها الا بعد وحدة سوريا، سوريا الكبرى بما فيها لبنان وسوريا وفلسطين والاردن والعراق والكويت..

هتلر يكرم سعادة..

إنني كعربي قومي كنتُ ولا أزالُ أحترمُ الإجتهاد في الآراء والمبادئ القومية.. فالزعيم انطوان سعادة وإن كان يختلف معي في المبدأ وفي الرأي حول قضية العروبة، إلاّ انني كنتُ احترم وجهة نظره في قضية سوريا الطبيعية والهلال الخصيب لأنها وجهة نظر عاقلة قابلة للتنفيذ اكثر من الوحدة العربية الشاملة في عهدنا الحاضر.. او بمعنى اكثر وضوحا أنّ هتلر وقادة النازية كانوا يقرون

بوحـدة سـوريا الطبيعيـة او الهلال الخصيـب.. وكان هتلر يعـترف صراحة بأنّ الفكـرة العمليـة لإيجاد كتلـة قوية في الشرق الاوسـط لا مندوحة لهـا من اقرار فكـرة الوحدة السـورية اولا، ثـم التفرغ الى الدعاوة الواسـعة النطـاق للوحدة العربية الكبرى! وهكذا فإنّ الوحدة السـورية صارت اساسـا للوحدة العربية، بـل صـارت في نظر هتلر الخطوة الأولى لجمع شـتات الأقطـار العربية التي كان يسميها الدكتور غوبلز ببراعته المعروفة (دول الفسيفاء..)

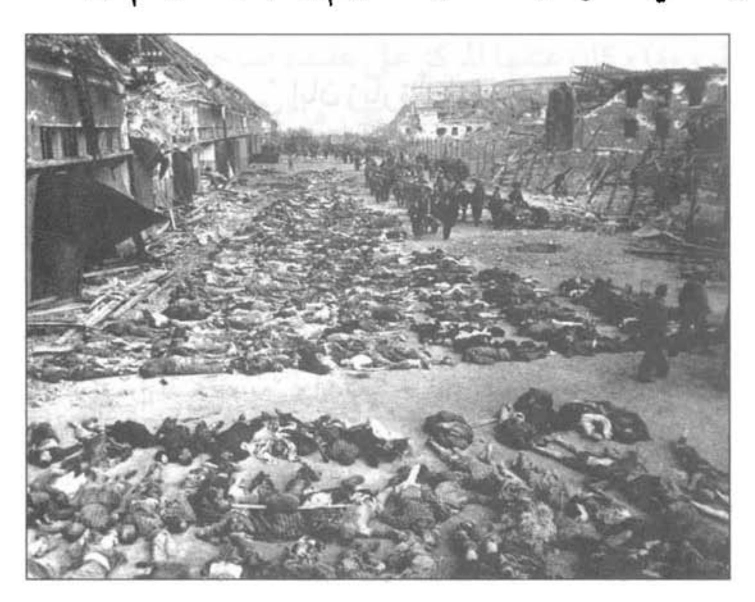
لقـد كان الدكتور غوبلز يعتقد إعتقادا راسـخا بأنّ الوحدة العربية المنشـودة غـير قابلـة التطبيق بالنظـر للحزازات الشـخصية بين زعماء العـرب الإقطاعين الأنانيـين المغروريـن وبين الملوك العـرب.. فـفاروق كان لا يريـد اتحاد العراق مـع سـوريا.. ولا يريد اتحـاد الاردن مع العراق.. وكان يكـره الملك عبد الله بن الحسـين الهاشمي لأنه يدعو لتأليف دولة سوريا الكبرى او بعبارة أخرى الهلال الخصيب!! ويغارُ من ولي عهد العراق سـمو الأمير عبد الإله بن علي آخر ملك هاشمي حكم الحجاز.

لقـد أقرّ هتلر الزعيم انطوان سـعادة في وحدة سـوريا الطبيعيـة.. او بالتعبير الأقـلّ تواضعا (الهـلال الخصيب) ولمّـا جـاء الصديق انطوان سـعادة الى برلين أوضحـتُ لـه وجهة نظر الزعيم هتلر فقال لي:أنّ قصة سـوريا شيء.. والوحدة العربية شيءآخر.. ثم قال سـعادة أنّ فكرة سـوريا الطبيعية من الأمور الطبيعية وأنـني أقُـــرّ هتلر عـلى موافقته عليها! قلتُ: ولكننـي أرى أنّ هذه الفكرة تثير العالم العربي علينا وتجعل دنيا العرب تثور ضدنا بوصفنا نعمل في سـبيل إنشـاء وطن قومي غير عربي! يعني الوطن القومي السوري الفينيقي!!

الألمان يتهمون اليهود بالمغالطة والفجاجة

في قراءة التأريخ ..

قال الدكتور غوبلز أننا اذا اردنا ان لا نغالط التأريخ ونفتري على الحقيقة فلا بد لنا من التسليم بأنّ الفينيقيين كانوا عربا.. وبأنهم من الشعوب المتحدرة من أصل عربي.. ولكن التوراة التي صورّت لنا ابناء اسماعيل واحفاد اسحق من الأب ابراهيم لم توضح لنا بأنّ اصل اليهود هم من ابناء ابراهيم الذي يعتبر في وجهة النظر اليهودية بأنه إسرائيل الأول.. خاصة وأنّ الهكسوس (الرُعاة) كانوا عربا أصليين من فلسطين حكموا مصر في الحلقة السادسة والسابعة من حكم الفراعنة في مصر حيث أقاموا الأهرام وشيدوا آثارهم فيها!



صورة لبقايا مجازر بشر من اليهود الألمان... إرتكبها النازيون...

يضيف يونس بحري قائلا في مذكراته ..

كنتُ في برلين عندما وفد المرحوم أنطوان سعادة على عاصمة الرايخ الثالث، وبالنظر للصداقة القديمة التي كانت تربطني بوالده المرحوم الدكتور خليل

سـعادة في البرازيل وبأنطوان سعادة نفسـه فكان من الطبيعي أن اقوم بالواجب نحـوه فمهـدتُ لـه كل الوسـائل اللازمة لتسـهيل مهمتـه، وكان ممثـل الحزب السـوري القومـي في برلين السـيد مصـون عابدين وهـو من دمشـق. كان هذا الشـاب من أنشط العاملين للتبشير بمبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي وتعريفها للقادة النازيين.. وقد أدّى لزعيمه سعادة أجلّ الخدمات في برلين.

كثر اللغط حول زيارة أنطوان سعادة برلين، وتعددت الإشاعات والأقاويل حول اتصالاته بالقادة النازيين، حتى أنّ الدعاية الاستعمارية الفرنسـية راحت تكيل لسـعادة التهم جزافا زورا وبهتانا زاعمة بأنّ أنطوان سـعادة قد قبض من هتلر (اموالا طائلة) لتقوية الحزب السـوري القومي الاجتماعي ودعم مبادئه في الشرق العربي!!

هتلر يؤيد سعادة...

لقـد كنتُ شـاهد عيان حـيّ إبان زيارة أنطوان سـعادة برلين، وقد سـجلتُ جميـع اتصالاته بالقادة الألمان والنازيـين.. ومن اجل ذلك فإنني لا اذيع سراً اذا قلتُ بأنّ زعيم الحزب السـوري الصديق انطوان سـعادة لم يقبض فلسـاً واحداً لا مـن (الزعيـم) هتلـر ولا مـن أي جهة اخرى بـل أنّ أنطوان سـعادة دفع من ماله الخاص حسـاب الفندق الذي نزل فيه.. نعم إنّ قادة الحزب النازي أكرموا وفادة زعيم القوميين السـوريين واستقبلوه اسـتقبالاً حافلاً بالحفلات والمآدب ونوهّتْ الصحف والاذاعات الالمانية بقوة شخصية أنطوان سعادة ونظام حزبه الذي كان الاول من نوعه في البلاد العربية من حيث غايته واهدافه وهي توحيد اكبر مجموعة من بلاد الجزيرة العربية.. وهذه النقطة الجوهرية الحسّاسة في نظام حزب سعادة هي التي اعجبت هتلر بالذات، الأمر الذي حمل القادة الالمان على دعم إعجاب هتلر بالإكثار من الحفاوة بانطوان سعادة..

جريدة الحزب السوري القومي الإجتماعي...

لما اشـتعلت نـيران الحرب العالمية الثانيـة، منع الدكتور غوبلـز وزير الدعاية

الهتلريـة دخول جُلّ الصحف العربية الصادرة في مصر وفي بعض البلاد العربية بإعتبـار أنّ هـذه الصحـف كالمُقطّم في مصر والسـعادة في مراكـش والنجاح في الجزائر والنهضة في تونس وطرابلس الغرب في ليبيا والبشير في لبنان، وفلسطين في فلسـطين والكفاح في دمشق، والأوقات العراقية في بغداد.. منعها من دخول المانيـا باعتبارهـا مـن الصحف التـي تسـاير الفرنسـيين والانكليـز والطليان.. ولكن الدكتور غوبلز أصدر امراً بالسـماح لجريدة الحزب السوري القومي التي أصدرها أنطوان سعادة في سان باولو بالبرازيل ان تباع في اسواق المانيا عامة وفي برلين خاصة.. فكانت الجريدة العربية الوحيدة التي تقرأ بانتظام في برلين الى أن اعلنت البرازيل الحرب على المانيا في سنة ١٩٤٣.

كانت جريدة الحزب القومي السـوري تكتسـح اسـواق المانيا الهتلرية، وهي تدخـل بيـت كل عربي لا لأنها الجريـدة التي آمن العـرب بمضامينها بل لكونها جريدة (مقروءة) وكان عنفها المركز على عقيدة صاحبها يذيع انتشارها، ناهيك عن النشاط المستحب الذي كان يبديه محررها المرحوم الصديق وليم بحليس.

مجلة الجهير...

عندمـا أسّسـتُ اذاعـة برلـين العربية لم يكن لـديّ الوقت الـكافي وانا اعمل وحيـدا للتفكـير في نـشر جريدة او مجلة تكون لسـان حـال الاذاعـة العربية من برلـين.. فتنـشر برنامج الاذاعة واهم الانبـاء والبلاغات الرسـمية والتعليقات السياسـية التي كنا نشـنف بها اسـماع العرب. فتبهتُ الكُفّـار بالمبـاديء العربية القومية.. وتُصلي المسـتعمر الغاشـم نيرانا حامية.. وتأخذ بيد العرب المظلومين الذين اذاقهم الاستعمار صنوف الذلّ وانواع الامتهان..

ولمـا كثـر الرفاق في العمـل معنا صمّمنا على سـدّ النقص الكائـن في اذاعاتنا فقررنا اصدار مجلة تصدر مرة في مطلع كل شهر على أن يكون اسمها الجهير!!

وكانت الجهير في الواقع عند حسن ظن القاريء العربي من حيث قوة التعبير والاخراج سـواء في المادة السياسـية او صور الانتصـارات الصاعقية الجبارة في

مختلف الجبهات والميادين.

بريد الشرق...

وبعد عام من صدور مجلة الجهير لسان حال الاذاعة العربية من برلين اصدر الصديق الدكتور كمال الدين جلال مجلة عربية ثانية في برلين أسماها (بريد الشرق) وكانت خفيفة الظل غير أنها تحررت أكثر من مجلة الجهير الرسمية المتقيدة بالديبلوماسية الالمانية الهتلرية التي فرضها عليها رجال فون ربينتروب وزير خارجية الرايخ. وكان الدكتور منزل مراقب الاذاعات الشرقية بوزارة الخارجية الالمانية (وهو اليوم مستشارا لسفارة المانية في احدى العواصم العربية) يسيطرُ على مقالات الجهير السياسية فلا ينشر إلاّ ما يعجبه هو.. او ما يظن بأنّ حسن إختياره في النشر قد يعجب أسياده ورؤساءه بوزاررة الخارجية الالمانية!

وهكذا (قيّد) الدكتور منزل مجلة الجهير، وجعلها عرجاء، تمشي على ثلاثة كمشية العرنجل!

كانت مجلة بريد الشرق منتشرة في مختلف اقطار المغرب العربي، وقد سبب نقلها في الطائرة لها الذيوع الذي استحقه..

الديغوليون يتذمرون..

لقد سببّتْ مجلة بريد الشرق التي كانت تنشر برامج الاذاعة العربية من برلين تذمر الحركة الديغولية في المغرب العربي، فلقد نبّهت من لم يكن قد استمع بعد الى اذاعتنا العربية لكي ينصت الينا صباح ومساء كل يوم ..!

وانصبّتْ علينا الرسائل والمقالات والقصائد من مراكش والجزائر وتونس.. الأمر الذي زاد في عملنا وجعلنا نفرد للمغرب العربي قسماً خاصاً في اذاعتنا حملنا على أن تخصص ساعة لإذاعة خاصة بالغرب العربي..

وقد إختارت وزارة الخارجية الالمانية مستشرق الماني، وهو نازي متعصب، ركب العناد رأسه، وصار علينا عبئاً ثقيل الظلّ قاتله الله إن كان حياً ام ميتاً..

أجل إختاروا لنا الدكتور فيشكيل ليكون مراقبا للاذاعة العربية الموجهة الى المغرب العربي.

اذاعة باللغة الدارجة...

كان اول عمل حاول القيام به الدكتور فيشكيل في الاذاعة الموجهة الى المغرب العربي أن اقترح الاذاعة باللغات الدارجة في المغرب العربي.. وكانت نتيجة هذا الاقتراح، أنني طردتُ الدكتور فيشكيل من مكتب الإذاعة العربية!

وجاء الدكتور منزل يحاول اقناعي بلزوم تنفيذ اقتراح الدكتور فيشكيل للاذاعة باللغة الدارجة! قلتُ: أنّ هذا مستحيل!

قال: ولكن وزير الخارجية نفسه قد أمر بهذا...!

قلتُ: لا اقبل الاذاعة الا باللغة العربية الفصحى.

قال: ولكن المغاربة لا يفهمون العربية الفصحى كلهم!

قلتُ: ان قولك هذا افتراء على الحقيقة والواقع!

قال: ان المعلومات الرسمية التي لدينا تؤيد وجهة نظرنا..

قلتُ: أنّ هذا ما يقوله المستعمرون الفرنسيون!

قال: لماذا ؟

قلتُ: لأنّ الفرنسيين هم الذين يريدون فرض اللغات الدارجة في بلاد المغرب العربي بغية إبادة اللغة العربية الفصحى، وبالتالي اضعاف الشعور العربي القومي، وخنق الحرية وروح الاستقلال في نفوس ابناء المغرب العربي البواسل.

قال: أنك تغالي يا استاذ!

قلتُ: اذا كان التغالي في التمسك بالقومية العربية هو عيب فأنا سأبقى كذلك حتى النفس الأخير!

قال: والنتيجة ؟

قلتُ: أنني لن اقبل الاذاعة إلاّ باللغة العربية الفصحى وبالأسلوب الذي اختاره..

قال: انك تريد ان تحدث لنا مشاكل ديبلوماسية...!

قلتُ: من أي نوع ؟

قال: مشكلة ديبلوماسية!

قلتُ: مع من ؟

قال: مع حكومة فيشي.. حكومة المريشال بيتان!

قلتُ: هل تسمح أن تقول لي من هو الذي يحكم من ؟ هل أنّ المريشال بيتان هو الذي يحكم المانيا ؟ ام هتلر.. يعني المانيا ؟

قال: أنني لستُ مستعدا للتحدث في هذا الموضوع..

قلتُ: وأنا لستُ مستعدا للاذاعة باللغات الدارجة في المغرب العربي.. كما أنني لست على إستعداد للسماح لكم بالاذاعة من اذاعتنا العربية.

قال: إذن سنفصل بين الاذاعتين!

قلتُ: إفعل ما يحلو لك.. أما هنا في الاذاعة العربية، فإنني المسؤول الوحيد عنها! اما في خارج مكاتبنا فأنتم الاحرار السادة النجب!!

قال: سنؤسّس إذاعة خاصة موجهة للمغرب العربي من راديو (مونديال) في باريس!

قلتُ: إذن لا سبيل لمشكلة ديبلوماسية والحالة هذه...!

قال: لقد كان الأفضل أن نذيع من برلين..

قلتُ: (ناين) يعني.. لا!!

وانصرف الدكتور منزل وهو يحرق الأرم غيظا..

ناقوس الخطر ..

لقد كنتُ أول من دقّ ناقوس الخطر للتحذير من شرور وآثام الزعماء والمتزعمين في دنيا العرب من اذاعة قصر الزهور الملكي ببغداد، تلك الاذاعة العربية الحرة التي أسّسها الملك العربي العظيم الخالد غازي الأول عاهل وادي الرافدين رضي الله عنه ورضي العرب طراً عنه، ثم من الاذاعة العربية التي أسّستُها في برلين، فأصليت اذناب الإستعمار وسماسرته وانصاره في الشرق العربي والمغرب العربي وناصرتُ الحركات التحريرية في الهند وايران والبلاد الاسلامية في روسيا الشيوعية وفي الشرق الاقصى بما في ذلك جزر الهند الشرقية (هندونيسيا).

كنتُ اختارُ الزعماء والقابضين على أعّنة الحكم في العالم العربي، فأعطي كل واحد منهم ربع ساعة في حديثٍ مُسهبٍ يجمع الى سياسته التي تسير عليها في ركاب الاستعمار تحليلاً دقيقاً لشخصه (الكريم) فأمسخه قرداً واجعله أمثولة تتحدثُ عنها الركبان...!

عبد الرحمن الشهبندر...

كان اول شخص ركزتُ عليه الحملة قبل نشوب الحرب بثلاثة اشهر المرحوم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الزعيم السوري العربي المعروف.. فلقد كان رحمه الله خطيبا مُصعقاً وعلاّمة جليل القدر واسع الإطلاع وكان وهو على رأس كتلته السورية يؤلف خطراً مباشراً على المانيا الهتلرية في قطاع يعتبر مركز الثقل في دعايتنا العربية!!

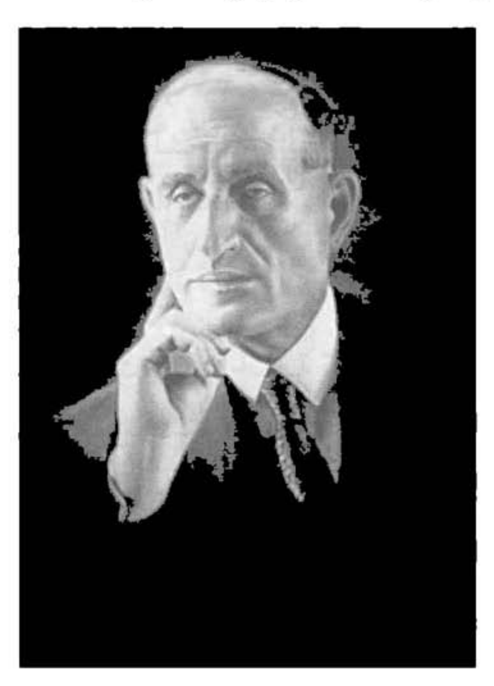
فسوريا ولبنان بالنسبة لألمانيا كانا ولا يزالان من أهم مناطق الدعاية والتبشير في دنيا العرب، الأمر الذي استغلتهما دعاية الحلفاء ضد هتلر وضد الحركات النازية التي كانت تناهض اليهودية العالمية وتناصبهما العداء في كل مكان عامة، وفي فلسطين خاصة..

من أجل ذلك رأيتُ في قوة شخصية الدكتور الشهبندر وتأثيره في سوريا

ولبنان وفلسطين وشرق الاردن أمراً أوجد لدعايتنا ضد الحلفاء (صداعاً) وتشويشاً لا يُستهان به..

نعم أنّ العراق العربي لم تكن تؤثر فيه دعاية الزعيم عبد الرحمن الشهبندر بأي ضر للخصومات السياسية التي كانت مزمنة بينه وبين اقطاب السياسة العراقية العربية.. ولكن الشهرة الشعبية التي كانت للشهبندر في العراق لا يمكن نكرانها!

وقد إستغلت بريطانيا وفرنسا تأثير الشهبندر على الرأي العام خاصة وأنّ الشهبندر كان حديث العهد في المقام في سوريا ولبنان بعد أن سمحت له فرنسا بالعودة الى بلده دمشق من منفاه الطويل في القاهرة..



الزعيم السوري المناضل والعالم عبد الرحمن الشهبندر

حانوت الضباع ..!

تلقّتْ المحافل العربية في مصر وسوريا حملتي العنيفة المركزة المنظمة على الشهبندر بكثير من الدهشة والذعر، فلقد أخذتُ الشهبندر وكتلته على حين

غُـــرّة.. وبصورة مفاجئـة.. ولم أدع لهم ولصُحُفهم المجـال للتهجم على اذاعة برلين العربية عامة، وعلى شخصي (الكريم) خاصة فكالوا لي الشتائم والسباب من العيار الشامي الثقيل!

ولكنني مع ذلك كنتُ مؤدباً مع الزعيم الشهبندر ولم أتفوه ضده بكلمة نابية فيها تجني على شخصيته، على أنني مسختُ سياسته (الإيجابية) مع الحلفاء أعداء المحور الذين كانوا يستعمرون جُــلّ البلاد العربية..

واذكـرُ كيـف أنّ جريدة النضال التي كانت تصدرُ يومئذ في دمشـق كلسـان حـال للزعيم الشـهبندر وحزبـه، وكان يشرف عـلى تحريرها الصديـق الدكتور منير العجلاني السياسي السوري العربي الكبير هاجمتني وهاجمت اذاعتنا العربية في برلـين بمقال افتتاحي طويـل بعنوان (حانوت الضبـاع) وبقلم الدكتور منير العجلاني نفسـه! وقد تفضل أحد الأصدقاء في دمشـق فبعث إليّ بالمقال المذكور آنفا، فأعجبتني مضامينه.. لأنني لمستُ(بالرغم عن إنتهاك حرمتي.. فيه) الأثر العميق الذي تركته إذاعاتي القوية في نفوس الرأي العام العربي..

لقـد كنـتُ أؤيد سياسـة فخامة السـيد شـكري القوتلي التي كانـت تعارض سياسـة الدكتـور عبـد الرحمن الشـهبندر وأرى في سياسـة القوتـلي مناط الأمل في تحرير سـوريا ولبنان من نير الاسـتعمار الفرنسي، وهكذا فإنني بدعايتي ضد سياسـة الشهبندر قد خدمتُ المصلحة العربية القومية التي يرمي اليها القوتلي.. وأضعفتُ دعاة السياسة الإيجابية للتعاون مع الحلفاء.

كان النضال بالغاً اشـده بيننا وبين كتلة الشـهبندر عندما ألقتْ السـلاح أمام هتلـر وفي اليـوم الذي وقعت فيـه الهدنة بين المانيا وفرنسـا اوقفـتُ الحملة على الدكتـور عبـد الرحمن الشـهبندر وركزتُها على السـيد جميل مـردم، بإعتبار كونه هـو الآخر من دعاة السياسـة الايجابية مع بريطانيا وفرنسـا.. لقـد قيل لي آنذاك في برلـين كيف تهاجم السـيد جميل مردم وهـو زميل للقوتـلي في الكتلة الوطنية السورية العربية..؟!

قلتُ أنني أحترم القوتلي وأجُلّ الكتلة الوطنية السورية العربية. ولكن حملتي على السيد جميل مردم هي حملة قائمة بذاتها لا علاقة لها بالقوتلي ولا بكتلته، وأنا في حملتي على السيد مردم إنما اريد ان انقذ الكتلة الوطنية والسيد القوتلي نفسه من خطر هذا السياسي الداهية الذي لا يفوقه في القوة والدهاء السياسي إلاّ فخامة السيد نوري السعيد..

في النادي العربي ببرلين...

قبل اندلاع نيران الحرب بشهرين كان الدكتور فريد زين الدين يزور برلين.. والدكتور زين الدين هو اليوم سفير سوريا بواشنطن ومندوبها الدائم في هيئة الأمم المتحدة، وكنتُ معه على خلاف دائم بسبب انتصاره لسياسة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وتحامله على سياسة المغفور له أمير البيان الأمير شكيب أرسلان منذ أن كان الدكتور زين الدين يدرس بمدارس العراق في سنة ١٩٣٤..

وفي ذات يوم دُعينا الى النادي العربي لحضور حفلة استقبال اقامها النادي لبعض ضيوف برلين العرب..

كان النادي يعجّ بالزائرين، وأخصّ بالذكر الدكتور صائب شوكت عميد نادي المثنى العربي ببغداد والأستاذ عبد القادر صالح القائم بأعمال المفوضية العراقية ببرلين، والأستاذ المجاهد درويش المقدادي والدكاترة بديع شريف وعلي الصافي وعبد الحميد الهلالي وفريد زين الدين ورشاد جاسم ورشاد الكزبري ومأمون المحوي. وبعد أن تناولنا الشاي أعطيتُ الكلمة للدكتور فريد زين الدين باعتباره أحد ضيوف الشرف.. فما كان من الدكتور زين الدين إلاّأن راح يغمز من قناتي.. بالتهجم على سياسة الأمير شكيب أرسلان وتأييد سياسة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر.. ثم أخذ يلومني على إذاعاتي ضد من يدافع عنه!

الصاع كيلاً... وزيادة...

تمالكتُ أعصابي بصعوبة ظاهرة.. وكانت الأنظار متجهة نحوي، والدكتور

علي الصافي يتغامز مع الدكتور عبد الحميد الهلالي بانتظار ردّ الفعل الذي أحدثه تهجم فريد زين الدين على الأمير أرسلان وعليّ!

انتهى الدكتور زين الدين من حديثه.. أو بعبارة أصّح تجنّيه ومغالطته.. فلقد كان جنابه ولا يزال بارعاً في التجني على من يختلفون معه في الرأي..!

على أنّ هذا لا يمنعني من تقدير مواقفه العربية اليوم من اليهودية في امريكا وفي فلسطين العربية المحتلة من اليهود شُذاذ الآفاق المجرمين.. وتأييده لحقّ الجزائريين المجاهدين في الحرية والاستقلال..

أعطيتُ الكلمة.. وكم كانت دهشة القوم بالغة عندما سمعوني أتكلم بهدوء، مُفنداً اقوال الدكتور فريد زين الدين عبارة فعبارة.. فاستعدتُ حقّ الأمير شكيب أرسلان، وبرهنتُ على أنّ السياسة الإيجابية التي يقوم بها الدكتور عبد الرحمن الشهبندر هي سياسة لا تضرّ بسوريا ولبنان فحسب بل بالعروبة جمعاء.. لقد انتزعتُ التصفيق والإعجاب انتزاعاً من الحاضرين او السامعين، وكان جُلهّم من تلامذة الدكتور فريد زين الدين من بغداد.. فسجلتُ نصراً جديداً ما كان ليحصل لو لم يباديء الدكتور زين الدين بالتجنّي! وهكذا كُلتُ لهم الصاع كيلا وزيادة!

نحنُ والوفد المصري ..!

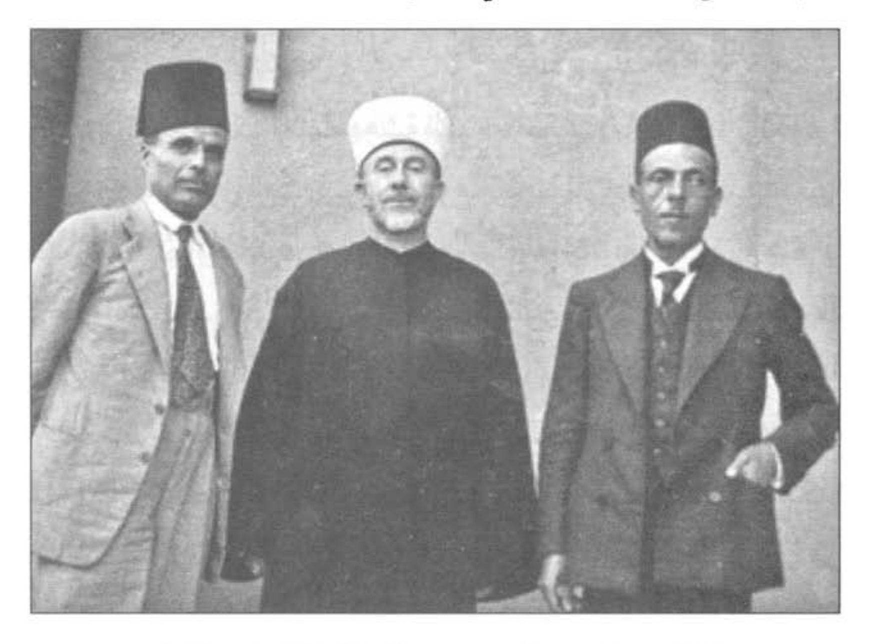
كانت سياسة (ويلهلم شتراسه) ووزارة خارجية الرايخ ترمي بثقلها لتأييد سياسة حزب الوفد المصري وعلى رأسه زعيم الوفد السيد مصطفى النحاس..

على انّ هذا التأييد الالماني لم يكن قائماً على أُسُسٍ واضحة معينة، بل كان تأييدا معنويا مطلقا، اذ لم تكن هناك صلات مباشرة بين الخارجية الالمانية والوفد المصري الذي كانت برلين تعتبره اكبر حزب في مصر وفي بلاد الشرق العربي!

ولقد اوصاني الدكتور غوبلز في اول اسبوع من شروعنا ببث اذاعتنا العربية بلزوم تأييد سياسة الوفد المصري، وبث دعاية قوية لتمجيد اعمال زعيم الوفد.

وحثه وتشجيعه بعناد واستمرار على معارضة الانكليز في مصر والسودان.. وإحباط مشاريعهم الاستعمارية في وادي النيل.

أمّا أنا شخصيا فكنتُ أؤيد حزب الأحرار الدستوريين، وإن لم أكن ضدّ الوفد بالمعنى الصريح، ولكنني كنتُ معجبا بالرجل الطيب القلب الزعيم مصطفى النحاس، ولكنني كنتُ ضد سياسة محمود فهمي النقراشي، لأنني كنتُ أعتبره رجل الانكليز الاول في مصر منذ سنة ١٩٣٣.



صورة الحسيني مع الحبيب بورقيبة والنحاس في باريس

قصتي مع النقراشي ..!

أجل كنتُ أعتبر محمود فهمي النقراشي الدعامة الاولى التي إرتكزت عليها بريطانيا في وادي النيل منذ عام ١٩٣٣.. واذكرُ على سبيل المثال الحادث التالي الذي وقع لي معه في القاهرة... كنتُ أكتبُ مقالات متسلسلة أسبوعيا في مجلة (السياسة) لسان حال حزب الأحرار الدستوريين لصاحبها ورئيس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل.. وكانت مقالاتي هذه تنشر على الغلاف الأخير من المجلة وهي أبحاث سياسية واجتماعية عن رحلاتي التي كنت اقوم بها حول

العالم بعنوان (سوانح سائح)!

وفي شهر كانون الثاني ١٩٣٣ كتبتُ مقالا عن الشباب الهتلري وعن شباب الاحرار الدستوريين وقارنت بين الحركتين وقلتُ أنّ بريطانيا لا تنظر بعين الارتياح الى وجود حركة شباب متحررة في وادي النيل:

وبعد يومين من نشر المقال جاءني الصديق الأستاذ علي عامر وكان محرراً بجريدة السياسة وقال لي أنّ الاستاذ الكبير محمود فهمي النقراشي رئيس حزب الوفد المصري يريدُ مقابلتي في مركز حزب الوفد. قلتُ أنني أستغربُ هذه الدعوة اذ لم يسبق لي شرف التعرف بهذا السياسي المصري الخطير! قال انه يريد التعرف اليك..

كيف طردني النقراشي...؟!

واصطحبني الصديقان الاستاذان علي عامر، وعبد الصبور قابيل الى مركز حزب الوفد.. ولم يطل الانتظار اذ لم نصل حتى ادخلنا على السياسي المصري الكبير محمود فهمي النقراشي سكرتير حزب الوفد المصري الذي كان واقفا الى جانب مائدة ضخمة فاستقبلنا بسيل منهمر من الشتائم!! وراح يصّبُ علينا وعلى آبائنا واجدادنا شآبيب اللعنات باسلوب(شارعي) برهن فيه على أنه (دكتور في السبّ والشتم من جامعة الأزبكية..) في القاهرة! وقبل أن أتفوّه بكلمة واحدة هجم على الاستاذ عبد الصبور قابيل وصفعه.. ثم التفتَ إليّ وهو يصيح بأعلى صوته كالبعير الهائج.. سائح.. ؟! يعني سائح إيه.. وعراقي برضو..؟!! وأردف قائلاً أو صائحاً بلهجته الخالية من الأدب: أنت بتتدخل بسياسة هاذا البلد ليه..؟!

قلتُ: معاذ الله يا أفندم انا لم أتدخل!

قال: إخرس ياواد ما تزعقش كدا..

قلتُ: حاضر!

قـال: السـفارة البريطانيـة كلمتني أمبـارح وهم زعلانين مـن مقالاتك ضد الانكليز.

قلتُ: أنني لم أكتب ضد الانكليز..

قال: إخرس ياواد.. أنت عاوزني أصدقك واكذب الانكليز!

قال بلهجة الآمر وهو يصيح: اطلعوا برا يا... ولاد الكلب. اخرجوا قبل أن أكسّر راسكو بالنعال...!!

وخرجنا من لدن هذا السياسي الوفدي المُهذب، ذو الخلق الرضي!



الملك فاروق الأول يستقبل محمود فهمي النقراشي باشا بعد تشكيله الوزارة



محمود فهمي النقراشي باشا يحتضن طفله البكر هاني

غوبلز والحقيقة...

قصصتُ على الدكتور غوبلز قصتي هذه مع محمود فهمي النقراشي وأفهمته بأنّ سياسة هذا الرجل قد بقيت على حالها لم تتبدل.. وبأنّ سياسته الايجابية مع بريطانيا كانت اقوى واشد من سياسة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وسياسة جميل مردم مع الفرنسيين والبريطانيين، فلقد كان النقراشي وصاحبه مندفعين في تأييد سياسة الحلفاء ضد المحور.. حتى أنّ النقراشي لما صار وزيرا للداخلية بوزارة النحاس (باشا) في الأشهر الأولى من الحرب أمر بوليسه السياسي بمراقبة جميع الشباب الذين درسوا في المانيا الهتلرية باعتبار كونهم (مُلوثين) سياسياً لتعاونهم مع النازيين ..!

وقد رأينا كما سلف وعرضت في مُستهل هذا الكتاب، كيف أنّ محمود فهمي النقراشي شدّد على الدكتور كمال الدين جلال الخناق

وقيّد حريته عندما كان مديرا لدعاية بنك مصر، حتى أكرهه على الخروج من بلاده مصر والعودة الى المانيا!!

إنّ موقف النقراشي هذا من الدكتور كمال الدين، كان موقفا من مواقفه مع مِمّن كانوا في المانيا.

وفي الحقيقة فإنّ الموقف العدائي الذي وقفه النقراشي من المانيا والمحور كان هو الموقف عينه الذي وقفه خَلَفَهُ في وزارة الداخلية الأستاذ فؤاد سرج الدين..

أخبرتُ الدكتور غوبلز بهذه الحقيقة، فقال أرجو أن تكتب لي تقريراً عن هذا الوضع لأتخذ قرارا رسميا يطلق لك حرية التصرف والقول في اذاعتك من ناحية سياسة هؤلاء الاشخاص في مصر!



السياسي المصري أحمد ماهر باشا شقيق علي ماهر باشا

أحمد ماهر...

وضعتُ التقرير الذي أمر بوضعه الدكتور غوبلز فأجملتُ فيه الوصف مع إبداء رأيي الشخصي عن السياسة والمعارضين للمحور والمتعاونين مع البريطانيين في مصر. وقد يكون من المفيد أن انشر في هذه العُجالة مُلخصّ ذلك التقرير الذي وضعته ليقف العرب اليوم على رأي عربي في سياسّي مصر العاملين في ركاب الحلفاء!!

لقد كان أول سياسي مصري توليتُ شرح حقيقته هو الدكتور أحمد ماهر الشقيق الأصغر والأسمن (للأستاذ) علي ماهر.. فلقد فضّلتُه على سواه من محترفي السياسة المصريين (سابقاً) لعلمي بأنّ الدكتور ماهر هو أقوى وأعنف سياسي مصري، وفي الوقت نفسه كان يتمتع برباطة جأش وهدوء تامين، وكان يضبط أعصابه بصورة تدعو إلى الإعجاب.. وليس كزميله محمود فهمي النقراشي الذي كان يثور كالثور في حلبة صراع الثيران.. يثور عندما يرى اللون الأحمر..!

واللون الأحمر في نظر النقراشي كان الرجلُ الذي لا يماشي سياسته البريطانية قبل الحرب العالمية الثانية وفي خلالها..

كان الدكتـور أحمد ماهر يختلف عن شـقيقه علي ماهر في العمل السـياسي، فأحمـد ماهر يطيبُ له أن تتحدث الصحـف البريطانية عن مواهبه.. وكم من مرة ذهب الى السـفارة البريطانية ليري سـكرتيرها الشرقي مُجمل ما كنا نذيعه عنـه من اذاعتنـا العربية ببرلـين.. وكان يزهو إعجابا أمـام الانكليز بحصوله على شرف حملتنا عليه.. كل ذلك في سبيل خدمة الحلفاء.. أمّا علي ماهر فكان يتظاهر (على العكس من شـقيقه أحمد) بأنه يسـاير المحـور ويُظهر بعض الميل لتأييد أقوال الإذاعة العربية من برلين في سياسة مصر وسياستها يومذاك.



الإعلان في مجلة الاثنين القاهرية عن مصرع أحمد ماهر باشا داخل البرلمان في لوحة تخطيطية

الأهرام

AL-AHRAM

مصرع احمد ماهر باشا في دار البرلمان

اطلاق الرصاص عليه في البهو الفرعوني - من هو الجاني ؟ - النقراشي باشا يؤلف الوزارة





الصريع الحر الشجاع

النقراشي باشا يؤلف الوزارة

جريدة الأهرام المصرية - مصرع أحمد ماهر باشا في دار البرلمان

إطلاق الرصاص عليه في البهو الفرعوني.. من هو الجاني..؟!

فاروق والمانيا ..

ولما انتصرتْ جيوش الرايخ الثالث على هولندا.. اعتقد (الملك الصالح فاروق) كما كان يسميه الكُتاب _ كتاب العرائض _ العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل بأنّ الفرصة قد صارت سانحة له للاتصال بالمحور وبعبارة أصّح بألمانيا بالذات.. لكي يضمن لنفسه ولعرشه البقاء ملكاً على مصر في حالة انتصار المانيا.. فأشار فاروق من طرف خفي إلى علي ماهر ليقوم بجسّ نبض المانيا..

وفي مساء ذات يوم من أيام حزيران ١٩٤٠ وصلتني إشارة لاسلكية سريّة من القاهرة يقولُ فيها مراسلنا السرّي:أنّ الملك فاروق قد أشار على السيد علي ماهر أن يتصل بالأمير شكيب أرسلان بجنيف ليقوم الأمير بدوره بالاتصال بكم في برلين لاستصدار تصريح رسمي تعترف فيه المانيا والمحور بفاروق ملكا على مصر وباستقلال مصر!.

القاهرة مدينة مفتوحة!

ومما زاد في مخاوف الملك السابق فاروق واستعجاله للاتصال بألمانيا هو أنّ السلطات البريطانية في القاهرة قد رفضت إعلان القاهرة مدينة مفتوحة، في وقت ضرب فيه الأسطول الايطالي الفاشيستي مدينة ميناء الاسكندرية وقصفت الطائرات الايطالية بعض المواقع البريطانية في مصر.. كما انها اغارت لأول مرة على جزر البحرين في الخليج العربي.. وبعد اسبوع من ذلك التاريخ تسلمتُ نصّ الوثيقة السرية التي قرر فيها الانكليز رفض اعتبار القاهرة مدينة مفتوحة، وهي برقية سرية كانت السفارة الفرنسية في لندن قد أبرقتها الى وزارة الخارجية الفرنسية في باريس (بالشفيرة) عندما كان التحالف لا يزال قائما بين انكلترا وفرنسا.. وهذه ترجمتها بالحرف الواحد:

وزارة الخارجية –نسخة الحفظ

القسم السياسي والتجاري –الإرسال لندن في ٧ حزيران ١٩٤٠

الوصول باريس: الساعة ٢٠الساعة ٣٠-١٧

الرقم ٢٤١٥ – الموضوع: خبر متعلق بجعل القاهرة
برقية بالشيفرة –مدينة مفتوحة

سرّي ومحفوظ..

ذكر رئيس القسـم المصري بوزارة الخارجيـة (البريطانية) لأحد معاونيه بعد ظهـر اليوم، أنّ المشروع المقـترح من قبل الحكومة المصرية للحصول على موافقة السلطات البريطانية باعتبار القاهرة مدينة مفتوحة، وإعلان ذلك قد أهمل نهائيا تجنبـا لمـا بمكن أن ينشـأ عن مثل هـذا التصريح مـن التنافر مع الأغـراض التي تتوخاها وجهة النظر العسكرية..

رد الفعل ..

لمـا أعطـاني الدكتور غوبلز صـورة هذه البرقيـة كتبتُ تعليقا سياسـيا عليها، وكانت جيوش الرايخ يومذاك تدك معامل فرنسا في شمال باريس..

والى قـراء _ هنـا برلـين. حي العـرب _ نص ما قلتُـه آنذاك خدمـة للحقيقة والتاريخ والذكرى...

بالأمس واليوم...

واردفـتُ قائـلا مـن اذاعـة برلـين العربية: لقـد ظلمتْ مـصر ظلماً شـنيعاً، وأوذيتْ ايذاءً فاحشـاً، سـواء في عهد الحماية والوصاية (السـافرة) او في عهدها الحـالي (المُقنـع) الذي يسـمونه اليوم (عهد الاسـتقلال..) بل ربـما كانت وطاة تلـك المظالم اليوم شرا مما كانت عليه من قبل.. إنّ الانكليز لمّا زادوا هذه الحرب اشـتعالا أقاموا في مصر (الحالة الإسـتثنائية) فوضعوا معاهدة سنة ١٩٣٦ (على الرفّ) مع قلة جدواها.. واطلقوا أيديهم في البلاد.. ثم راحوا يتذرعون بسلاح المداورات والمناورات التي أسموها (مفاوضات) ولم تجد الإحتجاجات المكتومة التـي قدمتها الحكومات المصرية المتعاقبة. لقد كان غرض الانكليز وما زال منذ بدايـة هـذه الحرب حمل مصر على إعـلان الحرب على المانيـا والمحور والإنضمام

الى صفوف الحلفاء.. ولكنهم لم يجدوا حكومة مصرية واحدة ولا برلمانا، ولا رأيا عاما يوافقهم على مايريدون اللّهم إلاّ بعض الذين يتزعمون حزبا لا تقبل كثرته الساحقة جرّ الخراب الى البلاد.. وقد أعلنتْ مصر منذ البدء أنّ لا ناقة لها في هذه الحرب ولا جمل.. وأنها تريدُأن تبقى بمعزل عن النار.. وتأكيداً لهذه الرغبة الصادقة تقدمت جميع الحكومات المصرية الى حكومة لندن طالبة اعتبار القاهرة مدينة مفتوحة صيانة من اخطار الحرب التي تتعرض لها بوجود القوات البريطانية والمعاقل الحربية في قلبها..

أسباب الرفض البريطاني...؟

ولكن السلطات البريطانية قد رفضت ذلك رفضا قاطعا وأصرّت على الرفض _ كما تشهد بذلك الوثيقة السرية التي نشرناها على الصفحة ... من هذا الكتاب _ والغرض من الإمتناع عن إعتبار القاهرة مدينة مفتوحة ظاهر لا خفاء فيه. فهم يريدون حمل المحور على مهاجمتهم فيها ليتخذوا ذلك ذريعة للصياح بأنّ طائرات المحور قد هدمت أعظم مدينة اسلامية بما فيها (الأزهر الشريف) والآثار العالمية الخالدة!

هذا هو الغرض الذي يرمون اليه: ولكنهم سيفشلون حتما في هذه المحاولات الخائبة، لأنّ مصر والعالم العربي أول من يعلم بان وجود الانكليز في قلب القاهرة لا مبرر له ولا معنى، وهكذا فإنّ كل أذى يلحق بمصر إنما هو بسببهم، أي سبب وجودهم فيها.

واختتمت اذاعتي هذه بقولي:أنّ سلامة البلاد المصرية أمرٌ.. وبحث الانكليز عن سلامتهم أمرٌآخر! وبين الأمرين بونٌ شاسعٌ واختلاف بعيد.. فليتق الله في مصر أولادها العاقون..

الاتصال بألمانيا...

وهكذا انتهت قصة إعتبار القاهرة مدينة مفتوحة بفضيحة تاريخية سجلتُها

على صفحات الأثير، فكانت نصرا جديدا لإذاعة (حي العرب من برلين).. وفي الواقع فإنّ ترديد الصدى لهذه الفضيحة كان بالغ الأثر في مصر والعالم العربي، فازدادت مخاوف الملك السابق فاروق، وتفاقمت شكوك العرب وفار تنور الرأي العام العربي في كل مكان وصلتْ اليه إذاعتنا هذه.. وأشيرُ الى السياسي المتهن علي ماهر (مولانا الملك الصالح) قد أولاهُ الشرف الأكبر بأن يعمل على الإتصال بألمانيا بالسعة الممكنة.. فاتصل بالأمير شكيب أرسلان ونقل اليه (الرغبة السامية)! ولمّا تسلّم الأمير رحمه الله رسالة علي ماهر التي وصلته بواسطة رسول خاص (على ما أذكر) كتب إليّ الأمير يقول:أنّ التصريحات التي أذعتموها على لسان المانيا حول ضمانها إستقلال مصر والبلاد العربية الحليفة لبريطانيا والكائنة تحت حمايتها هي تصريحات تذروها الرياح في الاثير!

فإذا كان أصحابك الألمان يريدون حقا حفظ استقلال مصر والبلاد العربية فليعّد التصريح مكتوباً وموقعاً من وزارة خارجية الرايخ لتقدم نسخا منه الى الدول العربية المعنية في التصريح، وبهذه الصورة نضمن التعاون العربي ـ الألماني سراً الى أن يحين الوقت لإعلان هذا التعاون صراحة على رؤوس الاشهاد!



صورة الملك فاروق مع رئيس وزرائه علي ماهر باشا في جولة بين ميادين القاهرة بالحنطور الملكي



صورة الملك فاروق وزوجته الملكة فريدة

وعدوا خيرا..

عرضتُ رسالة الأمير شكيب أرسلان على الدكتور غوبلز فابتهج كثيراً بهذه الأنباء السارة المدهشة ولكنه من شدة الفرح نسي أن يخاطبني في موضوع التصريح الرسمي الذي طلبه الأمير شكيب، وحصر كل إهتمامه بموضوع رغبة مصر بالإتصال بالمانيا.

لقد أبدى وزير الدعاية الدكتور غوبلز إرتياحا تاما لهذه النتيجة التي توصلنا اليها وقال أنه سينقل إلى (الزعيم) هتلر هذه المعلومات الثمينة التي ستغير مجرى التاريخ، وتوصل الحرب الى نهاية مبهجة للمحور.

قلتُ: ياهر منيستر بماذا أجيب عن ناحية (المفاوض المصري)...؟

قال: بلّغ الأمير بأننا على استعداد تام لاستقباله هنا..

قلتُ: إذن سأبلغ الأمير بأن يكون المفاوض المصري غير الأستاذ علي ماهر!!

قال: لماذا ؟

قلتُ: ألم اكتب لك بتقريري عنه وعن شقيقه أحمد ماهر التفصيلات الكافية الوافية!!

قال: إفعل ماتراه مناسبا.. إننا بانتظار المفاوض. وأنّ كل شي سيتم على ما يتفق مع المصلحتين..

غضبة الأمير ..

وشرحتُ للأمير شكيب أرسلان ما دار الحديث حوله، وأكدتُ له بأنّ موضوع التصريح الرسمي المكتوب الذي سيصدر هو قيد الدرس على المستوى العالي بين وزير خارجية الرايخ وبين وزير خارجية الفاشير!!

اما قضية (المُفاوض المصري) فلقد ارتؤي أن يكون غير السيد علي ماهر ... وفي هذه الحالة فإنّ برلين ترحب بقدوم المفاوض المصري وسيكون ضيف

الشرف في عاصمة الرايخ . وبعد أسبوع تلقيتُ رسالة من الأمير شكيب بواسطة القنصل الالماني من جنيف حشاها بهجوم عنيف عليّ شخصياً، ذاكراً بأنني أحاولُ إبعاد السيد علي ماهر الديبلوماسي البارع والسياسي المُحّنك عن طريق المفاوضات المصرية ـ الالمانية، وأكدّ لي بأنّ علي ماهر من اخلص السياسة المصريين! ثم قال الأمير في خاتمة الرسالة انّ المانيا اذا لم تصدر تصريا رسميا يذاع وينشر في الصحف عن ضمان استقلال مصر والبلاد العربية فإنّ (المفوض المصري) او أي مفاوض عربي آخر لن يحضر الى برلين..!

لقد كان رحمه الله على حق في طلبه هذا فرأيتُ أنّ الواجب يقضي عليّ أن أحث الجهات الالمانية المختصة على إصدار مثل هذا التصريح إغتناما للفرصة السائحة التي صارت بين أيدينا.

التصريح الرسمي...

إثر الحفلة الكبرى التي أقامها (الفوهرر) لقادة الجيش الالماني المنتصرين الظافرين في جبهة بولندا والجبهة الغربية، تلك الحفلة التي قلدهم فيها عصا المريشالية أصدرتْ وزارة الخارجية في (ويلهلم شتراسه) تصريحاً رسمياًبالاتفاق مع إيطاليا جاء فيها ما نصه:

أنّ المانيا وايطاليا تراقبان الحركة العربية الإستقلالية في مصر والعالم العربي بمزيد العطف، وأنهما تعترفان بحقوق العرب السياسية والطبيعية والتاريخية..

وقد أذعنا هذا التصريح المشترك من الاذاعة العربية ومن الاذاعات باللغات الانكليزية والفرنسية من برلين.. كما نشرت الصحف نصه.

ولم نكتف بذلك بل أبلغنا الكثيرين من رجالات العرب، كما أنّ (الزعيم) هتلر قد أجاب في برقية على برقية تسلمها من الحاج أمين الحسيني قد قال له انه (يتمنى تحرير الأمة العربية..!) وبمثل ذلك أجاب غراف فون ربينتروب وزير خارجية الرايخ الثالث في برقية على برقية السيد رشيد عالي الكيلاني.

تعليق على التصريح...

بعد أن أذعتُ نص التصريح قرأتُ على السامعين تعليقي السياسي وهذا ملخصه:

أننا كررنا في الماضي ولن نبرح نكرر في المُستقبل الى آخر نفس من أنفاسنا اننا لا نعرف بين الأمم الاوروبية فرقا، وليس منها في نظرنا قريب وبعيد.. وشقي وسعيد.. وليس منها من هي بنت عمنا، او بنت خالتنا فجميعهن عندنا سواء لا نفرق بين واحدة منهن واخرى إلاّ في قضية الإعتداء علينا نحن العرب.. فنحن لا نحب منهن إلاّ الدولة التي تحترم استقلالنا، أي معاملة الند للند وعلى صعيد واحد. ثم اننا لا نكره ونهن إلاّ الدولة التي تعتدي على بلادنا وتعبث باستقلالنا، وتغتصب حقوقنا كما حصل من اكثرهن الى الآن.

اننا نصدق مبدئيا بيانات دولتي المحور الموجهة لنا نحن العرب إعتماداً على أنهما تريدان التقرب من العرب والتعاون مع العرب على صعيد واحد وعلى المستوى العالي.. لأنهما بهذه البيانات الرسمية قد أفسدا خطة الحلفاء الرامية للإمعان في إذلال العرب ..!



صورة أمير البيان شكيب ارسلان مع الحاج أمين الحسيني ووجهاء من الطبقة العالية السعودية في الطائف

بالأمس واليوم ..!

و أردفتُ على ماتقدم قولي:

انّ المانيا على الأخص لا يؤاخذها الله بسفك دم عربي واحد _ وهنا غمزتُ بصراحة من قناة ايطاليا بالنسبة لليبيا واريتريا والصومال!! _ ولا هضم حق عربي ولا غصب ملك واحد من هذه الامة العربية المنكوبة بالاستعمار.. بينما ضربت الدول الاخرى المعادية لألمانيا المذلة والمسكنة والعبودية على ١٠٠ مليون عربي في مشارق الأرض ومغاربها ..!

ولهذا نحن مذعورون في عدم تصديق مواعيد وعهود هذه الدول الغربية ورفيقاتها في الاستعمار.. لقد كانت هذه حالنا مع انكلترا وصويحباتها في الإستعمار وهي بعد لم تزل عدوة البلاشفة. فما بالك اليوم وقد حالفتْ روسيا الشيوعية، وصارتا يداً واحدة معها، وجاءت تُجبر مصر والشام والعراق على قبول الشيوعية فيها (ملاحظة: كان ما يحدث اليوم هو نفس ماحدث في سنة ١٩٤٢ بالضبط !) لا بل أخذت بريطانيا تمهدُ السبيل لانتشار الشيوعية في جميع بلاد العرب والمسلمين.._ التأريخ البعيد نفسه اليوم أيضا_ ..!

لقد أصاب الإسلام في روسيا الشيوعية من مصائب البلاشفة في إنحلال الأخلاق والعقائد وتلاشي الآداب والقواعد ما يفُتتُ الأكباد ويُذيب الجماد وما نحنُ أدرى به، فكيف إنتشار الشيوعية في البلاد العربية كلها وهو أمرٌ لا بد منه بتواطؤ روسيا الحمراء مع انكلترا وخطرٌ مُحدقٌ بنا جميعا أن كان النصر النهائي في هذه الحرب سيكون (والعياذ بالله) للأنغلوسكسون والبلاشفة!

وهذه هي النتيجة ..!

أنّ ما أنذرتُ به بريطانيا والعرب بأقوالي آنفة الذكر قبل ١٥ عاما من تأريخنا الآن قد حصل بالفعل فلقد تركت بريطانيا حبل روسيا الحمراء على غاربها فراحت بإسم التحالف مع بريطانيا تتغلغل في بلاد العرب.. وجعل الحُمُرْ ينشرون ظلّهم في كل مكان كانت بريطانيا تحرص على إبعاد الروس عنها ..!

إننـا اليوم نقف واجمـين ناقمين على هـذا التبالة البريطاني في سياسـتها حيال العرب، فلقد فقدتْ (سيدة البحار) كل عطف عربي، وخسرت صداقة العرب، بـل أكرهت القسـم الأكبر من العرب والـدول العربية على التعاون مع روسـيا الحمراء وقبول التعامل مع البلاشفة.

أنّ مـن الخطـأ الفاضح أن نلوم سياسـة العـرب وقادة الرأي فيـه لأنّ بعض الـدول العربيـة وعـلى رأسـها مصر قد إرتضت لنفسـها أن تتسـلح بالأسـلحة الروسـية او الأسلحة الصادرة عن مناطق النفوذ الروسي في اوروبا الوسطى او اوروبا الشرقية..

فإذا كان الإنكليز والأمريكان والفرنسيس يمنعون العرب من شراء السلاح بأموالهم ونفطهم، ويغدقون على طفلهم (المُدلل) اليهود الذين إستعمروا أرض العرب الطاهرة فلسـطين، المال والسـلاح والحماية، فما هي حيلة العرب في أخذ السلاح ليس من روسيا فحسب، بل من الشيطان الرجيم!

دقة بدقة!

إننا ضدّ الشيوعية وضدّ المباديء الهدامة، بلى وضدّ كل عقيدة تضر بالصالح العربي من مراكش والسودان.. ومن بغداد الى تطوان!

ولكـنّ العرب بقبولهم اسـلحة روسـيا الحمراء لا يتجنون عـلى بريطانيا، بل هـي التي تجنـت على العرب، ودفعتهـم بيدها الى الجانب الأحمر لأخذ السـلاح الأحـمـر بغية الدفاع عن النفس والإسـتعداد لصدّ العدوان اليهودي الذي يُمعن في العدوان على العرب بالأسلحة البريطانية الأمريكية الفرنسية الكندية!

لقد كنا نربأ ببريطانيا أن تنصر اليهود على العرب، وأن تصّر أمريكا بعناد على معاكسة العرب والتفريط في حق العرب المشروع في فلسطين وفي غير فلسطين. وأن تركب فرنسا متن الشطط والإجرام في أرض العرب (الجزائر) فتهلك فيها الحرث والنسـل.. لالشيء سـوى الإمعان في إسـتعمار أرضنا الطاهرة (الجزائر) وإبقائها مرتعاً خصباً للقتلة والسـفاحين من المسـتعمرين! إننا نحن العرب مع

الغرب في (المصالح المشتركة) ولكنّ هذا الغرب قد برهن بأعماله وأقواله على أنه ضد العرب من الألف الى الياء.. فحمل العرب على أن يكونوا ضد الغرب.. فإذا كانت سياسة الغرب قائمة على أن يأخذ منا، ولا يعطينا إلاّ القول الذي لا (معروف فيه) وينصرُ فضلاً عن ذلك عدونا علينا، فإنّ من حق العرب التقدم الى فسخ عقود المصالح المشتركة..!

نحن عرب احرار...

إنّ العرب أمّة حرة في إستقلالها، حرة في تصرفاتها، حرة في إختيار الصديق الذي يقابلها بالمثل، والحليف الذي يرعى الذمار ويحفظ العهد، وينمي موارد المصالح المشتركة، ولن يفرط في الحق المشروع، ويعتدي على حق الشراكة، ويؤذي التعايش السلمي.

إنّ العرب أمّة قد بلغت الرشد وشبّتْ عن الطوق، ولم تعد ترتضي لنفسها حماية أحد.. أو وصاية سيد.. فإذا كانت الدول الكبرى تريد (فرض) صداقتها وتحالفها على من تسيءإليهم.. وتقصر تقصيراً فاضحاً معيباً من العرب، فإنها تخطيء في حسبانها وتقديرها.. لأنّ زمن التهديد بالأساطيل الجوية، والمناورات البحرية والبرية قد ولّى واندثر، الى حيث لا رجعة! فلقد بلونا من دسائس الإستعمار وحيله ومكره ومكايده وغدره ونكثه ما لا تحيطُ به المُجلدات...

إنّ شعارنا نحنُ العرب الأحرار...

قد كان ولا يزال وسيبقى

بِلادُ العَرَبْ لِلعَرَبْ....

*****

الفصل العاشر

- قراءة مُستفيضة في كتاب يونس بحري (سبعة أشهر في سُجون بغداد)
الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٠

قِراءَة في كتابْ يُونُس بَحْري
(سَبْعَة أشهُرْ في سُجُونْ بَغْدادْ)

الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٠

مُقدّمَة الكتابْ:

تفضّل صديقي الأستاذ يونس بحري، فطلب إليّ أنْ أقدّم هذا الكتاب إلى القُرّاء. وقد فاته، أنّ من يُقدم على مثل هذه المجازفة يجب أن يتمتع بما يتحلى هو به، من صفات أقلّها، روح النكتة الساخرة الحاضرة، والدعابة الطريفة المُستملحة، والعذوبة في سرد الوقائع التي عاشها المؤلف. بحيث يحسّ القارئ الكريم وكأنه قد عاشها معه، بروحه إنْ لم يكن بجسده وحواسه، ولسان حاله في ذلك يقول: أنّ على القارئ أن يحيا مع المؤلف، حتى ولو كانت هذه الحياة وراء القضبان، في أتون تَموز اللاهب، وتحت وطأة العذاب والحرمان.

لكن هذه الأنانية التي تبدو من المؤلف، لا تلبث، أنْ تخُفِ ما فيها من وطأة، وما تنزله بالقارئ من عقاب، بفضل هذه الروح الساخرة التي تُطلق النكات والمُداعبات على سجيتّها، فيستهون لفح تموز، وهول السجون وسَبابْ العريفْ (رْسَنْ) ووخزات الشتائم، وضربات أعقاب البنادق، ويقبل على القراءة، بنهمٍ وشغفٍ، مُندفعاً وراء إتساق الحوادث، وتسلسُلِ الوقائع ويطلّع على ما تنطوي عليه من أسرار ومفاجآت.

وقد قرأتُ للأستاذ بحري، الكثير ممّا كتبه وأنتجه، منذ سنوات عدة، في كتبٍ ومُؤلفاتٍ، ورسائل ومقالات، وأحاديث وإذاعات. وكنتُ كغيري من الناس، تستهويني هذه القراءة حتى جاء هذا الكتاب. فرأيته مُختلفاً كلّ الإختلاف عمّا كتَبَ في الماضي، إذ أنه كان يكتبُ هذه المرة بجماع قلبه وعواطفه وأحاسيسه، فتكادُ تشعرُ وأنت تقرأه، بالألم الذي عاناه في سجنه، يكاد يصرخ من كل كلمة

يقولهـا، وفي كل جملـة يسـطرها. وتـكاد تحـسّ أنّ ما يكتبـه صورة مُجسـدّة للألم الصارخ. والشكوى المُرّة، والعذاب الطويل...!

ولا ريب في أنّ الأسـتاذ كامل مـروة، الذي نشر هذه الفصول على صفحات (حياته-جريدة الحياة) كان مُنصفاً كُلّ الإنصاف، عندما قال ... أنّ هذا الكتاب خيرُ ما كتبه يونس حتى الآن.

وقد لا أغالي، إنْ قلتُ، أنّ هذه الفصول من حياة الأستاذ يونس في السجن، تنطـوي، على معـانٍ عميقة، وعِبَرٍ بالغةٍ يسـتطيع القارئ، أنْ يعثـر عليها، اذا ما أمعـن النظـر في قراءتهـا ولم يصرِفْهُ، ما فيها مـن خفة روحٍ، ونكتةٍ سـاخرةٍ عند إدراك مغازيها واستخلاص أصدافها العميقة.

فـإلى القُرّاء الكـرام، أقدّم هذا الكتـاب الواقعي في حُلّتـه اللفظية الجميلة...

خيري حمّاد...

*****

من بيروت إلى السجن
يونس بحري - البداية
١٤ تموز ١٩٥٨

إستيقظتُ في الساعة السادسة من صباح يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ على أصواتٍ كانت تتعالى من الطابق الأرضي في منزل أبن اخي (العقيد الركن وحيد صالح الجبوري) وهو مُساعد رئيس إستخبارات الجيش العراقي الزعيم عبد المجيد حسن الذي عُيّن أمينا للعاصمة يوم ١٤ تموز. وكنتُ قد وصلتُ إلى بغداد مع زوجتي في اليوم السابق (الليلة السابقة)، قادمين من بيروت، ونزلنا ضيفين عليه.

وبعد ربع ساعة من وقت وُصولي طرق باب غرفتي طرقاً عنيفاً. وقبل أنْ أردّ على الطارق فتح الباب وأطلّ أبن اخي وقال وهو يحملق في وجهي بعصبية ظاهرة: عمّاهْ لقد قام الجيش بانقلابٍ عسكري...!!

وسكَتَ بُرهةً، وكأنه يحاول أن يرى تأثير عباراته عليّ. وحدجته بنظرة فاحصة من رأسه الى أخمص قدميه، لقد كان يرتدي الملابس العسكرية الخاصة بميدان القتال. ثم ابتسم وقال:

- إنني ذاهبٌ إلى وزارة الدفاع ؟ كي أرى جليّة الأمر. وحين بدأتُ أستمع إلى اذاعة بغداد... كان العقيد عبد السلام عارف قد خاطبني تلفونياً. وطلب إليّ بإسم (مجلس قيادة الثورة) أن أذهب إلى وزارة الدفاع لأرابط في مقر إدارة الإستخبارات واستلام الأوامر وتنفيذها ...

كان أهل البيت بأسرهم قد إلتفوا حول الراديو وهُمْ يُنصتون إلى البيانات التي كان يذيعها العقيد عبد السلام عارف (الناطق بإسم الثورة). وعندما جلستُ أنا الآخر إلى جانب الراديو، كانت ساعة إذاعة بغداد تدّق الساعة

السادسة والنصف صباحاً.

وارتفع صوتُ العقيد عارف من المذياع، يعلنُ إلغاء النظام الملكي، وقيام النظام الجمهوري، وتلا ذلك عدد من البيانات عن إحالة كبار قادة وضباط الجيش العراقي على التقاعد، وطرد بعضهم من الجيش وتعيين عدد كبير من الضباط المُحالين على التقاعد في العهد الملكي في مناصب وزارية أو إدارية.

لم نكن لندري ماذا كان يجري داخل العاصمة أو خارجها...؟! كان أهل بغداد قابعين في بيوتهم مذهولين واجمين من شدّة الصدمة المفاجئة التي قلبت الموقف رأساً على عَقِبْ في خلال دقائق معدودة، وبواسطة الإذاعة فقط. ولم يجرؤ أي إنسان على الخروج من داره خوفاً من الجيش الثائر. ولم يكن ليدور في خَلَدِأحدٍ بأنّ (الجيش الثائر) الذي إحتل الإذاعة في صباح ذلك اليوم، لم يكن قد وصل حتى إلى وزارة الدفاع في باب المعظم، بل أنّ سرّية واحدة مؤلفة من زهاء مئة جندي، تقدمت بأمر عبد السلام عارف لإحتلال دار نوري السعيد والقبض عليه بغتةً وهو يغطُ في نومه ...! (كلام غير دقيق)... بقيادة الرئيس الأول بهجت سعيد، وفي الوقت نفسه أمر الرئيس الركن عبد الستار السبع باحتلال قصر الرحاب وقتل العائلة الهاشمية المالكة بأسرها ..!

لقد ظنّ الناس بأنّ الجيش العراقي بأسره هو الذي زحف على بغداد بخيله ورجاله، فكان لمباغتة الإذاعة العراقية الناس بالإنقلاب بصوت العقيد عبد السلام عارف وبياناته الثورية الرسمية، الأثر المنشود في نفوس الناس...!

إعتقالي بعد ساعات من وصولي...!!

كنتُ قد وصلتُ بغداد مصحوباً بزوجتي ظهر يوم الأحد ١٣ تموز ١٩٥٨، هرباً من رصاص الثورة في بيروت، الذي كان يشمل داري في حيّ الظريف. وكان بعض رجال المقاومة الشعبية قد إتخذوا من سُلّم داري قاعدة لنشاطهم الحربي، فقلتُ لزوجتي: هيا بنا إلى بغداد لنستريح من الرصاص والقنابل...!!

قالتْ: ولكن بغداد في مثل هذا الوقت من الصيف جهنم وحريق!

قلتُ: إنّ حريق بغداد لأهون بكثير من رصاص بيروت.

وهكذا شاءت الأقدار أنْ أقع في الفخّ، وصرتُ بالفعل كالمُستجيرِ من الرمْضاءِ بالنارِ. وفي الواقع، لو لم أنتقل عصر ذلك اليوم من فندق ريجنت بالاس إلى دار أبن أخي العقيد الركن وحيد صادق الجبوري مساعد رئيس استخبارات الجيش العراقي، لكنتُ اليوم في أعداد المسحولين الذين قضوا نحبهم في صباح ذلك اليوم العبوس القمطرير. فلقد نشرتْ الصحف العراقية الصادرة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨، خبر وصولي إلى بغداد، معددّة الولائم والحفلات التي سيُقيمها لي فلان وفلان، وذكرتْ أنني حللتُ في فندق ريجنت بالاس، وقد ألقي القبض على جميع السادة الذين كانوا سيقيمون لي الحفلات، وقصد الفندق متطوعون كُثرٌ لسحلي والتمثيل بي، ولكنهم لم يجدوني هناك فسَرَتْ إشاعة بأنني قد هربتُ من بغداد!

ولكنْ أحد أصدقائي نقل إلى شرطة بغداد بأنني موجود في دار العقيد الركن وحيد صادق الجبوري، فقام هؤلاء السادة النُجب بإبلاغ الخبر إلى إنضباط الجيش، فبعثوا لي الرئيس سعيد مطر، فنقلني إلى وزارة الدفاع بعد أنْ أقسم لي بشرفه العسكري أنني معتقل على سبيل الإحتياط إنقاذاً لحياتي، وأنّ سراحي سيُطلق عندما تهدأ الأحوال! وأدخلتُ إلى مكتب عريف الخفر ساعة وصول جثة نوري السعيد محمولة على سيارة جيب، وكانت الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ١٥ تموز ١٩٥٨ ...

من وزارة الدفاع ...إلى معتقل ابو غريب ..

بقيتُ في مكتب عريف الخفر التابع للانضباط العسكري بوزارة الدفاع وأنا لاهٍ عمّا يدورُ حولي، أدخّن لفافات تبغ باعني إيّاها العريف بثلاثة أضعاف ثمنها الرسمي، وكان العريف رجلاً مهذباً ومتأدباً يعني بالأدب العربي وينظم الشعر وعربياً شهماً فقال لي: أنا لا أعرف من أنت ...!! وربما تكون أحد الوزراء، ولكن يظهر لي من هيئتك أنك أبن حلال، فهل تقبل أن أدبّر خروجك من هنا ؟

قلتُ له: يا اخي إنني لستُ وزيراً ولم أكن قط مسؤولا في دولة عبد الإله أو نوري السعيد، ولقد كنتُ أول من هاجم نوري السعيد وعبد الإله في إذاعة برلين العربية منذ شهر نيسان سنة ١٩٣٩...!

ومع هذه الإيضاحات لم يفهم العريف حقيقة الرجل الماثل أمامه ولم يعرف إسمه، ولم يشأ أن أقول له من أنا، طالما أنّ الأمر لا يهمّهُ على ما يظهر فسكتُ.

وقبل أن نعود إلى الكلام، مرّ من أمام باب المكتب ضابط برتبة ملازم كنتُ أعرفه من مدينة الموصل، وهو شيوعي قديم قد أرخى شاربيه، وكان شبه صديق لي أقضي له بعض حاجاته عندما يمرّ ببيروت، وما أن رآني حتى جمد في مكانه، واقترب حتى صار على بعد مترين، وبسرعة البرق الخاطف إنهال عليّ ضرباً وشتماً، واتبع ذلك بُصاقاً إنهمر على وجهي وعلى رأسي وعلى ملابسي، ثم حاول سحب مسدسه، فتصدّى له العريف وقال له: أنا مسؤول عن حياة هذا الرجل، وأنا عريف الخفر، فإذا لم تذهب فإنني سألقي القبض عليك!

فذهب الضابط، وإسمه مصباح الخيرو، ولم أعُدْ أرى وجهه مرة ثانية إلاّ في سجن الأحداث حيث عُيّن مساعداً لآمر السجن، وقد كان من حسن حظي أنّ عبد الكريم قاسم قدأمر بإطلاق سراحي بكفالة أنا والزميل عادل عوني في صباح اليوم الذي وصل فيه الضابط مصباح إلى السجن، فحرق الأرم غيظاً ولكنه لم يتمكن من الشتم، وغمزتُهُ بعينٍ ساخرةٍ وقلتُ له: ودّعْ هريرة أنّ الرَكْبَ مُرتحِلُ ..!

ورأى بعض الجنود الضابط الخيرو وهو يضربني ويشتمني في مكتب عريف الخفر، فتجمهروا حول باب المكتب، وراحوا يصرخون بأعلى أصواتهم: هذا خائن متآمر رجعي من العهد البائد ...أقتلوهُ!...إسحلوهْ ..!

وتشاء الصُدف أنْ يكون آمر الإنضباط العسكري في مكتبه الذي يبعد عنّا أربعة أمتار فقط، فخرج ليرى مصدر هذه الضجّة، فلما رآهم يحاولون الهجوم عليّ صاح بهم بلهجة الآمر:إ ستعدوا ..!

فوقفوا وقفة الإستعداد ثم صاح بهم مرة ثانية: (إلى الوراء دُرْ!)

وأردف ذلك بإيعاز: (إلى الأمام سرّ) فساروا لا يلوون على شيء!

لقد أنقذني العقيد عبد الكريم الجدّه آمر الإنضباط العسكري من موتٍ أكيدُ، اذ لم يكن بيني وبين الموت سـوى ثلاثة أمتار فقط، ولكن العناية الإلهية مدّتْ لي يد العون في هذه المرة أيضاً، فللعقيد الجدّه خالص شـكري وتقديري، جزاه الله عني خيرا.

قلتُ للعقيد عبد الكريم الجدّه: إلى متى سأبقى هنا... ؟!

قال: إلى أن تخلو الشوارع من الناس، فنحن لا نملك القوات الكافية للهيمنة عـلى هؤلاء الذين ثـارت أعصابهم من مدنيين وعسـكريين، وقد أصدر الحاكم العسـكري أمراً بمنع التجول اعتباراً من السـاعة الثامنة، أي بعد نصف سـاعة فقط...فأصبر!!

ساعة أن وزّعونا على الغُرَفْ...

كانـت السـاعة العـاشرة من مسـاء يـوم ١٥ تموز، لمـا دخلـتُ المعتقل قرب المستشـفى القديـم (مُستشـفى المجيدية)، فلـم أرَ إلاّ رجلاً واحـداً هو المرحوم سعيد قزاز، فحيّاني قائلاً: الحمد لله على السلامة!

ثم سـألني: أين بقية الإخوان، فقلتُ: أنّ قسـماً منهم بوزارة الدفاع، وقسـمٌ آخر في معسكر الوشاش، والباقون في الطريق إلى هنا ...

وعند منتصف الليل أضيئتْ أنوار الغرف الأخرى، وجاء آمر المعتقل نوري حسـين، وكان مرحاً يحب إطلاق النكات، فلما رآني وأنا ارتدي ببجامة سـوداء، صاح مُهللاً: والله يا يونس هذا هو اللباس المناسب للمشنقة ..!

فأجبته على الفور: يُشنق عدوّك يا سيادة المقدم..!

فضحك مقهقهاً ثم قال: ذولا ربعكْ... جْبناهُمْ ..!

وُفتح باب المعتقل على مصراعيه، فكان أولُ الداخلين الشـيخ محمد العريبي الرجل الذي كان نوري السعيد يقصده للإختفاء في بيته في حيّ البتاويين ببغداد، ثم تبعِه نائل سلطان مُساعد مدير الأمن العام، ففخري الفخري أمين العاصمة، فعلي حيدر الركابي مدير نادي المنصور، فعادل عوني صاحب جريدة (الحوادث) البغداديـة، فبرهـان الدين باش أعيان وزيـر الدولة والإرشـاد. وكان كلٌّ منهم يحمل على كتفه فراشه ويحمل بيده حقيبة فيها بعض الملابس والأدوات الخاصة بالحلاقة.

وزعّونا على الغرف، فكان من نصيبي الغرفة رقم ٢ المتاخمة لغرفة سعيد قزاز وبرهـان بـاش أعيان. وفي الغرفة المقابلة تمّ وضع الشـيخ محمـد العريبي ونائل سـلطان، وكانا مريضين، فقدأصيب العريبي بإسهالٍ حاد، في حين أصيب نائل بإمسـاكٍ حـاد، هذا يولـول من كثرة الذهـاب والإياب إلى بيـت الخلاء، وذلك يصيح من عسر هضمه، فلم ينمْ لحظة واحدة، ولم يتركنا ننامْ!

كان الجميـع في المعتقـل ينامـون على الفرشـات التي جاؤوا بهـا، إلاّ أنا، فقد كان فـراشي الوحيد نسـخة مـن جريدة (الحيـاة) إصطحبتُها معـي من بيروت، ووضعتُ حذائي تحت رأسي كمخدة!

خليل كنّة، منظره أخجل الضبّاط...

ورحنا نُحصي الداخلين، وكنتُ أسـجل أسـماءهم على ورقـةٍ زرقاء ما زلتُ محتفظاً بها، وكان أولُ الداخلين الأستاذ كاظم الحيدري مُدير إذاعة بغداد الملكية والمُعلّـق السـياسي فيهـا. وكان يمشي وهو يتكـئ على كتفي جنديـين، بينما حمل جندي ثالث فراشه ومتاعه، ثم أعقبه السيد أحمد مختار بابان نائب رئيس الوزارة العراقية، وقد إسـتحال هذا الرجل الذي كان إلى ما قبل يومين بهّي الطلعة، إلى شيخٍ طاعنٍ في السنّ لا يكاد يسير إلاّ بمشّقة.

وتبعه السيد بهجت العطيه مدير الأمن العام، وكان هادئاً يسير وسيكارة (ثري فايف) لا تفارق شفتيه، وكلّما انتهت سيكارة أتبعها بثانيةٍ يشعلها من عِقْبَ سابقتها، وكان كلّما بصق في وجهه جندي يبتسم له وكأنه يشكره مشجعاً...!!



خليل كنّه

ودخل خليل كنّة وزير المالية العراقية وهو يتبخطر في مشيته، مرفوع الرأس، وكأنه داخل إلى حفلة إستقبال في بهو العاصمة لم يلتفت إلى أحدْ. ولم يُعِرْ الشتائم التي إستقبل بها أدنى أهمية. ولعلّ منظره قد أخجل الضُباط والجنود فكفّوا عن شتمه، والتفتوا إلى السيد خليل إبراهيم مدير عام مجلس وزراء الإتحاد العربي، فأغرقوه بسيلٍ من الشتائم، وجعلوا يرجمونه بالحصى والحجارة، ولكنه كان بمعزل عما يدور حوله، فلقد عضّ بأسنانه على غليونه التقليدي متحملاً ألم الضرب، غير عابئ بتلك الشتائم ..!

وبعد لحظةٍ دخل المرحوم عبد الجبار فهمي متصرف بغداد، وقد حمل على

رأسـه فراشـه ليتقي به الحصى والحجارة، أمّا الشـتائم فقد كان بحكم ماضيه في الشرطة معتاداً على سماعها، فكان يبتسم للضُباط والجنود!

وعندما أدخل السـيد محمود عبد الكريم مراسل وكالة (رويتر) البريطانية في العراق، إسـتقبل بالحملة المعهودة من الشـتائم والضربات، ولكنه كان يضحك بصوتٍ سمعناه وهو يُردّد متسائلاً: يا جماعة أريد أن اعرف وين موجود هالملعونْ يونس بحري...؟!

فناديته قائلاً: هنا... يا أعور!

فصـاح والحجارة تدغدغُ جسـمَه، وهو يقفز من شـدّة الألم، هيء لي محلاً في غرفتك...فصحتُ به: حاضرْ...!

وجاء دور الدكتور محمد حسـن سلمان وزير الصحة العراقي الأسبق، فكان كلمّا شـتموه يرفع بالتحية شاكراً والمسبحة بيده، وهو يمشي بتؤدة وهدوء وكأنه يسير في تشييع جنازة شخصية محترمة ..!

أمّا سـامي فتاح وزير الداخلية الأسـبق، وهو أمير لواء سـابق في الجيش فقد عرفـه الضُباط والجنود. ومع أنهم يتعرضوا له بسـوء، فلقـد كان وَجِلاً، وما أنْ وصل إلى غرفتنا حتى تهاوى إلى الأرض.

ثم دخل الدكتور نديم الباجه جي، وزير الإقتصاد العراقي السـابق، والخبير العالـمي بشـؤون النفـط، وكان يسـير وراءه صديقـه المرح يحيى قاسـم صاحب جريدة الشـعب البغدادية، وقد تشـاء الأقدار أنْ يقيدا بسلسـلة واحدة حتى في المعتقل، فهما صديقان حميمان قلّ أن يفترقا ..!

وانقضى اليوم الثاني من حياة المعتقل باسـتعراض الشخصيات التي حكمت العـراق ردحـاً طويلاً مـن الزمن، فكانـت النتيجة بالنسـبة اليهم شـيئاً واحداً: السجن... أو الموت!



صورة تجمع خليل كنه وسلوى ساطع الحصري ونوري باشا السعيد

مشادّة بين الشيوعيين .. وأعدائهم...

كانت حياتنا في معتقل أبي غريب تسير على وتيرة واحدة، لولا ما كان يتخللها من فترات يحتشد فيها الضُباط والجنود حول نوافذ غرفنا ... فيسألوننا عن أسمائنا الواحد تلو الآخر.

وعندما علموا أنّ سعيد قزاز – عدو الشيوعية اللدود – هو في الغرفة المجاورة لنا، إنهالوا عليه بالشتائم، وبالتهديد بالموت رمياً بالرصاص، وصاحوا به: لقد نبشنا اليوم قبر سيدك نوري السعيد الذي كان مدفوناً هنا في أبو غريب، وسلّمنا جثته إلى الشعب ليسحلها ببغداد، وسنسلمك أنت أيضاً يا أيها المجرم الخائن!

وتطلّع سعيد قزاز في وجوه الضبّاط، فعرف أحدهم، وكان برتبة رئيس، فصاح به قائلاً: هذا أنت الشيوعي..؟!أنت عباس الدجيلي مو...؟! هل هذا جزائي منك ؟ ألم أنقذك من السجن ؟ ألم أعطك عملاً عندما أحالوك على التقاعد...؟!

صاحب موسوعة الشيوعيين...

وأدخلوا علينا السيد مالك سيف الصابئي من قُدامى مؤسسي الحزب

الشيوعي في بغداد، وأكثر أعضاء ذلك الحزب إطلاعاً ومعرفة عقائدية بالمبادئ اللينينية والستالينية، ولكنه إرتد عن الشيوعية بعد شنق زعيم الحزب الشيوعي العراقي (فهد) ورفاقه عام ١٩٤٨، وأصبح وكيلاً مُستشاراً في إدارة الأمن العراقي، وكان له النصيب الأوفر في وضع (الموسوعة) الرسمية عن الشيوعية والشيوعيين في العراق والبلاد العربية وإيران.

ومن داخل الزنزانة سمعتُهُم يتحدثون في الخارج: هذا توفيق السويدي ... لقد قبضنا عليه في مزرعته وهو متخفٍ في أكوامٍ من التبن في حظيرة حيوانات!، ولم نتمكن من مشاهدة ردّة الفعل على وجه السِيد توفيق السويدي، ولكنه لمّا أدخل علينا بعد ربع ساعة كانت آثار الضرب على وجهه ورأسه الأشقر بادية للعيان...!

وكان السويدي، وهو المعروف بعناده وإصراره، ينكرُ أنّه قد تعرّض للضرب، وبقى مصراً على إنكاره هذا إلى أن تمّ نقلنا بعد أسبوع إلى سجن الأحداث. ولما هدأ روعه، شرح لنا دقائق قصته وسنرويها في حينه!

لقد ضجّت الصحافة العالمية والإذاعات بسبب الأنباء القائلة بمقتل الدكتور فاضل الجمالي ... أمّا اليوم فإنهم يريدون بوجوده حياًإقامة الدليل على أنهم أبرياء من دم الجمالي والسويدي ... وسيستغل أسم الجمالي أوسع إستغلال هنا وفي هيئة الأمم المتحدة، حيث قام بتأبينه المستر كابوت لودج(المندوب الدائم للولايات المُتحدة في الأمم المُتحدة) أروع تأبين، واصفاًإياه بالدبلوماسي البارع!

وبعد نصف ساعة عادَ الجمالي إلينا ... وآثار ضربات جديدة بادية على وجهه.

قلتُ له: ما هذا ؟

قالَ: وسائل ايضاح جديدة يا أستاذ!

قلتُ للدكتور فاضل الجمالي: وما هي وسائل الإيضاح هذه...؟!

قالَ: إنّ وسائل الإيضاح إصطلاح تربوي في وزارة المعارف، فهي تعني

بالخرائط الجغرافية والسياسية والأثرية ومختلف صور علم الأشياء. أمّا الآن فوسائل الإيضاح هي توجيه الأسئلة إليّ، وقبل أن أجيب عنها يتولى ضابط واحدٌ أو ضابطان ضربي، ويتولى ضابط ثالث - بالكلام لا بالضرب - إيضاح الأجوبة التي يجب أن أقولها لهم، فتسجل على شريط جهاز مُسجّلْ لتُضاف إلى ملفّي ..!

وضحك الدكتور الجمالي، واستطرد يقول: مثلاً، سمعوني أقول للضابط الذي إعتقلني في مزرعة السيد رشدي الجلبي اثناء نقلي بسيارة الجيب إلى هذا المعتقل: (إنّ هذه السلاسل التي قيدتموني بها هي أميركية، وأنا الذي طلبتُها من أميركا ضمن العتاد الحربي الذي قدمته أميركا مساعدة منها للجيش العراقي...!!). ولّما استدعاني الضابط قبل نصف ساعة، قالوا لي بعد أن اشبعوني ضربا: (أيها الخائن يا عميل الإستعمار الأميركي ... إذن أنت الذي طلبت هذه السلاسل من أسيادك الأميركان لتقيد بها الشعب العراقي...؟!).

قلتُ: كلاّ أيها السادة، طلبتها لكيما تقيدونا بها أفليس وجودنا في هذا المعتقل تحت رحمتكم وحراستكم الدليل الكافي على صحة ما أقولْ...؟!

(ضحكوا وطربوا لقولي هذا، وتالله لو لم أقل لهم ما قلتُ، وأنا اتكلّف الإبتسامة لما أعادوني سالماً إلى عندكم ..!) ...

فلقد كانوا مُصمّمين على قتلي بمختلف وسائل الإيضاح .... التي لديهم ... لقد رأيتها مصفوفة على منضدة آمر المعتقل المقدم نوري حسين: كْرباجْ من المطاط، مقبض من الفولاذ، وقفاز تعلوه دبابيس مُدببة كالقنفذ، وسياط حديدية، وعصي خيزران، وعصي (دونكي) التي يستعملها الشرطة ...

(لقد علّمهم رجال الشعبة الخاصة كيفية إستعمال وسائل الإيضاح هذه معنا لكي نُجيب بواسطتها عن الجرائم والمنكرات والخيانات الكبرى التي إرتكبناها بحق الوطن وضد مصلحة الشعب)..!

وما أن انتهى الدكتور الجمالي من حديثه، حتى ارتفعت أصوات عواء وعويل

مـن الغرفة رقم ٤ المقابلة لغرفتنا، واسـتمرت الأصوات تتعالى، والضجّة تزداد زهاء ربع ساعة. كل ذلك ولم يتقدم أي حارس من الجنود والضباط المحتشدين خارج المعتقل وفي غرفة الآمر، وكأنّ الأمر لا يعني أحدا...!

وما عتمنا أن سـمعنا أصواتاً تُنادي من داخل الغرفة: لقد ماتْ! ماتْ! ماتَ نائـل سـلطان ...! إفتحوا الأبواب! بـالله عليكم يا ضباط ويـا جنود...إفتحوا الأبواب ..!

لقـد ماتَ نائل سـلطان، مسـاعد مدير الأمـن العام، الـذي كان ممتلئاً صحةً ونشاطاً وحيويةً. مات هذه الميتة الشنيعة البشعة أمام رفاقه في الغرفة، ولم يتقدم لإسـعافه طبيب أو مُضمّد أو جندي، بل تركوه يموت إختناقا بعُسْرِ الهضم، إذ بقي أربعة أيام مهملاً بدون علاج، إلى أن برز الغائط من فمه فقتله ..!

*****

وبعد أن ذهب مندوب الزعيم، ساد السكون المعتقل ولكن (السندويشات) بقيت ملقاة خارج باب غرفتنا المقفل. وكان الجوع قد هدّ حيلنا وأقضّ مضاجعنا أكثـر من الخوف، ومن جميع المُفاجآت التي قد تحدث، فقد سـلّمنا أمرنا إلى الله، وليكن بعد ذلك الطوفان ... طوفان هذه الفوضى العارمة ..!

وقبل ان أمدّ يدي لأطرق الباب، لكي أسـتدعي العريف رسـن حتى يعطينا طعامنـا الملقـى على البـاب، فتحت الأبـواب الخارجية من جديد وسـمعنا وقع أقـدام كثـيرة تقترب من غرفتنـا، وازداد الهرج والمرج. ومـا أن فتح الباب حتى اطلت علينا فوهات بنادق (أستن) عديدة، وارتفع صوت ضابط يتقدم مجموعة من ضباط أرقى منه رتبة، لأنه كان برتبة رئيس، والباقون كان أقلهم رتبة يحمل تاجاً على كتفه أي رئيس أول ..!

قال الضابط: أين هو كاظم الحيدري...؟!

فردّ عليه السيد الحيدري بكلمة: داعيكم!

فصبّ عليه الضابط من الشتائم والمسبّات ما شاء له أن يسّب، كل هذا والضباط الملتفون حولهُ سكوتٌ لا يبدون حراكا..!

وحاولتُ أن أغتنم الفرصة لأخذ رزمة (السندويشات) القريبة مني، فصاح بي الرئيس (السبّاب) قائلاً: مكانك لا تتحرك وإلاّ مزقت جسمك بهذا الرشّاش!

قلتُ: يا سيدي الرئيس حلمك، إنّ الرزمة تلك تحتوي على طعامنا، ونحن لم نتناول طعاماً من يومين ..!

قال: خذ الطعام!

وأردف ذلك بأنْ رفس الرزمة بحذائه، فتناثرت علينا (السندويشات)، وكأنها وُزعت علينا بنسبةٍ عادلة!

قلتُ للضباط: خاف الله يا رجلْ ..!

قال: إخرس يا خائن، يا ذنب العهد البائد.. ماكو الله ......!

قلتُ: لا حول ولا قوة إلاّ بالله..!

قال: من أنت ؟ وإيش أسمك ؟

قلتُ: أنا خائن ومجرم، وذنب من أذناب العهد البائد أمّا إيش كان أسمي، فقد كان أسمي... يونس بحري ...!

ضحك الضابط، فقهقه الضبّاط الملتفون حوله، واستمروا يضحكون زهاء نصف دقيقة ...ثم قال الضابط:إذن أنت يونس بحري...؟! ولك يا (غوّاد)، حتى وأنت في المعتقل لا تخاف...؟!

قلتُ وأنا أغتنم فرصة الجو المرح: ماذا فعلتُ حتى أخافْ... ؟!

قال: ألا تخاف من هذا ؟

واشـار إلى رشاشة، فقلتُ هيّا أطلق رصاصك عليّ وخلصني من هذه الحياة التعسة المشينة..!

ثم قلتُ له: إسمح لي سيادتك، فانا جائع ..!

ورحـتُ أقضـم قطعة السـندويش وأنـا لا ألوي عـلى شيء وقبـل أن أزدرد اللقمة الثانية دوى طلق ناري شـارد في الغرفة، فتمدّد على الأرض كل من فيها من المعتقلين. غير أنني بقيتُ ممسـكاً بقطعة السـندويش أقضمها وكأنّ الأمر لا يعنيني ..!

ومـا أن إبتعـد صوت الخُطى العسـكرية عنـا، حتى نهضنا ونحـن نحمد الله على حسـن العاقبة، وأقبل عليّ رفاق المعتقل وهم يشكرونني على تحويل موقف الضابـط الجـدّي إلى رواية هزلية. قلـتُ لهم: يا جماعـة إنّ الحيـاة برُمتّها مهزلة، ولولا ذلك لكانت الرصاصات التي وجهت قبل لحظات إلى سـقف الغرفة ... قد سُدّدت إلى صدورنا..!

وكان هذا اللقاء أول تعارف بيننا وبين الرئيس فاضل السـاقي مُسـاعد العقيد عبد السلام عارف، والضابط الذي إحتل البلاط الملكي يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ ...

*****

مرّ يوم ١٨ تموز ١٩٥٨ بسلام. وقبل أن تغرب شمس ذلك اليوم وراء الأفق البعيد، سمعنا أوامر جديدة يلقيها أحدهم على مدير المعتقل المقدم نوري، وهو يجيب على كلّ أمرٍ بقوله: نعم سيدي...! طيّب سيدي...! أمرك سيدي...!

وبعد ربع ساعة، دخل علينا المقدم نوري حسين وهو يضحك، ودخل وراءه نجّار يحمل عدته بأكملها، وراح النجّار يخلع الأخشاب التي كانت تسدّ النوافذ. ولأول مرّة لفحت وجوهنا وأجسامنا نسمات الهواء المنعشة منذ أن إعتقلنا..

وجاء العريف رْسَنْ، وشاربه الستاليني يرقصُ على شفتيه من شدة الضحك، وهو يحمل طشـتاً وضع فيه ثلجـاً وماء. وقال المقدم نوري: هـو ذا الهواء البارد

والماء المُثلج والطعام، فماذا تريدون أكثر من هذا كله...؟!

قلتُ: والحرية...؟!

قال: وهو يضحك ساخراً: كُلّ شيء إلاّ هذا.. بَعْدْ وَكْتْ..!

قلتُ: كل شيء زائل، ولا يبقى إلاّ وجه ربك الكريم ..!

قال: سأبعث اليكم الملازم ضياء، فليعطه كل منكم رقم تلفونه لنتصل بأهلكم وذويكم ليأتوكم بما تريدون من أكل وشراب وسكائر وملابس وفراش. ولكنّ الأسرة ممنوعة إلى إشعارٍ آخر. هذه أوامر الزعيم. وسنعتبركم سُجناء سياسيين غير مُذنبين إلى أنْ تجري محاكمتكم، وساعتئذ تبيّضُ وجوه... وتسوّدُ وجوه!

ولأول مرة يتكلم توفيق السويدي، فقال: يا سعادة المقدم، العدلُ أساسُ المُلْكْ ..!

فأجاب المقدم نوري: هذا صحيح، ولكنكم لو حكمتم بالعدل لما قمنا بهذه الثورة ولما إعتقلناكم. ثم أنّ كلمة سعادة ومعالي ممنوع إستعمالها بعد الآن، وأنّ كلمة (سيادة) هي المستعملة!

قال السويدي الذي جمع جرأته واستعاد حيلته المعهودة: إننا تحت تصرفكم، وستقول العدالة كلمتها فينا وسيحكم التأريخ ..!

وعندها تدّخل المرحوم سعيد قزاز في الموضوع فقال بلهجته الكردية: تكلم عن نفسك وحدك يا أستاذ سويدي أمّا أنا فإنني مسؤول عن أعمالي كلها ..!

فأجاب السويدي: أنت تدري يا سعيد بك أنّ الحكم كان يديره عبد الإله ونوري، أما نحنُ وبقية الرؤساء والوزراء، فلم نكون سوى أحجار شطرنج، ينقلانها حيث ومتى يريدان ..!

وعندها إحتدّ سعيد قزاز، وهبّ واقفا وهو ينظرُ بغضب إلى توفيق السويدي، ونسي أنه مُعتقلٌ وقال بحدة وإصرار:

-هذا كذب وافتراء بالنسبة لي ولبعض الوزراء الذين أعرفهم وتعرفهم أنت جيداً مثلي. فأنا عندما أضطلعُ بالمسـؤولية لا أعرف عبد الإله ولا نوري...!بل أعرف واجبي ومسؤوليتي، والآن وأنا معتقل، أقولُ أمام الله والناس أنّ هؤلاء جميعاً ليسوا بمسؤولين، بل المسؤول أنا وحدي... على الأقل!

- وأشار بيده إلى متصرف بغداد عبد الجبار فهمي وإلى بهجة العطية وإلى بقية الموظفـين التابعين لـوزارة الداخلية من مُتصرفي الألويـة ومدراء الشرطة وأمانة العاصمة والبلديات.

- ولما رأى المقدم نوري بأنّ النقاش قد إحتدم، نادى على الملازم ضياء وقال له: هيا أكتب أرقام تلفونات (الجماعة) ومطالبهم ...!

وضعونا في قائمة واحدة...

لقد أصـدرتْ حكومة الثـورة القائمة الأولى والأخيرة بأسـماء المعتقلين المئة والأربعة، وعلى أساس أسم المرحوم سعيد قزاز وزير الداخلية الأخير في العهد الملكي، وهو يحمل رقم ١، أما الاسم الذي تلاه فكان أسمي انا. أي أنني الرقم الثاني في الجريمة والخيانة والتآمر. ولقد أثار رقمي هذا جدلاً ونقاشاً بين رؤساء الـوزارات والـوزراء، إذ كيـف أعطى مثل هـذا الشرف العظيم حتـى في قائمة أسماء المعتقلين...؟!

وقد تبيّن بعدما نقلنا إلى سجن الأحداث ببغداد، أنّ تلك الأرقام كانت أرقام التسلسل في دخول المعتقلين إلى معتقل أبي غريب، إذ أنّ سعيد قزاز كان أول من دخله، وكنت ثاني الداخلين إليه ..!

وأخذنـا نتعوّد حيـاة المعتقل بعـد زوال الرهبة المروعة التي شـملت الجميع ضباطاً وجنوداً ومعتقلين سواءٌ بسواءْ ....

فلقـد كان العسـكريون يتوقعون قيام حملة مضادة مـن ذوي المعتقلين أوعلى

الأقل من أنصار العهد الملكي، وهم دون شك أكثرية ساحقة في العراق. ولكن مجزرة قصر الرحاب ومجزرة بغداد التي تلتها في خلال اليومين الأول والثاني من الثورة الدامية قد أثرتا تأثيراً شديداً في أعصاب جميع الفرقاء، من مؤيدي الثورة والقائمين بها ومن خصومها.بل حتى من جانب أولئك الذين وقفوا موقف المُحايد في تلك المرحلة المُفجعة في تأريخ العراق العربي الحديث!

كنا ونحن في المعتقل اكثر اطمئنانا من أي فرد آخر في الخارج فلقد تساوى في الخوف والفزع والهلع المدنيون والعسكريون.

والثقة المتبادلة بين العسكريين والمدنيين، التي كانت سائدة قبل ١٤ تموز قد زالت نهائيا واندثرت معالمها، وحل محلها التنكر والحقد والكراهية، والتخوف من ردّ الفعل وهذا أمر طبيعي في أحوال كهذه.

يقينا، لقد صدق من قال: راحت السكرة، وجاءت الفكرة..!

فإنّ نشوة ما سُميّ بالنصر بعد مجزرة قصر الرحاب، ومجزرة بغداد، قد أسكرت الذين قُدّر لهم أن يشتركوا في تينك المجزرتين. ولكن تلك النشوة ما عتمت أن خبا أوارها بمرور الأيام، فهدأت الاعصاب الثائرة، واذا بالهُوّة السحيقة تفصل بين أولئك وهؤلاء!

لقد شعرنا ونحن في المعتقل بهذه الهُوّة، بل أحسسنا بها قولاً وعملاً، ففي العشرين من تموز صار المقدم نوري حسين مدير المعتقل يناديني: (أستاذ)..!

وراح العريف رْسَنْ يلبي طلبات السيد أحمد مختار بابان ويردفها بكلمة: نعم باشا!..أمرك باشا!

هذه الكلمات والبوادر والمظاهر تشير بمجموعها إلى أنّ (التفكير) قد حلّ محل النشوة بالنصر، وبأنّ مجرد إعتقال ١٠٤ اشخاص من رجال السياسة في العراق لا يعني أنّ العراق بعرضه وبطوله قد تبدّل أو تغيّر، أو أنه أصبح شيئاً لا علاقة له بالماضي القريب والقريب جداً!

إنني وأنا أسـجل هذه الأحـداث والحوادث والتطـورات التي جرت داخل المعتقل وخارجه، أكتبُ عن أناس هم في قيد الحياة جميعاً، وأكثرهم قد اصبحوا مثلي ينعمون بالحرية في العراق، أو في خارج بلاد وادي الرافدين!

فليعـذرني زملائـي في القيود والأغلال إذا ما كتبـتُ الحقيقة عن هذه الفترة، وعن الذين لا يزالون مُقيمين وراء الاسـلاك الشـائكة والقضبان الحديدية، فأنا لا أقصد الإساءة إلى أحد بل أقصد مجرد تسجيل الحقيقة والحقيقة التي عشناها.

سعيد مطر آمر المُعتقل...

ومررنـا بهـا في حقبة طويلة من الدهر، كانت بالنسـبة إلينـا – نحن الذين تحملنا الإهانات والمذّلة والإمتهان والإحتقار –شـيئاً مذكوراً.إنّ الكرامة في هـذه الدنيـا الفانية هي القصد من الوجود، فاذا ما فقد المرء كرامته فإنّ معنى الوجود يصير أتفه من قرد يقبع وراء قضبان حديدية، يتلقى فَتاتْ الطعام من المتفرجين عليه!

إنّ المذلّـة والهـوان أمـران عظيمان يقـف أمامهما الموت خاسـئاً وهو حسـيرْ، فالمـوتُ رمياً بالرصاص أمرٌ لا يشـعر بـه المرء إلاّ وقد حصلْ، والموتُ شـنقاً لا يتعدى دقائق قليلة من العذاب النفسي بين رؤية المشنقة والصعود اليها...!

امـا المذّلـة التـي يعانيها الإنسـان في كل دقيقة، وفي كل سـاعة، وفي كل يوم، طيلة أشهرعديدة لا نهاية لها ولا يعرف مداها وحدودها، فهي التنكر التام للقيم الإنسانية والإستهانة القُصوى بالحرية الفردية، وخاصةً إذا كان الإذلال متعمداً وعن سابق إصرار وقصد!

لقد تحملنا المذلة والمهانة كلما دار عقرب الساعة، ليسجل الدقائق والساعات والأيـام والأسـابيع والشـهور بصـبر وثبـات وإيـمان، لعلمنـا بأننـا لم نرتكـب أمراًشائناً، ولم نقم بأي عمل ضد المصلحة العربية والأخوة الإسلامية.

هذا فيما يخصُني أنا على الأقل...

فما أنا إلاّ من غزيةٍ إنْ غوتْ

غويتُ.. وإنْ ترشُدْ غزيةٌ أرشُدِ



يونس بحري وكاظم الحيدري مُذيعان مشهوران في زنزانة واحدة

وجاءت في يومٍ زوجتي اللبنانية الشابة إلى المعتقل لزيارتي، بعد أن سمحوا لأهالي المُعتقلين وعوائلهم لزيارتهم، وبعد الحديث شعرتُ بالألم على وجهها والدُموع في عينيها، فسألتُها عمّا تُريد فلم تُجبْ، قلتُ لها: يجب أن تعودي إلى لبنان بدون إبطاء فقالتُ سأفكرُ بالأمر. وما أن عدتُ إلى غرفتي حتى دوّى صوت المقدم نوري حسين ينادي من وراء الباب الداخلي: يونس بحري..! إلبس كاملاً..! قال ذلك، وبعث إليّ برئيس العرفاء رْسَنْ ليفك القيد من يديّ لكي أستطيع إرتداء ملابسي. وقادني رْسَنْ إلى مكتب مدير المعتقل حيث كان الرئيس سعيد مطر من دائرة الإنضباط العسكري، وهو الذي إعتقلني يوم ١٥ تموز ١٩٥٨، ومعه ضابط آخر وأربعة جنود.

قال المقدم نوري: أنّ وزير الداخلية ونائب القائد العام قد طلبك، وسيأخذك الرئيس مطر إلى هناك ..!

تُرى، ماذا يريد مني عبد السلام عارف...؟!

أومأتُ بالموافقة، وركبنا سيارة جيب عسكرية حيث جلستُ بين السائق، وهوعريف، وبين الرئيس سعيد، ووقف وراءنا الجنود الأربعة والضباط، وقد وجهوا إلى ظهورنا فوهات مدافعهم الرشاشة!

كانت شوارع الكرخ والرصافة التي مررنا بها في طريقنا إلى وزارة الداخلية تبدو هادئة، ولكن الوجوم يسود على وُجوه المارّة والباعة على طول الطريق، والناس يتطلعون ببلاهة إلى سيارتنا (الجيب) المكشوفة، وكان منظر الجنود الواقفين بمدافعهم الرشاشة المشرعة أمر طبيعي لا يهم أي انسان ولا يثير حتى الفضول!

وما أن وصلنا الوزارة وأصبحنا على باب وزير الداخلية، حتى فتح الباب على مصراعيه قبل أن يطرق الرئيس مطر الباب، وصاح بنا صوت مُرافق الوزير: أدخلوا..

كان العقيد عبد السلام عارف واقفاً وراء المنضدة الكبيرة التي أمر بصنعها السيد رشيد عالي الكيلاني لمّا كان وزيراً للداخلية بوزارة المرحوم السيد ياسين الهاشمي في سنة ١٩٣٥ . وقد تعاقب عليها وزراء الداخلية منذ ذلك الوقت، حتى جاء دور وزير الداخلية في العهد الجمهوري ليجلس وراءها ..!

وفي الواقع فقد كان جُلّ وزراء الداخلية الذين جلسوا وراء هذه المنضدة المشؤومة قد نُكبوا إمّا بحياتهم أو برزقهم، أو بسُمعتهم ..!

فما أن عمل عليها رشيد عالي الكيلاني بضعة أشهر حتى نُفي وأبعد عن العراق. ولمّا أعقبه السيد حكمت سليمان للعمل عليها كوزير للداخلية، تمّ قتل بكر صدقي بعد تسعة أشهر من حكمه فأقيل الوزير من منصبه، ثم أعتقل!

ولم يهنأ بالعمل على هذه المنضدة السيد عمر نظمي الذي جاء بعده، وكذلك السيد ناجي شوكت الذي تلاه بوزارة الداخلية. وكانت نتيجة العمل على هذه المنضدة المشؤومة هروب ناجي شوكت من العراق إلى تركيا فإيطاليا وألمانيا إبان الحرب العالمية الثانية. وقصة المرحوم سعيد قزاز كنتيجة للعمل على هذه

المنضدة معروفة، فلقد قادته إلى المشنقة. ..!

تذكرتُ هذه السلسلة من الأحداث المشؤومة وأنا أتطلع إلى المنضدة كالمسعور.. فسألني الوزير وهو ينظر إليّ بدهشة:

- لماذا تنظر إلى هذه المنضدة هكذا ؟

قلتُ: إسمح لي سيادتك أن أقول بصراحة أنّ هذه المنضدة مشؤومة!

قال: لماذا ؟

فرويتُ له قصتها بإيجاز، فامتقع لونُه ... وفغر فاهُ، وشهدتُ شفته العليا وهي ترتعش بوضوح، وراح بدوره يتطلّع إلى المنضدة تطلّع الرجل الذي صدقت أذناهُ ما سمع ..!

وهكذا كسبتُ الجولة الأولى في موقفي الدقيق مع هذا الرجل الذي كان لولب ثورة ١٤ تموز ومُنفذها (الأوحد). فما كان منه إلا أن جلس على مقعد أمام المنضدة، وأشار إلى المقعد المتاخم له وقال لي بصوتٍ مُرتجف: أجلسْ ..

فجلستُ، وأنا أنظرُ اليه كمُنوّم مغناطيسي يحاولُ ان ينوم وسيطاً عنيداً. بَيْدَ أنّ مُحاولتي كانت أسهل ممّا كنتُ قد تصورتُ من قبلْ ...

لقد تناسى العقيد عارف الموضوع الذي إستقدمني من أجله، والذي كنتُ أجهله بالطبع، ولكنّ شعوراً داخلياً أوحى لي بأنْ أمثلْ معه ذلك الدور لأخفّف من حدّته، وأحوّل تركيز تفكيره على ناحيةٍ تُضعف أعصابه وتُدخل الشك إلى نفسه، خاصة بعدما سمعتُ من كثيرين يعرفونه من وزراء العراق المعتقلين معنا عن كثرة وساوسه وشكوكه وتردده، وسرعة تصديقه لما يسمع ..!

وبقدرة قادر، تحوّل هذا الضابط المُتحفز المُشاكس إلى حَمَلٍ وديع. جلس إلى جانبي كتلميذٍ مُهذب يوجه إلى أستاذه أسئلة غير منتظمة عن مختلف وزراء داخلية العهد الملكي الذين سبقوه في هذا المكان وعملوا على تلك المنضدة المشؤومة الماثلة أمامنا.

وقد ركّز أسئلته على وزيرين سابقين للداخلية: أولهما رشيد عالي الكيلاني، والثاني أمير اللواء المتقاعد سامي فتاح ..!

واتضح لي من شكل أسئلته أنه كان شغوفاً برشيد عالي الكيلاني، ويحبّه حبّاً جمّاً يقرب من العبادة، في حين أنه كان يكره سامي فتاح كرهاً شديداً مفعماً بالمقت والإزدراء.

وصفتُ له أعمال الرجلين ومراحل أدوارهما في الداخلية زهاء ساعة كاملة، وهو ينصت إليّ بإمعان مطالبا بالمزيد.

ولو لم يدخل المرافق لينبه العقيد عارف وزير الداخلية إلى أنّ السفير البريطاني قد حضر، لما سمح لي بالذهاب. ...

ولما جاء الرئيس مطر يقتادني، تذكر العقيد عارف الموضوع الذي إستدعاني من أجله، فقال وهو يربُتُ على كتفي بعصاه العسكرية: يا يونس ارجوك اترك قصة (العريف) باتيستا دكتاتور كوبا ...

قلتُ: أمركْ يا سيادة العقيد...

قال: مع السلامة وفي أمان الله، سننظرُ في موضوعك قريبا، والى اللقاء ..!

*****

كان على كل من يدخل سجن الأحداث أو يخرج منه، من ضباط أو جنود معتقلين، أن يمُرّ من أمام باب غرفتنا المكشوفة ...

وكان الرئيس (المجهول) عبد الستار السبع، كلمّا مرّ بنا يشيح بوجهه عنا، ويتظاهر بعدم رؤيتنا. ولكنني قررتُ أن أعقد صفقة في سوق الصداقة، مهما كلّف الأمر ..!

سألني كاظم الحيدري: كيف تتمكن من عقد هذه الصفقة ونحن في هذا الوضع المُشينْ...؟!

قلتُ : لا أدري، إنّ الصدفة وحدها كفيلة بإتمام الأمر، فلننتظر ..!

وفي صباح اليوم التالي، أي اليوم السابع الذي مرّ علينا ونحن في سجن الأحداث ببغداد، فُتح باب السجن الكبير المُجاور لباب غرفتنا، ودخل الرئيس عبد الستار السبع وهو يقودُ عدداً كبيراً من مُراسلي الصحف العربية والمصورين، وكنتُ أعرفهم جميعا. ولم نكن قد إرتدينا ملابسنا بعد، فاخذوا لنا صوراً من وراء قضبان باب غرفتنا الحديدية. ثم فُتح باب الغرفة، وراح الرئيس سبع يقدمنا إلى الصحافيين بأسمائنا المجردة.

وهجم عليّ الزميل محمد رفعت مندوب دار (الهلال) وأشبعني تقبيلا، فقال له الرئيس سبع: هل تعرف يونس ؟

فأجاب قائلا: إنه استاذنا الكبير ..!

فضحك الرئيس سبع لأول مرة، وضحكنا جميعا. وتقدم منا الزميل ابراهيم علي محرر جريدة (الزمان) البغدادية وصافحني قائلا: حيّ العرب!

فقلتُ: وحيّ الرئيس عبد الستار سبع..!

فأجاب الرئيس سبع: بل حيّ الزعيم عبد الكريم ..!

فهتفتُ بأعلى صوتي: حيّ الزعيم الأوحد، عبد الكريم قاسم..! لقد أعجب الرئيس عبد الستار سبع بكلمة (الأوحد)...!

*****

ولم يُقبل على الصلاة إلاّ عدد يسير من المعتقلين، وفي طليعتهم الدكتور فاضل الجمالي، وعبد الوهاب مرجان، وعبد الجبار فهمي، وأحمد مختار بابان، وفخري الفخري أمين العاصمة بغداد!

صليتُ بادئ ذي بدء إماماً بهذا العدد القليل، ولكن صلاة الجماعة لم تجدْ رواجاً عند المعتقلين، لأنّ كل واحد منهم يريد أن يكون مستقلا مع ربّه ليخاطبه على انفراد، فيفضّ له بمصائبه وأشجانه، أو لأنهم لا يعتبرونني صالحاً للمهنة..!

وهكذا فشلتُ في المعتقل كإمام، ولكنني نجحت نجاحاً باهراً كمؤذن بارع!

أبو لؤي...!

جاءنا أحد الجُنود وفتح الباب ثمّ نادى قائلاً...أبو لؤي مطلوب عند الآمر... فقمتُ من مكاني قاصداً الباب، لأنني كنتُ أكنّى بهذا اللقب، فأنا أبو لؤي، لأنّ لؤياً هذا هو إبني في العراق.

وما أن وقفتُ أمامه وجهاً لوجه حتى حيّاني وهو يبتسهم، ومدّإلي بورقة ثم قال: وقّعْ عليها بإمضائك ..!

فوقعتُ! وأنا مذهول من شدة الدهشة، إذ لم أكن أتوقع أن يطلب مني رئيس العرفاء توقيعا...!

لم أشأ أن أساله علامَ هذا التوقيع ولماذا..؟! ولم يشأ هو على ما يظهر أن يفسّر أو يُعلق على الموضوع ولو بكلمة واحدة.

وبعد أن ناولته الورقة موقعة بدون أن أكلف نفسي عناء قراءة ما كان مخطوطا عليها، ناولني رزمة من الدنانير: خمسون ديناراً نقداً وعّداً!

لم أتمالك نفسي وأنا أضع هذا المبلغ المحترم من المال في جيبي من أن أفكر في أنّ أحد الأصدقاء قد بعث لي به ليساعدني على قضاء حاجتي، لئلا أبقى أبد الدهر في المعتقل غسّالا لأواني طعام الزميل عادل عوني!

وطلبتُ فوراً إلى العريف المولج بشراء ما نحتاج اليه من طعام أن يأتيني بمحتويات قائمة كتبتُها لـه، ونفحتُهُ بعشرة دنانير، مشفوعة بدينار وضعتُهُ في جيب قميصه الخاكي.

فقال: حاضرْ يا أستاذ!

وسألني السويدي: يا يونس، من أين لك هذا ؟

فأجبته كما أجابت مريم زكريا: هذا من عند ربي...!

وانفـضّ عقدنـا ونحن على أتم ما نكون من السرور والإنسـجام، وبعد فترة القيلولـة إجتمعنـا لتناول الشـاي عند السـيد خليـل كنة، وكان الجمـع حافلاً، فاطلّ علينا السيد توفيق السويدي وهو يلقي علي نظرة فاحصة، ثم استدار نحو الجمع الحافل وهو يقول: يا جماعة، لقد طلبتُ أمس مبلغاً من المال من زوجتي، ألم يأت رئيس العرفاء ويسأل عني ؟

ومـا أن تفوّه السـويدي بعبارتـه تلك حتى أخـذ الرفاق يتغامـزون بأعينهم عليّ، وانفرجتْ أسـارير وجوههم عن إبتسامات عريضة، ولكنني أدرتُ رأسي والتهيتُ بشرب الشاي، فهجم علي السويدي وقال: فلوسي... أين هي فلوسي يا يونس...؟

قلتُ له: ماذا تعني ؟ هل أخذتُ منك شيئا ؟ إذا كانت لك فلوس فراجع من أجلها رئيس المعتقل ..!



توفيق السويدي (أبو لؤي) رئيس وزراء العراق سكن في زنزانة واحدة مع يونس بحري

لقـد صـدر مرسـوم جمهوري بحجـز أمـوال المعتقلـين والهاربـين إلى خارج العـراق من رجال العهد الملكي، المنقولة وغير المنقولة... ومنعت المصارف من

أن تصرف لكل واحد من المعتقلين أكثر من ٣٠٠ ديناراً شهرياً، وقد حمدتُ الله وشكرته على أنّ إسمي لم يرد في قائمة المحجوز على أموالهم، لكوني لا أملكُ شيئاً منقولاً أو غير منقول في العراق، بل لأنّ مجرد ذكر إسمي بين المعتقلين كان سيثير اهتمام الرأي العام، فلقد إعتقد الناس وخاصة في بغداد بأنني من كبار الأغنياء، ولكنّ إعتقالي هنا قد بدّد هذه الخرافة أو الأسطورة ... إذ لم تجد لجنة التحقيق في رصيدي في البنوك سوى مبلغ قدره ٣٠٠ دينار قبل سنة من يوم ١٤ تموز، وهذا المبلغ كان قد أعطانيه السيد عبد الوهاب مرجان عندما كان رئيسا للوزارة سنة ١٩٥٧، وقد سحبته بعد يومين من إيداعه في مصرف الرافدين.

*****

إنّ قيام الجهات الرسمية بحجز أموال المعتقلين قد كشف عن حقيقة مدهشة، وهي أنّ هؤلاء الرؤساء والساسة لم يكونوا أثرياء بل ثبُتَ أنّ الثروات في الأموال المنقولة المسجلة بأسماء أصحابها في المصارف والبنوك ثروات عادية، وأنّ أكثر الرؤساء والوزراء... فقراء ..!

وهذا يعني أنّ الدعايات التي أمعنت بتضخيم ثروات رجال الحكم السابق بعناد وإصرار زائدين تجعل الألف دينار مائة الف أو يزيد، وتجعل من المائة الف مليون دينار ..!

ولنضرب على هذا مثلاً: لقد وُجد أنّ المرحوم سعيد قزاز لا يملك سوى ٣ آلاف دينار، وأنّ بهجت العطيه مديون، وأنّ رصيد أحمد مختار بابان في بنك الرافدين كان ٨ آلاف دينار، وكما أنّ السيد خليل كنة الذي قالت عنه الإشاعات بأنه حاول تهريب ١٨ مليون دينار بسيارته يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ لم يكن رصيده ليتجاوز ٤ آلاف دينار فقط!

*****

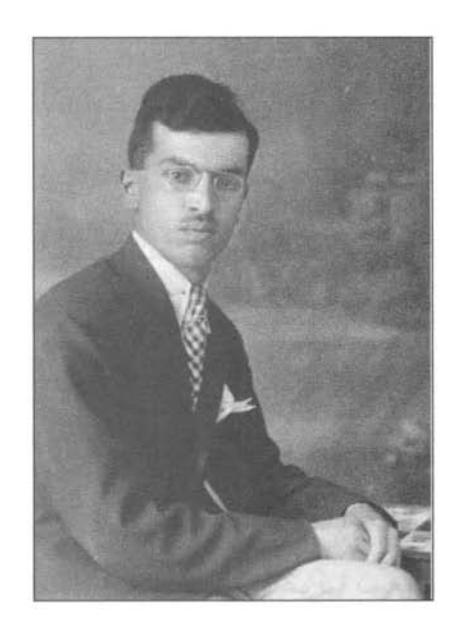
روى لي المرحوم سعيد قزاز وزير داخلية العراق، ونحن في سجن الأحداث ببغداد كيف اتصل به نبأ (الانقلاب العسكري) قال:

- كنتُ في داري أضعُ تقريراً عن الحالة في العاصمة، وأنا لم أنم في ليلة ١٣-١٤ تموز ١٩٥٨. ففي الساعة الرابعة والنصف صباحا زارني السيد بهجت العطية مدير الأمن العام ومعه مساعده المرحوم نائل، فأكد لي السيد العطية بأنّ اللواء العشرين الذي سيمر ببغداد في طريقه إلى الأردن سيقوم بانقلاب عسكري. وكان قد إتصل به المفوض خضر العبيدي، آمر مخفر جسر (الخرّ) القريب من قصر الرحاب، وأبلغه بأنّ العقيد عبد السلام عارف مرّ بالمخفر وتوقف عنده، حيث إتصل تلفونيا بمعسكر الوشاش وطلب مخاطبة الرئيس الركن عبد الستار سبع. ثم إلتفت الى المُفوض وقال: (اعط العقيد ياسين محمد رؤوف الموجود في سيارتي جرعة ماء!).

وقال العبيدي للقزاز: (ولما جئتُ العقيد ياسين، رأيته موثوقا بالحبال، وهو يئن من شدة الألم، فلقد كان يتحمل الضرب بالعصي منذ مغادرة بعقوبة إلى بغداد، وبعد أن شرب العقيد ياسين الماء، قال لي ما معناه: انهم سيحتلون بغداد ويعلنون الجمهورية ويقتلون نوري السعيد والعائلة المالكة أخبر مدير الشرطة ومدير الأمن العام!).

(وخرج العقيد عارف من المخفر، وكنت أقف عند المدخل بعيدا عن سيارته، فقال لي: انت ورجالك تحت الإنذار ... فلا تدع أحداً يغادر بغداد إلاّ بأمر مني ... إنني سأكون بدار الإذاعة فاتصل بي تلفونيا عند اللزوم).

وكان العقيد ياسين آمر الفوج الثاني في اللواء العشرين، قد رفض مشاركة العقيد عارف في الإنقلاب، فاعتقله.



سعيد قزاز وزير داخلية سابق

في شبابه الباكر سنة ١٩٢٦



سعيد قزاز في شبابه الناضج

سنة ١٩٣٥



سعيد قزاز في كُهولته

وقبل مُحاكمته سنة ١٩٥٩

(هنا بغداد ... إذاعة الجمهورية العراقية)...

مرّتْ أمام خاطري ذكريات العهد الملكي في العراق، وأنا أستمع إلى صوت مذيع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ يُردّد: (هنا بغداد ... اذاعة الجمهورية العراقية).

منذ ٢٣ آب ١٩٢١، ذلك اليوم الذي إحتفل فيه أهل العراق بتتويج الملك فيصل الأول ملكاً ديمقراطياً دستورياً على العرش، إلى اليوم الذي نودي بغازي الأول ملكا على العرش العراقي، إلى الليلة العبوس القمطرير التي قتل فيها غازي في قصر الزهور ببغداد، ليلة ٤ نيسان ١٩٣٩، ثم إلى مقتل القنصل البريطاني المستر مونك في الموصل في صباح يوم ٤ نيسان الباكر، فإعلان الأمير عبد الإله وصياً على عرش العراق لأنّ الملك فيصل الثاني يوم ورث عرش والده غازي في يوم ٤ نيسان ١٩٣٩ لم يكن قد تجاوز الثلاثة أعوام من عمره!

هذه الأحداث الجسام في تأريخ العراق العربي مرّتْ بي، وأنا أتنقل معها من طور إلى آخر، فأقارن بين خيراتها وشرورها... وبين خسائر العراق ومكاسبه، وبين حسنات رجاله أخطائهم، وبين ما قاموا به وقدموه من اعمال وخدمات صارت من حق التاريخ ان يسجلها عليهم.

وحسبتُ أيام هذا الشريط السينمائي الذي سجلته ذكراتي من يوم ٢٣ آب إلى يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ فبلغت ٣٨ عاما وشهرا واحدا وعشرة ايام... (والصحيح هي ٣٧ عاماً وشهراً واحداً وعشرة أيام)...إنها عمر الحكم الملكي الهاشمي في العراق...

و يقيناً أنّ هذا الإنقلاب العسكري، أو إنقلاب إذاعة بغداد، لم يدهشني قط... ولكنه حرّك في نفسي ذكريات أول إنقلاب عسكري قمنا به في العراق، بقيادة اللواء بكر صدقي في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦. تذكرتُ كيف قمنا في صباح ذلك اليوم بإعتقال رئيس الوزارة العراقية المرحوم ياسين باشا الهاشمي، وبقية أعضاء وزارته ومنهم السادة رشيد عالي الكيلاني ونوري السعيد وعلي

ممتاز الدفتري، والمرحوم رستم حيدر رئيس الديوان الملكي، أمّا وزير الدفاع العراقي المرحوم جعفر العسكري فقد قتله بعض ضباط بكر صدقي في طريق بعقوبة، وعلى مقربة من (كاسل بوست) التي تبعد ٣٠ كيلومتراً من بغداد، وهي النقطة التي إنطلق منها العقيد عارف لإحتلال بغداد.

لقد أوفد مجلس الوزراء يومئذ جعفر العسكري لملاقاة الجيش الزاحف على بغداد، لمفاوضة قائد الحملة وزعيم الإنقلاب الأول بكر صدقي لإيقاف الزحف وتلبية مطالبه. واختيار جعفر العسكري لهذه المهمة الخطرة كان له مغزى خاص عند العسكريين قبل المدنيين، فلقد كان جعفر العسكري في الواقع (أبو الجيش) العراقي، بوصفه المؤسس الأول لهذا الجيش، وكان أول وزير الدفاع في الوزارة العراقية الأولى في سنة ١٩٢٠ ... فأسّس المقر العام للجيش في يوم ٦ كانون الثاني سنة ١٩٢١ وعيّن نواة الجيش من بعض الضباط الذين كانوا معه في الجيش العثماني من قبل، وفي الجيش الهاشمي في الحجاز ثم في سوريا، ولما إنهار مُلْكُ فيصل الأول فيها... عاد إلى بغداد.

وكان المرحوم جعفر العسكري يومئذ يحمل رتبة فريق في الجيش، في حين أنّ نوري السعيد كان يحمل آنذاك رتبة عقيد، فاختار صهره جعفر العسكري أول رئيس لأركان حرب الجيش العراقي الفتي!

ولما علم بكر صدقي بقدوم جعفر العسكري أصدر أوامره بقتله، فنفذ أمره كُلٌّ من الضبّاط جمال جميل (الذي أعدمه الإمام أحمد ملك اليمن عندما كان مديراً عاماً للأمن في اليمن إثر قيامه بقتل الإمام يحيى حميد الدين سنة ١٩٤٨) واسماعيل توحلة (مدير شرطة الموصل اليوم) وحسين جواد، وحسين الدليمي. وكان إغتيال جعفر العسكري أول مسمار دقّ في إنقلاب بكر صدقي، إذ أثار حفيظة الضباط الكبار في الجيش العراقي على بكر صدقي وحملهم على الإحتجاج لدى الملك غازي. ويقال أنّ بكر صدقي كان متفقاً مع غازي على إنقلابٍ أبيض، ليتخلص من وزارة الهاشمي ومن رشيد عالي الكيلاني، بغية

إضعاف النفوذ البريطاني في العراق. وكان غازي رحمه الله معروفا بشدة ميله لألمانيا، وتربطه شخصياً روابط وثيقة مع هتلر بواسطة سفير المانيا في العراق والسعودية الدكتور فريتز غروبا، الذي كان وما يزال من أعزّ اصدقائي، وهو الذي مهّد لي الطريق واختارني لتأسيس اذاعة برلين العربية والقيام بإدارتها والإذاعة فيها من ٥ نيسان ١٩٣٩ إلى ٢ مايس سنة ١٩٤٥.

شاهد عِيانٍ يتكلم...

كنتُ، وأنا ارهف السمع إلى بيانات العقيد عبد السلام عارف من إذاعة بغداد، أدقّقُ في بعض التعليقات القصيرة التي يذيعها في الفترات التي كانت تتعاقب بعد هاتيك البيانات وكانت تبدو للسامع كفصول متسلسلة من رواية خيالية. وحاولتُ من خلال العبارات التي لم أفهم شيئاً منها أن أسترق بعض العبارات التي يمكن أن تُوضح لي الوضع السائد ببغداد إثر هذا الإنقلاب الصاعق. ولكنه بدا لي أنّ عبد السلام عارف نفسه كان في نبرات صوته المتهدجة المرتعشة حائراً وجلاً، لأنه كان ينتظر من خارج الإذاعة أخباراً مطمئنة.

وفي الساعة السابعة والدقيقة ٢٥ أعلن عارف للمرة الأولى بأنّ (عدو الإله وسيده) يقاومان في قصر الرحاب، وفي الحقيقة أنّإعلان (المذيع عارف) نبأ مقاومة (عدو الإله) يقاومان الثورة بقوة السلاح، في حين أنهما كانا في عداد الأموات في ذلك الوقت..!

روى لي العقيد ياسين محمد رؤوف عندما كنا في سجن الأحداث ببغداد معتقلين قصة لم ينقلها أحد إليه، بل كان هو شاهدها الأول والأخير في صباح يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ قال:

- أنتَ تدري أنني كنتُ قائد الفوج الثالث من اللواء العشرين. وكان واجبُهُ في ليلة ١٤ تموز إجتياز بغداد وعبور جسر الملك فيصل الأول إلى الكرخ لنستمر

في طريقنا في محاذاة خان بني سعد بعد أن عبرنا نهر ديالى من بعقوبة إلى الاردن، ثــم جــاءني العقيد عبد الســلام عارف ونحنُ نسـير وأفـضى إليّ سراً بأنّ الجيش سـيقوم الليلـة بانقلاب عسـكري، وسـينفذ أمر قتـل الملك ووليّ عهـده وبقية أعضاء العائلة الهاشمية المالكة...

وأردف العقيد ياسين محمد رؤوف إلى ما تقدم قوله:

- تحدثتُ إلى زميلي العقيد عبد السـلام عـارف بصراحة وبِحُرّية، فلقد كنتُ أقـدم منه رتبـة ودرجة، فهو مجـرد عقيد، وأنا عقيـد وركن مجاز، وأنـا أقدم منه سنتين في الخدمة ومُرشح لرتبة زعيم ركن. (هذه المعلومة فيها مُغالطة كون عبد السلام عارف كان برتبة عقيد ورُكُنْ كذلك).

يضيف العقيد الركن ياسـين محمد رؤوف قائلاً: (قلتُ لعبد السلام عارف) إننـي أوافق عـلى القيام بالثـورة، أمّا قتل الملـك ووليّ العهد وبقية افـراد العائلة المالكة فلا أوافق عليه أبداً ...

قال عبد السلام: اذن شنو نسوي بيهم...؟!

قلـتُ: نطردهم كـما طرد جمال عبد النـاصر فاروق وعائلتـه، ونجعل ثورتنا بيضاء خالية من الشوائب ..!

لم يُجبني عبد السـلام، بل رفع عصاه العسـكرية وراح يضربني بها كيفما اتفق وهـو يصيح معربـداً: (خائن ..! متآمر..! قـذر..!) ثم صاح بالجنـود الواقفين وراءه: (شدّوه بالحبال وأربطوه داخل سيارتي...!).

(واسـتمر عبد السـلام عارف في إهانتي وضربي والبصق عليّ إلى أن وصلنا دار الإذاعة العراقية فطوّقها بجنوده، وأدخلني معه إلى غرفة مدير الإذاعة حيث احتلها وأمر المهندسين بتشغيل الإذاعة والإستعداد للبث) ...

(وأمـر بربطي بحديد نافـذة الغرفة وأنا فاقد الشـعور تقريبا منهوك القوى،

ولم يسمح لي بشرب جرعة من الماء إلاّ عندما مررنا بمخفر شرطة جسر الخرّ حيث أبلغتُ مفوض شرطتها، وهو شاب قامت بتربيته العائلة الهاشمية المالكة ومحسوب عليها، أنْ يُبلغ الجهات المختصة بأنّ العزم اكيد على قتل الملك والعائلة المالكة ...).

ويقول العقيد ياسين محمد رؤوف: (كنتُ أشاهد العقيد عبد السلام عارف منذ أن دخلنا الإذاعة بعد احتلالها وهو يروح ويغدو خائفاً بادي الإضطراب ووجهه أصفر شاحب.

وكان في كل مرة يدخل الغرفة يسبّني ويبصقُ عليّ وهو يقول: والله يا أبن الكلب إذا لم ننجح سأقتلك قبل أن نخرج من هنا ..!).

(وفي الساعة السابعة والربع حدثت ضجّة في حديقة دار الإذاعة عند المدخل، وأخذتُ أسمعُ أزيز سيارات الجيب وقعقعة السلاح. وكان عبد السلام عارف غارقاً في ذهول مخيف حتى أنه كفّ عن شتمي، وحتى أنّ هذه الضجة غير المعتادة في حديقة الاذاعة لم تخرجه من ذهوله ...).

وبدون أن يطرق باب الغرفة طارق، فتح الباب ودخل ضابط نحيف القامة مربوعها وملابسه ملطخة بالدماء، ويحمل مدفعا رشاشا (أستن) بيمينه، وما أن رآهُ عبد السلام حتى هبّ واقفاً من مقعده مذعوراً ولم يتفوه إلاّ بكلمة واحدة: ها....؟!!

لم يُجبْ الضابط شيئاً، بل هجم علي العقيد عارف وطوقّه بيديه، وراح يقبله بجنون وهو يبكي من شدة الفرح، حتى أنهُ لم يستطع الكلام. وعبثا حاول عبد السلام عارف إبعاده عنه ليفهم ما كان يريد يفهمه منه!

وبعد مضي دقيقة على هذا المنظر الدراماتيكي العنيف، تمكّن الضابط الوافد من الكلام، وأول كلمة قالها: كتلناهم!

وعندئذ هجم العقيد عبد السلام عارف بدوره على الضابط الرئيس عبد

الستار سبع وراح يُشبعُهُ تقبيلاً ويربتُ على كتفه وكأنه يُسدّدُ إليه لكلماتٍ قوية، وراح يصيحُ بأعلى صوته: الله أكبر! الله أكبر! يا ولدْ... (مخاطباً مهندس الإذاعة والموظفين) أعزفوا إسطوانة (الله اكبر على المعتدي).

والتفتَ إليّ عبد السلام عارف - أي الى العقيد ياسين - وضربني على رقبتي بعصاه العسكرية، وهو يقول: نَجَحْنا خْلْصَتْ يا كوّاد..! كتلنا أسيادك يا... خائنْ ..!

ثم جلس الى المكتب، وخطّ بضعة أسطر، ثم اندفع الى غرفة الإذاعة كالسهم المارق، وهو يردّد: الله أكبر إنتصرت الثورة ..!

(وتقدّم إليّ الرئيس عبد الستار سبع وقال لي بأدب:إسمح لي سيدي أنّ أفكّ وثاقك وآخذك معي الى معسكر الوشاش... فلا تحاول أن تهرب!).

قلتُ: يا رئيس عبد الستار الى أين اهرب ؟ وقبل أن ينتهي الرئيس عبد الستار من فك وثاقي عاد عبد السلام عارف الى الغرفة وهو يردّد قوله:

- لقد أذعتُ بأنّ عدو الإله وسيده (يعني فيصل الثاني) يقاومان الثورة في قصر الرحاب!

ثم لمّا رأى الرئيس عبد الستار يحلّ وثاقي ويجاملُني قال له:

- ماذا تفعل يا أخي ؟ هذا خائن متآمر ... قذر ..!

فالتفت اليه الرئيس عبد الستار وأجابه بحدّة قائلاً: ..أرجوك شوف شغلك انت ... وأنا أشوف شغلي..!

فقال عبد السلام عارف وهو يغتصب الإبتسامة إغتصابا...

- دادْ عبد الستار ... آني دا أتشاقا ويّاك ... خذهُ وينْ ما تريدْ...!!

*****



الإنقلابات العسكرية في العراق...

وبمناسبة الحديث عن إنقلاب ١٤ تموز، رأيتُ أن أقدّم للقارئ في الصفحات التالية لمحة عن الإنقلابات العسكرية السابقة التي حدثت في العراق

قام الإنقلاب العسكري الأول سنة ١٩٣٦ بعد دراسة وافية، كان يتعاون فيه الملك غازي الأول مع رجال السياسة المعروفين بحنكتهم، أمثال حكمت سليمان رئيس وزارة الإنقلاب، والزعيم جعفر أبو التمّنْ رئيس الحزب الوطني، ومحمد مهدي كبّة رئيس حزب الإستقلال فيما بعد، وكامل الجادرجي رئيس الحزب الديمقراطي الوطني، وكان في ذلك الوقت يرأس حزب الإصلاح الشعبي ...

يتضح ممّا تقدّم أنّ الإنقلاب العسكري الأول في العراق سنة ١٩٣٦ كان إنقلابا توفرت لمساندته العناصر اللازمة، فالملك، وهو رأس الدولة، يباركه ويرضى عنه، والأحزاب المعارضة تؤيده وتعمل لتأييده وتثبيته، فما الذي أطاح بالجنرال بكر صدقي، وقوّض دعائم حكومة ذلك الإنقلاب الذي

أرضى الشعب وجعله يشعرُ بالشعور العربي القومي الذي بشّرنا به ودعونا من أجله...؟!

لقد كنتُ داعية ذلك الإنقلاب الأول والناطق بلسانه، بل كنتُ خطيب الإنقلاب ومذيعه في الشهر الأول من قيام ثورة ١٩٣٦. وقد كتبتُ بيان الثورة الأول بخطّ يدي، وطبعتُ المناشير على الآلة الكاتبة في مكتب السيد جميل الوادي مدير البرق والبريد حينذاك، بحضور شقيقه العقيد شاكر الوادي مُمثل الجنرال بكر صدقي والعضو الفعّال في مجلس تلكم الثورة. وقد طبعنا ألوفاً من هذه المناشير، منها ما وُزّع بالأيدي ومنها ما ألقي من الطائرات التي قصفت مجلس الوزراء العراقي بالقنابل.

وكنتُ الرجل الذي قاد المتظاهرين إلى دار المغفور له ياسين الهاشمي رئيس الوزراء والقيتُ القبض عليه وسلمتُهُ جواز سفره لتسفيره هو وزملائه الوزراء الى دمشق فبيروت في سيارة من سيارات (نيرن) عبر بادية الشام ...

إنّ من يقرأ كتابي (العراقْ اليومْ) الذي ألفتُهُ في بيروت وطبعته في مطبعة السيد مصباح قليلات في باب إدريس سنة ١٩٣٧، يعرف الأسباب الحقيقية التي أدّت الى القضاء على ذلك الإنقلاب الذي لم يُقتلْ فيه إلاّ رجلٌ واحدٌ، هو الفريق جعفر العسكري وزير الدفاع وأبو الجيش العراقي كما هو معروف ..!

والسبب الرئيسي الذي أدّى الى تلك النهاية المحزنة التي إنتهى بها إنقلاب بكر صدقي، هو الذي حملني على الهروب من العراق والإلتجاء الى سوريا فلبنان بعد شهرين مرّا على الإنقلاب فقط. لقد رفع الشيوعيون عقيرتهم، وكانوا يؤلفون الجناح الأيسر المتطرف في حزب الإصلاح الشعبي، الذي يقوده السيد كامل الجادرجي، ويصدر بإسمه جريدة (الأهالي)، يُحررُها سكرتير الحزب الشيوعي عبد القادر إسماعيل.

لقد تغلبتْ الأقلية الشيوعية المنظمة في حزب الإصلاح الشعبي على جميع الهيئات الحزبية، واستغلت عواطف رجل الشارع والطبقات الكادحة، فشنتها

حرباً شعواء عارمة على العقلاء والمعتدلين والموظفين المخلصين، وأمعنتْ في الإستهانة بكرامة الرجال، من غير المشتغلين بالسياسة، وحملتْ على رجال الدين حملات لا يزال يذكرها الناس بالألم والأسف، الأمر الذي حدا بي أن اقصد بكر صدقي غير مرّة لأحذرّه من مغبّة مثل هذه التيارات المناقضة لأهداف الثورة ومثلها العربية السامية.

ولكن بكر صدقي كان يُلطّفُ من حدّتي بقوله: هاجمهم يا أخي ... إفضح أعمالهم بطريقتك المعهودة ... أمّا أنا فلا أريد أن أتعرّض اليهم بسوء!

ولمّا رأيتُ أنّ الوضع قد تأزم، وأنّ الكتلة الشيوعية وعلى رأسها عبد القادر إسماعيل البستاني، قرّرتُ ترك رجال تلك الثورة الأولى في العراق يتخبطون وحدهم في مرحلة السياسة الخاطئة، وعدتُ أدراجي الى بيروت حيث التحقتُ بالمرحوم ياسين الهاشمي، وكفّرتُ عن سيئاتي نحوه، وعملتُ معه الى أن توفاه الله بالسكتة القلبية، فدفناهُ الى جانب البطل صلاح الدين الأيوبي في دمشق!

لقد مرّ العراق العربي بعد ذلك الإنقلاب الأول بست انقلابات، منها محاولات إنقلاب، ومنها إنقلابات حقيقية.

ففي عام ١٩٣٩، أي بعد ثلاثة أعوام أعقبت انقلاب بكر صدقي، حاولتْ الفرقة الأولى المرابطة في كركوك بقيادة أمير اللواء الركن صالح صائب الجبوري (أبن عمي) القيام بانقلاب عسكري. وهذه المحاولة جرت هي الأخرى بالإتفاق مع الملك غازي الذي كنتُ أتعاون معه تعاوناً وثيقاً في إذاعة بغداد، وإذاعة قصر الزهور الملكي الخاصة به، التي أهداهُ إيّاها هتلر بالذات بواسطتي وتوليتُ اذاعتها.

وقد أردنا بهذا الإنقلاب التخلص من نوري السعيد. وكان يساعدنا سرّاً في تدبير أمر هذا الإنقلاب السيد رشيد عالي الكيلاني، وكان يومئذ رئيسا للديوان الملكي وأقرب المُقرّبين الى الملك غازي، وهو الذي كان يمسكُ بخيوط حملة ضمّ الكويت الى العراق.

وكان إصرار غازي على ضمّ امارة الكويت الى العراق، أحد العوامل الرئيسية التي أدّت الى التخلص من الملك غازي بأي ثمن كان. ومهما كلّف الأمر، فكان ما كان ... وقضي على غازي في خاتمة المطاف. وهناك من يعتقد أنّ إصرار العهد العراقي الملكي على المطالبة بإدخال الكويت في الإتحاد العربي في أوائل تموز عام ١٩٥٨، لعب هو الآخر دوره في نهاية فيصل الثاني ونوري.

لقد تعّود رجال الجيش التدخل بالعمل السياسي، وصار ديدن صغار الضبّاط الجلوس في النوادي العسكرية، ومناقشة الأوضاع السياسية.

ولم يكن لدى الجيش بمجموعه واجبات عسكرية تُشغله عن مثل هذه الأمور، فبقي الجنود مُجمدّين في ثكناتهم عاطلين عن العمل. وتوفّر للضبّاط وقت طويل يشغلونه في التسلية وفي إنتقاد الوزارات المتعاقبة على دَسْتْ الحكم. وهكذا دبّ دبيب السياسة في عروقهم، وانصرف تفكيرهم الى إستغلال الفرص السانحة لقضاء مآربهم والوصول الى الحكم.

وتألفتْ خلايا عديدة في مختلف مراكز الفرق والألوية. وقد شجع بعض هذه الخلايا في بغداد وجلولاء والمسيب وكركوك والموصل الأوكار السرّية للحزب الشيوعي المُنحل منذ أيام إنقلاب بكر صدقي، حين سيطر الحزب الشيوعي على الحكم في ذلك العهد سيطرة تامة، صار تغلغل الشيوعية بين صفوف صغار الضبّاط أمراً واقعاً لا يقبل الجدل.

نعم، إنّ نجم الحزب الشيوعي العراقي قد أفَلَ عندما اغتال أحد جنود الرئيس الأول الطيار محمود هندي الجنرال بكر صدقي في مطار الموصل، وصديقه المرحوم العقيد محمد علي جواد قائد القوة الجوية العراقية، فحلّتْ وزارة جميل المدفعي التي جاءت بعد إقالة وزارة حكمت سليمان، الحزب الشيوعي، ونزعتْ الجنسية العراقية عن رئيس الحزب الشيوعي عبد القادر البستاني، وفسختْ نيابته، وكذلك نزعتْ جنسية أخيه الدكتور يوسف إسماعيل، وكان قنصلاً عاماً للعراق في باريس!

ولم تكتف الوزارة بهذا العمل فحسب بل عمدت الى الكلية الحربية حيث تغلغلت فيها النزعة الشيوعية، فطردت بعض الطلبة ومن بينهم رشيد مطلق (مطلك)، وهو رفيق الرئيس قاسم في حيّ المهدية، وزميله في المدارس الإبتدائية والثانوية والحربية.

وكافحت الوزارة المدفعية الشيوعية بشدّة وصرامة، وبالرغم من إعلان رئيس الوزارة جميل المدفعي بأنّ وزارته هي وزارة (إسدال الستار على الماضي)، وعفا الله عما سلفْ.

ولكن نوري السعيد الذي كان يمسك بيديه خيوط الوزارات العراقية المتعاقبة لم يكن ليهمّهُ شيء مثل إهتمامه بمحاربة الشيوعية والقضاء عليها قضاءً مُبرماً، بيد أنّ هذه الحرب العقائدية المتطرفة لم تكن لتؤثر على الشيوعيين المستترين تحت أسماء مستعارة، فكانوا عندما تشتد عليهم وطأة المكافحة يستكينون برهة من الزمن، ولكن تنورهم السرّي لم تنطفئ نيرانه، خاصة عند بعض صغار الضباط في الجيش ...



العقيد عبد السلام عارف ...يصلي في غرفته في وزارة الدفاع،

ويظهر في الجانب البعيد من الصورة ... الزعيم عبد الكريم قاسم ...وهو يحلق ذقنه ...

تدخل الجيش في السياسة...

وردَ في الصفحة السادسة والستين من كتاب (العراقْ الثائرْ) الذي أصدره الفرع الثقافي العسكري التابع لوزارة الدفاع العراقية في نهاية سنة ١٩٥٨: ما نصّهُ بالحرف الواحد: (ثم تمّ انقلاب بكر صدقي في عام ١٩٣٦، فأتاح للجيش تدخلاً أكبر في تعيين سياسة الوطن، حتى أصبح تدخله في جميع شؤون البلاد أمراً مألوفا من الناس، وترك الإنقلاب أثرهُ في نفس كل ضابط وجندي، فشجّع العناصر النشيطة من مدنية وعسكرية للالتقاء والتفاهم والتداول في مختلف الشؤون).

هذا ما تقوله وزارة الدفاع العراقية بعد عدة أشهر من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ رسمياً عن تدخل الجيش في السياسة، وتصف هذا التدخل بأنه صار أمراً مألوفا من الناس.

أمّا العناصر المدنية والعسكرية (النشيطة) التي كانت تلتقي للتفاهم والتداول فهي العناصر التي أشرنا إليها آنفاً، والمؤلفة من بعض فُلول الحزب الشيوعي المُنحل، ومنها العقيد طه الشيخ أحمد والعقيد ماجد محمد أمين وعزيز شريف وكامل قزانجي ورشيد مطلق وعبدالله شريف.

وفي سنة ١٩٤٠، لمّا تألفت وزارة طه الهاشمي رئيس أركان حرب الجيش العراقي الأسبق، إشتدّ ضغط الجيش على الوزارة للقيام بانقلابٍ جديد، بحجّة التخلص من نوري السعيد وأعوانه.

وخدمة للحقيقة والتأريخ ننقل للقراء ما جاء حول هذا الموضوع بالذات على الصفحة ٦٦ من كتاب (العراقْ الثائرْ) الذي أصدره الفرع الثقافي العسكري بوزارة الدفاع والذي يديره العقيد طه الشيخ احمد وهذا نصه:

(حاول الإنكليز – على عادتهم – أن يستغلوا هذه الصفة الجديدة للجيش العراقي (أي التدخل بالسياسة) لإستخدام تدخله هذا في تأمين مصالحهم

وحمايتهـا، فـكان لابُدّ لهم من أن يربطـوا قادته بهم أو بعملائهـم، ولا يتم ذلك إلاّ بتفكيـك تلاحم قادته وضباطه. فحاولوا إثارة القادة والضباط بعضهم ضد بعض، مُثيرين المطامع لدى ضعاف النفوس حاولوا - باندساس نوري السعيد والوصي وأعوانهما في صفوف الجيش - شراء العناصر القوية واستغلالها خلال عامـي ١٩٣٩ و١٩٤٠، وعقـد الـوصي لهذه الغايـة اجتماعات سرّية أسـبوعية لا يحضرهـا إلاّ عدد معـين من الضباط القادة. ولكن جميع المحاولات فشـلت، وذهبت مساعي الإنكليز والعملاء في صفوف الجيش أدراج الرياح).

(إنّ هـذا التـماس المبـاشر والإتصالات التي قامت بين رجـال الحكم - على اختـلاف أطماعهـم ومشـاربهم - وبـين قـادة الجيش وضباطـه، مكّنـت القادة الشرفـاء من أمثال العقداء صلاح الدين الصباغ ومحمود سـلمان وفهمي سـعيد ورفاقهم، من أن يثبتوا مواقعهم في الجيش ويُعمّقوا الشعارات الوطنية) .

وهكذا اندفع الجيش بعد انقلاب بكر صدقي يعملُ في ميادين السياسة يعزل الموظفين، ويقيل الوزارات، وكأنه الحزب الحاكم في البلاد.

وحـاول العقيد طه الهاشـمي عبثـا التوفيق بين مطالب الجيـش وبين مطامع الشـعب بتجميـد الوضـع ما أمكـنْ، وإبقاء الأمور عـلى ما كانت عليـه، ولكنّ ضباط الجيش ثاروا عليه وأكرهوهُ على تقديم إستقالة وزارته.

وبدلاً من أن يأتي الجيش برجلٍ يرضى عنه لتأليف وزارة جديدة تبعد العراق عن شرور الحرب و ويلاتها، ألّف نوري السعيد الوزارة ...

ولكن الجيش لم يسـكت طويلا على هذه الوزارة، فانفجرت مراجل قادته البارزيـن، وكانوا أربعة عقداء كما اسـلفنا، وقد أطلـق عليهم الإنكليز لقب (غولدن فور- المُربّع الذهبي) وكانوا على صلة وثيقة بمفتي فلسـطين الأكبر الحـاج أمين الحسـيني وهو ببغـداد، فأجبروا نوري السـعيد على الإسـتقالة، وجاؤوا بمرشحهم رشيد عالي الكيلاني ليؤلف الوزارة الجديدة في مطلع سنة

١٩٤١. وكان على الوزارة الجديدة مُجابهة التغيرات التالية الماثلة أمامها... وهي:

١. فتح أبواب العراق كلها أمام الجيوش البريطانية لتنتقل وتحتشد بكل حرية.

٢. إشراك فرقتين عراقيتين أو أكثر في صحراء ليبيا أو في البلقان.

٣. قطع العلاقات مع الدول المعادية لبريطانيا.

الإنقلاب العسكري الرابع...!

وظلّ نوري السعيد رئيساً لمجلس الدفاع الأعلى بالرغم من إستقالة وزارته، ووجود وزارة الكيلاني في دست الحكم، فحاول اقناع قادة الجيش بقبول مطالب الإنكليز، ولكنهم رفضوها جملة وتفصيلا ...

وفي ٢٧ كانون الثاني ١٩٤١ شنّ نوري السعيد على الجيش في البرلمان حملة عنيفة، وقال أنّ الجيش يتدخل في السياسة، وأنّ هذا التدخل ليس من صميم إختصاص الجيش. وكانت النتيجة أنْأمر الوصي بإقالة وزارة رشيد عالي الكيلاني. ولكنّ الجيش أصرّ على بقاء الوزارة، وتحدّى الوصي، وأفهموا الوصي بأنه إذا لم يسحب إقالة الكيلاني فإنهم سيعتقلونه. فألتجأ الوصي سراً – وبدون علم الحكومة – إلى لواء الديوانية في الفرات الأوسط، وأخذ يتصل بالمتصرفين، وقادة قطعات الجيش ورؤساء العشائر للعمل على إسقاط وزارة الكيلاني.

وبقي الوضع في العراق بين مدٍ وجزرٍ إلى يوم ٢ نيسان ١٩٤١، حين ألّف رشيد عالي الكيلاني حكومة (الدفاع الوطني).

وفي ٢ ايار ١٩٤١ أعلن قادة الجيش العراقي الأربعة الثورة المُسلحة في هذه المرة، ولكن ليس ضد الوزارة القائمة، بل لتأييدها ضد الإنكليز ... وكان هذا الإنقلاب هو الإنقلاب العسكري الرابع في العراق.

تقليد خطب هتلر أنقذني!

وبلغتْ مسامع اللواء عبد الكريم قاسم قصة المُلازم مدير المعتقل، فأمر باعتقاله في الحال وطلب معاملتنا معاملة إنسانية محترمة، فعينوا لنا ملازماً جديداً، إسمه ضياء، من خيرة الشباب العرب القوميين. كان رجلاً مهذباً، أعاد إلينا الشيء الكثير من الثقة بالنفس، وجعل المرح يجد طريقه إلى نفوسنا تدريجيا...

أدخل الملازم الأول ضياء تحسينات كثيرة على المعتقل، ووضع جهاز إذاعة في مكتبه نتمكن بواسطته من سماع نشرات الأخبار والقصائد والخطب التي تلقى من إذاعة الجمهورية العراقية ببغداد، بعد أن اصبحت الإذاعة بإدارة المدعو كاظم السماوي من أعضاء الحزب الشيوعي القديم الذي لم تسمح له وزارة الداخلية بممارسة العمل الحزبي!

وفيما كان الشاعر محمد مهدي الجواهري الذي عاد شيوعيا بعد يوم ١٤ تموز، يلقي قصيدة من دار الإذاعة، رحتُ أقلد إلقاءه، بنفس لهجته الفارسية وصوته الأجشّ، وكان ضباط المعتقل الجدد يسترقون السمع من فوق سطح معتقلنا، فأعجبوا كثيراً بالتقليد المُتقنْ، ولمّا انتهيتُ من الإلقاء صفقوا إعجابا، وطلبوا مني أن اقوم بتقليد هتلر وموسوليني وتشرشل وديغول وخروشوف في خطبهم...

وقد أثار دهشتهم تقليدي خطاب هتلر، وبقوا يتناقلون أنباء خطبي بوزارة الدفاع إلى أن وصل الخبر إلى عبد الكريم قاسم نفسه، فطلب إلى أحد الضباط أخذ آلة تسجيل معه سراً ليسجل عليه صوتي، وأنا اقلد عبد الكريم قاسم وهو يخطب!

وقام الضابط بالتسجيل بدون أن أعلم. وقد سمعتُ بعد أن اطلق سراحي بأنّ أمير اللواءعبد الكريم قاسم قد أعجب كلّ الإعجاب بتقليدي خطبة بالذات، ولكنّه أغتبط كثيرا بتقليدي خطب هتلر ..!

وكان مـن نتائج هـذه الغبطة أنه تذكرني، فأمر باسـتقدامي في اليوم التالي مع الزميل عادل عوني صاحب جريدة الحوادث البغدادية، إلى مقره بوزارة الدفاع، وكان ذلك في صباح يوم ٧ شـباط ١٩٥٩، وهناك إسـتقبلنا الرئيس قاسـم مدة نصف ساعة. وأبلغنا أنه أصدر أمره بإطلاق سراحنا فورا.

بعـد أن أمـر اللواء عبد الكريم قاسـم بإطـلاق سراحنا على الفـور في مكتبه بـوزارة الدفـاع، قادنا العقيد وصفي طاهر كبير مرافقـي رئيس الوزراء، والذي اطلقت عليه جريدة (الرأي العام) التي يصدرها الشاعر الشيوعي محمد مهدي الجواهـري لقب (الحـارسْ الأمينْ)، إلى مكتب العقيد سـعدون، كي يبلغ مدير المعتقل وآمر موقع بغداد، بأننا قد أصبحنا أحرارا.

انتظرنـا زهـاء ثلاث سـاعات ونحن وقوف عـلى أرجلنا دون أن يُسـمح لنا بالجلـوس. ومرّ وقت الغداء ولم نذق لقمة خبز. وكثيرا ما طلبنا إلى الحُجّاب أن يأتونا بكأس من الماء نطفيء بها حرارة ظمأنا، ولكن دون طائل...!

وكان الضبـاط والجنود يلتهمون اللحوم المشـوية والكفتة المحاطة بالبندورة والبصـل الأخـضر والكبيـس مـن الخيار والقثـاء، كل ذلـك أمـام أعيننا، وهم ينظرون إلينا وكأننا تماثيل برونزية لانحسُ ولا نشعر بشيء!

وبحركة لولبية مفاجئة، لم أشعر إلاّ وأنا اتقدم من منسف الضباط، وأمدّ يدي لتنـاول رغيفين من الخبز الأبيض الذي امتـازت أفران بغداد بصنعه، ووضعتُ عـلى كل رغيـف ما تيسّر مـن اللحم والكفتة واسـتدرتُ إلى حيـث يقف زميلي وناولته الرغيف الثاني ...

تمّـتْ هـذه العملية في لحظـات سريعة أذهلـت الضباط والجنـود، فقال أحد العقـداء مـن السـادة الآكلين:أمّا وقاحـة ما بعدهـا وقاحة..! كيـف تتجرأ أيها الخائن المجرم على الهجوم على مائدتنا بدون إستئذان..؟!

قلتُ: إسـحب كلامك يا سـيادة العقيد، فنحنُ لم نعد خونة ولا مجرمين ... بل نحن مواطنون صالحون، وسنكون قريباً مناضلين شرفاء مثلكم، وسنُساهم

حتماً في تفسير فحوى الثورة ... ونعمل على تنفيذ (مُحتواها)..!

فقال العقيد: ما هذا الهراء ؟ ألستم معتقلين..؟

قلتُ: كلا، لقد كنا معتقلين ..!

فتدخل العقيد سعدون وقال: لقد أمر الزعيم باطلاق سراحهما على الفور ..!

وتنحنح العقيد الثاني الذي شتمنا وقال: إذن فلنضعهما تحت المراقبة إلى أجلٍ غير مُسمّى، فيبقى عادل عوني في بيته ... ويبقى يونس بحري الوقح في فندق (كراند) المطل على شارع ابي نؤاس، على ألاّ يفارقا البيت والفندق قطعا حتى إشعارٍ آخر!!

قلتُ: يا سيادة العقيد أعيدونا إلى السجن فذلك خيرٌ وأولى..!!

قال: وهذا ليس كل ما في الأمر ... بل عليكما أن تقدمّا كفيلاً واحداً منكما بمبلغ قدره ثلاثة آلاف دينار ... مفهوم ؟

قلتُ: كثّر الله خيرك يا سيادة العقيد...!

الإقامة الجبرية...

أعادنا رئيس الإنضباط سعيد مطر بسيارته الجيب إلى سجن بغداد لنأخذ منه ملابسنا وأمتعتنا. وفي مكتب مدير المعتقل كان في إنتظارنا السادة رشيد مطلق المدير العام للسياحة والإصطياف، وشاكر محمود مدير شركة البيرة الأهلية وأبن أخي الأكبر المقدم محمد زكي صادق الجبوري.

وبعد إنتهاء الإجراءات الرسمية، إنتقلنا في سيارة رشيد مطلق إلى مركز الشرطة حيث توجد دائرة الشعبة الخاصة لأخذ الكفالة المرجوّة منا.

كان المفوض هاشم أيوب (ابو ليلى) مدير الشعبة الخاصة من خيرة الرجال الطيبين، واهتم بأمري إهتماما خاصة لمّا رأى أنّ أبن أخي الذي ربيتُه وأدخلته المدرسة الحربية يرفض أن يكفلني بحجّة أنني قد أهرب من العراق ..!

وبقيتُ جالساً في مكتب أبو ليلى وأنا أفكر في هذه المحنة التي ورطني سوء الطالع فيها، فما كدتُ أتخلص من المعتقل حتى دبّر لي ذلك العقيد اللئيم هذه المصيبة، مصيبة الكفالة!

وراح المفوض هاشم يبحث لي عن كفيل وبعد عدة مخابرات هاتفية مع أصدقائه، انفجر ضاحكا لما سمع أحدهم يقول له:

إنني أقبل أن أكفل يونس بكل سرور ...

ولم يشأ المفوض أبو ليلى أن يخبرني من هذا الكفيل الجريء، وكم كانت المفاجاة سارة ومُبهجة لما رأيتُ الصديق القديم صلحي الطرابلسي يدخل علينا بعد قليل ويشبعنا قبلاً وتهاني طويلة. ولما وقفنا أمام المحقق العدلي لتوقيع الكفالة، قال المُحقق لصلحي: أنّ كفالتك غير مقبولة لأنك أنت الآخر مكفول بعد خروجك من المعتقل!

لم يفقد صلحي أعصابه، وبعد تفكير قصير خاطب صديقاً له، يدعى السيد صباح محمد شكري المعروف بلقب (البومبيلي) فرضي بأن يكفلني دون إبطاء...

وما أن دقت الساعة الحادية عشرة ليلا حتى كنا قد وصلنا إلى فندق (كراند) لأبدأ فيه حياة سجن جديدة، فالإقامة الإجبارية في الفندق معناها ألاّ أغادر الفندق بتاتا، وإلاّ أضع رجلي في الشارع. وعلى كل حال فإنّ الإقامة في فندق نظيف جميل تطل شرفاته الواسعة على نهر دجلة، هي أطيب بكثير من ذلك المعتقل القذر اللعين ..!

ومرّتْ الليلة الأولى من حريتي (المُقيدة) بسلام وهناء، بيد أنني لم أنم ولم يغمض لي جفن لحظة واحدة، فلقد فقدتُ عادة النوم وحدي في غرفة واحدة بحمّام!

وفي الصباح الباكر، كانت قاعة الطعام تعّجُ بالنزلاء أمثالي من المحكوم عليهم بالإقامة الإجبارية، وفي طليعتهم الشيوخ موجد الشعلان، علي الشعلان

من شيوخ قبائل الديوانية، وعبد الرزاق علي السليمان شيخ مشائخ عشائر الدليم، وفرحان الفيصل، وسعود الفيصل آل الياور من شيوخ شمر، ومحمد عبد المنعم الرشيد كبير شيوخ الجنابيين، وزيدان الحاج صْكَبْ من شيوخ قبائل الديوانية...

وفي وسط هذا الجيش من الشيوخ ورجالهم وخدمهم وحشمهم عشتُ زهاء ثلاثة أشهر دون أن تطأ قدماي أرض الشارع. وماذا يهمني الشارع ورجاله الذين تحكموا في رقاب العباد، وراحوا يفرضون على التجار واصحاب الحوانيت والمقاهي (الجزية والأتاوات) باعتبار أنّ جُلّهم قد صاروا من الهتّافين والمُصَفقين لرجال المقاومة الشعبية، وهذه المنظمة الشيوعية شبه العسكرية صارت بضباطها وقادتها تابعة للحزب الشيوعي العراقي، وتسلّم العقيد مصطفى البامرني رئيس الحرس الملكي السابق قيادة المقاومة الشعبية فبرهن بدوره على إخلاص تام للمبادئ الجديدة التي إعتنقتها منظمته ..!

والحياة مع شيوخ العشائر ليست من الأمور المعتادة الهينة، وخاصة بعد ان تعودنا على الحياة الرتيبة التي تسير على وتيرة واحدة مزعجة مهلكة، فمعاشرة الشيوخ تتطلب الحذر والدقة في الإنتباه لكيلا تفلت منك كلمة نابية تخدش السمع مثلا، أو أن تتناول معهم الطعام فتلتهم اللحم المُحمّر بيدك اليسرى، فهذا عيبٌ وأيُ عيبْ..!

وقد إرتكبتُ هذا العيب في المرة الأولى التي دعيتُ فيها الى خوان مُدّتْ فيه المناسف التي تعلوها الخراف المحشوة بالرز المُفلفل واللوز والزبيبْ، فأقبلتُ بكليتي على هذا الأكل النفيس، فانتقمتُ لنفسي من طعام سجون بغداد الذي كان زُقوماً، ورحتُ أقطع اللحم باليد اليمنى، وأزدرد الرز وما اليه باليسرى ..!

وعندها لم يتمالك الشيخ فرحان الفيصل من أن ينتهرني بشدة، فلقد كان رحمه الله من أكثر الشيوخ تمسكا بتقاليد القبائل و(اتيكيت) الموائد العربية.

نفذتْ الدراهم التي كانت لديّ، وأصبحتُ غير قادرٍ على شراء علبة سكائر، وكان عليّ أن أدفع أجرة الفندق وقدرها دينار واحد في كل يوم.

أمّا الطعام فكنت أتناوله مع الشيوخ الأكارم في الأوقات المعينة بنظام تام، في الصباح الباكر الشاي مع الزبدة و(الكيمر)، وهو من فصيلة القشطة ولكنه أكثر جفافا، ويستخرج من لبن الجاموس، وعند صلاة الظهر يُصار الى تناول طعام الغذاء، وهو مُكّون من أصناف عديدة يؤتى بها من منازل الشيوخ وهكذا في المساء بعد صلاة المغرب ...

وفي أغلب الأمسيات يوصى لنا الشيخ علي الشعلان على السمك (المسقوف) وهو يشوي على سعف النخل المُجفف، يشوي السمك على شاطئ نهر دجلة مام المارة على الرصيف.

وما أن تغيب الشمس حتى ترى شاطئ دجلة (شارع أبي نُؤاس) الممتد زهاء ٣ كيلومترات أمام عشرات الفنادق والكازينوهات يضيء، حتى يخيل إليك أنّ الشاطئ يحترق لكثرة السمّاكة الذين يشوون السمك (المسقوف)!

ولا يكتفي الشيخ علي الشعلان بالسمك المسقوف وحده، إذ أنّ لهذا النوع من السمك اللذيذ متطلبات أخرى لا يعرفها إلاّ كل من كان عريقاً في ملازمة مدينة بغداد.

وبعد الأكل نقبل على طرح مختلف المواضيع على أبسطة البحث. لقد وعدنا الشعبة الخاصة بعدم الخوض في الشؤون السياسية، لذلك كانت المواضيع التي كنا نتداول فيها بصدد الشؤون السياسية المحلية.. أمّا السياسة الخارجية فلقد تركناها للموظفين الرسميين الذين كانوا يمثلون العهد في الخارج!

وكنتُ كلمّا احتجت الى مال، لشراء أمواس حلاقة او صابون أو كتب، أقول لهم، أي للشيوخ أنني أجيد طبخ الأكلة الفلانية، فيعطى لي المال اللازم لهذه الأكلة بسخاء يوازي ثلاثة أضعاف ثمنها، فأوفّر الضعفين على طريقة (القرش الأبيض لليوم الأسود)...

وعندما يحتاج الشيوخ الى حلاق، أقوم لهم بدور الحلاق الذي يجيد طقطقة المقص، وتهذيب الشعر، وتقليم الأظافر، وهندمة الشوارب بخفّة وبراعة أغبطُ عليهما!

كان مدير الشعبة الخاصة المفوض هاشم أيوب يزورني في أغلب الليالي، وفي كل مرة يزورني فيها كان يصطحب معهُ أسباب الترفيه والتسلية وكان ملازمي الصديق السيد صلحي الطرابلسي يرتب المائدة بذوقه المعروف وصبره (الأيوبي) على نكاتنا، وتندرنا به وبمواهبه التي لم تعرها الحكومات العراقية المتعاقبة على دست الحكم أي إنتباه وإهتمام.

وذات مساء خاطبني المفوض هاشم أيوب تلفونيا، وقال لي: تفضل الى مكتبي!

وكنا قد إتفقنا منذ الأيام الأولى التي مرّت على تمتعي بالحرية (المقيدة) على أن يستدعيني الى مكتبه، كلما أراد أن أشمّ الهواء، أو أضيقُ ذرعا بالفندق، فيرسل لي سيارة رسمية يقودها شرطي مُسلّح، وهكذا أقضي ساعتين أو ثلاث ساعات في المدينة متنقلا هنا وهناك ...

ودخلتُ مكتب الشعبة الخاصة، فقال لي أبو ليلى: إنهم يريدون منك أن تتولى إدارة الإذاعة، وإصدار جريدة يومية ..!

قلتُ: لقد أقسمتُ يمينا مغلظة بعدم الإشتغال بالسياسة بعد الآن!

قال: هذا أمرٌ عالٍ ..!

قلتُ: أعيدوني الى المعتقل، فالسجنُ أحبُ اليّ من هذا..!

قال: إنّ تحت تصرفك أي مبلغ تريد ..!

قلتُ: إنني أرفضُ اموال قارون برمّتها، فلقد كفاني ما تحملتُ من المصائب بسبب السياسة ...!!

*****

أبني يشي بي ...!

وفي صباح الأول من شهر أيّار ١٩٥٩ فوجئ الشيوخ في الفندق بزيارة وزير الداخلية الزعيم الركن أحمد محمد يحيى، فراح كل واحد منهم يرتب غرفته لإعتقادهم بأنه قد جاء لزيارتهم، ولكنّ مدير الفندق بطرس، أشار إليّ بأن أتبعه، وعندما دخلتُ مكتب المدير كان وزير الداخلية يبتسم لي، فحياني مُصافحاً ثم خاطبني بلهجة موصلية عريقة قائلا:

- جئتُ أبشرك بأنّ الزعيم قد أمر بإلغاء الإقامة الإجبارية عليك، ولكن يجب أن تذهب الى مركز الشرطة في (البتاويين) لتوقيع إسمك، وتثبتْ وجودك مرتين في كل يوم، وأنت حُرّ في إختيار الوقت!

ثم أردف قائلاً:أنّ في استطاعتك العمل بعد الآن..!

قلتُ: ماذا أعمل ؟

قال: نحن غير مسؤولين بعد أن رفضتَ العمل السياسي معنا!

قلتُ:أنا لم أرفض العمل معكم، ولكنني أرفض الإشتغال بالسياسة!

وقمتُ بالإجراءات اللازمة. وكان رجال الشرطة يتهيبون التحدث معي عندما أحضر صباحاً ومساءً للتوقيع على دفتر (الوقائع اليومية) ولكنهم لما شاهدوا مديرهم يُرحّبُ بي، ويقدّم لي القهوة والشاي ويشتكي لي من تصرفات المقاومة الشعبية التي أساءت الى الشعب وإلى الأمن إساءات بالغة رعناء، إطمأنوا إليّ، وراح كل واحد منهم يسّرُ إليّ بأخبار الإهانات التي يتلقونها من شباب المقاومة الشعبية وشاباتها، ويصفون لي المظالم التي يوقعها هؤلاء بأبناء الشعب العُزلْ، وكيف أنهم يفتشون السيارات، وينتهكون حُرُمات البيوت، ويعطلون حركة البيع والشراء والسير، لمجرد التهلي والتلذذ بأذى من يخالفهم في العقيدة التي لا يؤمنون بها هم قبل غيرهم ...

و بينـما كنـتُ ذات يـوم أتفـرجُ على واجهة مكتبة شـيوعية بشـارع الرشـيد، وقـد غصّتْ الواجهة بالكتـب الحمراء، فقرأت العناويـن التالية: (الله في قفص الإتهام) و(إنحراف تروتسـكي) و(ثورة أوكتوبر) و(مبادئ لينين) و(وطنٌ حرٌ وشـعبٌ سـعيدْ)وكانت لِحْيَة لينين المدببة. وشارب سـتالين المعقوف أبرز ما في الواجهـة. وفيـما أنا أهُمّ بالإنصراف تقدم إليّ إنضباط عسـكري وقال: هل أنت يونس بحري..؟

قلتُ: نعم ؟

فأشـار الى سـيارة جيـب عسـكرية فصعـدتُ، وانطلقتْ بنا تخـترق الجموع الحاشـدة إلى وزارة الدفـاع. وفي هذه المرّة أيضا وقفـتُ أمام لجنة التحقيق وجها لوجه فقلتُ: خير إن شاء الله ..!

قال الرئيس وهو يقدم إليّ رسـالة مكتوبة بخـط مرتجف باهت: أتعرف خط من هذا..؟

وأمنعـتُ النظـر في الخطّ، فلـم أحتاج الى كبير عناء لمعرفة صاحب الرسـالة، وأنا الخبير بمختلف الأسـاليب في أنواع الخطـوط لطول المران، قلتُ: هذا خطّ إبني الثاني سعد!

قال: ألا تريد قراءتها..؟

وبعـد أن أشـار إليّ بالجلوس وضع الرسـالة أمامـي فقرأتُ ما نصّهُ: سـيادة الحاكم العسـكري العام... بإسـم (المقاومة الشـعبية) أحتّـجُ على إطلاق سراح والدي يونس بحري، فهذا الرجل كان جاسوسـاً بريطانياً في برلين، ثم لمّا انتقل إلى باريس صار جاسوسـاً للفرنسـيين، إنّ والدي مزواجٌ ومقامرٌ وعربيدْ، وهو يستحق السجن إلى الأبدْ .... او الموتْ...!



سعدي يونس أبن يونس بحري...

الذي أوشى بوالده من بعد إطلاق سراحه كونه جاسوساً ومقامراً وعربيداً ...

سعد يونس بحري...!

ضحكتُ بعد تلاوة هذه الرسالة، وشرّ البلّية ما يُضحك، فقال الرئيس وهو يحاول إخفاء إبتسامة عريضة عَلَتْ شفتيه: ما هو رأيك ..؟

قلتُ: هل أنّ ولدي سعد هو شاهد عِيانْ أم مُخبرْ..؟

قال: مُخبرْ ..!

قلـتُ: إنّ ولدي هذا قد وُلِدَ بعد ذهابي إلى المانيا بستة أشـهر، فهل يعقل أن يكون شاهداً عليّ ؟

قال: لا ...!

قلتُ: إنني متألم جداً يا سيادة الرئيس..!

قال: علامَ ..؟

قلتُ: على ولدي الذي صار شـيوعياً يتكلم بإسم المُقاومة الشعبية، ويبلغ به الكفر حدّ الوشاية بأبيه. ..!

قال الرئيس مُتأثراً: العزاء مُشـترك يا سـيادة، فإنّ ولدي الآخر قد صار مثل

ولدك، والعياذ بالله ..!

ونادى الرئيس على الإنضباط وقال له: أوصلوا الأستاذ إلى فندقه ...

لقد هَزُلَتْ حتى بدا من هزالها(كِلاها) وحتى سامها كلّ مُفْلِسٍ... فإذا كان الإبنُ يشي بالوالد وهو في أتعس محنة مرّ بها في حياته، فما الذي يرجوه الإنسان من صديق أنْسٍ، لا صديق ضرّاء وسرّاء...؟!

لم أتألم من الوشاية التي وجهّها لي هذا الولد فهو عمل غير صالح، بقدرما تألمتُ من وشاية قام بها صديق كنتُ أعتقد بأنه آخر من يقوم بدور (بروتوس) معي ..!

بقيتُ في بغداد سنة ونصف السنة بعد إطلاق سراحي من السجن، وأنا أخدم هذا الصديق وأساعده، وأقتّر على نفسي لأرفّه عليه ...!

كنتُ أسائلُ نفسي وأنا في المعتقل: من ذا عساه يكون الرجل الذي دلّ على مكان وجودي يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ ...؟!، اذ لو كنتُ قد بقيتُ خمسة أعوامٍ في ذلك المكان لما دار في خَلَدِ أحَدٍ أن أكون هناك ..!

وبعد أن عدتُ الى بيروت سالماً من محن بغداد وكوارثها، رحتُ دوماً أردّدُ على نفسي ذلك السؤال الذي ضاق بالجواب عليه صدري: ترى من هو ذلك الرجل..؟

وقبل أيامٍ فقط إستوقفني طيار عراقي في ساحة البرج وجعل يحدثني عن أصدقائي ببغداد ومن جملتهم الصديق صلحي الطرابلسي، فجعلتُ أثني عليه وأدعو له بالنجاح والتوفيق، فدُهشَ الطيّار، وقال: كيف تثني على هذا الرجل، وهو الذي دلّنا على مكان وجودك يوم ١٤ تموز..؟! وأردف قائلاً: لقد كنتُ أحد الضُباط الموفدين للبحث عنك، فقصدنا فندق (ريجينت بالاس)، فقال لنا صاحب الفندق أنّ صلحي الطرابلسي يعرف المكان الذي توجد فيه...!

وبمجرد سؤالنا الطرابلسي تلفونياً أجاب بأنك في بيت العقيد وحيد! وكان

هذا كافياً لإلقاء القبض عليك ...

كشك البحري..

كانت لدى شركة كوكاكولا ببغداد أكشـاك صغيرة توزعها بأثمانٍ زهيدة على الباعة الذين يوزعون مشروباتها على المارة في شوارع بغداد، ففكرتُ وانا عاطل عن العمل باقتناء كشـك من هذه الأكشـاك، ونصبه في مكان محترم على مدخل فندق بغداد الفخم ...

وهكـذا كان وأخذتُ إجازة بالعمل من أمانة العاصمة حيث سـاعدني مدير التنظيـم فيها، وبعد مضي ٤٨ سـاعة إفتتحتُ العمل في الكشـك بعد أن جهزته بالماء والكهرباء مجانا!

وتـبرع لي مديـر توزيع اليانصيب الوطني بمطبخ كهربائي، واشـتريتُ قطعة نحاس لشواء لحم (هامبورغر) و(هوتدوغز) أي الكفتة والمقانق.

ومـا أن علـم النـاس في بغداد بنبأ إفتتاحـي هذا المطعم الصغـير حتى أخذوا يتوافـدون عليّ، وكثُر الإقبال عـلى تناول هذا النوع الجديد من (السـاندويتش) المؤلف من طعام ألماني وأميركي، فالهامبورغر أكلة المانية، و(الهوت دوغز) أكلة اميركية ..!

وصرتُ أوزع كميـات كبيرة مـن المشروبات المبردة، والبـيرة كذلك وبدون إجازة، ذلك لأنّ الغريق لا يخشـى من البلـلْ..! وكان أصحاب المطاعم الكائنة في القطاع الذي افتتحت عملي الجديد فيه يسخرون مني في أول الأمر، ولكنهم لـما رأوا هذا الإقبـال على مطعمي الصغير، أخذوا يحضرون بأنفسـهم لمشـاهدة الطريقـة التـي أعمل بها، فهم لا يبيعـون أكثر من مئة قطعة سـندويش في الليلة الواحدة، أمّا أنا فصرتُ أبيع ٥٠٠ و٦٠٠ قطعة في كل ليلة ... ومعنى هذا أنني كنت أربح زهاء الستين ليرة لبنانية يوميا، ناهيك عن الأرباح الأخرى الحاصلة من بيع المشروبات المثلجة والبيرة ..!

وانتقلتْ أنباء مطعمي الى وزارة الدفاع والى الوزارات الأخرى، وحصلتُ على جهاز للتلفون ورقم خاص ووضعتُ موائد وكراسي حول الكشك، وكان يقع تحت شجرة وارفة الظلّ وعلى رصيف يبلغ عرضه ٢٥ مترا ...

وكان الوزراء وقادة الجيش يقفون بسياراتهم الفخمة بقرب الكشك للتحدث إليّ أولاً، ولتذوّق هذه الأصناف اللذيذة من السندويش الذي لم تعرفه بغداد من قبل!

وذات ليلة، وقفت سيارة وزير ونزل منها وزير الإقتصاد الوطني السيد حسن طالباني، وهو من أعزّ أصدقائي القدامى، فاقترب مني وهو يمشي متثاقلاً وهمس في أذني قائلا: ما هذا الذي تفعله يا أستاذ..؟!

قلتُ: إنّ البلد الذي صرتَ أنتَ فيه وزيراً ... لا يستحقُ من هو مثلي إلاّ أنْ يكون صاحب مطعم ..!

وبعد أنْ إشترى ١٠ سندويشات، وضع ١٠ دنانير على الصندوق وانصرفَ وهو يبتسمْ.

صار مطعمي (كشك بحري) مُلتقى أرباب الصُحف والمحرّرين والشعراء والأدباء عامة، فضلاً عن القوميين العرب الذين لم تقبلهم نقابة الصحافة التي صبغها نقيبها الجديد الشاعر محمد مهدي الجواهري بصبغة حمراء قانية ...

وبحكم الواقع لم يكن مطعمي يستطيع التمييز بين رُوّاده فيمنع الزبائن لمجرد إنتسابهم إلى حزب لونُه كذا وعقيدته كيتْ ... لقد هربتُ من السياسة ورفضتُ العمل فيها ومعها، فلا يهمني من هو زبوني، ما دام الزبون قادراً على الدفع..!

هذا منطقي أنا على الأقل. ولكنّ منطق الشاعر محمد مهدي الجواهري الشيوعي صاحب جريدة (الرأي العام) ونقيب الصحافة ببغداد كان بعيداً كل البعد عن هذا المنطق ... فلقد خاطبني ذات ليلة تلفونياً، وأكدّ لي بأنّ مطعمي قد صار وكراً للمُتآمرين والخونة، بالنظر لكثرة من يرتاده من أرباب الصُحف والمُحرّرين ..!

فقلـتُ له: إسـمعْ يـا أبا فرات، إنّ مـن ذكرتهم جميعاً هم اعضـاء في نقابتك، ويحملـون بطاقـات صحفيـة عليها توقيعـك..! فما هـو ذنبي أنا إذا هُـمُ فضلوا مطعمي على نادي نقابتك ؟

قال: إصرفهم ولا تقبلهم..!

قلـتُ: هذا واجبك أنتَ، إمنعهم إذا اسـتطعتْ، أمّا أنا فإنني أسـتقبلهم على الرَحْبِ والسعة ..!

قال: سأشكوك... ومُلقياً السمّاعة بشدّة من يده ...!

يشكونني إلى الزعيم..؟! الجواهري، هذا الشاعر المفلس، الذي يهيم كلّ يوم في وادْ، يستطيع أن يصل إلى مقرّ الزعيم عبد الكريم قاسم... ليشكوني إليه..؟! كنتُ أردّدُ هذه الكلمات بصوتٍ مسـموع وأنـا كمحموم يهذي. وكان يقف إلى جانبي الزميل إبراهيم علي سكرتير تحرير جريدة الزمان البغدادية، فقال لي وهو يحاول أن يهدئ من روعي:

- ألا تعلم أنّ للجواهري اليوم مركزا ممتازاً عند الزعيم..؟! إنه يرافق الزعيم في جولاته كلها فيجلس الى جانبه في السيارة، وتؤدى له التحية في وزارة الدفاع وفي كل مكان. ويدعي أنه هو دماغ الزعيم وموجهه. ثم أنّ الجواهري يسـتطيع أن يشنق من يشاء، وينقذُ من الموت من يشاء إياك أن تلعب معه يا يونس، فإنك ستكون كاللاعب بالمتفجرات ..!

سـمعتُ هذا الكلام... ثم سـمعتُ أشـياء كثيرة مثيرة عن الجواهري الذي تسـميه صحيفة (اتحاد الشعب) لسـان الحزب الشيوعي العراقي (شاعرُ العربِ الأكـبرْ). تذكرتُ كلّ هـذا الآن، يوم كان بباريس مفلسـاً مُدقعاً، أدّسُ في جيبه ورقة العشرة آلاف فرنك، وأنا أعتذر إليه، وكأنني أنا الفقير المُعدم، وهو الغني الـذي يغدقُ علينا النعـمْ... وكم هو جميل منه أن يتنازل فيأخـذ منا دينه الكبير علينا...ويتواضع ليرُدّ علينا بشكرٍ لا نستحقه ..؟

ورحم الله ياسين الهاشمي عندما قال: شيئان ينتزعان العقائد، الكراسي... والمال ..!

من الكشك الى الكازينو...

وذات مساء زارني الزميل عادل عوني، وبعد أن تناول زهاء عشرين سندويش، همس في أذني أنه يأسف للحالة المزرية التي وصلتُ إليها لإشتغالي في كشكٍ صغيرٍ كهذا، أطعمُ الكناسين وسواقي السيارات والمتسولين، وأخالط سُمّار الليل من السكّيرين والمُعربدين..!

قلتُ: ما العمل، والعين بصيرة واليد قصيرة ..؟

قال: ابحث من صباح الغد عن محل محترم لإنشاء مطعم فيه، وأنا أدبّر لك المال اللازم ..!

وفي صباح اليوم التالي شمّرتُ عن ساعد الجدّ ورحتُ أبحثْ، وأمام مطعم (لاماركيز) الذي يملكه الشيوعي العتيق عبدالله، إلتقيتُ الصديق العقيد قاسم الشالجي الذي كان آمر كلية الهندسة العسكرية في الجيش، وأحيل على التقاعد قبل أسبوع من لقائنا، فاستأجر محلاً فخماً تحيطُ به حديقة غناء في العلوية أمام مطعم (لاماركيز) وفتح فيه كازينو بإسم (كوبانا).

قال لي العقيد المهندس قاسم: لقد أرسلتكَ العناية الإلهية إليّ، فأنا أبحثُ عن مدير لكازينو (كوبانا) التي انتهيت من إعدادها أمس فقط وهو ذا...!

وأشار إلى بناية مستطيلة الشكل بطابق واحد والحديقة تبدو جميلة غناء وارفة الظلال، فقلت في التو واللحظة: موافق ..!

و قمنا بتوزيع بطاقات الدعوة على الوجوه والوزراء وقادة الجيش والشرطة والأمن وأقطاب الحزب الشيوعي وأرباب الصحف البغدادية التي (تشيّعتْ) ما عدا صحف الحرية والثورة وبغداد، ورؤساء النقابات وعمادة جامعة بغداد.

أمّـا قـادة الفكر والرأي والسياسـة فلم أتجرأ عـلى دعوة أحدٍ منهـم، لكيلا أتهم بالسياسة والإشتغال بها!

وكنتُ قد أعددتُ مقصفاً فاخراً حشدتُ عليه من أصناف الأطعمة ما يسيلُ لهُ لعاب أبخل عباد الله: ناسي غورينغ أندونيسي، شـاب سـوى صيني، بورش روسي، شـولولي ياباني، كاري رايس بالدجاج هندي، برده بيلاو فارسي، قالدر قوي تركي، كُبّة موصلية، كُبّة حلبية وطرابلسـية، كسـكس جزائري، كفته جي تونسي، بسـطيلة مغربية، كسـكسي بالعصبان ليبي، كفته وكباب حاتي مصري، وتوجتُ المقصف بأوانٍ كبيرة من فتة كوارع شـامية بالسـمن واللبن والصنوبر، ومن حولها زهاء ١٠٠ رأس نيفة محمرة، ناهيك عن المُقبلات والمشهيات اللذيذة والمغرية معاً...!

ولّمـا كانت حديقة الكازينو تكفي لإسـتيعاب أكثر من ألف مدعو جلوسـاً. فإننـي إتخـذتُ الإحتياطات اللازمة لجعـل المقصف مُربّعاً، مُسـتديرا بأضلاعه حـول الحديقـة ليتنـاول المدعوون الأفاضـل طعام العشـاء بُيسْرٍ وسُـهولةٍ منعاً للزُحام.

واسـتقبلتُ المدعويـن، وعددهـم بموجـب البطاقـات التي أرسـلتها ٦٥٠ مدعواً. ولّما أحصيت العدد الموجود في صالونات الكازينو، كان العدد قد صعد بقدرة قادر إلى ٨٥٠ مدعواً، أي بزيادة ٢٠٠ طفيلي تفضلوا علينا بتشريفهم غير المرغوب فيه طبعاً ..!

وكان العقيـد المهنـدس المتقاعد قاسـم الشـالجي، وعمره في ذلـك اليوم ٤٢ ربيعا فقط، عصبي المزاج حاد الطبع. وكان يرجوني ألاّ أخبر أحداً بأنه صاحب الكازينو، فما أن أبلغته عدد الموجودين حتى فقد أعصابه، وثارتْ مراجع غضبه، فهوّنـتُ عليـه الأمر بقولي أنّ الطعـام الموجود على الموائد يكفي ألف وخمسـمائة شخص ..!

فأجابني وهو يزمجر: القضية ليسـت قضية هل أنّ الطعام يكفي أم لا يكفي.

إنّ في الأمر لعبة، وأنا أعرف من دبّرها يا يونس، إنّ الذي دبّرها صاحبي القديم عبـد الكريم قاسـم، وأنا أعرفُ النـاس (بمقالبه) وحركاته، فهـو يعلم أنني أنا صاحـب الكازينـو. لقد أخبرته فضحك حتى اسـتلقى على قفـاه، ووعدني بأنه سيحضر حفلة الإفتتاح بدون أن يُعيّن الوقت، كعادته في مثل هذه الاحوال.

قلتُ: لا تهتم بهذا الأمر وسترى كيف أنقذ الموقف على خير ما يرام!

والتفّ المدعون حول السُـقاة في حلقات متعـددة، في انتظار وصول الزعيم. وكان موعد حفلة الإفتتاح الساعة السابعة والنصف مساءً، وها هي ذي عقارب الساعة تشير الى التاسعة مساء، وهو لم يحضر بعد..!

وفيـما كان القـومُ يتسـاءلون والهرج والمرج قد سـاد الكازينو، سـمعنا أبواق المُصفحـات العسـكرية المرافقة لموكـب الزعيم تقترب مـن الكازينو، فخرجتُ صحبة الوزراء والقادة ورؤساء النقابات الى مدخل الكازينو الرئيسي لإستقبال رئيس الوزراء والقائد العام للقوت المسلحة ...

وبعد أن تمّ إسـتقباله، دخلنا الى قاعة الإسـتقبال للإسـتراحة قليلا، وانتظار أعضـاء ورئيس مجلس السـيادة. وهم جميعـا من أصدقائي الأقدمـين وكان من الضروري أن أدعوهم بعد دعوة قاسم.

وإنّ هي إلاّ لحظات ثم أعلن بوق الدراجة البخارية التي يسوقها أحد شرطة السـير أمـام سـيارة أعضاء ورئيس مجلس السـيادة عـن وصولهـم الى الكازينو، ولكن الحاضرين لم يتحركوا، فخرجتُ وحدي لاستقبالهم!

والظاهـر أنّ الفريـق نجيـب الربيعي رئيس مجلس السـيادة لاحـظ ارتباكي بالرغم من الإبتسـامة التي اصطنعتها، فربتَ على كتفي وهو يقول: شـدّ حيلك يا يونس ..!

ودخل رئيس مجلس السيادة الفريق الركن نجيب الربيعي ومن ورائه أعضاء مجلـس السـيادة مهدي كبة، ومن ورائهـم الداعي، فهبّ الجميـع واقفين، وبعد المصافحة والسـؤال عـن الصحة والعافية والأحوال، تقـدم مني العقيد وصفي

طاهر كبير مرافقي رئيس الوزراء وطلب إليّ أن القي كلمة تناسب المقام، وقرص أذني بلطف قائلا: انت تعرف شلون ..!

وتطلعتُ نحو وجه العقيد المهداوي متسائلاً، فأوما برأسه مشجعاً وهو يبتسم مسروراً...

والقيتُ كلمة ترحيب إستوحيتها من كعب الدست، أفلستُ طباخا عالمياً يطعم زهاء ألف شخص دفعة واحدة، وفي وقت واحد ..؟

واطربتْ خطبتي الزعيم، وجعلته يصفقُ إستحساناً واعجاباً، وكان الفريق الركن نجيب الربيعي يصفقُ بدوره وهو يقهقهُ ضاحكاً، وبصوتٍ عالٍ يردّد، أحسنت يا يونس ..أحسنت ..!!

وفُتحت أبواب الحديقة، وأضئيت المصابيح الكهربائية فسطعت الأنوار القوية على الموائد العامرة بما لذّ وطاب من الأطعمة والشراب، ووقف قاسم يتطلعُ الى ما حوله، والناس يجولون بأعينهم متنقلين من مائدة الى أخرى، وما عتم رئيس الوزراء أن ناداني بصوت مرتفع : يونس شنو هذا ..؟

قلتُ: يا سيادة الرئيس هذه أطعمة دولية ..!

قال: ومن عني بطبخها..؟!

قلتُ: داعيكم ..!

قال وهو يتقدم نحو فتة الكوارع الشامية وقد أحطُتها بالرؤوس النيفة المصرية، وبالفوارغ والقبوات والكروش المحشية:

وما هذه الاكلة..؟

قلت: (باجة)، ولكنها ليست عراقية، بل سورية مصرية ..!

فقال: ولكْ يونسْ، حتى في الطعام تضع للسياسة حصة..!

ومدّ يده الى خوان الفتة ليأكل، ولكن العقيد وصفي طاهر إعترض سبيله

وهو يتمتم: دقيقة يا سيادة الزعيم ..!

ثـم رفع لقمـة إزدردها بسرعة لمعرفة مـا اذا كان الطعام مسـموما. وحُبكتْ النكتة في رأسي، فقلتُ وأنا أرفع بدوري لقمة من فمي: أنا المسؤول عن كل فرد يموت من هذا الطعام، ولكنني لستُ مسؤولاً إذا ما توفي أحدهم من التخمة..!

فضحك قاسم، وضحك الجميع...!

ودار الضيـوف حول الموائد وهم يتذوقون الأصناف بنهم وشـغف زائدين، وقد أعجب سـفراء الصين واليابان وأندونيسيا والهند وإيران بأكلات بلادهم، وتلقيـتُ تهاني السـفراء الروسي والتركـي والتونسي والمغربي عـلى إجادتي طبخ أطعمتهم الشعبية بمثل هذا الإتقان البديع...!

ولّمـا جلس الضيوف لتنـاول القهوة والُمهضّمات، نـاداني الزعيم، وكان يقف الى جانبـه السـيد رشـيد مطلق المديـر العام للسـياحة والإصطيـاف، والصديق الصـدوق لعبد الكريم قاسـم، وهو الـذي يُشرف على الحفلات الرسـمية التي تقيمهـا الحكومة، فأمره الزعيم بتكليفي بعد الآن بإعداد قوائم الطعام لحفلات الحكومة الدولية.

وهكذا صرتُ طبّاخ الحكومة ولا فخر...!

*****

من (كوبونا الى شهريار)...

ووقعـتْ لي في المطعـم مُزعجـات كثيرة من جانـب الشـيوعيين، تمكنتُ من التخلص منها في النهاية، وقد نجح كازينو (كوبانا) وأخذ يستهوي الجوع الغفير مـن الأصدقاء القدامى، والجُـدُدْ فأقبلوا بكليتهم على قائمـة أطعمتنا (الدولية) وأعجبتهم أسـماء الأطعمة الصينية واليابانية والأندونيسـية والهندية والجزائرية والمغربية والتونسية.

وما أن سمع الناس عامة، والأصدقاء المنزوين خاصة، أمثال اللواء اسماعيل

صفـوت والدكتور عبـد الجبار جومرد وصديق شنشـل، والتاجـر الركن محمد الطريحي والسفير المتقاعد أحمد زكي الخياط ويحيى قاسم والدكتور نديم الباجه جـي، بـأنّ الزعيم ورفاقه يحضرون إلى الكازينو وصاروا مـن رواده، إطمانوا إليّ وأخذوا يُعوّدون أنفسـهم على المجيء الى الكازينو، والمكوث فيه يصطلون على نيران الموقد الكبير وهم لا يتحدثون في أي شيء في السياسة ..!

وكان الدكتور عبد الجبار جومرد الذي أعفي من عمله كأول وزير للخارجية في العهد الجمهوري، لا يطيق سماع صوت صديق شنشل وزير الإرشاد القومي الذي أعفي من العمل معه في مرسوم واحد.

وكان صديق شنشـل، مـع علمه بـانّ الدكتور جومرد لا يطيقـه ولا يتحمل وجـوده، يكثـر من التحدث عن جهاده في خلال ثورة رشـيد عالي الكيلاني وفي عهد نوري السعيد. فقال له الدكتور جومرد ذات يوم: وما هي آثار جهادكم يا أستاذ في عهدنا الجمهوري الخالد ..؟!

فهبّ صديق شنشل واقفاً... وبعد أن دفع حسابه ذهب غاضباً ..!

نهاية الكازينو المحزنة!

كان صدّيـق شنشـل من معارفي القُدامـى، وكان يطمئـن إلى حديثي، وذات يـوم دخـل عليّ وأنـا في المطبخ، منهمـك في إعداد خروف محشي للشـيخ مهدي بن بلاسـم الياسـين، وقد شـمّرتُ عن سـاعد الجدّ، والمريـول الأبيض يجعلني أبـدو بمظهر رئيس طباخـي فندق ريتز بباريـس، فقال لي: أتـرك المطبخ وتعال لنتحدث، فلقد ضقتُ ذرعا بالحياة..!

قلـتُ: يـا سـيدتي طلقـتُ السياسـة، فدعني وحـالي، فأنـا افضل طبـخ هذا الخروف، على طبخ قضية سياسية في هذا البلد الذي ضاعت فيه المقاييس والقيم الخلقية ..!

قال: لقد سـألتني أمس عن الأسـباب الحقيقية لإستقالتنا نحن الوزراء الستة من

وزارة الثورة الأولى ولم أجبكْ...أفلا تريد أن تسمع الحقيقة من أحد رجالها .. ؟

قلتُ: تحدث وأنا أسمع وأشتغل في آنٍ واحد، فإنّ شيطانك لن يغريني على ترك هذا الخروف يتقلى على النار ليحترق ..!

وفيما نحن في أخذٍ وردّ وصل صاحب الكازينو العقيد المهندس قاسم الشالجي، وبقي زهاء دقيقة يستمع الى حديثنا بدون أن نراه، ثم أخذته نوبة من نوبات العطس الشديدة التي كانت تنتابه فهو مُصاب بمرض الحساسية في أنفه، فانتبهتُ الى وجوده، ثم ما عتم أن قال مخاطباً شنشل:

-ما هذا الحديث التي تشغل به يونس ؟ دعنا نشتغل على باب الله، فإنّ من تتحدث عنهم كلهم لا يُساوون ثمن هذا الخروف ..!

واحتدم الجدل، وقال قاسم الشالجي أمام الخدم الذين تجمعوا حولنا أقوالاً ليست مرضية، وبعد ربع ساعة من هذه الرواية جاء رجال الإنضباط العسكري وأخذوا العقيد المهندس المتقاعد الى وزارة الدفاع، وما أن حلّ وقت الغداء إلاّ وعاد العقيد قاسم وهو يزمجر ويقول: لقد عينتُ مديراً لصيانة نفط البصرة، وعليّ أن أغلق الكازينو في هذه الساعة ؟

قلتُ: والطعام الفاخر الذي أعددناه والخروف المحشي الذي قليناه، ماذا نصنع به ..؟

قال: وزّعهُ على فقراء الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس الله سرّه العزيز وأسرار هذه الثورة الخالدة ..!

قلتُ: وأنا ما هو مصيري .. ؟

قال : إذهب وراجع الزعيم فهو الذي سيتولى أمرك ... بعد أن أمر بإقفال هذا الكازينو..!

مطعم شهريار ... ثم بوران...

وفيما أنا عائدٌ الى فندقي الجديد (سافوي) المجاور لفندق (كراند) إلتقيت

بالدكتور عبد المجيد محمود أحد وزراء العهد الملكي ورئيس نادي البعث العربي في بغداد، فقال لي وهو يسخر: ماذا دهاك يا يونس كيف تترك الكازينو والمطعم في وقت الغداء، وأنا وبعض الرفاق كنا على وشك زيارتك لتناول طعام الغداء عندك ..؟

قلتُ: لقد رمانا الزعيم في الشارع من جديد، فلقد أمر بإغلاق الكازينو وإرسال قاسم الشالجي الى البصرة ..!

قال: وماذا ستفعل ..؟

قلتُ: سأبحث لي عن عمل جديد، أو أعود الى كشك البحري، ورزقُنا على الله ..!

قال: تعال معي ..!

وبعد هُنيهةٍ دخلنا مخزناً كبيرا لبيع المواد الغذائية والمعلبات يحمل أسم (القره غولي) على مقربة من ساحة الجندي المجهور ونادي العلوية البريطاني، فاستقبلنا صاحب المخزن، وهو السيد عبد الصاحب محمود شقيق الدكتور عبد المجيد محمود، وفي علمي أنه كان ضابطاً مرموقاً في الجيش وبرتبة رئيس أول ركن، فما باله صار مثلي بائعاً للمواد الغذائية ..؟!

قال عبد الصاحب وهو يبتسم: لا تستغرب يا أستاذ فإنّ ما أوصلك الى ما أنت عليه قد أوصلنا نحن أيضا الى ما نحن فيه، فلنتقاسم الهموم!

وعندها تكلم أبو الحارث الدكتور عبد المجيد محمود، فقال: لقد أمر الزعيم بإغلاق كازينو (كوبانا) وأصبح يونس عاطلاً عن العمل وأنت تبحث عن مدير لمطعم (شهريار) الذي يخصك فسلّمه الى أخونا يونس ..!

قال عبد الصاحب: متى تريد أن تبدأ بالعمل ..؟

قلت: حالاً ... وليكن خير البرّ عاجلُهُ ..!

قال: حصل ..

وأخذني الى المطعم، وكان متصلاً ببناية المخزن الكبير لا تفصل بينهما إلاّ حديقة واحدة كبيرة منسقة تنسيقاً جميلاً، تصلح لكي تكون مربعاً للسُمّار في الليل، ومرتعاً مؤنساً للرُوّاد في أطراف النهار.

وتسلمتُ العمل في الحال، وكانت أصباغ جدران المطعم باهتة قذرة، فاشتريتُ أصباغاً زاهية الألوان طليتُ بها الجدران وبعد يوم كان منظر القاعة الفسيحة يأخذ بمجاميع القلوب، ثم إشتريتُ حصراناً من القصب البردي، غطيتُ بها السقف وزوايا القاعة والبار، وطليتها بألوان تتعاكس مع ألوان الجدران، فصار الداخل الى القاعة يحسب نفسه داخلاً الى كهف خافت الأنوار يستهوي ويهديء الأعصاب. وما أن دقّت الساعة السادسة حتى فتحتُ المطعم للرواد ...

ووقفتُ أمام الباب الزجاجي بملابس الطباخ وقبعتي العالية البيضاء شاهراً السكين الطويلة التي تشبه السيف، فصرتُ وكأنني قائد جيش يستعد للهجوم وخوض معركة حاسمة للانتصار في الجهاد المقدس، لا في سبيل الفتح والتحرير...

بل في سبيل الكرامة وعدم الموت جوعا كالشحاذين الكسالى من أضراب تنابلة السلطان ..!

وكان في المطعم ثلاث (بويات) و(سَكْنْ) واحد. وكلمة (بوي) إنكليزية، تعادل (غرسون) بالفرنسية أمّا (السكن) فتعني كلمة (سكند) أي الثاني بالإنكليزية، ومعناها المساعد.

وكلفتُ كبير (البويات) سليم بأن يخاطب الأصدقاء والمعارف تلفونياً ليخبرهم بعنوان مطعمنا الجديد، وما أن أسدل الظلام علينا ستارة حتى غصّتْ القاعة بالزبائن الذين أعجبوا بهذا المطعم الخفيف الدم، البعيد عن الرسميات والتعقيدات الإجتماعية السخيفة. واشتدّ إعجابهم بآلة شوي اللحم والدجاج الكهربائية، وجهاز شوي قطع (هامبورغر) والهوت دوغز، التي اشويها أمام

أعينهم، فيتسلّون برؤية اللحم وهو يتحمر، وبرائحة دخان الشوي وهو يتصاعد الى أنوفهم، يتلذذون بعطره وكأنه رائحة عطر كارفن أو لانفان ..!

نلتُ نجاحاً باهراً رغم أنف الحُسّاد، واستعاد مطعم (شهريار) أمجاد مطعم (كشك بحري) الصغير، بصورة أدهشت الزميل عادل عوني، وأغراهُ المدخول الصافي من الأرباح، ففي صباح كل يوم كنت أقتطع نصف الأرباح أي ١٥ إلى ٢٠ ديناراً في اليوم الواحد...

*****

مطعم (بوران)...

قال عادل عوني: دبّر لي يا يونس (المخزن الكبير) لنجعله مطعماً مُمتازاً، فقد بلغني أنّ صاحبه يريد بيعه لأنه أشرف على الإفلاس بعد أن هجر الأجانب بغداد وبارت تجارة المعلبات.

وأتممتُ صفقة شراء المخزن الكبير بخمسة آلاف دينار عراقي، دفعها عادل عوني، وتركتُ مطعم (شهريار) ورحتُ أتولى إعداد المطعم الجديد بالاشتراك مع عادل.

وبعد أيام تحّول المخزن الكبير إلى مطعم خطير أفخم وأرقى مطعم عربي و(إفرنجي) في بغداد واشتغل المطعم بنجاح باهر، وقد أطلق عليه أسم (بوران) تيمناً باسم زوجة الخليفة المأمون العباسي (بوران) التي تزوجها لسببين اثنين، أولها أنها كانت تجيد فن الطبخ، والثاني لأنها تجيد فن الشعر، فهي التي نظمت القصيدة العربية الخالدة التي قالت في مطلعها (قولي لطيفك ينثني عند المنام...) ...الخ

وقد أشغلنا أسم (بوران) هذا عن العمل حتى أنه كاد أن يقطع علينا رزقنا، فكان كل زبون يطلبُ منا سرد تفاصيل قصة بوران وما هو أصلها وفصلها، ومن هو زوجها...؟!

وكان من أحسن زبائننا المهندس حسن سلامي، الصديق الأوفى لمدير الأمن العام ولمدحت أمين رئيس استخبارات الجيش السابق الذي يعتبر الصديق المخلص للواء قاسم.

ورجوتُ المهندس حسن سلامي أن يُكلّم مدير الأمن العام ومدحت أمين ليتكلما مع الزعيم، ليسمح لي بالعودة إلى بيروت حيث توجد زوجتي وبيتي وأعمالي، فوعدني خيرا.

وفيما كنتُ ذات يوم أتحدث إلى الأستاذ إبراهيم الربيعي مدير المصرف الصناعي وشلته المرحة رنّ جرس التلفون، وكان مخاطبي الرجل الشهم مدحت أمين، فقال لي: اذهب حالاً إلى مدير الأمن العام... فهو في انتظارك ..!

فذهبتُ وأنا أكادُ أطيرُ من شدة الفرح، فسبعة أشهر في سجون بغداد كانت بمثابة سبعة أعوام مرهقة مع الأشغال الشاقة والتعاسة الماحقة، ثم سنة قضيتها في حرية معقدة تخللتها كوارث وويلات ومجازر ومحاولات إغتيال وثورات...!

ودخلتُ على مدير الأمن العام العقيد عبد المجيد عبد الجليل، فقال لي بعد محاضرة دامت ساعة ألقاها عليّ: إنّ الزعيم حفظه الله قد أمرني بالسماح لك أن تعود إلى بيروت، فاذهبْ إلى وزارة الدفاع لتشكر الزعيم وتؤكد له حسن نيتك ..!

وفي مكتبه بوزارة الدفاع إستقبلني اللواء قاسم، وقبل أن يردّ على تحيتي قال وهو يضحك كعادته كلما يراني: إسمع يا يونس...إني قد سمحتُ لك بالذهاب إلى بيروت فاشتمني أو إمدحني، ولكنْ حكّمْ ضميرك...!

وعدتُ إلى دائرة الجوازات والسفر، فوجدتُ جواز سفري محجوزاً بسبب دينٍ عليّ للسفارة العراقية ببيروت قدره ١٠٠ دينار، فإذا لم أدفع هذا الثمن فإنّ سفري ممنوع ..!

وقصدتُ المطعم، وكان الأستاذ ابراهيم الربيعي وجماعته لا يزالون هناك، فحكيتُ لهم قصتي. وما أن حلّ وقت العشاء حتى دفع لي إبراهيم ٢٠ ديناراً،

ودفع المهندس حسن سلامة ٢٠ ديناراً، والتاجر الركن محمد الطريحي ٢٠ ديناراً أخرى، ودفع الأستاذ يحيى قاسم ٢٥ ديناراً، وقدّم أبن أخي العقيد الركن وحيد صادق الجبوري ٣٥ ديناراً، فصار المجموع ١٢٠ ديناراً وضعتُها في الصندوق (امانة) عند الزميل عادل عوني ..!

وفي صباح اليوم التالي يوم ٣٠ كانون الأول ١٩٥٩، كنتُ أولّ زائر لوزارة المالية، فدفعتُ المئة دينار وأخذتُ وصلاً بالمبلغ قدّمته إلى دائرة الجوازات، فسلموني جواز سفري مع أطيب التمنيات ودعوا لي بالسلامة على الطائر الميمون.

بقي عليّ تقدير ثمن تذكرة الطائرة للسفر إلى بيروت. وكانت طائرة شركة طيران الشرق الأوسط ستقلع الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم.

ورفض الزميل عادل عوني أن يدفع لي العشرين دينار الباقية لديه من المائة والعشرين دينار التي جمعها الأصدقاء صدقات خالصة لتسفير (مِعْوّزْ) بحجّة أنّ هذا المبلغ هو أجرة أتعابه التي قام بها بجمع المئة دينار. وفيما نحنُ نتصايح، مرّ بنا الشيخ بشار بن الشيخ بلاسم الياسين، فلما عرف أسباب هذه المعركة، مدّ يده إلى جيبه وأخرج ٥٠ ديناراً سلمها لي وقال: اذهب إلى بيروت واذكرنا بالخير..!

وفي المطار اشتريتُ تذكرة سفر بعشرين ديناراً وبقي في جيبي ٣٠ ديناراً نقداً وعداً، كان حصيلة جهود سنة ونصف السنة... وهكذا إكتفيتُ من الغنيمة بالإياب والحمد لله الذي لا يُحمدُ على مكروه غيره!

وقبل أن تقلع الطائرة بدقائق أقبل عليّ الزعيم الشيوعي عبد القادر اسماعيل وهو يهرول، فقلتُ في نفسي متشائماً: أنّ الفرحة لم تدمْ، ها قد جاء هادم اللذّات ومُفرقْ الجماعات عزرائيل الأحمر ... ليأخذ روحي قبل أن أفلتْ ...!

ولكنه قال لي وهو يشـدّ على يدي بحرارة إستغربتها جداً: أرجوك أن تعطي هذه الرزمة إلى فلان في بيروت ..!

قلتُ: أمركْ ...

ومـا صدّقتُ أن أكـون في الجوّ إلاّ عندما أعلنت المُضيّفـة التي رحبتْ بنا أننا سنكون بعد ساعة ونصف الساعة في بيروت...!

انـتـهـى

بحث : طرائق قراءة الأرشيف الألماني عن حُقبة الحرب العالمية الثانية ... بصورةٍ مُغايرة ...

دراسة عن قصة الرحالة العراقي يونس بحري (١٩٠١ - ١٩٧٩)

هـذه النسـخة المنشـورة كتبهـا (نيلـز ريكـون NILS RIECKEN) وهي مُتوفـرة تحت الرقـم (....) ويقـول الباحث أنـه يرخُص الباحثـين والأطراف الأخـرى، مـن الإسـتفادة مـن المعلومات الـواردة في متـن البحـث ، لأغراضٍ تأريخية وعلمية، ويطلب من المُستفيدين ذكر أسم الباحث عند النقل والتصرف مع ذكر حقوق الناشر .

وقـد تمكّن الباحث في متن بحثه عـبر صفحاته البالغة ٤٥ صفحة من تدوين معلوات واسـعة ومُعمقة عن حياة السـائح العراقي الأشهر (يونس بحري أبن صالـح أغـا الجُبوري)، إعتمد فيها عـلى ما يقرُبُ من ٢٦ مصـدراً موثقاً توثيقاً أصلياً، وأغلب أصحاب المصادر المُسـتقاة منها معلوماته يتوزعون عبر الأقطار العربية ومنطقة الشرق الأوسـط وفيهم أسـاتذة أكاديميـين وناشرين معروفين وصحافيين مُحترفين، قاموا بتدوين الحكايات والقصص، وجاؤوا باستشهادات مكتوبـة ومطبوعـة ومرئية و محكية، فضـلاً عن مُقابلات شـخصية موتورة عن أناس عاشوا الحدث مع السائح العراقي وحاوروهُ، و آخرين رافقوه في رحلاته حول العالم أو سمعوا عن رحلاته من فم صاحبها السائح العراقي .

وللعلم، فإنّ واحداً من مصادر الباحث (نيلز ريكون NILS RIECKEN) هـو الكاتب والأكاديمي والمؤرخ الموصلي (معـن عبدالقادر آل زكريا) فيما كتبه عن السـائح العراقي يونس بحري وقاله في أكثر مـن مكان مطبوع ومعلوماتٍ مُؤكدة صرّح بها عبر أكثر من إذاعة وفضائية، كونه التقى السـائح شـخصياً سنة

١٩٧٥ وسمع من والده و أصدقاء والده من المؤرخين والمُجايلين للسائح العراقي .

يقول الباحث الإنكليزي (نيلز ريكون NILS RIECKEN) أنّ تجربته هذه في الكتابة عن السائح العراقي وعن تجربته الحياتية الواسعة هي جزء من مشروع أكبر سيُخصصّه لدراسة تأريخ السائح وتجربة نتاجاته ونشاطه على وفق مديات أوسع وعلاقاته المتشعبة مع شخصيات من (ألمانيا، بريطانيا، فرنسا وهولاندا) .

وقد إفتتح الباحث (نيلز ريكون NILS RIECKEN) بحثه بسؤالٍ وجههُ إلى نفسه عن كيفية الوُلوج في قصة حياة السائح العراقي المبحوث في سيرته وهو يتوزعُ ما بين الناشط والصحافي والمؤلف والسائح)..؟! ويجيب عن ذلك بقوله : لقد إعتمدنا في الأساس على (أرشيف مكتبة وزارة الخارجية الألمانية) كمثال للبدء في بحثنا، فضلاً عن إعتمادنا على بحوثٍ سابقة دُبجت عنه ومساحة إتصالاته بالمسؤولين المهمين والشخصيات البارزة التي التقاها السائح وتواصل معها عبر صداقاتٍ متينة ومن نوع خاص، ناهيك عن أهم تلكم العلاقات هي التي تتمثل بالديبلوماسية (الألمانية / الشرق أوسطية) تلك التي يمكننا أن نعدها رمزاً لأفكار الناشطين العرب مع الراديكاليين عبر أقطار العالم وفيها أقطار العالم العربي .

وفي خلاصة بحثه يقوم الباحث (نيلز ريكون NILS RIECKEN) بتوجيه الشكر والإمتنان للناس المهمين الذين قدموا له المُساعدات في هذا الميدان وفيهم كلٌ من (أولريك فرايتاك ULRIKE FREITAG) و (بيتر فين PETER WIEN) وهُما عنصران مهمان ساعداه في تنظيم روابط أساسات البحث. كما وجه الباحث شكره لأولئك الذين قدموا له الملاحظات الجادة من مثل الباحثة الألمانية (روث سترايشر RUTH STREI CHER)

التـي نبهته إلى أهمية العلاقة التأريخية الرابطة بين الناشـطين العرب والقوميين الراديكاليين من العرب في الوقت عينه .

وفي ختـام بحثه، تقدم الباحث (نيلز) بكلمـة أثيرة عن دور التحول الفكري عند السـائح العراقي (المبحوث في سـيرته) والذي قاده إلى تبني مواقف أوسـع وأعمـق، تلك التي كانت بدورها المحفز البـارز الذي حكم حياة يونس بحري و أشـخاص آخرين كانت لهم مواقف كبرى في حيواتهم، أولئك هم كانوا أيضاً على شاكلة البحري السائح العراقي .

الباحث

معن عبد القادر آل زكريا

How to read German state archives differently: the case of the «Iraqi traveller» YūnisBa#rī (ca. 1901-1979) in a global frame Riecken, Nils

Veröffentlichungsversion / Published Version

Abstract:

This essay 1 is the first stage in a larger project that investigates an inter-imperial history of knowledge production through the prism of Bahrī's activities and networks at various imperial sites in the Dutch, British and German empires as well as the French imperial nation-state. In this essay, I begin by asking how we can tell the history of the nationalist, journalist, author and traveler Yūnis Baḥrī (ca. 1901-1979) – once known in Arab-speaking populations from Europe across the Middle East to South East Asia as the »Iraqi traveller« (Arabic al-sā'iḥ al-'irāqī) – by acknowledging his interimperial life and activities. Taking the archives of the German Foreign Office as examples, I seek to render these inter-imperial coordinates of his life visible. Previous research on Baḥrī has neglected these inter-imperial connections. Due to this reduction, Baḥrī's case could be described as a dualistic story of »Middle Eastern-German« relations. Thus, he could be a symbol for an ideological proximity of Arab nationalists and National Socialism. In this essay, I want to move away from the civilizational lens underlying such arguments by developing a broader methodological outlook. If Baḥrī's story 1 The research for this paper has been generously funded by the German Research Foundation (DFG) within the framework of the Research Group 955 »Actors of Globalization«. I am grateful to both reviewers, Ulrike Freitag and Peter Wien,

for their comments. I also wish to thank Sebastian Conrad, Andreas Eckert, Kerstin Stubenvoll, Nikolay Kamenov and Dolf-Alexander Neuhaus of the DFG research group as well as Heike Liebau, Larissa Schmid, Regina Sarreiter and AnanditaBajpai of the ZMO-research group »Trajectories of Lives and Knowledge« for comments on earlier versions of this paper. Moreover, I am greatly indebted to the critical comments by Ruth Streicher. forms part of the historical relationship between Arab nationalists and National Socialism, it is also an element of wider inter-imperial histories. To bring out these histories requires reading practices of the archives that do not follow civilizational or national logics. I therefore take what the archives of the German Foreign Office tell about Baḥrī as a starting point to tease out how his activities transgress civilizational historiographical frameworks. In conclusion, I explain how the conceptual shift involved in my argument leads to a both broader and denser account of the politics that governed Baḥrī's life and other actors like him. Keywords: Yūnis Baḥrī, propaganda, journalism, Arab nationalism, National Socialism, Islam, interimperial connections, knowledge, archive, global intellectual history

Introduction:

This essay forms part of a larger project that inquiries into the life and activities of the Arab nationalist, journalist and travellerYūnisBaḥrī (ca. 1901-1979) as a window onto the global and interimperial dimensions ofArab nationalism, antiimperialism and Pan-Islamism. Baḥrī was once known as the »Iraqi traveller« (Arabic al-sāʾiḥ al- ʿirāqī) not only in the Mashreq, but also in European publications as well as among Arabic-speaking communities in South East Asia. People who remember him today mostly associate him with his role as a traveller, journalist and as an announcer for Arab language National Socialist radio propaganda during the Second World War. By focusing on Baḥrī's journalistic and political activities across several continents and empires from the inter-war period and World War II to the Cold War and the era of decolonisation, my larger project seeks to ZMO Working Papers 18 · Nils Riecken · How to read German state archives differently · 2017 2 trace how Baḥrī formed part of and connected different sites of knowledge production. I thus pay particular attention to how Baḥrī was part of certain south-south networks between the Dutch East Indies, the Arabian Peninsula, the Maghreb and Western Europe. From this translocal perspective I focus on specific sites and episodes of his life from a micro historical perspective.2 Recent research on German National Socialist wartime propaganda for the Middle East has highlighted

Baḥrī's role as a radio announcer for National Socialist radio propaganda. He has figured here as one of those Arab nationalists who found ideological partners in the National Socialists and their anti-Semitism.3 Such accounts connect Baḥrī's and other Arab expatriates' stories to a historical confluence of what they portray as two strands of eliminatory anti-Semitism: the antiSemitism of Islam and Arabs on one hand and the anti-Semitism of the National Socialist regime on the other. Moreover, these accounts interpret this historical confluence as the root of contemporary Islamism and anti-Semitic views among Arabs today.4 Interpreting the cooperation between Arab nationalists and the National Socialist regime as the birthplace of contemporary Islamism relies on the assumption of a direct continuity of the 1930s and 1940s with today. Such a view produces a specific concept of history – in this case, the history of the political attitudes of Arab societies – as linear, empty and continuous. Students of nationalism have historicised such views of history and concepts – such as »Germany« – as an effect of nationalist discursive practices.5 The same point applies to this case. Civilizational and culturalist discourses typically produce a view of »the Arab world«, »the Islamic world«, »the Middle East«, »the West« and »Islam« as travelling through the 2 Ulrike Freitag and Achim von Oppen, »Introduction: ›Translocality‹: An Approach to Connection and Transfer in Area Studies«, in Translocality: The Study of Globalising Processes from a Southern Perspective, ed. Ulrike Freitag and Achim von Oppen, Studies in Global

Social History (Leiden and Boston: Brill, 2010); Ulrike Freitag and Achim von Oppen, »Trans lokalität als Zugang zur Geschichte globaler Verflechtungen «, H-Soz-u-Kult (2005), http://hsozkult.geschichte.hu-berlin.de/forum/2005-06-001. 3 Jeffrey Herf, Nazi Propaganda for the Arab World (New Haven, Conn. and London: Yale University Press, 2009). 8, 71, 139, 234, 238, 280, n. 154.Herf's text frames Baḥrī's life within the coordinates of the Middle East and Germany as civilizational spheres. 4 Ibid., Barry Rubin and Wolfgang G. Schwanitz, Nazis, Islamists, and the Making of the Modern Middle East (Yale University Press, 2014); Matthias Küntzel, »Zeesen bis Beirut. National sozialismus und Antisemitismus in der arabischen Welt«, in Neuer Antisemitismus? Eine globale Debatte, ed. Doron Rabinovici, Ulrich Speck and Natan Sznaider (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 2004). 5 Benedict Anderson, Imagined Communities. Reflections on the Origin and Spread of Nationalism, revised ed. (London and New York: Verso, 2006). empty, homogenous time of a history where the basic units are »cultures« and »civilizations«. Framed by what I find too rigid conceptual coordinates – »German-Arab« relations on one hand, and the relation between »National Socialism« and »Islam« on the other – Baḥrī's life could be reduced to the role of illustrating the »cultural fusion, borrowing and interaction between Nazi ideology and certain strains of Arab nationalism and Islamic religious traditions.«6 In contradistinction to this outlook, my approach builds on two strands of research that help to cast

a different light on Baḥrī's story. The first strand challenges the view of a direct continuity between National Socialism, Arab nationalism, Islam and today's Islamism. It emphasises the importance of local circumstances, foregrounds decolonisation as a historical context of this relationship and works with a broader outlook on intellectual history.7 Second, my approach builds on research that studies the lives of actors within a global frame, that is, beyond established units of analysis such as nation-states or one linguistic framework.8 6 Herf, Nazi Propaganda for the Arab World: 3. See also the formulation: »the diffusion of ideology and of a meeting of hearts and minds that began from very different civilizational starting points.« Ibid., 14. 7 Peter Wien, »›Neue Generation‹ und Führersehnsucht. Generation enkonflikt und totalitäre TendenzenimIrak der dreißigerJahre«, in Blind für die Geschichte? Arabische Begegnungenmitdem Nationalsozialismus, ed. Gerhard Höpp, Peter Wien and René Wildangel (Berlin: Klaus Schwarz Verlag, 2004); Peter Wien, »Coming to Terms with the Past: German Academia and Historical Relations between the Arab Lands and Nazi Germany«, International Journal of Middle East Studies 42, no. 02 (2010); Peter Wien, »The Culpability of Exile: Arabs in Nazi Germany«, Geschichte und Gesellschaft 37, no. 3 (2011); Peter Wien, »Arabs and Fascism: Empirical and Theoretical Perspectives«, Die Welt des Islams 52, no. 3/4 (2012); GötzNordbruch, »The Arab World and National Socialism – Some Reflections on an Ambiguous Relationship«, Orient-

Institut Studies. Rethinking Totalitarianism and its Arab Readings 1 (2012); GötzNordbruch, »Islam as a ›Giant Progressive Leap‹ – Religious Critiques of Fascism and National Socialism, 1933-1945«, Die Welt des Islams 52, no. 3/4 (2012); Ulrike Freitag and Israel Gershoni, »The Politics of Memory. The Necessity for Historical Investigation into Arab Responses to Fascism and Nazism«, Geschichte und Gesellschaft 37, no. 3 (2011); Israel Gershoni, »Why the Muslims Must Fight against Nazi Germany: Muḥammad NajātīṢidqī's Plea«, Die Welt des Islams 52, no. 3/4 (2012); Israel Gershoni, ed., Arab Responses to Fascism and Nazism: Attraction and Repulsion (Austin: University of Texas Press, 2014); Marc David Baer, »Muslim Encounters with Nazism and the Holocaust: The Ahmadi of Berlin and Jewish Convert to Islam Hugo Marcus«, The American Historical Review 120, no. 1 (2015). 8 See Isabella Löhr, »Lives Beyond Borders, or: How to Trace Global Biographies, 1880-1950«, Comparativ 23, no. 6 (2013); George E. Marcus, »Ethnography in/of the World System: The Emergence of Multi-Sited Ethnography«, Annual Review of Anthropology 24 (1995); Bernd Hausberger, Globale Lebensläufe: Menschen als Akteureim welt geschichtlichen Geschehen (Wien: Mandelbaum, 2006); David Lambert and Alan Lester, »Introduction. Imperial Spaces, Imperial ZMO Working Papers 18 · Nils Riecken · How to read German state archives differently · 2017 3 Taken together, these works allow us to frame actors like Baḥrī as imperial actors whose lives connected various empires, who played a part in

processes of knowledge production in the global South and the global North and connected both areas. We can ask, then, how Baḥrī developed a skill-set as a propagandist that he could profitably offer in various imperial settings – Dutch, Iraqi, German, Jordanian and French. And what kind of similarities and differences can we observe in his use of nationalist and Islamic rhetoric at different times and places? What is interesting about an actor such as Baḥrī is not only his crossing of multiple borders as such. What is conceptually at stake are the following issues: How is his life and the narration of his life connected to the history of modernity biographically, conceptually and politically? From my perspective, his life does not simply constitute »the other« of a Euro-American modernity. The shift I propose here has political consequences insofar as it touches upon the very conceptual ground of Baḥrī's story in literature. It establishes a different and broader frame for telling the political frame for interpreting Baḥrī's life and connected to the representation of his biography. In this essay, I start by exploring Baḥrī's activities through the particular archive of a particular site of Baḥrī's life, that of the German Foreign Office in Berlin. I suggest that the archive in fact contains traces of this inter-imperial history that have so far not been addressed enough and that call tell us a different story of Baḥrī's life and activities. Whereas previous research has mostly interpreted Baḥrī's activities in Berlin during the Second World War as a radio announcer within a framework conceived along civilizational, national and cultural lines, I

thus take what the archives of the German Foreign Office tell about Baḥrī as a starting point to tease out how his activities transgress such historiographical frameworks. This shift in perspective is to allow us to develop an inter-imperial history of knowledge production through the prism of Baḥrī's propagandistic activities at various imperial sites in the Dutch, British and German empires as well as the French imperial nation-state.

Baḥrī's life can help us to further rethink the history of Arab nationalism, anti-imperialism, National Socialism and Pan-Islamism in relation to the history of modernity. Discussions about National Socialism and its murderous violence have always also been discussions about modernity and its others.16 Assertions of intrinsic links between National Socialism, Arab nationalism and Islam form, willingly or not, part of this on-going negotiation of the question of modernity – not just in the framework of German or European history, but within a global frame. Those who see a close alignment of Arab nationalists and National Socialists as well as National Socialism and Islam provide transregional histories based on their readings of the archives. Such readings tend to tacitly assume that Arab nationalists were only Muslims and thus adherents of »Islam« as a »religion«. Such a view is problematic for many reasons. The view of entities such as »Islam«, »religion« and »National Socialism« as container-like entities precludes a more thorough engagement with conceptual issues such as the modern constitution of »religion« as a category,

the heterogeneous social realities subsumed under these concepts, and the history of these conceptualisations themselves. Presenting Arab nationalists as Muslims per se overlooks the existence of Christian Arab nationalists, thus allowing the reduction of Arab nationalism to Islam.

He was born in Mosul, presumably between 1901 and 1904 – or 10 December 1908 as the files in the archive of the German Foreign Ministry state.18 Yūnis (or Yūnus – both versions appear throughout the historical sources in Arabic and German, English and other translations) is a Quranic name used by Muslims, Christians and Jews alike and thus does not indicate Baḥrī's religious background. Mosul was then part of the Ottoman Empire. Subsequently it became part of the British Mandate for Mesopotamia (1920-1932) and as of 1932 of Iraq as a constitutional monarchy. Most sources state that Baḥrī died in Bagh- 17 See Ruth Mas, »Follow the Politics«, Bulletin for the Study of Religion 43, no. 4 (2014): esp 12. 18 Politisches Archiv, AuswärtigesAmt (PA AA) B 82 Nr. 525, V3-88, 1964-1968. The year 1904 is given in Rush and Priestland, Records of Iraq. 1914-1966, 52.dad in 1979. One source states that he was buried in Al-Ghazzālī-cemetery in March (Adhār) of the same year.19 A biographical dictionary states, however, that Baḥrī had moved to Abu Dhabi and died there in 1978.20 As his full name YūnisṢāliḥBaḥrī al-Jabūrī indicates, he was born into the predominantly Sunni tribe of the Jabūrīs. A file in the German Foreign Office, which was produced in the 1960s, mentions several versions of »BahriYounes«, namely »alias

Bey-Bahri, alias Al-Bahrry-Jaboury, alias El-Djaboury-Bahri, alias El-Dakrani«.21 A biographical dictionary indicates that he grew up in a well-to-do landowning family.22 His father was ṢāliḥAġā Al-Jabūrī who is referred to as a civil servant in several districts of Ottoman Empire, a Yūzbāšī (captain in Ottoman army) in charge of the protection of the mail between Istanbul and Mosul.23 Muʿin ʿAbd al-Qādir Āl Zakarīyā's assertion that Baḥrī was the first Iraqi to establish a newspaper outside Iraq points again to the role Baḥrī's travelling plays in present ways of remembering Iraq within a global frame.24 The trend to remember Baḥrī as an adventurer often leads to what seems like exaggerated assertions about his life. For instance, Al-ʿAni states that Baḥrī had »at least forty wives« and spoke sixteen languages and dialects.25 I already referred to Baḥrī's reputation as a traveller. Contemporary websites about Baḥrī often stress his role as a legendary Iraqi traveller.26 An issue of the Italian journal Oriente 19 Ḫālid ʿAbd al-Munʿim Al-ʿĀnī, »Al-Muqaddima«, in Mudhakkirāt. Al-raḥḥālaYūnusBaḥrī. FīsiğnAbū Ġarībmaʿariğāl al-ʿahd al-malakīfī al-ʿĪrāqbaʿdamağzaraqaṣr al-raḥābʿāmm 1958 [Memoirs. The travellerYunisBahri in the prison of Abu Ghraib with the men of the royal era in Iraq after the bloodbath of Qasr al-Rahab 1958], ed. Ḫālid ʿAbd al-Munʿim Al-ʿĀnī (Beirut: Al-Dār al-ʿarabīya li-l-mausūʿāt, 2005), 6. See also KāmilḪuršid, »Yūnis Baḥrī. Usṭūraḥaqīqa!«, Al-maktabah.net, 2010, http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=60231, accessed 2.2.2014. 20 Edmund A.

Ghareeb, »Historical Dictionary of Iraq. With the assistance of Beth Dougherty«, Historical Dictionaries of Asia, Oceania, and the Middle East (Lanham, Maryland, and Oxford: The Scarecrow Press, 2004), 36. 21 PA AA B 82 Nr. 525, V3-88 1964-1968. It is significant that this information came from the German embassy in Paris because it indicates that Baḥrī spent time in France and quite possibly in Paris. 22 Ghareeb, »Historical Dictionary of Iraq«, 36. 23 »Usṭūra al-arḍ ..al-musammā Yūnis Baḥrī« [Legend of the world .. Yūnis Baḥrī] [Oral presentation delivered by the historian Professor Doctor Sayyār al-Jamīl in the Club Al-Salām in Toronto in Canada on the evening April/Nīsān 30, 2011, during a special Iraqi night attended by over 260 guests from Canada and the United States.],

Baḥrī started travelling through Iraq in 1920 and soon beyond that across the Mashreq, Maghreb and Europe, acquiring several dialects and languages. Several sources state that Baḥrī studied in Istanbul.29 Reportedly, Baḥrī lived in Paris for a while, fell into debt, was subsequently incarcerated in Paris, finally relieved and could travel back to the Mashreq. A report on »leading personalities of Iraq for 1945« for the British Foreign Office tells this story as follows: From 1923 to 1926 he held minor clerical posts in Government offices. In June 1926, he went on a journey round the world and was repatriated destitute from Paris after having served a term of imprisonment for a misdemeanour. Between 1929 and 1933 he travelled in Arab countries, including Tripoli, Tunis and the Hadhramaut, also Java, India, Afghanistan

and Iran. On his return to Iraq he took up journalism and gave his support to extreme nationalism.30 Based on sources from other archives, including the German Foreign Office, this story can be substantially expanded. Perhaps it was during this time in France in the 1920s that he married the Dutch painter Julie HenriëtteEugénie van der Veen (1903-1997), as a picture of both suggests.31 Usṭūraḥaqīqīya!! [YūnisBaḥrī. A real legend!!]«,

At least between 1931 and 1933 he was involved with the editing of two periodicals.34 The first was Al-Kuwait wa-l-ʿIrāqī (»Kuwait and the Iraqi«), which appeared from 1931 until at least June 1932. The title referred to ʿAbd al-ʿAzīz al-Rušayyid from Kuwait and Baḥrī.35 On the title page of the first issue both appear as proprietors and editors of the periodical. When Baḥrī left, however, the periodical, its name changed to Al-Kuwait. Baḥrī then edited a periodical titled Al-Ḥaqq (»The Truth«) in Bogor, a town a little south to Batavia from 1932 until the beginning of 1933. At the same time, he was working as a correspondent for at least one Egyptian periodical.36 Natalie Mobini-Kesheh has pointed out that Ibn Saud financed the magazines to call upon Muslims to perform the Hajj in Mecca. It might be argued that Ibn Saud was not only calling for a religious duty, but also had financial reasons in mind because the pilgrimage constituted an important source of income.37 It is quite safe to assume that Ibn Saud knew Baḥrī personally.38 Having returned to Iraq, which was partially independent since 1930 and officially fully independent since 1932 when it joined

the League of 32 E. G. Miller, »Foiling Espionage in Berlin Radio's Arabic Service«, The Journal of Historical Review 19, no. 1 (2000).

For instance, in December 1938 he was seen in Jidda, as a file of the Foreign Office states.48 This note is another indicator for connections between Baḥrī and Ibn Saud. Baḥrī left Iraq in 1939 – most probably in April49 – with the help of Fritz Grobba (1886–1973), German envoy in Baghdad. A Lufthansa flight took Baḥrī from Baghdad to Berlin. There are differing accounts of how this came about. The anecdote I just mentioned implies that Baḥrī had to flee from Iraq because of his anti-British stance. Another version suggests he first offered his services as a radio announcer to the British, who contemplated hiring Baḥrī for their Arabic propaganda, but after they finally decided against it, he joined the Germans.50 In Berlin Baḥrī became an important speaker of the Arabic radio propaganda of the National Socialist regime.51 Baḥrī was hired as a freelance worker for the »Internationaler Programmaustausch« (IPA) of the »Reichsrundfunkgesellschaft«. As said earlier, it is Baḥrī's role as a speaker for »Radio Berlin« or »Voice of Free Arabism« that he is today widely associated with, especially in the Arab world.52 Peter Wien points out that the Iraqi Abraham Elkabir compared Baḥrī to »Lord Haw Haw« – a name 46 PA AA NL Grobba, 13. See also Hans Goldenbaum, »Nationalsozialismusals Antikolonialismus«, Vierteljahrsheftefür Zeitgeschichte 64, no. 3 (2016), 486. 47 Freitag and Gershoni, »The Politics of Memory.The

Necessity for Historical Investigation into Arab Responses to Fascism and Nazism«, 323. 48 FO 371/23271 Jedda Report December 1938. I owe this information to Ulrike Freitag. 49 Rush and Priestland, Records of Iraq. 1914-1966, 53. 50 Farhat Ziadeh et al., »Interview with Farhat Ziadeh, Nicholas Heer and Ilsa Cirtautas by Terri DeYoung and Gabriel Skoog«,

Bent on protecting the Iraqi he had helped to come to Germany, Grobba stated that Baḥrī was famous in the Arab world. Referring to the already mentioned BBC-broadcast on Baḥrī he wrote: »He had a resounding voice and a suggestive way of speaking. Within a short time, he was so popular in the Arab world that the B.B.C. fiercely attacked him in a broadcast, while not sparing the author because the latter had sent Yunus Bahri to Berlin.«67 A closer look at the files of the German Foreign Office reveals several things. Not only were Baḥrī"s credentials in doubt when he worked for the National Socialist regime, but his connection with Germany did not end with this job. He came back to Germany and through the files produced around these stays in Germany we learn that Baḥrī seemingly kept on selling his propagandistic skills to more than one power. Reading the archives of the German Foreign Office differently I suggest an exclusive temporal and spatial focus on Baḥrī's time in Berlin from 1939 until 1945 – and his association with the National Socialist regime – prevents us from understanding that his life and his activities were situated within wider inter-imperial histories. This framing has a direct impact on

how we tell his story as an example of Arab nationalists' cooperation with National Socialist Germany. But if we follow the argument of global history, these connections are not peripheral, but constitutive for telling the history of his – modern – life. Limiting our archival gaze at the files to the events during the Second World War and or by taking this period as the point zero of a history of contemporary Islamist anti-Semitism, we overlook the wider coordinates of the politics of Baḥrī"s life

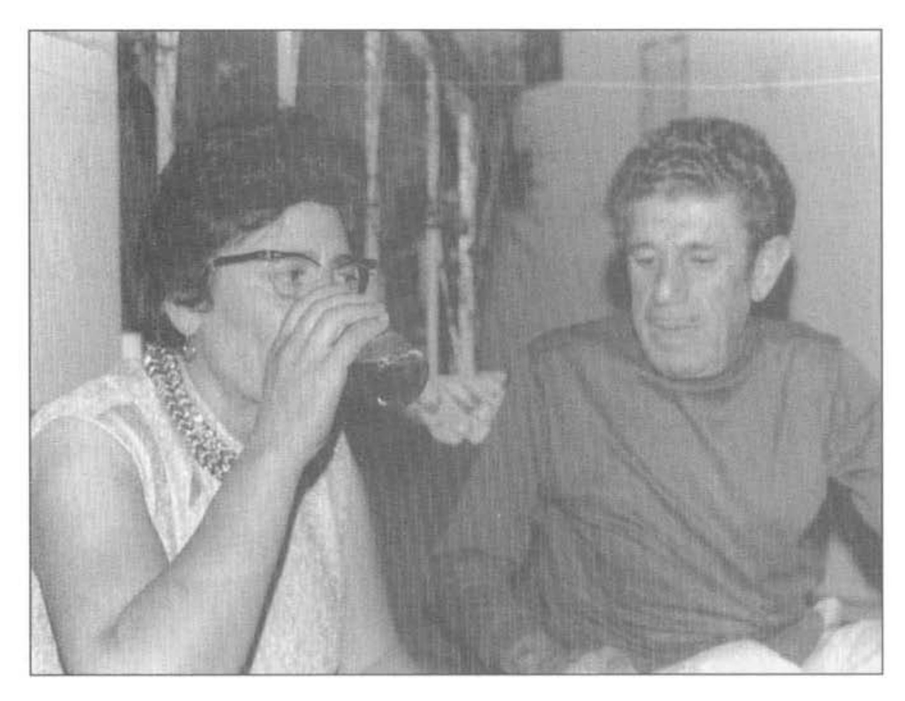
Moreover, the files of the German Foreign Office tell us that King Abdallah of Jordan (1882-1951) forgave Baḥrī for his activities during the Second World War and awarded him Jordanian nationality.84 In an article on »Arab Propaganda Rivalries in Middle East Broadcasts« from 28 February a correspondent of The Times situated the broadcasts of the Amman radio station in the conflict between Jordan and Egypt: Amman radio's approach to affairs, especially foreign relations, is so different from Cairo's that the »Voice of the Arabs« [the Cairo radio station, N.R.] at once put it about that the new Jordan station was in fact the voice of the British Foreign Office, that its policies were not governed by the Jordan Government, and that Younis al Bahri (possibly together with King Hussein) received his instructions direct from Mr. Selwyn Lloyd [then British Foreign Secretary, N.R.]. While the equipment is almost certainly British, it is extremely unlikely that the British connexion is strong enough to direct the content of the broadcasts.85 Files in the British Foreign Office also provide evidence that Baḥrī

worked for the Amman radio station: »They brought Yunis Bahri to wage radio propaganda against the ESS powers [Egypt, Syria and Saudi-Arabia, N.R.]. Jordan did not wish to harm her relations with these countries. Mr. Allen asked who had brought Yunis Bahri to Jordan. Mr. Rifa'i replied that it had been the British, working through the King.«86 Furthermore, the files of the German Foreign Office point to another episode where Baḥrī apparently could employ his propagandistic know how

The report explains that Baḥrī had left Germany for France because he had been afraid of being arrested, even though the German administration had already rejected the Iraqi and the Egyptian administrations' request for his expulsion. Subsequently, the German authorities stopped their penal proceedings against Baḥrī due to the statute of limitations (»Verfolgungs verjährung«).89 The files in the German Foreign Office do not tell us more about Baḥrī's work in Paris. But they reveal that Baḥrī's time in Germany does not end in 1945, nor can his cooperation with the German regime be conceptually reduced to a civilizational logic of ideological fusion. Conclusion The argument I wanted to make here is simply that in combination with other archives the German Foreign Office's files can tell us a much more complicated story about Baḥrī's place within multiple imperial entanglements and the complexities of lives connecting these empires.

صور و وثائق متعلقة بحياة
المبحوث في سيرته

يونس بحري





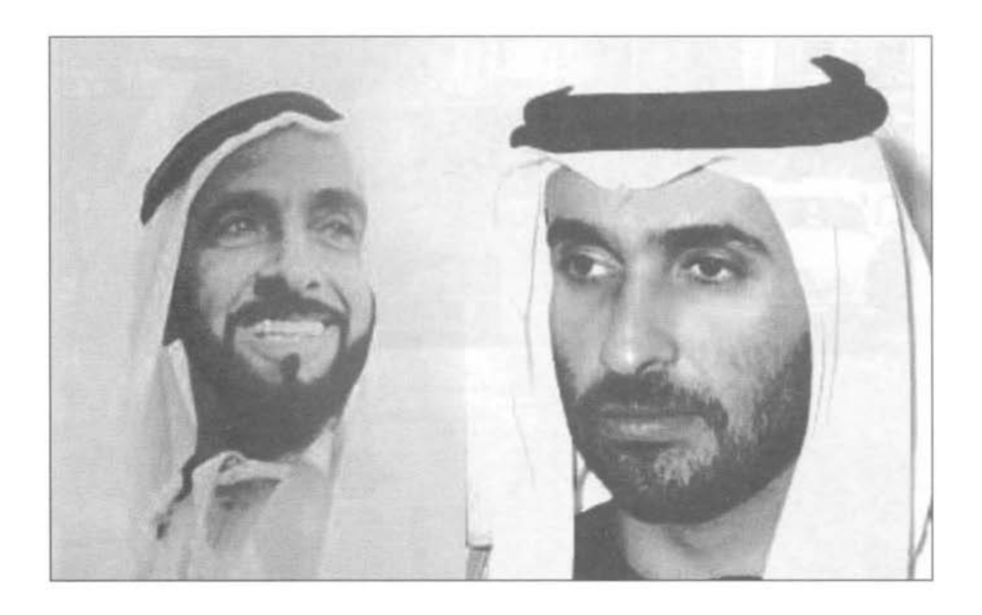




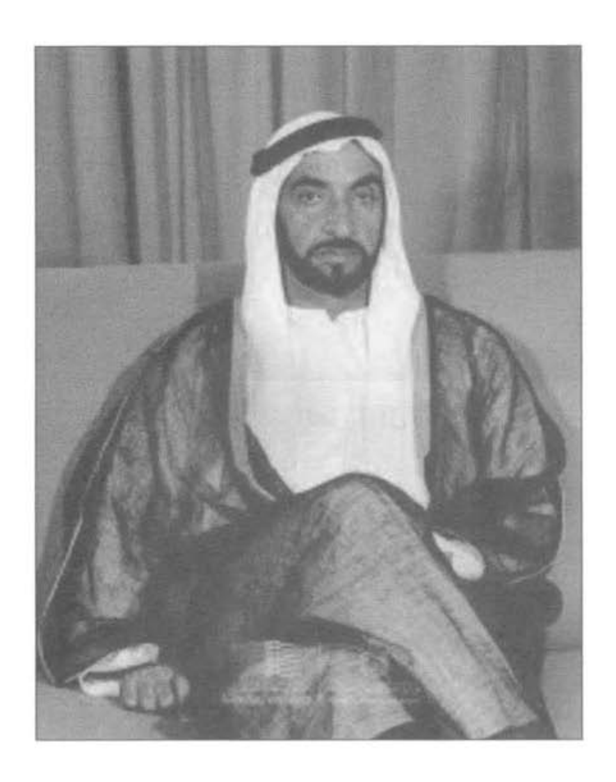


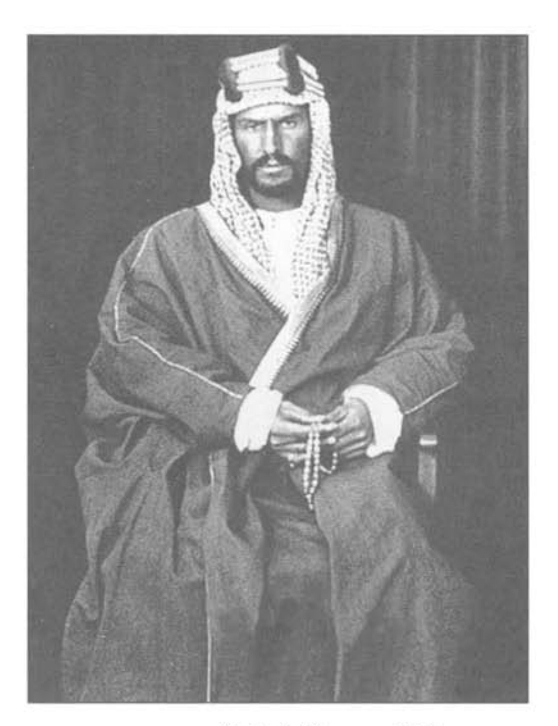




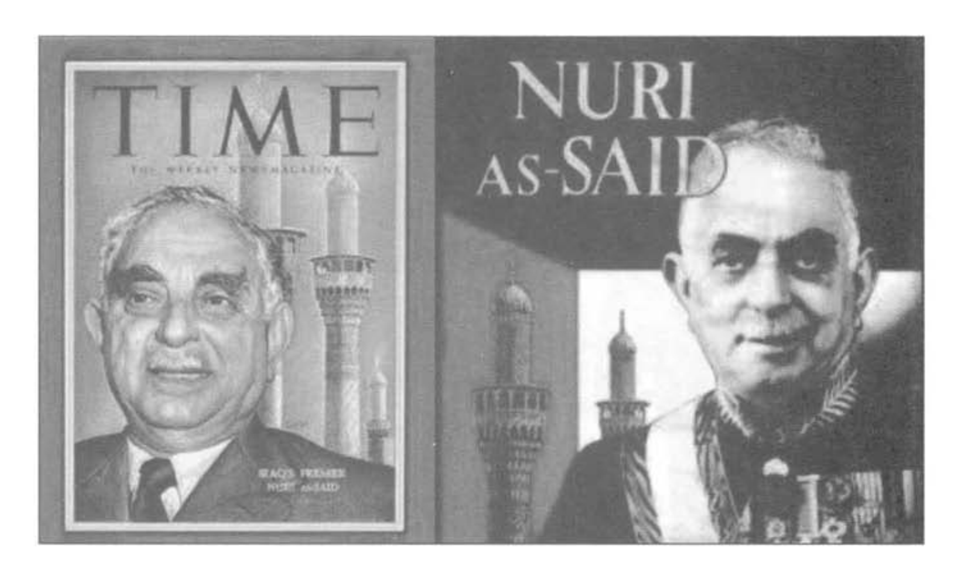








الملك عبد العزيز ال سعود



نوري باشا السعيد











صورة يظهر فيها يونس بحري وهو يصافح أحد الحضور

الصورة من موقع محمد علي الطاهر http://www.eltaher.org/docs_photos/



الجمهورية
جريدة الشعب

إطلاق الرصاص على قاسم

محاولة اغتياله فى شارع الرشيد

إصابة قاسم فى كتفه ونقله إلى المستشفى

حظر التجول فى بغداد

وصول وفد السودان

تركيب القمر يختلف عن الأرض

عاد القائم بأعمال سفارتنا فى الصين

عبد الهادى

تعيين أحمد حسن البكر رئيسا للجمهورية العراقية

الجمهورية

انقلاب عسكرى فى العراق

تشكيل مجلس قيادة ثورة يتولى السلطة التشريعية والتنفيذية وسلطات رئيس الجمهورية

طائرة عسكرية خاصة تحمل عبد الرحمن عارف إلى خارج العراق

وصول عارف إلى لندن بعد توقفه فى استنبول لمدة ساعتين

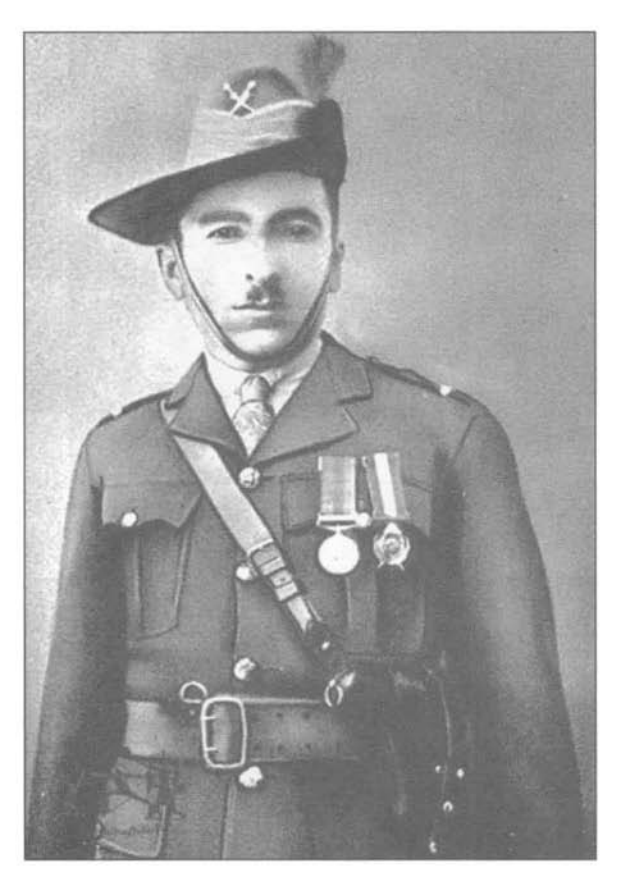
٤ عسكريين عراقيين يحيطون بعارف لمنعهم من الاتصال بالصحفيين




أسست ١٦ إذاعة .. أتقن ١٧ لغة ..
حملت ١٥ جنسية .. تزوجت ٩٠ امرأة
زواجا شرعيا .. وأكثر من ٩٠٠ زواجا عرفيا
.. أنجبت ٣٦٥ ذكرا ولا أعلم عدد
الإناث .. عندي الآن أكثر
من ألف حفيد .. قابلت معظم
رؤساء العالم ولي معهم صداقات
.. حكم علي بالإعدام أربع مرات .. وقد
ولدت في أول هذا القرن .. في الشهر


اقدمها لصديقي العزيز السائح العراقي يونس بحري





احد ضباط الجيش الليفي








رشيد عالي الكيلاني
رشحه نوري السعيد
لتشكيل الحكومة فاعترض
الجيش على ادخال نوري السعيد
وطه الهاشمي في التشكيلة الجديدة

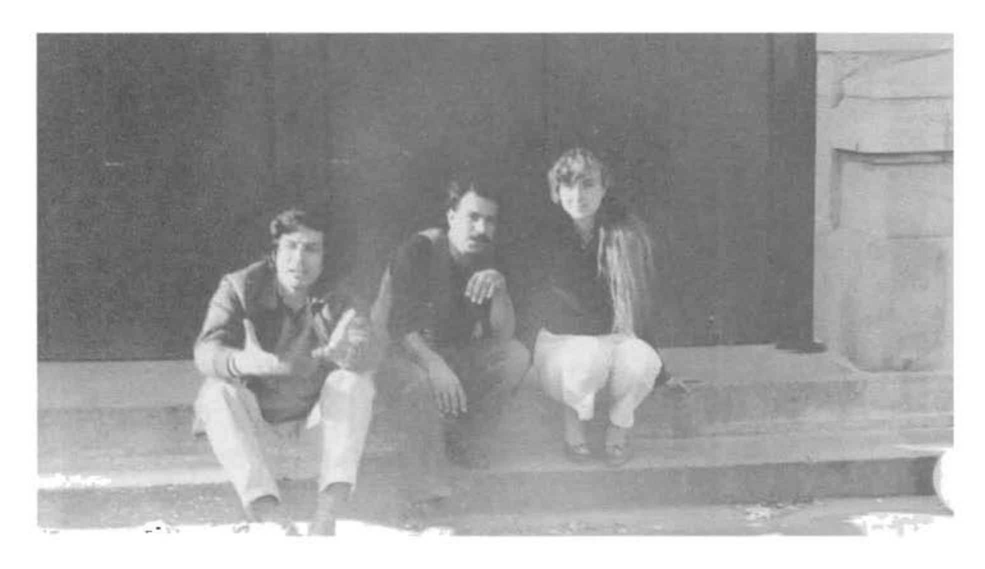




السيد جاسم الجبوري مع أحد أقربائه برفقة قريبهم السائح يونس بحري



الصورة في مصيف سوق الغرب في لبنان في ١٩ آب سنة ١٩٣٤
ويظهر في الصورة يونس بحري وصديق الجليلي وأحمد الصوفي



المخرج سعدي يونس وأحد المخرجين العراقيين وراقصة المسرح الفرنسية





14

يونس بحري: حياة مثيرة

مذكرات عراقي في برلين خلال الحرب العالمية الثانية

بحري: ابلغت القاوقجي ان الكيلاني موجود في برلين وغداً سيكون الغداء عندك وانا ساطبخ المسقعة والرز

كبر هموم موسوليني تقوية وجود 100 ألف إيطالي فاشي في تونس بالمساعدات المادية والأدبية

14

يونس بحري: حياة مثيرة

مذكرات عراقي في برلين خلال الحرب العالمية الثانية

سيرو يحقق مكانته الممتازة في برلين كمربع سهل ممتنع لزعماء النازية وقادتها وجدوا فيه ضالتهم المنشودة

لا يحضر وصلة الراقص العراقي وليم شيفو وأحمد البيه أكبر محتكر لصناعة السهر

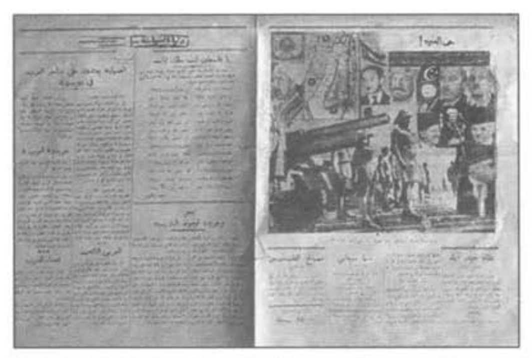
14

يونس بحري: حياة مثيرة

مذكرات عراقي في برلين خلال الحرب العالمية الثانية

غروبا يهدي الملك غازي محطة إذاعة على الموجة القصيرة القوية هدية من هتلر

بحري: فاضل الجمالي رشحني لتولي إدارة الإذاعة ورافقني إلى غرفة وزير المعارف رضا الشبيبي









جريدة العرب الصادرة في باريس في ١١ شعبان سنة ١٣٦٧ للهجرة ١٩٤٨ للميلاد

المدير و رئيس التحرير المسؤول يونس بحري



العرب

جريدة عربية سياسية حرة مستقلة

« تصدر مرة في الاسبوع (مؤقتاً) كل يوم جمعة »

الاشتراك السنوي بالبريد العادي . ١٥٠٠ فرنكاً او ٨ دولارات خارج فرانسا
« « الجوى . ٢٥٠٠ « ١٢ دولاراً ومناطقها
بفرنسا ١٠٠٠ فرنك
بالمغرب العربي لسنة بالبريد العادى . ١٢٥٠ «
« « الجوى . ١٧٥٠ «
بافريقيا الغربية لسنة بالبريد العادى . ١٠٠٠ افريقي
« « الجوى . ١٧٥٠ «

ترسل الاشتراكات (سالماً) وباسم جريدة العرب فقط

36, rue Vivienne, PARIS (2e) AL ARAB 36, rue Vivienne, PARIS (2e)



PAR AVION

بالطائرة

العرب

ابن السعود وروزفلت

جريدة العرب الصادرة في باريس في ١١ شعبان سنة ١٣٦٧ للهجرة ١٩٤٨ للميلاد

المدير و رئيس التحرير المسؤول يونس بحري



الصورة تجمع أشهر سياسيي العراق في دار رشيد عالي الكيلاني في الصليخ سنة ١٩٣٤
والمناسبة هي إستقبال الضيف المصري الأقتصادي الأشهر طلعت حرب باشا ومرافقيه.. ويظهر يونس بحري جالساً

الشكر و التقدير للذوات المُدرجة أسماؤهم في أدناه (مع حفظ المقام) لأدوارهم المُساعدة في تقديم الخدمة و المعلومة لأجل إغناء محتويات هذا الكتاب المرجعي العتيد... ولهم من بعدُ، الأجر ...

وخالص تمنيات الباحث - معن عبد القادر زكريا.

احمد سامي الجلبي	صحفي ومحرر عمل مع والده شقيق محمود الجلبي في جريدة فتى العراق - فتى العرب لاحقا.
عبد الباسط يونس	صحفي وصاحب جريدة الهدف سابقا والمثال سابقا.
قصي آل فرج	كاتب ومؤرخ - مسؤول النوادر في المكتبة العامة في الموصل
عبد الكريم الصائغ	مهندس استشاري وباحث
الدكتور ذنون يونس الطائي	باحث في مركز دراسات الموصل - جامعة الموصل
د. عماد الدين خليل	أستاذ التاريخ في كلية التربية - جامعة الموصل
حسين علوان الجبوري	رجل أعمال
عمر رياض	أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في كلية الآداب، جامعة لوفال/ بلجيكا
مكتبة متحف الموصل	
المكتبة الوطنية	بغداد - دار حفظ الوثائق
مكتبة الاوقاف	
المكتبة العامة المركزية	
المكتبة المركزية في جامعة الموصل	
باسل رشيد سعيد	مهندس زراعي
العميد المتقاعد عبد المنعم مهدي صالح	ضابط متقاعد

العقيد المتقاعد محمد نايف الحاج أعضيب	ضابط متقاعد
السيد يونس الشاهين	أعمال حرة
د. حسين علي الجبوري	طبيب ومحلل
السيد جاسم محمد عيسى الجبوري	دكتوراه في التاريخ – جامعة الموصل
بسام الجلبي	مؤرخ وباحث
السيد عبد الرزاق عبد الوهاب	مسؤول مكتبة الاوقاف
د. وائل النحاس	تدريسي وباحث مركز دراسات الموصل
د. زهير النحاس	تدريسي في كلية الآداب جامعة الموصل
د. سرمد غانم صالح	تدريسي في كلية الادارة والاقتصاد – جامعة الموصل
سعود العمري	مهندس معماري
رافع سلطان العكيدي	اعمال حرة – كاتب
نجاح عبد الرحمن حياوي	صاحب دار نشر ومكتبة – المتنبي – بغداد
محمد أحمد الاطرقجي	اعمال حرة
عبد الباسط مجيد	اعمال حرة

قائمة محتويات الكتاب

الفصل الأول ٩-٥٠

- سفرتي الثانية خارج العراق عن كتاب (صفحات من حياة الدكتور محمد حسن سلمان) (الناشر الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٥ (الصور الداخلة إلى الموضوع من إنتاج و تنسيق الباحث معن عبد القادر آل زكريا) ......

الفصل الثاني ٥١-١٤٨

يونس بحري (أسرار ٢ مايس ١٩٤١ أو الحرب العراقية الإنكليزية) - تقديم علي الخاقاني

القسم الأول ....

- كلمة لابُدّ منها - الإنكليز يُحاربون ونحنُ ندفع الثمن ....
- مُؤامرة الآثوريين - نتيجة الحرب ....

القسم الثاني ....

- ثورة القبائل العربية ....

القسم الثالث ....

- الحاج أمين الحسيني في بغداد ....

القسم الرابع ....

- كيف ابتدأ التدخل الأميركي في العراق وشُؤون الشرق العربي ....

القسم الخامس ....

- العراقيون في ألمانيا ....
- كيف بدأت إتصالاتنا بهتلر ....
- القادة الأحرار وألمانيا، علاقات قديمة و وثيقة ....

القسم السادس ....

- حق الجيش التدخُل في السياسة ....

القسم السابع ....

– ألمانيا والعراق ....

– ألمانيا فوجئت بحرب العراق ....

– تعليمات هتلر للشرق الأوسط جاءت مُتأخرة ....

– كيف ألّفنا الجيش العربي الحُرّ ....

الفصل الثالث ١٢٣-١٤٧

– هنا برلين حيّ العرب ....

– أول إذاعة أجنبية في محطة الإذاعة الألمانية في برلين ....

الفصل الرابع ١٤٩-١٦٢

– أبن سعود و هتلر ....

– وأدخلوني على الفوهرر لأول مرة بعد وُصولي إلى ألمانيا ....

الفصل الخامس ١٦٣-١٨١

– العرب في ألمانيا إبان الحرب العالمية الثانية ....

الفصل السادس ١٨٣-٢٣٥

– من ذكرياتي في ألمانيا ....

– كيف سجن المُفتي رشيد عالي الكيلاني ..؟! ....

– الإنشقاق في الحزب النازي ....

الفصل السابع ٢٣٧-٢٦٢

– شباب الطليعة العرب مع هتلر ....

– كيف كنا نعيش ..؟ وماذا نفعل ..؟! ....

الفصل الثامن ٢٦٣-٣٠٧

– ماذا فعلنا في سنتي ١٩٣٩ – ١٩٤٠ ..؟! ....

– قصص و طرائف من الإخوان في ألمانيا ....

– نحنُ والمحور ..! ....

– توحيد الكويت والعراق ..! ....

الفصل التاسع ٣٠٩-٣٤٩

– نحنُ في برلين ....

– العرب المُتزعمون قبل مجيء المُفتي والكيلاني ....

– المُتعاونون معي في إذاعة برلين ....
– السوريون القوميون – أنطون سعادة ....
– نحنُ والوفد المصري ..! ....
– كيف طردني النقراشي ..! ....
– فاروق و ألمانيا ....
الفصل العاشر ٣٥١-٤٢٣
– قراءة مُستفيضة في كتاب يونس بحري (سبعة أشهر في سُجون بغداد)
الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٠ ....
–صور ووثائق ٤٤٧



يونس بحري من مواليد مدينة الموصل سنة ١٩٠٠ ...
الرجل الذي قام سنة ١٩٢٣ و لأول مرّة في تأريخ العراق والعرب، الحديث المُعاصر، بجولة حول العالم سيراً على الأقدام حتى اكتسب شهرة (السائح العراقي) بكل جدارة، ثم كُني بالبحري تيمناً بإبن عمه السندباد البحري البغدادي على حسب زعمه. الرجل الذي كان اول من قال من عاصمة الرايخ الثالث (هنا برلين.. حيّ العرب) و (بلاد العرب ..للعرب) طوال ستة أعوام وحريق الحرب الكونية الثانية يلهب الأرض والسماء فسمعته الملايين عبر أربعة أركان المعمورة .أصدر في مطلع ثلاثينات القرن الماضي (جريدة العُقاب) في بغداد فلما عطلتها الحكومة أصدر بدلها (جريدة الميثاق). عرفه العالم بأسره سائحاً رائداً وصحافياً لامعاً ورياضياً متألقاً وديبلوماسياً ناعماً وخطيباً مُفوهاً. عمل في باريس إماماً لجامعها واشتغل في أندونيسيا مُفتياً لأهلها وشيخاً لكبار عُلمائها . صار مُستشاراً للملك الليبي إدريس السنوسي ومرجعاً في العلاقات وصديقاً للرئيس الموريتاني مختار ولد دادا . عمل في خدمة الملك عبدالعزيز أبن سعود ليرسله برفقة المؤرخ الكويتي عبد العزيز الرشيد إلى سوماطرا وبتافيا يصدران من هناك (مجلة الكويت والعراقي). فاز بالمرتبة الأولى (الجائزة الذهبية) على العالم في عبوره مضيق جبل طارق سباحة . إتهمه خصومه الكُثر بالتطرف النازي ورموه بالتجسس لحساب الحلفاء، ليقدم إلى محكمة الشعب في بغداد (محكمة المهداوي) فخرج من تلك التهم وتلك الاحكام. كان صديقاً وفياً لكل رؤساء لبنان ونديماً مصاحباً للشيخ زايد ومقرباً من مجلس شيخ الكويت عبدالله السالم الصباح. مات على أرصفة شارع السعدون في بغداد سنة ١٩٧٩ وحيداً شريداً لا يملك من هذه الفانية شروى نقير... إنه السائح العراقي يونس أبن صالح أغا الجبوري من عشيرة العجل الجوبان العربية الموصلية العريقة.

معاً... نطوي المسافات



ISBN: 978-9953-597-69-0



درابين الكتب
العراق | بغداد | شارع المتنبي | مدخل جديد حسن باشا
darabinalkutub12@gmail com
00964 770 2803 658 | 00964 790 4887 670